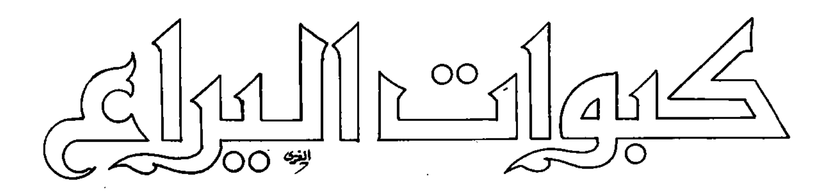
كتاب
النادي الأدبي الثقافي
٥



أبو تراب الظاهري



الطبعة الأولى
١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

دار البلاد للطباعة والنشر
جدة ـ ص . ب : ٧٦١٤
ت : ٦٧١٩٧١٥ - ٦٧١٩٢٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

النادى الأدبى الثقافى
جدة ـ المملكة العربية السعودية
ص.ب: ٥٩١٩



المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله وكفى والصلاة والسلام على محمد المصطفى وآله الطاهرين ، وصحبه الطيبين ، ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

أما بعد : فهذا كتاب ألفناه لاصلاح خطأ الكتاب ، وليس سبيله ما انتهج ابن قتيبة فى « أدب الكاتب » ولا الزبيدى فى « لحن العامة » ، ولا ابن مكى فى « تثقيف اللسان » ، ولا الحريرى فى « درة الغواص » ، ولا ابن الجوزى فى « تقويم اللسان » . وإنما نحوت فيه نحو عثرات الأقلام ، ولغة الجرائد لليازجي ، وقد ألف أنستاس الكرملى كتاب « أغلاط اللغويين » ألا أنه تعقب القدماء ، ونحن نتعقب كتاب زماننا هذا كما فعل أسعد داغر فى « تذكرة الكاتب » وأبو الخضر منسى فى كتاب « الغلط والفصيح » ، وعلى غرار ذلك ألف كتاب « اللغة الصحيحة » ومعجم العدنانى ، وألف مصطفى جواد كتاب « قل ولاتقل » وهو خير هذه الكتب ، أما كتاب زهدى جارالله الموسوم بالكتابة الصحيحة فليس بشيء على كبر حجمه .

وقد توسعت فيما ذكر مصطفى جواد وربما تعقبته فى أشياء نَدَّ عنها فهمه ، أو غابت عن علمه كدأبى فى ذلك من أسعد داغر وغيره ، وضمنت كتابى ما استدركت على المعاجم العربية ، وما أصلحت فيها من أخطاء ، ونبهت عليه من أوهام . وسأذكر فيما يأتى ما ألف فى اللحن من الكتب القديمة ، وبدأت كتابى بذكر التصحيف وحدوثه ، وضربت لذلك جملة أمثلة صالحة عوّلت فيها على كتاب حمزة الأصبهانى ، وأبى أحمد العسكرى ، ثم أتبعته بذكر مايخطىء فيه الكتاب من التعابير العربية من حيث التركيب اللفظى وأسميته « كبوات اليراع » .

وبالله تعالى التوفيق والتأييد .

بحث كلمة سداد

قال أبو تراب :

كان النضر بن شميل المازنى البصرى إماما فى اللغة والنحو وقعت له قصة مع الخليفة المأمون فى إصلاح لحن يقع فيه كثير من الناس ذكرها أبو هلال العسكرى فى ديوان المعانى (جـ ١ ـ صـ١٢) ، وأبو القاسم الحريرى فى درة الغواص ، وكانت سببا فى حظوته ، وزوال ضيق معيشته ، ونحن نوردها هنا فى مستهل هذا الكتاب ليستفاد الصواب ، وينتفى الارتياب وبالله التوفيق .

قال النضر بن شميل : كنت أدخل على المأمون فى سمره ، فدخلت عليه ذات ليلة ، وعلىّ قميص مرقوع فقال : يانضر ماهذا القشف ؟ ـ القشَف رثاثة الهيئة ـ فقلت : يا أمير المؤمنين . انا شيخ ضعيف وحَرّ «مرو» شديد فأتبرد بهذه الخُلقان قلت : «مرو» أشهر مدن خراسان يقال لها «مرو الشاهجان» والخلقان جمع الخلق وهو الثوب البالى ـ قال : ولكنك قشِف . فأجرينا الحديث إلى أن أخذ المأمون فى ذكر النساء فقال حدثنا هشيم عن مجالد عن الشعبى عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سَداد من عوز ـ بفتح السين ـ فقلت صدق يا أمير المؤمنين هشيم . حدثنا عوف بن أبى جميلة عن الحسن بن على بن أبى طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سِداد من عوز ـ بكسر السين ـ قلت العَوَز الحاجة ـ قال : وكان المأمون متكئا فاستوى جالسا فقال : يانضر كيف قلت سداد ؟ قلت : يا أمير المؤمنين السَداد ههنا لحن . قال : ويحك أتلحننى ؟ قلت : إنما لحن هشيم ـ راوى الخبر ـ وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين لفظه . قال : فما الفرق بينهما ؟ قلت : السَّداد القصد فى الدين والسبيل ، والسداد البلغة وكل ماسددت به شيئا فهو سِداد ، قال : وتعرف العرب هذا ؟ قلت : نعم ، العرجى يقول :

أضاعونى وأى فتى اضاعوا ليوم كريهة وسِداَد ثغر

قال : قبح الله من لا أدب له .

قلت : العرجى شاعر مشهور منسوب الى العرج وهى منزلة بين مكة والمدينة ومات فى حبس محمد بن هشام المخزومى أمير مكة عن ثمانين سنة لتشبيبه بأمه ، ويوم الكريهة هو يوم الحرب والثغر هو الموضع الذى يخاف منه هجوم العدو فهو كالثلمة فى الحائط يخاف هجوم السارق منها ، ويطلق على الموضع الذى يكون حدا فاصلا بين المتعاديين جمعه ثغور وبعد البيت المذكور :

وصبر عند معترك المنايا ۝ وقد شرعت أسنتها بنحرى

وشرعت الأسنة والرماح أى تسددت ويقال : هم شرعوها أى سددوها فهذا الفعل لازم ومتعد .

* * *

طِنْه لأطينه

قال ابو تراب :

ثم جرت محاورة بين النضر بن شميل والمأمون فى أبواب الشعر قال له المأمون بعدها : مامالك يانضر ؟ فقال : أُريض لى بمرو أتصابها وأتمززها وفى ديوان المعانى أتمذدها وهو غلط ـ قلت : أريض تصغير أرض ومعنى أتصابها أى أعيش فى بقيتها وهو مشتق من الصبابة وهى بقية مافى القدح ومعنى أتمززها أى أتمصص شرابها ـ فقال المأمون : ألا نفيدك مع ذلك مالا ؟ قال : إنى إلى ذلك محتاج فأخذ القرطاس وكتب ولا أدرى ماكتب ثم قال : كيف تقول من التراب إذا أمرت أن تترب ؟ قلت : أتربه قال : فهو ماذا ؟ قلت : مُتْرَب قال : فمن الطين ؟ قلت : طِنْه قال : فهو ماذا ؟ قلت : مَطين قال : هذه أحسن من الأولى ثم قال : ياغلام أتربه وطنه . ثم صلى بنا العشاء ثم قال لخادمه : تَبَلَّغ معه الى الفضل بن سهل . فأتيته فلما قرأ الكتاب قال : يانضر إن أمير المؤمنين أمر لك بخمسين ألف درهم فما كان السبب ؟ فأخبرته ولم أكذبه فقال : لحنت أمير المؤمنين فقلت : كلا إنما لحن هشيم وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين لفظه . وقد تبع الفقهاء فأمر لى الفضل بثلاثين ألفا فأخذت ثمانين ألفا بحرف استفاده منى .

قال ابو تراب : طنه على تحقيق أنه من طان يطين كباع يبيع والأمر منه بع ، ونقل الزبيدى : طين الكتاب من باب التفعيل قال : وسمعت من يقول : أطن الكتاب قلت : وهذا غريب وهو من الاطانة كالاقالة ، وأنكر الجوهرى التطيين وقال : الصواب طنت السطح وطينت خطأ قلت : وهو القياس اللغوى لأن التفعيل من خواصه التعدى والتكرير والتتابع ولايستبعد ذلك ههنا . ومعنى كل ذلك الختم بالطين . أما السداد فهو بالكسر مايسد الثلمة والحاجة وهو بالفتح بمعنى الاستقامة والصواب كالسدد ، وغلطوا فقالوا :

أعلمه الرماية كل يوم   فلما اشتد ساعده رمانى

والصواب : استد من التسدد على الرمى وهو الاستقامة نبه عليه الزمخشرى فى أساس البلاغة .

إعراب بيت في مجلس الواثق

قال أبو تراب : وذكر السيوطى فى بغية الوعاة فى طبقات النحاة (صـ٢٠٢) عن الامام المبرد أن يهوديا بذل للامام المازنى مئة دينار ليقرئه كتاب سيبويه فامتنع من ذلك فقيل له : لم امتنعت مع حاجتك وعائلتك ؟ فقال : إن فى كتاب سيبويه كذا وكذا آية من القرآن فكرهت أن أقرىء القرآن لأهل الذمة . فلم يمض على ذلك إلا مديدة حتى طلبه الواثق بالله ، وأخلف الله عليه أضعاف ماتركه لله .

وذكر أبو الفرج الأصفهانى فى كتاب الأغانى وياقوت فى معجم الأدباء (جـ٧ ـ صـ١١١) عن أبى عثمان المازنى قال : كان سبب طلب الواثق لى أن مخارقا غنّاه فى شعر الحارث بن خالد المخزومى :

أظلـوم أن مصابـكم رجلا أهـدى السـلام تحيـة ظلم

فلحنه قوم وصوبه آخرون . وفى بغية الوعاة : أن جارية غنت بحضرة الواثق هكذا فرد التوزى عليها نصب رجل فى قوله : إن مصابكم رجلا ، وقال : الصواب إن مصابكم رجل ظانا أنه خبر (انّ) فقالت : لا اقبل هذا ولا غيره . وقد قرأته كذا على أعلم الناس بالبصرة أبى عثمان المازنى فأحضر من (سر من رأى) قلت : سر من رأى هى مدينة بين بغداد وتكريت على شرقى دجلة وقد خربت ويقال لها سَامُرَّاء وفيها لغات . وفى معجم الأدباء أن الواثق هو الذى سأل حين تنازعوا فى هذا اللحن عمن بقى من رؤساء النحويين قال المازنى فذكرت له فأمر بحملى . وإزاحة عللى . فلما دخلت على الخليفة قال لى : ممن الرجل ؟ قلت : من بنى مازن . قال : من مازن تميم ؟ أم مازن قيس ؟ أم مازن ربيعة ؟ أم مازن اليمن ؟ قلت وفى رواية أنه قال : أم من مازن شيبان ؟ فقال المازنى : أنا من مازن شيبان أو قال : من مازن ربيعة قال : فقال لى : باسمك ؟ يريد ما اسمك ؟ وهى لغة كثيرة فى قومنا يبدلون الميم باء . وعكسه ، فقلت على القياس : اسمى مكر ـ أى بكر ـ وفى رواية كرهت أن أقول : مكر مواجهة له بالمكر فقلت : بكر بن محمد فضحك وأعجبه ذلك الجواب ، وفطن لما قصدت . فاننى لم أجرؤ أن أواجهه بالمكر فضحك وقال

لى : اجلس فاطبئن أى فاطمئن فجلست فسألنى عن البيت المذكور فقلت : صوابه أن مصابكم رجلا قال : ولم ؟ وأين خبر «إن» ؟ فقلت : إن مصابكم مصدر بمعنى إصابتكم ـ فأخذ التوزى فى معارضتى ـ فقلت : ظلم هو الخبر فى آخر البيت وهو بمنزلة قولك : (إن ضربك زيدا ظلم) فالرجل مفعول مصابكم وظلم الخبر. والدليل عليه أن الكلام معلق إلى أن تقول ظلم فيتم . ألا ترى أنه لو قال (أظلوم أن مصابكم رجلا أهدى السلام تحية) فكأنه لم يفد شيئا حتى يقول : ظلم ولو قال : (أظلوم ان مصابكم رجل أهدى السلام تحية) لما احتاج إلى «ظلْمُ» ولا كان له معنى إلا أن تجعل التحية بالسلام ظلما وذلك محال ، ويجب حينئذ . أظلوم أن مصابكم رجل أهدى السلام تحية ظلما ولا معنى لذلك ولا هو مراد الشاعر لو كان له وجه .

فقال التوزى : حسبى وفهم ، واستحسنه الواثق فقال : صدقت ، وقال : من خلفت وراءك ؟ قلت : أُخيّة لى أصغر منى أقيمها مقام الولد ، وفى رواية ياقوت : بنية بدل أخية . قال : فما قالت حين خرجت مودعا ؟ قلت : طافت حولى وهى تبكى ، وقالت أقول لك يا أخى كما قالت بنت الأعشى لأبيها ، وفى رواية انها أنشدتنى قول الأعشى

تقول ابنتى حين جد الرحيل ... أرانا سواء ومن قد يتم

أى صار يتيما ـ

أبانا فلا رِمت من عندنا ... فانا بخير اذا لم ترم

أى لازلت عنا ولا فارقتنا وهى جملة دعائية ـ

ترانا إذا أضمرتك البلاد ... نجفى وتقطع منا الرحم

قال : فماقلت لها ؟ كأنى بك قلت لها قول الأعشى أيضا :

تقول بنتى وقد قربت مرتحلا ... يارب جنّب أبى الأوصاب والوجعا

عليك مثل الذى صليت فاعتصمى ... يوما فان لجنب المرء مضطجعا

فقلت : صدق أمير المؤمنين قلت لها ذلك وزدتها قول جرير

ثقى بالله ليس له شريك ... ومن عند الخليفة بالنجاح

فقال : لاجرم أنها تستنجح . وأمر لى بثلاثين ألف درهم .

وفى رواية ياقوت أنه أمر له بألف دينار . وفى أخرى : خمسمائة دينار وأجرى عليه كل شهر مائة دينار .

* * *

اختبار المعلمين

وفى معجم الادباء لياقوت الحموى ج ٧ ص ١١٢ : ان الخليفة الواثق بالله قال للامام المازنى : ان ههنا قوما يختلفون الى اولادنا فامتحنهم . فمن كان عالما ينتفع به الزمناهم اياه ومن كان بغير هذه الصفة قطعناهم عنه قال : فامتحنتهم فما وجدت فيهم طائلا ، وحذروا ناحيتى : فقلت : لا بأس على احد منكم . فلما رجعت اليه قال : كيف رأيتهم ؟ فقلت : يفضل بعضهم بعضا فى علوم ، ويفضل الباقون فى غيرها ، وكل يحتاج اليه .

فقال الواثق : انى خاطبت منهم رجلاً . فكان فى نهاية الجهل فى خطابه ونظره فقلت : يا أمير المؤمنين اكثر من تقدم فهم بهذه الصفة . وقد انشدت فيهم :

ان المعلم لا يزال مضعفا ولو ابتنى فوق السماء سماء

يريد ضعف الادراك ووهن التصور والتفكير .

من علم الصبيان اضنوا عقله مما يلاقى بكرة وعشاء

فقال لى : لله درك . كيف لى بك ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ان الغنم لفى قربك ، والنظر اليك والامن والفوز لديك ، ولكنى ألفت الوحدة ، وأنست بالانفراد ، ولى اهل يوحشنى البعد عنهم ، ويضر بهم ذلك ، ومطالبة العادة اشد من مطالبة الطباع ، فقال لى : فلا تقطعنا وان لم نطلبك ، فقلت : السمع والطاعة .

* * *

وزن (نكتل)

وفى طبقات النحويين للزبيدى ص ٩٢ ان المازنى كان بحضرة الواثق يوما قال : فقلتُ لابن قادم او ابن سعدان وقد كابرنى : كيف تقول : نفقتك دينارا اصلح من درهم ؟ فقال : دينار بالرفع .

قلت : فكيف تقول : ضربك زيدا خير لك فتنصب زيدا . فطالبته بالفرق بينهما فانقطع .

وكان الامام ابن السكيت حاضرا فقال الواثق : سله عن مسألة فقلت له : ما وزن نكتل من الفعل ؟ فقال : نفعل : فقال الواثق : غلطت ثم قال لى فسره ؟

فقلت : « ونكتل » تقديره نفتعل واصله : نكتيل فانقلبت الياء الفا لفتحة ما قبلها . فصار لفظها نكتال ، فأسكنت اللام للجزم ، لانه جواب الامر فحذفت الالف لالتقاء الساكنين : فقال الواثق : هذا الجواب لا جوابك يا يعقوب . فلما خرجنا قال لى يعقوب بن السكيت : ما حملك على هذا وبينى وبينك المودة الخالصة ؟ فقلت والله ما قصدت تخطئتك ، ولم اظن انه يعزب عنك ذلك .

قال ابو تراب : كان هذا السؤال فى قوله تعالى فى قصة اخوة يوسف عليه السلام : « فأرسل معنا اخانا نكتل وانا له لحافظون » . فوقع فعل « نكتل » جوابا لفعل الامر « فأرسل » فانجزمت اللام لاجل ذلك وهو من الاكتيال على وزن الافتعال واصله الكيل ويسميه الصرفيون اجوف يائيا لكون حرف العلة مقابل عين الكلمة فى الوزن وتعليل حذفه هو انقلابه الى الالف لانفتاح ما قبله ثم التقاء الساكنين ، ومثاله لم نبتع اصله من البيع ، فلما ركب على الافتعال صار نبتيع فقلبت الياء ألفاً ثم لما سكنت بالحرف الجازم حذفت الالف الساكنة لاجتماع الساكنين والمازنى كان اماما لا يناظره احد الا قطعه لقدرته على الكلام ، وكان المبرد يقول : لم يعد بعد سيبويه اعلم من ابى عثمان المازنى بالنحو ، وقد ناظر الامام الاخفش فى اشياء كثيرة فقطعه ، مع انه اخذ عنه ، وقد برع وكان يقدمه وهو حى .

إعراب بيت للأعشى

قال المبرد : سألت المازنى عن قول الاعشى :

هذا النهـار بداهـا من همها ما بالهـا بالليل زال زوالها

كيف نصب النهار ؟ فقال : نصبه على تقدير : هذا الصدود بداها النهار ، واليوم والليلة . والعرب تقول : زال وازال بمعنى واحد . فتقول : زال زوالها .

وللمازنى كتاب جليل أسماه : ما يلحن فيه العامة وذكر ابن النديم من مصنفاته : كتاب علل النحو ، وكتاب تفاسير كتاب سيبويه . وكتاب الألف واللام ، وكتاب التصريف ، وكتاب العروض ، وكتاب القوافى ، وكتاب الديباج فى جوامع كتاب سيبويه ، وكتاب معانى القرآن كبير .

وذكر الخطيب فى تاريخ بغداد انه مات سنة تسع واربعين ومئتين وقيل سنة ثمان واربعين وقيل سنة ثلاثين .

* * *

تصريف عني

قال أبو تراب : ومن مسائل الامام المازني ما حدث عنه تلميذه المبرد النحوى قال قال المازنى : كنت عند ابى عبيدة ، فسأله رجل فقال له : كيف تقول : عنيت بالامر ؟ قال : كما قلت : عنيت بالامر قال : فكيف آمر منه ؟ ـ يعنى كيف اركب منه فعل الأمر ؟ ـ قال : فغلط وقال : اعنُ بالامر ، فأومأت الى الرجل : ليس كما قال فرآنى ابو عبيدة فأمهلنى قليلا فقال : ما تصنع عندى ؟ قلت : ما يصنع غيرى : قال : لست كغيرك ، لا تجلس الى . قلت : ولم ؟ قال : لانى رأيتك مع انسان خوزى سرق منى قطيفة ـ قلت : الخوزى نسبة الى سكة الخوز باصبهان وفى البغية الحورى وهو غلط ـ قال : فانصرفت وتحملت عليه باخوانه ، فلما جئته قال لى : ادب نفسك اولا . ثم تعلم الأدب .

قال المبرد : الامر من هذا الفعل باللام ، لا يجوز غيره ، لانك تأمر غير من بحضرتك . كأنه لِيُفْعَلْ هذا . قلت : يعنى ان تقول فى الامر ليعن به . وعنى بالضم عناية ، وورد فى الاستعمال عنى كرضى قليلا وفى اسم الفاعل يقال : هو به عَنٍ لان هذا الفعل يسمى ناقصا يائيا لاعتلال لام الكلمة فيه .

وهذه القصة اوردها ياقوت فى معجم الادباء والسيوطى فى بغية الوعاة .

* * *

تعليل (بغيا)

وفى طبقات الزبيدى : قال المازنى : حضرت يوما عند الواثق وعنده نحاة الكوفة فقال لى الواثق : يا مازنى هات مسألة ؟ فقلت : ما تقولون فى قوله تعالى : « وما كانت امك بغيا » لم لم يقل بغية وهى صفة لمؤنث ؟

فاجابوا بجوابات غير مرضية ، فقال الواثق : هات ما عندك ؟ فقلت : لو كانت بغى على تقدير فعيل بمعنى فاعلة لحقتها الهاء ، مثل كريمة وظريفة وانما تحذف الهاء اذا كانت فى معنى مفعولة نحو : المرأة قتيل ، وكف خضيب وبغى ههنا ليس بفعيل ، انما هو فعول ، وفعول لا تلحقه الهاء فى وصف التأنيث نحو : امرأة شكورو بئر شطون ، اذا كانت بعيدة الرشاء ، وتقدير بغى بَغُوى قلبت الواو ياء ثم ادغمت فى الياء فصارت ياء ثقيلة ، نحو : سيد وميت فاستحسن الجواب .

قال ابو تراب : المرأة قتيل بمعنى مقتولة ، وكف خضيب بمعنى مخضوبة والكف من المؤنثات السماعية ، وسيد وميت اصلهما سَيْوِد ومَيْوِت ابدلت واواهما ياءين ثم ادغمتا فى الياءين الأخريَيْنْ .

والبغى صيغة مصدر يائية ركب منها فعول فكانت بلفظ بغوى ثم قلبت الواو ياء وادغمت فى اختها الاصلية من المصدر فلهذا لم تلحقها تاء التأنيث التى تنقلب هاء فى السكت لانها ليست بمعنى المفعول بل هى مبالغة من صيغ اسم الفاعل . ولهذا السر لا يقال للمرأة لعوبة بل هى لعوب ، وانما تلحق التاء صيغة فعيل اذا كانت بمعنى فاعلة فى التأنيث

* * *

منذ وحاشا وخلا

وحدث محمد بن رستم الطبرى قال انبأنا ابو عثمان المازنى قال : كنت عند الاخفش انا وابو الفضل الرياشي فقال الاخفش : ان « منذ » اذا رفع بها فهى اسم مبتدأ وما بعدها خبرها ، كقولك ما رأيته منذ يومان فاذا خفض بها كقولك ما رأيته منذ اليوم فهو حرف معنى ليس باسم فقال له الرياشي : فلم لا يكون فى الموضعين اسما ؟ فقد نرى الاسماء تخفض وتنصب . كقولك هذا ضارب زيدا غدا ، وضارب زيد امس ، فلم لا تكون بهذه المنزلة ؟ فلم يأت الاخفش بمقنع . قال المازنى : فقلت له : لا يشبه « منذ » ما ذكرت لانا لم نر الاسماء هكذا تلزم موضعا ، الا اذا ضارعت حروف المعانى نحو : اين وكيف ، فكذلك « منذ » هى مضارعة لحروف المعانى فلزمت موضعاً واحدا .

قال الطبرى : فقال ابن ابى زرعة للمازنى : أفرأيت حروف المعانى تعمل عملين مختلفين متضادين ؟ قال : نعم كقولك : قام القوم حاشا زيدا ، وحاشا زيد ، وعلى زيد ثوب ، وعلا زيد الفرس فتكون مرة حرفا ومرة فعلا بلفظ واحد .. قلت لاجل هذا لا يذكر كثير منهم « عدا وخلا وحاشا » من حروف الجر ، ومذ ومنذ يليهما مجرور ومرفوع وفعل ، والمرفوع مؤول بتقدير كما هو مفصل فى المغنى .

* * *

ياء الأقاحى والمتعالى ويبالى

قال أبو تراب : غر كثيرا من المتأدبين حذف الياء من كلمة الاقاحى . جمع الاقحوان وهو من الزهر حيث وردت بصيغة اقاح . فظن ان آخر الكلمة الحاء وجعل الاعراب عليها فيقول : قطفت أقاحا على الخطأ .

ومن هؤلاء أبو على الحسين النشار من ادباء الاندلس فقد أورد له صاحب المغرب قوله : « ٢/٣٣٨ »

ألوامــى على كلفــى بحبى	**متــى من حبــه ارجــو سراحا**
وبــين الخــد والشفتــين خال	**كزنجــى اتــى روضــا صباحا**
تحــير فى جنــاه فليس يدرى	**أيجنــى الــورد ام يجنــى الاقاحا**

والشاهد هو البيت الاخير حيث جعل النصب على حرف الحاء من الاقـاح قال الفيومى فى المصباح : انه من نبات الربيع له نور ابيض لا رائحة له وتعقبه محمد على النجار فى مجلة الازهر « رجب ٧٥ هـ »

واورد هذه الابيات زكى مبارك فى الموازنة ص ٢٥٦ ولم ينبه على موضع الغلط فيها .

وترى ان نون اقحوان حذفت فى الجمع . وقلبت الواو فى الجمع ياء لوقوعها فى الطرف اثر كسر فتقديره افاعل ، وقد ورد فى الجمع الاقاحى بالتشديد ومن هذا قول ذى الرمة :

تبسمـن عن نَور الاقاحـى فى الثرى	**وفتّـرن عن ابصــارِ مكحولــة نُجل**

ومَأتى هذا زيادة ياء قبل الاخر للتعويض من النونَ المحذوفة كما يقـال فى جمـع سفرجل سفاريج وهذا التعويض جائز قياسا .

قال النجار : ولم اقف على التشـديد فى الافاعـى فيجـوز على هذا ان يقـال : الافاعى ، ووزن الاقاحى بتشديد الياء افاعيل . وهو فى الوجه الاول من المنقـوص فالإعراب على الياء ، وتحذف فى حالتى الرفع والجر عنـد التجـرد من « ال » المعرفـة

والاضافة فتقول : هذا اقاح ونظرت الى اقاح ، وتثبت الياء فى غير ذلك . فتقول : قطفت اقاحى ، وهذه الاقاحى

قال النجار : ومن جنس هذا الخطأ فى الاقاحى قولهم : العال فى العالى والناطق بالعال من العامة لا يرى انها من العلو فهو يقول ، مكان عالى وشىء عال اى جيد ، ويفرق بينهما فى مدارج القول ، فالظن بالقائلين : « العال » انهم يرون نهاية الكلمة اللام حتى لو ان الاعراب جرى فى لسانهم لقالوا : اشتريت شيئا عالا . كما قال الاديب الاندلسى « ام يجنى الاقاحا »والخطأ فى العال جرى ايضا على ألسنة المتأدبين فيقول القاضى تقى الدين التميمى من شعراء الريحانة :

الدون لا نرضى به والعالُ لا يرضى بنا

ويقول الشهاب الخفاجى فى الريحانة ص ٢٣٤ : بعد ان اورد البيت « والعال بمعنى العالى كقولهم : لم تُبَلْ الا انها لغة عامية مبتذلة . وتراه قرأ العال برفع اللام حتى حكم بأنها لغة عامية مبتذلة ، ولو قرأه بكسر اللام لم يكن فيها خروج عن الفصيح . فقد ورد حذف الياء فى المنقوص المقرون باداة التعريف كما فى قوله تعالى : « عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال » وقول الشهاب : « كقولهم لم تبل » يريد ان العرب يقولون لم تبال هذا الامر وهذا هو الاصل فقد حذف الجازم حرف العلة . ويقولون ايضا لم تبل وتخريج هذا انه سكن اللام فى « لم تبال » تخفيفا .. أو لتوكيد اثر الجازم كأنه لم يكتف بحذف الياء له ! وهذا كقوله تعالى : « ألم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل » . فقد قال الزمخشرى : ألم تر بسكون الراء للجد فى اظهار اثر الجازم ولما سكنت اللام فى « لم تبال » التقت ساكنة مع الفها فحذفت الالف للتخلص من الساكنين .

ويقول الامام سيبويه فى الكتاب : ج ٢ ص ٣٩٢

« وسألته ـ يعنى الخليل ـ عن قولهم لم ابل الخ » ويرى الباحث فى كلام سيبويه ان جعل الشهاب « العال » من باب لم تبل فى الحذف تعوزه الدقة . فالحذف فى لم تبل سهله حذف حرف العلة للجزم كما ذكر سيبويه . ومن قواعدهم ان التغيير يجرىء على هذا التغيير . فأما الحذف فى العال وجعل الياء نسيا واجراء الاعراب على اللام فهذا مما يبعده عن التغيير المذكور .

على ان للحذف فى الاقاحى والعال نظائر ولكنا نجدها فى الشاذ فقد جاء فى كتاب القراءات الشاذة لابن خالويه ص ٤٣ : « ومن فوقهم غواشٌ » وهذا كقراءة الحسن « صالُ الجحيم » ومثلها « وله الجوارُ المنشئات » فقرأ ابو رجاء « غواش » بضم الشين وقرأ الحسن البصرى « صال » بضم اللام و« الجوار» بضم الراء وكله شاذ .

* * *

نصائح لأصحاب اللحن

قال أبو تراب : ويحسن بنا فى معرض الملاحن والأخطاء والتصحيفات وتقويم اللسان أن نذكر نصيحة المأمون لبعض ولده أوردها الحصرى فى «زهر الآداب» جـ ٢ صـ ٧١٩ قال وقد سمع منه لحنا : ما على أحدكم أن يتعلم العربية فيقيم بها أوده . ويزين بها مشهده . ويفل حجج خصمه . بمس كتاب حكمه . ويملك مجلس سلطانه بظاهر بيانه . ليس لأحدكم ان يكون لسانه كلسان عبده أو أمته ، فلا يزال الدهر أسير كلمته .

وقال رجل للحسن البصرى : يا أبو سعيد ولم يقل يا أبـا سعيد كما هو مقتضى المنادى بحرف النداء فقال الحسن : كسب الدرهم شغلك أن تقول : يا أبا سعيد . تعلموا العلم للأديان ، والنحو للسان ، والطب للأبدان .

وكان الحسن كما قال الأعرابى وسمع كلامه : والله انه لفصيح اذا لفظ ، نصيح إذا وعظ ، وقيل له : يا أبا سعيد . مانراك تلحن قال : سبقت اللحن . ويقال : أن أبـا العتاهية أخذ التعبير عنه فى رده على من قال له : إنك تخرج فى شعرك عن العروض فقال : أنا سبقت العروض .

قال ابو تراب : والسر فى فصاحة الحسن البصرى ما أورده الحافظ أبو نعيم فى الحلية جـ٢ صـ ١٤٧ عن عوف بن أبى جميلة الأعرابى قال : كان الحسن ابنا لجارية أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم فبعثت أم سلمة جاريتها فى حاجتها فبكى الحسن بكاء شديدا فرقت عليه أم سلمة رضى الله عنها فأخذته فوضعته فى حجرها فألقمته ثديها فدر عليه فشرب منه . فكان يقال : إن المبلغ الذى بلغه الحسن من الحكمة من ذلك اللبن الذى شربه من أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم .

وقال الأعمش مازال الحسن البصرى يعى الحكمة حتى نطق بها ، وكان اذا ذكر عند أبى جعفر محمد بن على بن الحسين قال : ذاك الذى يشبه كلامه كلام الأنبياء .

وقال إسحاق بن خلف البهرانى :

النحــو يصلــح من لســان الألكن   والمرء تعظمــه إذا لم يلحن
فاذا طلبــت من العلــوم أجلها   فأجلهــا منهــا مقيــم الألسن

وقال على بن بسام :

رأيــت لســان المرء رائــد علمه   وعنوانــه فانظــر بمــاذا تعنون
ولاتعــد إصــلاح اللســان فانه   يخبــر عما عنــده ويبين
على أن للاعــراب حدا وربما   سمعت من الاعـراب ماليس يحسن
ولا خـير فى اللفـظ الكريـه استماعه   ولا فى قبيـح اللحـن والقصـد أزين

* * *

كتب الملاحن

وقديما عنى العلماء باصلاح اللحن ووضعوا فى ذلك كتبا من أهمها كتاب «لحن العوام» للامام الكسائى . وكتاب «لحن العامة» للامام الفراء وكتاب «مايلحن فيه العامة» للامام أبى عبيدة . وكتاب «مايلحن فيه العامة» للأصمعى . وكتاب «ما خالفت فيه العامة لغات العرب» للامام القاسم بن سلام . وكتاب «مايلحن فيه العامة» لأبى نصر الباهلى . وكتاب «إصلاح المنطق» للامام ابن السكيت ، وكتاب «مايلحن فيه العامة» للامام المازنى ، وكتاب «لحن العامة» لأبى حاتم السجستانى وكتاب «من كان يلحن من النحاة» لأبى زيد . وكتاب «أدب الكاتب» لابن قتيبة وكتاب «لحن العامة» لأبى حنيفة الدينورى . وكتاب «مايلحن فيه العامة» لأبى الهيزام . وكتاب «التنبيهات على أغاليط الرواة» لأبى القاسم على بن حمزة البصرى . وكتاب «لحن العامة» للزبيدى . وكتاب «التنبيه على حدوث التصحيف» لحمزة بن الحسن الأصبهانى . وكتاب «مايقع فيه التصحيف والتحريف» لأبى أحمد العسكرى . وكتاب «لحن الخاصة» لأبى هلال العسكرى . وكتاب «تثقيف اللسان» لابن مكى الصقلى . وكتاب «درة الغواص فى أوهام الخواص» للحريرى . وكتاب «ماتلحن فيه العامة» للكفر طابى . وكتاب «التكملة فيما يلحن فيه العامة» للجواليقى وكتاب «المدخل الى تقويم اللسان» لابن هشام اللخمى . وكتاب «تقويم اللسان» لابن الجوزى وكتاب « تنبيه النبيه » لابن كمال باشا .

وشرح العسكرى الألفاظ والأسماء المشكلة التى صحفها العامة وغلط فيها بعض الخاصة قال : ولايكمل لها الا من افتن فى العلوم ولقى العلماء والرواة والمتقدمين فى صناعتهم . المتقنين لما حفظوه ، وأخذ من أفواه الرجال ولم يعول على الكتب الصحفية ، واستقبح لذة الراحة والتقليد على تعب البحث والتنقير . فوضحت له الدراية والرواية . بكفاء الطلب والعناية ، واحترس من الخطأ احتراسه من أقبح العيوب وأعين ببعض الذكاء والفطنة . فالاحتراس من التصحيف لايدرك الا بعلم غزير ورواية كثيرة وفهم كبير

وبمعرفة مقدمات الكلام ومايصلح ان يأتى بعدها مما يشاكلها . ومايستحيل مضامّته لها ومقارنته بها ويمتنع من وقوعه بعدها . وتمييز هذا مستصعب عسير الا على اهله الحاملين لثقله والمستعذبين لمرارته . وقد قالت الحكماء : العلم عزيز الجانب لايعطيك بعضه او تعطيه كلك . وقالوا لايدرك العلم براحة الجسم . وقال بعض المتقدمين :

أوردهـــا سعـــد وسعـــد مشتمل   ما هكذا يا سعـــد تورد الابل ؟

«قال أبو تراب» وقال بشر :

سهـــرت عيونهمـــو وأنت   عن الـــذى قالـــوه حالم

* * *

علم قتادة

وسئل ابن العباس : أنى ادركت هذا العلم ؟ قال : بلسان سؤول وقلب عقول . وأورد أبو أحمد العسكرى عن الأصمعى : أنه ذكر يوما بنى أمية أو قال : بنى مروان وشغفهم بالعلم فقال : كانوا ربما اختلفوا وهم بالشام فى بيت من الشعر او خبر أو يوم من أيام العرب فيبردون فيه بريدا الى العراق ـ يعنى للسؤال ـ وعن أبى عبيدة قال : ماكنا نفقد فى كل يوم راكبا من ناحية بنى أمية ينيخ على باب قتادة يسأله عن خبر او نسب او شعر . وكان قتادة أجمع الناس . قلت : هو قتادة بن دعامة السدوسى الأكمه قال الخزرجى فى الخلاصة صـ ٣١٥ : كان من أحفظ الناس .

وقال عامر بن عبد الملك المِسْمَعى : لقد كان الرجلان من بنى مروان يختلفان فى بيت شعر فيرسلان راكبا الى قتادة يسأله . ولقد قدم عليه رجل من عند بعض اولاد الخلفاء من بنى مروان فقال لقتادة : من قتل عمراً وعامراً التغلبيين يوم قِضّة ؟ قلت : هو يوم من أيام العرب بين بكر وتغلب ـ فقال : قتلهما جحدر بن ضُبيعة . ثم عاد اليه فسأله ؟ فقال : أجل قتلهما جحدر . قال : ولكن كيف قتلهما جميعا ؟ فقال : اعتوراه ـ يعنى تعاونا عليه بالضرب واحدا بعد واحد ـ فطعن هذا بالسنان وهذا بالزج فعادى بينهما . قلت : عادى بينهما أى صرعهما واحدا بعد الآخر يقال : عادى الفارس بين صيدين وبين رجلين اذا طعنهما طعنتين متواليتين .

* * *

نقط المصاحف وشكل الكتاب

قال العسكرى : هذا وكان الناس فيما مضى يغلطون فى اليسيردون الكثير ، ويصحفون فى الدقيق دون الجليل لكثرة العلماء وعناية المتعلمين . فذهبت العلماء وقلت العناية فصار مايصحفون أكثر مما يصححون ، ومايسقطون أكثر مما يضبطون .

وذكر أن سبب نقط المصاحف هو وقوع الناس فى الغلط . فمن ذلك ماروى أن عثمان ابن أبى شيبة وقع فى الخطأ فقرأ : (جعل السفينة فى رجل أخيه) والآية الكريمة (جعل السقاية فى رحل أخيه) . وقرأ : «من الخوارج مكلبين» . والآية الكريمة «من الجوارح مكلبين» وروى الكوفيون أن حمادا الرواية كان حفظ القرآن من المصحف فكان يصحف نيفا وثلاثين حرفا ذكرها العسكرى وذكر أعداء حمزة الزيات أنه قرأ : (ذلك الكتاب لازيت فيه) فقال له أبوه : تلقن من أفواه الرجال ودع النظر فى المصحف . والظاهر أنه وقع منه هذا وهو صبى صغير لأنه انعقد الاجماع على تلقى قراءة حمزة بالقبول والانكار على من تكلم فيه . وإنما كره الأمام أحمد بن حنبل قراءته لما فيها من المد المفرط والسكت .

وقد ذكر الحافظ ابن حجر العسقلانى فى التهذيب جـ ٥ صـ ٣٥١ أمثلة من التصحيف لابن أبى شيبة لم يذكرها العسكرى . والظاهر من سياق الدار قطنى لخبره أن التصحيف وقع منه فى «الرحل» لا فى السقاية .

قال الخليل : الصحفى الذى يروى الخطأ على قراءة الصحف وقال غيره : إن قوما أخذوا عن الصحف فوقع التغيير . فقيل انهم صحفوا أى رددوا عن الصحف . وحكى عن آخر انه قرأ : (ض والقرآن ذى الذكر) فلهذا وأشباهه قيل لاتأخذوا القرآن من مصحفى . ولا العلم من صحفى .

وروى فى سبب نقط المصاحف ان الناس كانوا يقرأون فى مصاحف عثمان بن عفان نيفا وأربعين سنة إلى أيام عبد الملك بن مروان . ثم كثر التصحيف وانتشر بالعراق ففزع

الحجاج بن يوسف الثقفى الى كتابه ، وسألهم أن يضعوا لهذه الحروف المشتبهة علامات فيقال : إن نصر بن عاصم الليثى قام بذلك . فوضع النقط أفرادا وأزواجا وخالف بين اماكنها بتوقيع بعضها فوق الحروف وبعضها تحت الحروف فغبـر النـاس بذلك زمانـا لايكتبون الا منقوطا . فكان مع استعمال النقط أيضا يقع التصحيف فأحدثوا الاعجام ، فكانوا يتبعون النقط بالاعجام . فاذا أغفل الاستقصاء على الكلمة فلم توف حقوقها اعترى هذا التصحيف . فالتمسوا حيلة فلم يقدروا فيهـا إلا على الأخـذ من أفـواه الرجال .

قال ابو تراب : النقط فى اصطلاح المتقدمين هو عبارة عن حركات الحروف بوضع نقط معروفة لأنهم لم يعرفوا صورة الفتحة والكسرة والضمة كما اصطلح عليه المتأخرون يوضح ذلك كتاب «المحكم للدانى» وكان واضع ذلك أبو الأسود الدؤلى بطلب زياد بن سمية والى البصرة حين رأى ظهور الخطأ .

وأما نقط الحروف المعروفة الآن فهى إعجامها عند المتقدمين وهى التى أدخلها نصر بين عاصم الليثى ويحيى بن يعمر العدوانى بأمر الحجاج بن يوسف الثقفى فوضعا النقط أزواجاً وأفراداً لتمييز الأحرف المتشابهة . فهذا هو الضبط الثانى للقرآن من جهة الحروف وتشابهها ، والضبط الأول هو من جهة الحركات رفعا ونصبا وجرا .

وتفصيل ذلك فى تاريخ القرآن للكردى صـ ١٨٠ .

وروى أن أبا الأسود سمع رجلا يقرأ «إن الله برىء من المشركين ورسوله» بالجر فقال : لايسعنى إلا أن أضع شيئا أصلح من نحو هذا فوضع النحو فكان اول من رسمه . وقال على بن المدينى مر بنا الجماز ونحن فى مجلس للحديث فقال : أنتم لاتحسنون أن تكتبوا الحديث . كيف تكتبون أُسيد وأَسيد وأسّيد . قال فكان ذلك أول ماعرفت التقييد . وكان الأوزاعى يقول : أعجام الكتاب نوره .

* * *

أمثلة من التصحيفات

وقال أبو أحمد العسكرى : وقد فضح بالتصحيف خلق من أهل الأدب . ومن الأشراف والقضاة والرؤساء وهجوا به . وبقى ذمهم مخلدا فى بطون الكتب وقد مدح بالاحتراس من التصحيف والتحفظ منه جماعة كثيرة منهم : خلف الأحمر . فان الحسن بن هانىء رثاه وهو حى . فكان من أفضل ما عدد فيه من مناقبه ان قال :

لايَهِمُ الحاء فى القراءة بالخا ء ولا يأخذ اسناده عن الصحف

والبيت مكسور .

ورواية ديوانه

لايهمّ الحاء فى القراءة بالخا ءولا لامها مع الألف

وبعده فى الحيوان «جـ٣ صـ ٤٩٤»

ولا مضلاّ سبل الكلام ولا يكون إسناده عن الصحف

وفى الديوان ص ١١٣ :

ولا يعمى معنى الكلام ولا يكون انشاده عن الصحف

ورثاه فقال :

أودى جماع العلم مذأودى خلف راوية لايجتنى عن الصحف

من لايَعُدُّ العلم الا ماعرف قُليزم من العياليم الخسف

فكلما نشاء منه نغترف

وذكرها فى تصحيفات المحدثين .

وممن مدح الشكل والنقط فى الكتاب للأمن من العثار والوقوع فى الغلط أحمد بن اسماعيل الكاتب وهو المعروف بأبى على نطاحة . وقد أهدى الى صديق له دفتراً فيه كتاب الحدود للفراء . وهو الكتاب الذى ألفه بأمر المأمون ومن أبوابه كما ذكر ابن النديم فى فهرسته حد الاعراب فى أصول العربية وحد النصب المتولد من الفعل ، وحد المعرفة

والنكرة . وكتب أبو علي نطاحة الأنباري على ظهره :

خذه فقد سوغت منه مشبها   بالروض أو بالبرد في تفويفه

قلت : يقال برد مُفوّف اى رقيق . وقيل : فيه خطوط بيض على الطول

نظمت كما نظم السحاب سطوره   وتأنق الفراء في تأليفه

وشكلته ونقطته فأمنت من   تصحيفه ونجوت من تحريفه

بستان خط غير أن ثماره   لاتجتنى الا بشكل حروفه

وقال ابو تمام فأحسن ان كان أراد هذا المعنى :

إذا ماقيدت رتلت وليست   إذا ما أطلقت ذات انطلاق

قلت : رتلت بمعنى تناسقت وانتظمت حسنا .

قال أبو أحمد : وهذا معنى مليح لمن صرفه اليه . يقول : إذا قيدت بالاعجام والشكل مشت للقارىء وسهلت عليه ، وإذا أغفلت وأطلقت لم تستبن ولم تنطلق للقارىء .

وعندى أن أبا تمام أخذ هذا من قول رؤبة وهو أول من اخترع هذا المعنى في قوله :

إذا تهجى قارىء بهينمة   أخرج أسماء البيان معجمة

الهينمة القراءة الخفية - يريد أن الاعجام هو الذى بينه وأخرج اسماءه وبعده :

وحلق الترقين أو موشمه   يبدى لعينى غابر تفهمه

والترقين : النقط ويروى الترقيش

وكتب محمد بن عبد الملك الزيات الى الحسن بن وهب يصف كتابا :

واذا وشوم في كتابك لم تدع   شكا لمعتسف ولا لمفكر

تنبيك عن رفع الكلام وخفضه   والنصب فيه بحاله والمصدر

واذا كتاب أخيك من ذا كله   خلو فبئس لبائع أو مشتر

وقال نطاحة الكاتب :

مستودع قرطاسه حكما   كالروض ميز بينه زهره

وكأن احرف خطه شجر   والشكل في اضعافها ثمره

ومما يستحسن فى المعنى بيت ندر لابن المعتز قال :

بشكل يؤمن الاشكال فيه | كأن سطوره اغصان شوك

ويقال ان قبله :

ودونكه موشى نمنمته | وحاكته الانامل اى حوك

قال ابو احمد : يقال شكلته فهو مشكول . ولا يقال أشكلته ، وكذلك شكلت الدابة اى شددتها بالحبل وأشكل على اذا التبس عليك ويقال اعجمه فهو معجم ولا يقال عجمته ولا هو معجوم ولا عجمته بالتشديد ، واعجمت الكلام ذهبت به الى العجمة

قال ابو تراب : وكتب اللغة تفيد جواز استعمال كل فعل من الثلاثة مكان الاخر ، كما تجيز استعمال اشكله بمعنى شكله وكأنه ازال عنه الاشكال .

وتهكم ابو نواس ببعضهم فى التصحيف فقال :

رأى الصيف مكتوبا فظن بأنه | لتصحيفه ضيف فقام يواثبه

وصحف الفيض بن عبد الحميد الوزير فأنشد بيت ذى الاصبع فى حلقة يونس فقال :

عذيرَ الحى من عدوا | ن كانوا جنة الارض

وانما الصواب : حية الارض فقال فيه خلف الاحمر :

لنا صاحب مولع بالخلاف | كثير الخطاء قليل الصواب

أشد لجاجا من الخنفساء | وازهى اذا ما مشى من غراب

اذا ذكروا عنده عالما | ربا حسدا او رماه بعاب

وليس من العلم فى كفه | اذا ذكر العلم غير التراب

اضاليل جمعها شوكر | واخرى مؤلفة لابن داب

قال ابو تراب : شوكر وابن داب كانا راويتين يزيدان فى الاخبار ذكرهما فى كتاب التنبيه وذكر ذلك الصولى فى كتاب الاوراق .

وزاد أبان اللاحقى على هذه الابيات فى الرد على العتبى وعدد فيها تصحيفاته ومنها :

كتصحيف فيض بن عبد الحميد في حية الارض او في الذباب
وما جنة الارض من حية وما للذباب وصوت الذئاب

وفي كتاب ابي احمد العسكري في التصحيف « وما جنة الارض من جنة » وهو غلط « وما للذباب وصوت الذباب » وهو ايضا غلط واولها :

فلو كان ما قد روى عنهما سماعاً ولكنه من كتاب
رأى أخْرفاً شبهت في الهجاء سواء اذا عدها في الحساب
فقال أبي الضيم يكنى بها وليست أبي انما هي آبي
وفي يوم صفين تصحيفه واخرى له في حديث الكلاب

قال ابو تراب : حسب « ابي الضيم » كنية وانما هي آبي الضيم كآبي اللحم الصحابي وصحف الكلاب بضم الكاف فقال بكسرها وهو ماء بين اليمامة والبصرة وبعده

وعالى بذلك في صوته كعمعمة الرعد بين السحاب

ومن التصحيف المضحك ما روى عن حيان بن بشر المحدث الاسدى قاضي الشرقية ـ وهي محلة بالجانب الغربي من بغداد ـ انه كان يملي يوما فقال : ان عرفجة بن اسعد اصيب انفه يوم الكلاب بكسر الكاف . وكان مستمليه رجلا يقال له كُجَّة وكان يفهم فقال : ايها القاضي انما هو يوم الكلاب بضم الكاف فغضب وامر بحبسه فدخل عليه الناس وقالوا : ما دهاك ؟ فقال : قطع انف عرفجة في الجاهلية وامتحنت انابه في الاسلام .

قال ابو تراب : الكلاب موضع كانت به وقعتان عظيمتان للعرب واختلفوا في تعيينه والظاهر انه اسم لموضعين .

وذكر ابو علي الرازي قال : كان عندنا شيخ يروى الحديث من المغفلين فروى يوما : ان النبي صلى الله عليه وسلم احتجم واعطى الحجام آجرّة قلت : والصواب أجره .

ومن تصحيفات المحدثين ما روى عن ابي زرعة انه روى حديثا من طريق الامام

احمد بن حنبل عن عبد الله بن ثعلبة : ان النبى صلى الله عليه وسلم مسح وجهه من القبح . والصواب : مسح وجهه زمن الفتح .

قال ابو احمد العسكرى : وحضرت بعض المشائخ المغفلين فاذا هو يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن الله عن رجل .

فنظرت فقلت : من هذا الذى يروى الله عنه فاذا هو قد صحف والصواب : عن الله عز وجل ، فجعله عن الله عن رجل .

واورده ايضا احمد فارس فى الجاسوس على القاموس والراغب فى المحاضرات ج ١ ص ١٠٨ .

وممن فضح بالتصحيف عبيد الله بن يحيى بن خاقان وكان وزيرا فكان ينشد بيت النابغة مصحفا هكذا :

كليب لعمرى كان اكثر ناصرا   وايسر جرما منك ضرخ بالدم

والصواب : ضرج اى لطخ .

وروى ان ابا عبيدة اللغوى البصرى لما شخص الى الرشيد جاء ابو خالد النميرى ليخلفه وكان أول شعر أنشده قصيدة الاسعر الجعفى فلما بلغ قوله :

اما اذا استقبلته فكأنه   باز يكفكف ان يطير وقد رأى

انشده : فكأنه نار . فقال فيه جهم بن خلف المازنى وكان راوية علامة بالغريب والشعر يقارب الاصمعى وخلفا الأحمر فى العلم :

جعل الباز للجهالة نارا   وتمادى فى غيه وتجبر

وكان ابو عبيدة يقول فى صاحبه كيسان وهو ثقة فيا يرويه : العلم يمسخ على لسان كيسان ، يكتب فى ألواحه خلاف ما يسمع وينقل من ألواحه الى الدفتر خلاف ما فى ألواحه ، ثم يقرأ من الدفتر خلاف ما فيه .

وفى كتاب انباه الرواة للقفطى : انه جاءه صبى فقرأ عليه شعرا . فمر فى بيت ذكر العيس فقال له : ما العيس ؟ قال : الابل البيض التى يخلط بياضها سمرة . فقال له : وما الابل البيض ؟ قال : الجمال ، قال ، وما الجمال ؟ فقام على اربع ورغا فى المسجد . وذكره السيوطى ايضا فى البغية .

وقال كيسان يوما لابى عبيدة : علقمة بن عبدة جاهلى ام من بنى تميم ؟ فقال له : ويلك صحح المسألة حتى يصح الجواب .

ومن تلك الاخطاء التى وقع فيها الكبار ما رووا عن ابى معمر المنقرى خطيب البصرة وشريفها انه اتى بعض المهالبة يعزيه فى ابن له مات وعنده بكر بن حبيب السهمى فقال : بلغنا ان الطفل لا يزال محبنظيا ـ بالظاء المعجمة ـ على باب الجنة يشفع لابويه : فقال بكر بن حبيب : انما هو محبنطيا ـ بالطاء المهملة ـ فقال المنقرى : اتقول هذا ؟ وما بين لابتيها افصح منى ؟ فقال بكر بن حبيب : وهذا خطأ ثان . وما للبصرة واللوب ؟ لعله غَرَّك قولهم : بين لابتى المدينة يريدون الحرة .

قال ابو احمد العسكرى : الحرة ارض تركبها حجارة سود وهى اللابة وجمعها لابات واذا كثرت فهى اللوب . وللمدينة لابتان من جانبيها وليس للبصرة لابة ولا حرة . وانما حجارتها بيض وذكر القصة فى بغية البغاة .. فى ترجمة بكر بن حبيب السهمى .

قال ابو تراب : اشار بخبر الطفل الى الحديث الوارد فيه وهو : ان السقط يظل محبنطئا على باب الجنة يزاعم ربه يشفع لابويه . فالسقط هو الولد لغير تمام وقيل : الذى يسقط من بطن امه ميتا وهو مستبين الخلق والا فليس بسقط ، والمحبنطئ بالهمزة وغيره المتغضب المستبطئ للشئ . وقيل : هو الممتنع امتناع طلبة لامتناع اباء . ذكره ابن الاثير فى غريب الحديث ج١ ص ١٩٦ وقيل المهموز بمعنى عظيم البطن المنتفخ والمحدثون يرون هذا الحديث بلفظ : ان السقط ليراغم ربه ان ادخل ابويه النار فيجترهما بسرره حتى يدخلهما الجنة ، والسرر ما تقطعها القابلة من سرة الصبى .. وهكذا ذكره الزمخشرى فى الفائق وابن الاثير فى النهاية لكن ابا احمد العسكرى يقول : انه تصحيف والصواب يزاعم ربه والله اجل من ان يراغم ورواه عن ابى عبيدة ونسب التصحيف الى ابى زيد . وقد فرق بعضهم بين المحبنطئ مهموزا والمحبنطى بغير همز والكسائى يقول : هما لغتان . والمراغم الملجأ . قال الجعدى :

كطود يلاذ بأركانه عزيز المراغم والمهرب

تسمية الفيء بالظل

وذكر ابن دريد عن ابى حاتم قال : كان بكر بن حبيب فصيحا . وكان يقرأ فى ظل قصر اوس فقال بعضهم : ما اطيب هذا الفيء فقال بكر : ليس هذا الفيء انما الفيء يكون بالعشى .

قال ابو تراب : تسمية الفيء بالظل غلط فلذلك نبه عليه والفيء ما انصرفت عنه الشمس من الارض .. جمعه افياء ويسمى الظل التبع لانه يتبع الشمس فى زوالها . وكنيته ابو مرحب ذكره الامير امين فى الرافد وفى القاموس ان الضح ضد الظل

واورد الثعالبى فى فقه اللغة ص ٣٢٨ عن حمزة بن الحسن اربعا وعشرين لفظة فى تعديد ساعات النهار والليل فمن ساعات النهار الشروق ثم البكور ثم الغدوة ثم الضحى ثم الهاجرة ثم الظهيرة ثم الرواح ثم العصر ثم القصر ثم الاصيل ثم العشى ثم الغروب . وساعات الليل : الشفق ثم الغسق ثم العتمة ثم السدفة ثم الجهمة - وفى بعض الروايات الهجمة والفحمة وكلاهما غلط - ثم الزلة ثم الزلفة ثم البهرة ثم السحر ثم الفجر ثم الصبح ثم الصباح . وباقى اسماء الاوقات يجيء بتكرير الالفاظ التى معانيها متفقة .

وفى كتاب الالفاظ الكتابية للهمذانى ص ٢٨٧ أخر الشروق عن الضحاء وفرق بين الضحى والضحاء وذكر قبل العشية الطفل الى غير ذلك من الاختلاف وفى كتب السير انه عليه السلام دخل المدينة فى الضحاء .

قال ابو تراب : ولا يقال غزالة الشمس الا عند ارتفاعها ولا الفيء الا اذا زاغت ودلكت وشاهد ذلك قول حميد بن ثور الهلالى :

فلا الظل من برد الضحى تستطيعه ... ولا الفيء من برد العشى تذوق

وهو من قصيدة له مطلعها :

نأتْ ام عمرو فالفؤاد مشوق ... يحن اليها والهاً ويتوق

اما القصر الذى ورد ذكره فى خبر بكر بن حبيب هذا هو قصر اوس بالبصرة ينسب الى اوس بن ثعلبة بن زفر ذكره ياقوت فى معجم البلدان وكان سيد قومه . وقد ولى خراسان فى الايام الاموية .

وحميد بن ثور شاعر مخضرم مات فى خلافة عثمان ذكره الحافظ ابن عساكر فى التاريخ

الكبير وياقوت فى معجم الادباء وللشيخ عبد العزيز الراجكوتى تقييد فائت شعره نشره فى مجلة ثقافة الهند التى تصدر بالهند وبكر بن حبيب هذا الذى فضح ابا معمر المنقرى خطيب البصرة فى غلطه هو السهمى من الطبقة الرابعة من نحاة البصرة . ذكره الزبيدى فى الطبقات .

وهو والد المحدث عبد الله بن بكر وذكره ياقوت فى معجم الادباء وقد اخذ عن ابى اسحاق ونقل السيوطى فى بغية الوعاة : ان شيخه قال له يوما انى لا الحن فى شئ . فقال له : تلحن . فقال : خذ على كلمةً ؟ فقال : هذه واحدة .. قل كلمةً : وقرب منه سنورة - اى هرة - فقال له اختأى : فقال له : اخطأت قل : اخسأى .

ونقل قصة تخطئته شبيب بن شيبة عن الحافظ ابن عساكر واسقط ترجمة بكر بن حبيب الشيخ عبد القادر بدران من تهذيب تاريخه .

وفى اساس البلاغة للزمخشرى شاهد آخر على ان الفئ لا يكون الا بعد الزوال وهو قوله :

لعمرى لانت البيت أكرم اهله　　وأقعد فى افيائه بالاصائل

وفى صحاح الجوهرى : الفئ ما بعد الزوال من الظل .

والتفيؤ تفعل من الفئ وهو الظل بالعشى كما فى لسان العرب .

وفى القرآن المجيد : « يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل » وتفيؤها رجوعها بعد انتصاف النهار وابتعاث الاشياء ظلالها . قال ابن منظور : والتفيؤ لا يكون الا بالعشى والظل بالغداة . وهو ما لم تنله الشمس والفئ بالعشى ما انصرفت عنه الشمس . وانما سمى الظل فيئا لرجوعه من جانب الى جانب .

قال ابن السكيت فى اصلاح المنطق : الظل ما نسخته الشمس والفئ ما نسخ الشمس .

وحكى ابو عبيدة عن رؤبة قال : كل ما كانت عليه الشمس فزالت عنه فهو فئ وظل وما لم تكن عليه الشمس فهو ظل .

قال ابو تراب : ومن محاوراتهم : فلان لا يقرب من افيائه ولا يطمع فى اشيائه . ومن المجاز تفيأت بفيئك . اى التجأت اليك ، وقد استعمل امرؤ القيس : « يفئ عليها الظل » بمعنى يرجع .

أحياهم الله ببيتين

وفى شرح ادب الكاتب لابى منصور الجواليقى ص ١٣٢ : عن غُضيف بن معديكرب قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ناس من اهل اليمن فقالوا : يا رسول الله احيانا الله ببيتين من شعر امرىء القيس خرجنا نريدك . فلما كنا ببعض الطريق ضللناه فبتنا على غير ماء . فلم نزل ثلاثا على ذلك حتى استذرينا بالطلح والسمر ـ الطلح شجر من العضاه ذات الشوك . والسمر كذلك وهو اصغر منها جيد خشبه ـ واستذرينا اى استظللنا ـ قالوا : فبينا نحن كذلك اذ اقبل راكب على بعير متلثم بعمامة . فتمثل رجل منا بقول امرىء القيس :

فلما رأت ان الشريعة همها ... وان البياض من فرائصها دامى

تيممت العين التى عند ضارج ... يفىء عليها الظل عرمضها طامى

يعنى ان ناقته شربت من عين ضارج . فقال الراكب : من يقول هذا الشعر ؟ قلنا : امرؤ القيس . قال : فوالله ما كذب . هذا ضارج عندكم . قالوا فحبونا اليه على الركب من شدة الاعياء والعطش الذى اشرفوا معه على الموت فوجدناه ماء قد علاه العرمض ـ اى الطحلب ـ فشربنا منه حتى روينا وحملنا ما كفانا حتى وقفنا على الطريق .

قال ابو تراب : تفسير البيتين ان الشريعة بمعنى مورد الشاربة والفرائص جمع فريصة وهى اللحمة فى ناغض الكتف على الجنب وهى اول ما يرعد من الدابة اذا فزعت ، وانما جعل البياض من فرائصها داميا ليدل على ما لحقها من الكلال والتعب فى طول السير .

وقال ابو اسحاق الحربى : الصواب : « وان البياض من فراسنها دامى » والفراسن جمع فرسن وهو فى يد الناقة والسلاميات عظام الفرسن وتيممت بمعنى قصدت ؛ وضارج اسم جبل . والعرمض الخضرة التى تعلو الماء والطامى المرتفع . والشاهد فى البيت هو قوله : يفىء عليها الظل قال ابن قتيبة : اى يرجع ومنه قوله تعالى : « حتى تفىء الى امر الله » .

والمعنى : أن ناقته لما رأت ان المورد همها وقد صار بياض فرائصها داميا من الاعياء والتعب قصدت العين التى هى بضارج يفىء عليها الظل . وقد علاها الطحلب . وكان

هؤلاء اليانون الذين ضلوا الطريق واشرفو على الهلاك من العطش عند ضارج . وهم لا يدرون انهم على ماء حتى جاء هذا الراكب فأنشد رجل منهم هذا البيت فدلهم على تلك العين وانهم على ذلك الماء . فأنقذهم الله بشعر امرئ القيس .

وفى آخر هذه الرواية انهم لما اخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه القصة قال لهم حين سمع شعر امرىء القيس . ذاك رجل شريف فى الدنيا مذكور فيها منسى فى الاخرة خامل فيها يجئ يوم القيامة معه لواء الشعراء يقودهم الى النار . وذكرها ياقوت ايضا فى البلدان .

قال ابو تراب : وهذا اللفظ الاخير مروى فى مسند الامام احمد . وهو من زيادات القطيعى ولا يصح . وقد تكلم فى زياداته شيخ الاسلام ابن تيمية فى منهاج السنة .

والفرسن الذى صححه ابو اسحاق الحربى فى بيت امرئ القيس هو طرف خف البعير ، وقد يستعار للشاة فيقال فرسن الشاة . والنون فيه زائدة ، وهو للبعير كالحافر للفرس ، وكون فراسن الناقة دامية اولى عندى من فرائصها . لان الفرائص لا تدمى مهما اضطربت من الفزع والسير . واذا صح فيكون ذلك على المجاز ، واما الفراسن فيصيبها الشوك والحصافهى التى تتعرض لذلك . الا ترى ان المتنبى يقول وهو يصف ناقته :

انساعهـــا ممغوطـــة وخفافها منكوحـــة وطريقهـــا عذراء

الانساع جمع نسع وهو سير كهيئة العنان يشد به الرحل ، والمغط المد ، وخفافهـا منكوحة اى مثقوبة بالحصا . واستعار النكاح لوطئها الارض وادماء الحصا اياها . وطريقها عذراء اى لم تسلك قبلها .

وابو اسحاق الحربى هذا الذى استدرك هذا الخطأ هو من كبار ائمة المحدثين ذكره ابن الجوزى فى المنتظم والذهبى فى تاريخ الاسلام والخطيب فى « تاريخ بغداد » الا انه اغفله الحافظ المزّى فى « تهذيب الكمال » وقد لازم الحربى الامام ثعلبا فى اللغة والنحو خمسين عاما . وقد توسع صديقنا الاستاذ حمد الجاسر فى ترجمته الا انه فاته الاشارة الى نقل الجواليقى الذى ذكرناه عنه فى شرح ادب الكاتب مع انه اشار الى نقوله عنه فى المعرب .

* * *

خبر رافع الطائي

قال أبو تراب : وقال ابن عائشة : جاءني ابو الحسن المدائني فتحدث بحديث خالد ابن الوليد حين اراد ان يغير على طرف من اطراف الشام وقول الشاعر في دلالة رافع :

لله در رافـع أنـى اهتدى　　فوّز من قراقـر الى سُوى
خمسـا اذا ما سارهـا الجِبْس بكى　　ما سارهـا من قبلـه انس يرى

فقال : اذا ما سارها الجيش ، فقال له : لو كان الجيش لكان : بكوا . وعلمت انّ علمه من الصحف قلت : قراقراسم واد

قال ابو احمد العسكري في كتاب « ما يقع فيه التصحيف » اما قول ابن عائشة : ان الرواية : « اذا ماسارها الجبس بكى » بالباء والسين المهملة - فهو كما قال . فالرواية الصحيحة الجِبْس - قلت : معناه الجبان - قال : وأما قوله : لو كان « الجيش » لكان « بكوا » فهو وهم من ابن عائشة .

فقد يجوز ان يقال : للجيش بكى . فيحمل على اللفظ وقد قال طفيل الخيل :

وان يك عارا بالقنـان اتيته　　فراري فان الجيش قد فر اجمع

قال ابو تراب : القنان جبل لبني اسد ، والمراد بقوله : « لله در رافع انى اهتدى » رافع بن عميرة كما ضبطه ابن الاثير وقيل : ابـن عمـير كما في « فتـوح البلـدان » للبلاذري .

وفرق خليفة بن خياط بين رافع بن عمرو صاحب قصة غزوة ذات السلاسل وبين رافع بن عميرة الذي دل خالد بن الوليد على طريق السماوة حتى رحل بهم من العراق الى الشام في خمسة ايام فذكر الاول في الصحابة والثاني في التابعين . قال الحافظ العسقلاني : ولم يصب في ذلك فانه واحد اختلف في اسم ابيه .

قلت : ومعنى قوله : « فوز من قراقر الى سوى » فوز قطع بإبله المفازة وقراقر واد بالسماوة من ناحية العراق . وسوى اسم ماء هناك . والخمس بكسر الخاء ان ترد الماء لليوم الخامس .

وكان رافع لصا فى الجاهلية ، وكان يعمد الى بيض النعام فيجعل الماء فيه فيخبئه فى المفاوز . فلما اسلم كان دليل المسلمين قال ابن سعد فى الطبقات :
وكان يقال له رافع الخير .

وفى آخر البيتين المذكورين :

عنـد الصبـاح يحمـد القــوم السرى وتنجلى عنهــم غيايــات الكرى

قال المفضل ـ ونقله الميدانى فى مجمع الامثال ج١ ص ٣٠٣ ـ : اول من قال ذلك خالد بن الوليد لما بعث اليه ابو بكر وهو باليمامة ان سر الى العراق فأراد سلوك المفازة فقال له رافع : قد سلكتها فى الجاهلية هى خمس للابل الواردة . ولا اظنك تقدر عليها الا ان تحمل من الماء . فاشترى مئة شارف ـ الشارف الناقة المسنة ـ فعطشها ثم سقاها الماء حتى رويت ثم كتبها وكعم افواهها ثم سلك المفازة حتى اذا مضى يومان وخاف العطش على الناس والخيل وخشى ان يذهب ما فى بطون الابل نحر الابل واستخرج ما فى بطونها من الماء فسقى الناس والخيل ومضى .

فلما كان فى الليلة الرابعة قال رافع : انظروا هل ترون سدرا عظاما ؟ فان رأيتموها والا فهو الهلاك . فنظر الناس فرأوا السدر فأخبروه : فكبر . وكبر الناس . ثم هجموا على الماء فقال خالد ونسبه الزمخشرى الى حسان .

لله در رافــع أنـــى اهتدى فوز من قراقــر الى سوى
خمســا اذا ساربــه الجيش بكى ما سارهــا من قبلــه انس يرى
عنـد الصبـاح يحمـد القــوم السرى وتنجلى عنهــم غيابــات الكرى

قال ابو تراب : والميدانى لم يصحح الجيش بالجبس كما فى كتاب العسكرى ولا صححه ياقوت وهو كذلك فى اكثر المراجع وغيايات بالياء أصح عندى .

والجبس هو الردئ الدنئ الجبان ، وقوله : « عند الصباح يحمد القوم السرى » مثل يضرب للرجل يحتمل المشقة رجاء الراحة .

وفى « جمهرة الامثال » لابى هلال العسكرى : هو مثل يضرب لما ينال بالمشقة وهو فى شعر للجميح يقول فيه :

تسألنــى عن بعلهــا اى فتى ... خب جبــان واذا جاع بكى

ـ الخب الخبل ـ وبعده

لا خطــب القــوم ولا القــوم سقى ... ولاركاب القــوم اذ ضاعــت بغى

ولا يوازى فرخــة اذا اصطلى ... ويأكل التمــر ولا يلقــى النوى

كأنــه غرارة ملأى خثى ... لما رأى الرمــل وفئــران الغضى

الغرارة الجولق ـ والخثى روث الفيل ـ والغضى شجر الاثل .

وبعده .

بكى وقــال هل ترون ما أرى ... أليس للســير الطــويل منتهى

فقلــت أغــرى صاحبــى ألاَ بَلىَ ... عنـد الصبـاح يحمـد القــوم السرى

وتنقضى عنهم غيابات الكرى

ولم يذكر فى جمهرة الامثال قصة رافع ولا ان المثل أرسله خالد بن الوليد وفى حاشية كتاب أبى احمد العسكرى لمحققه عبد العزيز بن احمد كبير مفتشى اللغة العربية بمصر خطأ عروضى فى مصراع منها . فقد جاء :

« ما جاوزها قبلك انس يرى » والصواب : « ما سارها من قبلـه انس يرى » . كما ذكرنا .

* * *

استعان بذقنه وبدفيه وجاري مكاسري

قال أبو تراب :

وحدث ابو الحسن الطوسى قال : كنا فى مجلس اللحيانى وكان عزم على ان يملى نوادره ضعف ما أملى فقال يوما : « مثقل استعان بذقنه » فقام اليه ابن السكيت وهو حَدَث فقال : يا ابا الحسن انما تقول العرب : « مثقل استعان بدفيه » يريدون الجمل اذا نهض بالحمل استعان بجنبيه .

قال : فقطع اللحيانى الاملاء . فلما كان فى المجلس الثانى أملى فقال : تقول العرب : « هو جارى مكاشرى » بشين معجمة فقام ابن السكيت فقال : اعزك الله ما معنى مكاشرى ؟ فقال : يكشر فى وجهه يعنى يهش . فقال ابن السكيت : انما هو مكاسرى ـ بسين مهملة » اى كسر بيتى الى كسر بيته . فقطع اللحيانى الاملاء الذى عزم عليه .

قال أبو أحمد العسكرى : أما قول ابن السكيت : فلان مكاسرى بسين غير معجمة فهو كما قال . وأما قوله : استعان بدفيه فقد ظلم ابن السكيت صاحبه فى رده عليه . فقد رواه أكثر الكوفيين بلفظ استعان بذقنه بالقاف والنون ورواه أبو عبيد القاسم بن سلام مثل ذلك .

وإنما أرادوا أن البعير إذا اراد أن ينهض استعان بعنقه وذقنه ، ومن هذا قيل : ناقة ذقون وهى التى يرجف ذقنها فى سيرها ، وتقول العرب : لألحقن حواقنه بذواقنه ، أى أعلاه بأسفله .

قال ابو تراب : هذه الرواية فى جمهرة الأمثال لأبى هلال العسكرى صـ ١٩٨ عن أبى الحسين الطوسى وهو غلط . والصواب أبو الحسن وهو على بن عبد الله بن سنان التيمى أحد أعيان علماء الكوفة . وكان عدواً لابن السكيت لأنهما أخذا عن نصران الخراسانى واختلفا فى كتبه بعد موته ذكره السيوطى فى «بغية الوعاة» و«ياقوت فى معجم الأدباء» جـ ١٣ صـ ٢٦٨ وابن النديم فى «فهرسته» وفى معجم الشعراء للمرزبانى من شعره قوله :

هجم البرد ولا أملك الا رواية العربيه

وقميصا لوهبت الريح لم يبق على عاتقى منه بقيه

وهو تيمى وقد وقع فى التعليقات تميمى خطأ . ككتاب مايقع فيه التصحيف وتعليق عبد العزيز بن أحمد كبير مفتشى اللغة بمصر عليه .

وأما اللحيانى فهو صاحب النوادر تلميذ الكسائى وقد أخذ عن أبى زيد الشيبانى والأصمعى وسمى باللحيانى ـ نسبة تلقيب ـ لعظم لحيته واسمه على بن المبارك او ابن حازم . وتلخيص المجلس هو فى معرفة الصواب بين التعبيرين أحدهما : « مثقل استعان بذقنه» و الثانى : «مثقل استعان بدفيه» والدف الجنب من كل شىء . والذقن مجتمع اللحيين من أسفلهما . والصواب ماقال العسكرى لأنه من مشاهدات من مارس رعية الابل وساسها وعرف كيف هى تقوم وكيف هى تقعد ؟ ، قال ابو تراب : ولا أقطع بهذا اشتماما من روايات الكتب وإنما أقول ذلك جازما لأنى ركبت الابل ثم شاهدتها فى عاداتها ، وكان أبى من رعاة الابل له ناقة سماها قصواء تيمنا باسم ناقة النبى صلى الله

عليه وسلم كما يسمى الناس باسم محمد تيمنا ، وقد أقرأ والدى موطأ الامام مالك طلبته وهو على الابل فى باديته ، وقد حضرت تلك الدروس التى كانت على نار الحطب ومواقد الزيت فان ماقيل فى الابل فى نعوتها لايخفى ـ إن شاء الله ـ على إنسان عايشها . وتعجبنى كلمة زكى مبارك حين قال فى مقدمة شرح سيد أحمد صقر لديوان علقمة الفحل وكنت يومئذ أعرض عليه شرحى له : « لا غرو إن أبدع علقمة فى وصف الناقة أو أولع بنعتها فهو تواق إلى الحسن ومن الجمل كان الجمال لو يعلمون» .

وأما قول ابن السكيت : أن الصواب فى «جارى مكاشرى» «مكاسرى» فكسر البيت هو الجانب وهذا يعنى أنه لصيقه ، ولكنى لا أميل الى تخطئة اللحيانى فيما قال فقد ورد فى اللغة : كاشر بمعنى تبسم واستبشر . وفى أساس البلاغة للزمخشرى : المكاشر المقابل . وفى اللسان كاشره إذا ضاحكه كما أن الزمخشرى ذكر أيضا قولهم : جارى مكاسرى . وكسر الخباء شقته السفلى .

قال ابو تراب : وفى طبقات الشعراء لابن سلام عن شيخه أبى الغراف العينى قال : أنشدنا بلال بن أبى بردة ـ وذو الرمة حاضر ـ قول حاتم الطائى :

لحا الله صعلوكا مناه وهمه ... من العيش أن يلقى لبوسا ومطعما
يرى الخمس تعذيبا وإن يلق شبعة ... يبت قلبه من شدة الهم مبهما

فقال له ذو الرمة : مامعنى الخِمْس ، ها هنا وانما الخمس ورود الابل الماء لخمس ليال . فالصواب فى البيت : «يرى الخمص تعذيبا» من خماصة البطن . فلما صحح ذو الرمة هذه الغلطة اعتذر اليه بلال فقال : كذا انشدنى رواة طيّىء .

ودخل أبو عمرو بن العلاء فقال : يا أبا عمرو أتأخذون عن ذى الرمة ؟ فقال : إنا وإنا يريد الفخر والترفع عن الأخذ عنه . ثم أنشده البيت وعرفه بقوله فورى – من التورية وهى الاخفاء – فلما خرجوا قال له ذو الرمة : والله يا ابا عمرو لولا أنى أعلم أنك حطبت فى حبله . ولم تجد من ذلك بدّا لهجوتك هجاء لا يجلس اليك معه اثنان . قلت : من محاورات العرب قولهم : فلان حطب فى حبل صاحبه ، يريدون أنه نصره وأعانه قال الزمخشرى فى الأساس : وإنك لتحطب فى حبله وتميل الى هواه .

* * *

الكواميخ والشواريز واللغة عند أكلة اليرابيع

قال أبو أحمد العسكرى : سمعت ابن دريد يقول : كنا بالبصرة عند وراق يعرف بروبج فجلس الينا رجل بغدادى فجعل يسأل عن أشياء من العربية ، فجاء الرياشى فقال : إنما أخذنا اللغة من حرشة الضباب وحذفة الأرانب وأكلة اليرابيع . وهؤلاء أخذوا من أهل السواد أكلة الكواميخ والشواريز .

قال ابو تراب : يريد أن اللغة عند أهل البادية من الأعراب أسلم منها عند أهل الحضر من أصحاب المدن لفساد الألسن بالاختلاط وسريان اللحن فى الأذواق . وحذفة الأرانب جمع حاذف . وهو الذى يرمى الأرنب بعصاه فتصيب قوائمها فيصيدها ، والحرشة جمع حارش وهو صائد الضباب ، والضب حيوان أكل على مائدة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعافه ولم يحرمه . والشواريز جمع شيراز وهو اللبن الرائب المستخرج ماؤه ، وقال بعضهم : لبن يغلى حتى يثخن ثم ينشف ويميل طعمه الى الحموضة . والكواميخ جمع كامخ بفتح الميم وهو إدام يؤتدم به وقيل: هو خبز بخل ، وخصه بعضهم بالمخللات . وأورد ابن النديم هذا الخبر ببعض اختلاف فى السياق .

وفى هامش المعرب للجواليقى ذكر الشيخ احمد شاكر : أصل الكمخ عربى معناه التكبر . ويقال أيضا : كمخه باللجام وكمحه وكبحه بمعنى واحد . ويقال أيضا : كمخ البعير بسلحه إذا أخرجه رقيقا . وأما الكامخ اسم الادام فالظاهر أنه معرب . ولم أجد وصف هذا الإدام فى مصادر اللغة . وروى ابن دريد عن بعض أهل اللغة : ان أعرابيا قدم اليه خبز وكامخ فلم يعرفه . فقيل له : هذا كامخ فقال : قد علمت . ولكن أيكم كمخ به ؟

قال ابو تراب : ولم يذكر الجو اليقى كلمة الشواريز وهى فارسية مثل كامخ . ولم ينبه على ذلك المطرزى فى «المغرب» والأصل فيها : شير وهو اللبن وبامالة الياء بمعنى الأسد ولاتجد هذا التوضيح فى المعاجم العربية .

والخلاصة أنهم كانوا يعيبون على من أخذ اللغة عمن اختلط بالأعاجم فى المدن وكانوا يكنون عنهم بأكلة البقول والأطعمة المستحدثة التى لم تعرفها العرب كالفالوذج والجوزينج واللوزينج . وفى لسان العرب ان اللوزينج من الحلواء شبه القطائف تؤدم بدهن اللوز والجوزينج أيضا حلواء يجعل فيها الجوز ذكره فى كتاب الالفاظ الفارسية وبعضهم خطأ أن يقال : الفالوذج كما فى اللسان .

قال ابو تراب : والفالوذق أحسن لأنه معرب عن بالوده بالفارسية قال محمد كرد على فى كتاب الاسلام والحضارة العربية ج ١ صـ ١٢٨ هو أشرف طعام عرفته العرب ولم يطعم الناس أحد منهم ذلك الطعام الا ابن جدعان من اجواد قريش . ذهب مرة الى كسرى فأطعمه اياه فاستطابه وسأل كيف يصنع ؟ فقيل له : انه لباب البر يلبك بالعسل . فابتاع غلاما يصنعه له ورجع الى مكة وصنع الفالوذج ودعا اليه أصحابه وكان له مناد ينادى : هلم الى الفالوذج .

ابو يوسف والفالوذج

وفى تاريخ بغداد للخطيب جـ ١٤ صـ ٢٤٥ أن الامام أبا حنيفة قال «لوالدة أبى يوسف تلميذه» : ان ابنك يتعلم عندى أكل الفالوذج بدهن الفستق ـ يعنى ان حاله ستؤول الى ذلك فينقلب فقره غنى ـ وأكل أبو يوسف يوما على مائدة هارون الرشيد فالوذجة بدهن الفستق فضحك حين تذكر ماقاله له أبو حنيفة وأخبر بذلك الخليفة فترحم عليه معجبا بنفاذ بصيرته .

* * *

أمثلة من التصحيف

قال ابن دريد : وقعد إلينا رجل من أصحاب الكسائى فقال : صحف صاحبكم الأصمعى فقلنا : فى أى شيء ؟ قال : فى بيت عنترة :

وآخــر منهــم أجــررت رمحى وفى البجلى معبلــة وقيع

فقال البَجَلى وإنما هو البَجْلى من بنى بجلة من سليم ينسبون إلى أمهم وبجيلة من اليمن . قلت : النسبة فى (فعيلة) (فَعَلِىٌّ) وفى الألفية لابن مالك : (وفعلى فى فعيلة التزم) فمن حرك جيم البجلى ظنه من بجيلة ، وهى قبيلة ـ أما بجلة فهو اسم بنت ثعلبة بن بهثة ينسب اليها رهط من سليم والنسبة (بجلى) بسكون الجيم قال الذهبى فى كتاب المشتبه جـ ١ صـ٥١ : البجلى رهط جرير بن عبد الله الصحابى وبالسكون بنو بجلة رهط من سليم منهم عمرو بن عبسة السلمى البجلى له صحبة قال ابو تراب : ومنهم المتنكب البجلى شاعر فارس .

وقول عنترة : (أجررت رمحى) أى طعنته به . وكان يجره . والمعبلة النصل الطويل العريض .

يقال : تكففتكم غوائله ، وأقصدتكم معابله ، يعنى مَعابل السهام ، والوقيع النصل المحدد

قال ابن دريد : فجاء الرياشي فأخبرناه بما استدرك البغدادى على صاحبنا فقال :

ألا قلتم له : إنما حرك صاحبنا حرفا ساكنا ، وتصحيف صاحبكم أشد فانه أزال المعنى .

فكان أشد من تحريك الساكن فقد انشدنا الكسائى :

كأن تحـت ريطهـا القشيب أعيس منهـا . لا من الكثيب

والصواب : (أعيس منهالا من الكثيب) من انهال فهومنهال . قلت : الريط الملاءة أو الثوب الرقيق والقشيب الجديد ، وقد يقال للبالى القديم أيضا قشيب كما ذكره ابـن الانبارى فى كتاب الاضداد صـ ٣١٧ . والأعيس الأبيض ذكره الزبيدى فى تاج العروس .

وعلق العسكرى على هذا الخبر بقوله : بجلة بطن من بنى سليم ، يقال انهم ناقلة . قال الشماخ :

فالحـق ببجلـة ناسبهـم وكن معهم حتـى يعـيروك مجـداً غـير موطود

قال ابو تراب : غير موطود أى غير ثابت . وفى أقرب الموارد : النواقل قبائل تتنقل من قوم الى قوم . وفى تهذيب الأزهرى : نواقل العرب من انتقل من قبيلة الى اخرى فانتمى اليها .

قال أبو أحمد : ومما يشبه هذا الخبر ما أخبرنى به محمد بن يحيى عن يحيى بن على المنجم عن ابراهيم بن على بن مخلد قال : كنا فى مجلس ابن الأعرابى فانشدنا :

ولـو قاتـل الموت امـرؤ عن حميمه لقاتلت جهـدى سكرة الموت عن معن
فتـى لايقـول الموت من وقعـه به لك ابنك خذه ليس من حاجتـى دعنى

وفى التصحيف للعسكرى : لو قاتل بدون واو وهو خطأ عروضى . قال : فكتبناه على هذا ثم جاءه بعد ذلك انسان ضرير حسن العلم كان ابن الأعرابى يناشده أبداً فقال له الضرير : هذا مثل قوله :

قتـالا يقـول الموت من وقعـه به لك ابنك خذه ليس من حاجتـى دعنى

يعنى أنه صحف قوله : قتالا يقول الموت الخ فجعله فتى لايقول الموت ـ قال : فالتفت الينا ابن الأعرابى فقال : اجعلوه على ما قال : فان الذى امليت عليكم خطأ . وعن الاسكافى قال : كنا عند ابن الاعرابى فأملى علينا :

(فتى لايقول الموت من وقعه به) الخ قال : وصرت الى أبى محلم فقال : اعرض على

ما أورد ابن نَبْطيّكم ـ يشير إلى أن ابن الأعرابى لم يكن عربيا ـ وكان يتتبعه فيعيبه فأنشدته فضحك وصفق . وقال : ويحك لايدرى الصواب فيعمل الخطأ من عنـده ثم انشدنى :

فيامـوت ان لم تبـق معنـاً فاننى أذكرك الرحمـن فى مهجتـى خذنى

فلـو قاتـل الموت امـرؤ عن حميمه لقاتلت جهـدى سكرة الموت عن معن

قتـالا يقـول الموت من وقعـه به لك ابنك خذه ليس من حاجتـى دعنى

وكان التصحيف (فتى لايقول الموت) قال : فكتبتها وقلت : لمن هى أعزك الله ؟ قال : سل عالمك ؟ أما أعلمتنى انه أقرأ كم شعر بنى اسد ؟ أفما مر به هذا ؟ أعمى الله قلبه ـ هذا أنشد نيه يونس بن حبيب لاسماعيل بن عمار بن عيينة من بنى خلف بن كعب الأسدى .

قال العسكرى : إنما صال أبو محلم على ابن الأعرابى لأنه أخذه من أفواه الرجال فصح له .

قال الخليل بن أحمد : للعلم سلطان من وجده صال به ومن عدمه صيل عليه

قال ابو تراب : أبو محلم هو محمد بن سعد ويقال محمد بن هشام السعدى . أعرابى وكان أعلم الناس بالشعر واللغة وكان يغلظ طبعه ويفخم كلامه ويعرب منطقه وأصله من الفرس ذكره ابن النديم فى الفهرست صـ ٦٩ .

وكان عبيد الله بن يحيى بن خاقان أحد وزراء الدولة العباسية ينشد بيت النابغة :

كليـب لعمـرى كان أكثـر ناصراً وأيسر جرمـاً يوم ضرخ بالدم

بالخاء المعجمة ـ حتى كان الكتاب يتعمدون أن يذكروا هذا ليسمعوا لفظه به .

قال عبيد الله بن سليمان : فساءنى ذلك . ولم أصبر عليه لجلالـة قدره فى نفسى وسروه ـ أى شرفه ـ وعقله وسياسته . وإن كان ناقصا فى أدبه حتى غناه مغن بهذا الشعر وأنا حاضر . فتقدمت اليه أن يبين الجيم إذا بلغ إلى هذا الحرف ، ويردده ففعل ، فالتفت الى عبيد الله بن خاقان فقال : يا أبا القاسم أهو ضرج أم ضرخ ؟ فقلت : أعز الله الوزير ضرج أصح الروايتين وأولى . وان كان قوم قد رووا ضرخ ، واستحييت منه . والله ماسمعت بأنه أنشد هذا أحد قط غيره .

قال ابو تراب : ليس فى اللغة (ضرخ) اصلا وانما قيل للوزير انها رواية لئلا يخجل اما ضرج فمشهور قال المتنبى :

ان القتيل مضرجا بدموعه مثل القتيل مضرجا بدمائه

وتضرجت اثوابه بالدم اى تلطخت . ويقال : تضرج البرق اى تشقق . ويعبر عن العين النجلاء بالعين المضروجة .. وهى واسعة المشق قال ذو الرمة :

تبسمن عن نور الاقاحى فى الثرى وفترن عن أبصارٍ مضروجةٍ نُجل

والاضريج بمعنى الخز الاحمر مشتق من هذه المادة على وزن إفعيل . يقال : هن يسحبن اكسية الاضريج وثوب اضريج اى مشبع حمرة قال النابغة :

تحيتهم بيض الولائد بينهم واكسية الاضريج فوق المشاجب

- المشاجب المعالق - واذا بدت ثمار البقول قيل انضرجت عنها لفائفها واكمامها قال ذو الرمة :

لما تعالت من البهمى ذوائبها بالصلب وانضرجت عنها الاكاميم

قال ابو تراب : البهمى نبات يقال له الشيفون . وشبهوا احمرار الخدين من تدفق الشباب بالدم فقالوا : مضرج الخدين فاذا كلمت احداً فاحمرت وجنتاه من الخجل قيل : تضرجت خداه والتضريج ورد بمعنى التحسين فى محاورات العرب وشعرها اشار اليه الزمخشرى فى الاساس .

وحدث الرياشي قال قال الاصمعى : حدث يوما شعبة بحديث قال فيه : فذَوىَ المسواك فقال له رجل : انما هو فذِوى المسواك قال الاصمعى فنظر الى شعبة فقلت له : القول ماقلت . فزجر القائل : وقال : امش من هاهنا . وهى كلمة للفتيان .

قال ابو تراب : ورد فى اللغة ذوى من باب ضرب بفتح الواو .. وذوى من باب فرح بكسر الواو الا ان الثانية لغة رديئة وقد جاء فى كتاب جمهرة اللغة لابن دريد . ان الاصمعى كان يرويه بالفتح .

قال ابو تراب : والحديث الذى اشار اليه ان شعبة كان يرويه بلفظ ذوى المسواك هو حديث عمر بن الخطاب : انه كان يستاك وهو صائم بعود قد ذوى اى يبس . ذكره ابن

الاثير فى النهاية اما شعبة المذكور فهو الحافظ ابو بسطام بن الحجاج بن الورد العتكى الواسطى احد ائمة الاسلام كان الامام احمد يقول فى حقه : هو امة وحده .

وذكر ابن الانبارى عن ابيه عن احمد بن عبيد قال : انشدنى ابن دأب :

وهـــم ان ولـــدوا أسنوا بسر الحســـب المحض

فبلغ ذلك ابا عمرو فقال : اخطأت إسته الحفرة . انما هو (اشبوا) بمعنى (كفوا) اما سمع قول الآخر :

وذو الرمحـــين اشباك مـــن القـــوة والحزم

واشبى الرجل اذا جاءه بنون كرام . ويقال أشبى فلان عليك اذا اشفق قال : اشبى على . والكريم يشبى اى يشفق .

قال ابو تراب : ابن دأب هو ابو الوليد عيسى بن يزيد بن دأب الكنانى الليثى الراوى ذكره الطبرى ، والبيت الذى انشده وغلط فيه هو لذى الاصبع العدوانى وذكره ابن منظور فى اللسان فى مادة شبا والبيت الذى استشهد به ابو عمر وبن العلاء هو من ابيات اولها ..

(الا لله قوم ولدت اخت بنى سهم) وجاءت منسوبة فى الاغانى الى ابن الزبعرى وبعضهم نسب البيت المذكور الى ابن ابى ربيعة . وذو الرمحين هو ابو ربيعة حذيفة بن المغيرة سمى بذلك لطوله او لانه قاتل يوم عكاظ على رمحين

* * *

رفوت ورفأت

وسأل قعنب بن محرز الاصمعى عن قول ابى خراش خويلد بن مرة الهذلى :

رقونـــى وقالـــوا ياخويلـــد لاترع فقلـــت وانـــكرت الوجـــوه هم هم

فقال قعنب : (رقونى) بالقاف فقال الاصمعى : مامعنى رقونـى ؟ قال : رقـوه بالكلام ، فقال : تصحف وتفسر التصحيف ؛ انما هو (رفونى) بالفاء واصله رفوت من رفأت فأزال الهمزة للشعر .

قال ابو احمد : الرفء يكون من السكون والهدوء والرفاء الاتفاق والاجتماع من قولهم رفأت الثوب اذا جمعت الجانبين وضممتها ومنه قولهم للمملك : بالرفاء والبنين ، والمرافاة الموافقة قال الشاعر :

ولما ان رأيت أبـــا رويم يرافينـــى ويكره ان يلاما

قال ابو تراب : فى اللسان : الرفاء الموافقة وهى المرافاة بلا همز وانشد هذا البيت شاهدا ، وقال معنى رفوته سكنته من الرعب وانشد بيت الهذلى :

رفونـــى وقالـــوا ياخويلـــد لاترع فقلـــت وانـــكرت الوجـــوه هم هم

قال : اعتبر بمشاهدة الوجوه وجعلها دليلا على مافى النفوس . يريد رفؤنى فالقى الهمزة .

وقال ابن السكيت معناه بالسكون والهدوء والطمأنينة فيكون اصله غير الهمز من قولهم رفوت الرجل اذا سكنته قال ابو خراش . رفونى اى سكنونى وقال ابن هانىء يريد رفؤنى فالقى الهمزة والهمزة لاتلقى الا فى الشعر وقد القاها فى هذا البيت ، قال : ومعناه انى فزعت فطار قلبى فضموا بعضى الى بعض ومنه بالرفاء والبنين .

قال ابو تراب : بكلا المعنيين فسر قولهم : بالرفاء والبنين ، فهو من السكون او الضم من رَفْء الثوب . وهى كلمة كانت تقال للمتزوج فى الجاهلية الغاها الاسلام بدعاء البركة للزوجين والجمع بينهما فى خير .

كيف مات ابو خراش

وابو خراش هو الشاعر الفارس المشهور ادرك الاسلام شيخا كبيرا ووفد على عمر بن الخطاب وله معه اخبار وكان احد الفصحاء مات ايام خلافة عمر .

قال ابن الكلبي : مر عليه نفر من اليمن وكانوا حجاجا فنزلوا عليه فقال ما امسى عندى ماء ولكن هذه برمة وشاة وقربة فرِدُوا الماء فانه غير بعيد ثم اطبخوا الشاة وذروا القربة والبرمة عند الماء حتى نأخذها ؛ فامتنعوا وقالوا : لانبرح فأخذ ابو خراش القربة وسعى نحو الماء تحت الليل فاستقى ثم اقبل فنهشته حية فاقبل مسرعا حتى اعطاهم الماء ولم يعلمهم ما اصابه فباتوا يأكلون فلما اصبحوا وجدوه فى الموت فاقاموا حتى دفنوه . فبلغ عمر خبره فقال : والله لولا ان تكون سنة لامرت بأن لايضاف يمان ابدا . ثم كتب الى عامله ان يأخذ النفر الذين نزلوا بابى خراش فيغرمهم ديته . ذكره الحافظ ابن حجر والحافظ ابن عبدالبر وغيرهما فى كتب الصحابة .

محشتهم النار

وعن الامام المازنى قال سمعت ابا زيد الانصارى يقول : لقيت ابا حنيفة فحدثنى بحديث فيه : يدخل الجنة قوم حفاة عراة منتنين قد امحشتهم النار فقلت له : انما الصواب : منتنون قد محشتهم النار - محشتهم النار اى احرقتهم - فقال : ممن انت ؟ فقلت : من اهل البصرة فقال : اكل اصحابك مثلك ؟ قلت : بل انا اخسهم حظا فى العلم . فقال : طوبى لقوم يكون مثلك اخسهم فى العلم .

قال ابو تراب : الحديث : يخرج قوم من النار قد امتحشوا . قال ابن الاثير فى النهاية :

اى احترقوا ، والمحش احتراق الجلد ، وظهور العظم . ويروى امتحشوا ـ لما لم يسم فاعله ـ وقد محشته النار تمحشه محشا . ومنه حديث ابن عباس : اتوضأ من طعام اجده حلالا لانه محشته النار . قاله منكرا على من يوجب الوضوء مما مسته النار .

واورد ابو احمد عن احمد بن كلثوم قال : رأيت ابا عثمان المازنى عند محمد بن ابى رجاء فقال لهم : ما اسم ابى دلامة ؟ فلم يرد عليه راد فقال جدى : (زند بن الجون) اياكم ان تصحفوا فتقولوا زيد بن الجون .

قال ابو تراب : زند بفتح الزاى وسكون النون كما حققه الذهبى فى المشتبه ص٢٤٥ وابو دلامة هو صاحب النوادر والحواضر مع الخلفاء والامراء ، ادرك آخر ايام بنى امية ونبغ فى ايام بنى العباس ، ومات فى خلافة المهدى ذكره ابو الفرج وياقوت وابن خلكان .

عروش وجّ وتصحيفات شتى

وذكر ابن الانبارى عن عبدالله بن دينار قال : قال الحسن بن عبدالرحمن الربعى قال :

كان شعبة بن الحجاج يحقرنى اذا ذكرت شيئا فحدثنا عن ابن عوف عن ابن سيرين ان كعب بن مالك الانصارى قال :

قضينا من تهامة كل نذر بخيبر ثم اغمدنا السيوفا
نسائلها ولو نطقت لقالت قواطعهن دوسا او ثقيفا
فلست لمالك ان لم نزركم بساحة داركم منا ألوفا
وننتزع العروس عروس وج وتصبح داركم منا خلوفا

فقال : (العروس) بسين غير معجمة فقلت لشعبة : واى عروس كانت ثم يا ابا بسطام ؟ قال : فما هو ؟ قلت : الصواب (وننتزع العروش عروش وج) وهو من قوله تعالى : (وهى خاوية على عروشها) قال : فكان بعد ذلك يكرمنى ويرفع مجلسى ،

قال ابو تراب : شعبة بن الحجاج عالم بصرى جليل وهو احد الاعلام فى الحديث ، وله بصر بالشعر قال عنه الاصمعى : لم نر احدا اعلم بالشعر منه قال ابو تراب : لكن الغلط لم يسلم منه احد وسبب ذلك اهمال الحروف وعدم النقط والاخذ عن الكتب دون التلقى من افواه الرجال والحفاظ والضابطين

وقوله : (وننتزع العروش عروش وج) يريد وادى وج بالطائف . وثم موضع مشهور بالبساتين يقال له تجنى لم يذكره ياقوت فى المعجم وقال الشاعر يذكره على الجناس :

رأى صاحبي أثمار وج فقال لى ترى هذه الاثمار تسقط ام تجنى
فقلت له كلها هنيئا فانما اطايبها تجنى وتأتيك من تجنى

وقال ابو الصلت والدأمية يصف وجًا وخضرتها :

قد ادهأمت وامست ماؤها غدق يمشي معا اصلها والفرع ابانا

ادهأمت اى مالت الى السواد من شدة خضرتها وريها وهى كلمة قرآنية (مد هامتان) اى جنتان خضراوان تضربان الى السواد من شدة الخضرة والرى

وقال ابو الصلت :

فيها كواكب مثلوج مناهلها يشفي الغليل بها من كان صديانا

- الكواكب اى الرياض -

وقال عروة بن حزام يذكر وجا ويتشوق اليها :

أحقا يا حمامة بطن وج بهذا النوح انك تصدقينا
غلبتك بالبكاء لان ليلى اواصله وانك تهجعينا
وانى ان بكيت بكيت حقا وانك فى بكائك تكذبينا
فلست وان بكيت اشد شوقا ولكنى اسر وتعلنينا
فنوحى ياحمامة بطن وج فقد هيجت مشتاقا حزينا

وذكر ابن الانبارى عن ابيه قال : قرأ القطربلى المؤدب على ابى العباس ثعلب النحوى بيت الاعشى :

فلو كنت فى حب ثمانين قامة ورقيت اسباب السماء بسلم

فقال ثعلب : خرب بيتك ؛ هل رأيت حباقط ثمانين قامة . انما هو : (فلو كنت فى جب ثمانين قامة) قال ابو تراب : الجب البئر الكثيرة الماء البعيدة القعر ومنه قوله تعالى : (وألقوه فى غيابة الجب) وفى المصباح : الجب بئر لم تطو . قال ابو تراب : والقطربلى نسبة الى قرية بين بغداد وعكبرا وقد اكثر الشعراء من ذكرها وكانت متنزها للبطالين وقيل هو اسم لطسوج من طساسيج بغداد قال ابو تراب : الطسوج بمعنى المحلة والكورة .

وعن الاصمعى قال : حدثنى ابى قال : جاء رجل الى ابى عمرو فقرأ عليه : (ثم جُسنا فصار كالتمثال) فقال له ابو عمرو : لو كنت اربيت فى الخطأ مازدت على هذا انما هو (تم حسنا فصار كالتمثال)

سكّاء الأذنين

وحكى ابو الحسن بن الكوفى صاحب ثعلب عن محمد بن عبيد عن شيخ له ان رجلا كان يقرأ على الاصمعى شعر النابغة فقال : (كلينى لهم يا اميمة باضت) فقال الاصمعى : اما علمت ويلك ان كل ناجمة الاذنين تحيض ؛ وكل سكاء الاذنين تبيض - ناجمة الاذنين ظاهرتها - وسكاؤها قصيرتها - قال : فصار تصحيف الرجل فائدة لنا يعنى انهم استفادوا ما الذى يلد وما الذى يبيض من الحيوان ، ثم قال ابن الكوفى : لا اعلم تصحيفا جر فائدة الا هذا الحرف .

قال ابو تراب : وكان المصراع من بيت النابغة : (كلينى لهم يا اميمة ناصب) فصحفه الرجل فقال : يا اميمة باضت والفائدة التى استفادوها هى معرفة الولود والبياض من الحيوان .

* * *

تصحيفات جرت مصائب وأخرى جلبت فوائد

وبعض التصحيفات فى الكلمات جر مصائب على قوم وبعضها جلب نفعا لآخرين فمن نوادر ذلك ما ذكره ابن سلام من قصة الفرزدق . أتته امرأة وأقامت عند قبر غالب بن صعصعة بكاظمة . فذكرت له حبس ابنها عند تميم بن زيد وهو رجل من بلقين وكان واليا على الهند . وكان يقال لابنها خنيس أو حبيش فكتب الفرزدق الى تميم بن زيد المذكور من بلقين أى بنى القين .

هب لى حبيشا واتخذ فيه منة ... لغصة أم ما يسوغ شرابها

أتتنى فعاذت يا تميم بغالب ... وبالحفرة السافى عليه ترابها

تميم بن زيد لا تكونن حاجتى ... بظهر فلا يخفى عليك جوابها

فلما أتاه الكتاب لم يدر أحبيش أم خنيس ، وفى حبسه عدة نفر يسمون حبيشا وخنيسا فأطلقهم جميعا .

واورد أبو الفرج فى الاغانى جـ ١٩ ص ١٥٠ هذه القصة ببعض اختلاف .

ومن نوادر ذلك أيضا ما ذكره المبرد قال : كتب صاحب بريد اصبهان الى الامير محمد بن عبد الله بن طاهر ان قائدا ممن بها من الموالى يلبس (خزلخية) ويقعد للنساء فى الطرقات فكتب محمد الى عامل المعونة : أشخص الى فلانا وخزلخيته فقرأه صاحب المعونة : وجز لحيته فأخذ الرجل وجز لحيته وأشخصه الى ابن طاهر فدهش وقال : ويلك ما دهاك ؟ فأخبره فخلى عنه وقال : كفاه بهذه المثلة عقوبة .

قال ابو تراب : الخزلخية كسوة من الخز كالمعطف .

ومن نوادر ذلك أيضا : ان سليمان بن عبد الملك كتب الى ابن حزم امير المدينة : أن أحص من قبلك من المخنثين فصحفه كاتبه فقرأ : اخص من قبلك . وقال عليها نقطة مثل سهيل يعنى النجم . فدعا بهم فخصاهم وفى رواية : أنهم كانوا مفسدين فأراد احصاءهم لضبطهم واختلفوا فى الحاء والخاء فقال احدهم : ذهبت خصانا بين الحاء والخاء . وقال نسيم السحر منهم . أف ما سلبتمونى الا ميزاب بولى . وقال نومة الضحى

منهم : ما أغنانى عن سلاح لا أقاتل به ، ومن مشاهير الخصيان نساك وطويس ودلال وبرد الفؤاد ونومة الضحى ونسيم السحر ولعبة العاج وضرّة الشمس وغيرهم .

وفى كتاب الحيوان للجاحظ جـ ١ ص ٥٥ أن الذى أمر بهم هو هشام بن عبد الملك وتولى ذلك عثمان بن حيان والى المدينة ، وذكره أبو الفرج وفى محاضرات الراغب جـ١ ص ١٠٨ أن الذى فعل ذلك الوليد بن عبد الملك وأن الذباب ونم على الحاء فصار اخص .

وقال ابو أحمد العسكرى : حدثنى شيخ من أطباء بغداد أن الحسن بن سهل بن أبى نوح أراد أن يتناول شربة فجمع عليها حذاق الأطباء . فأجمع المتطببون على نسخة كتبها بخطه ، وفيها وزن درهمين (أفتيمون) فغلط غلامه فقرأها أفيون فتناولها وكاد يتلف ، ونجا بعد معالجة طويلة . وبعد ان أشفى على الهلكة .

قال ابو تراب : أفتيمون زهر لنبات يشبه الصعتر ، وله رؤوس دقاق خفاف . وأذناب شبيهة بالشعر ، قال ابن البيطار فى المفردات : يصنع منه شراب مسهل قوته شديدة فى قلع المرة السوداء وذكره داوود الأنطاكى فى التذكرة .

وزعموا أن حنين بن اسحاق الطبيب كان يحترس من مثل هذا فيما يؤلفه من الأدوية ، ويفزع من الحرف ذى اللبس الى حرف آخر يضعه مكانه . فمن ذلك أنه كان يكتب : صعترا بالصاد . ويقول : اخاف ان يقرأ الشعير فيصير به الدواء داء .

قال ابو تراب : ومن ذلك قصة توما الحكيم وقد صحف الحبة السوداء فقرأ الحية السوداء فكانت سبب الهلاك لذلك قال بعضهم :

يظن الغِمْرُ ان الكتب تهدى ... أخا فهم لادراك العلوم
وما يدرى الجهول بأن فيها ... دقائق حيرت عقل الفهيم
إذا رمت العلوم بغير شيخ ... غويت عن الطريق المستقيم
وتلتبس الأمور عليك حتى ... تكون أضل من توما الحكيم

ولم يذكر الزركلى فى الاعلام ولا فريد وجدى فى دائرة المعارف ترجمته

قال العسكرى : ومما خصنى من شؤم التصحيف أنى سمعت بعض الرؤساء ممن له سلطان ينشد :

فقلت لعبد الله إذ حن باكيا ... تعز ودمع العين منهمل يجرى

فقلت له : هو تصحيف والصواب : إذ خن باكيا وهى الرواية الصحيحة التى رواها الأصمعى وغيره ، ورواها المبرد عن شيوخه : والخنين تردد البكاء فى الأنف والحنين ما كان فى الصدر ومنه قول الفرزدق .

فما ابنك الا ابن من النـاس فاصبرى فلن يرجــع الموتــى خنــين المآتم

وكان ابن خلاد الرامهرمزى حاضرا فسأله عن ذلك فقـال صدق . هو كما قـال فانكسر لذلك واضطغنها على = أى جعلها ضغينة فى قلبه = قال ثم تعقبنى فى معاملة كانت بينى وبينه بمضرة أجحفت بحالى .

قال ابو تراب : رامهرمز من بين مدن خوزستان تجمع بين النخل والجوز والأترنج ، وليس يجتمع ذلك فى غيرها هناك . وهذا البيت من قصيدة يرثى بها الفرزدق ابنين له ، وأكثر الناس يقرأون : (حنين المآتم) والصواب : خنين المآتم . يقال : حن فخن أى بكى فى أنفه .

* * *

إغراب ابن الرومي

ومن نكد التصحيف انه كان السبب فى هلاك ابن الرومى الشاعر. قال محمد بن فضلان الوراق : كان جلساء القاسم بن عبيد الله يقصدون اذى ابن الرومى . فكان يغريهم به الى أن سأله احدهم يوما عن (الجرامض) على سبيل التصحيف والتهكم فقال ابن الرومى :

أسألت عن خبر الجرا مض طالبا علم الجرامض

ـ الجرامض الثقيل الوخم والأكول الواسع البطن ـ

فهو الجراضم حين يقـ ـلب ضارج فيقال جارض

الجارض الرجل الفاسد المتروك والمشفى على الهلاك ـ

وهو الجراسم والقمنجر والجراسف والجراغض

ـ الجراسم الساقط هز الا والقمنجر المنحنى والجراسف الأكول ، والجراغض الوخم ، وهذا البيت ليس فى ديوان ابن الرومى ، ووقع فى بعض النسخ من اصول التصحيف للعسكرى : الجراسم والقمجر والجرائض والغرائض

وهو الحزاكل والغوا مض قد تفسر بالغوامض

ـ الحزاكل القصير وفى القاموس الحزوكل ـ

وهو السلجكل ان فهمت وان ركنت الى المعارض

ـ السلجكل مثل سبهلل ولم يذكره فى القاموس ـ

واصبر وان حمض الجوا ب فرب منتفع بحامض

والصقع محتاج الى فرع يكون له مقايض

ومن اللحى ما فيه فعل للمواسى والمقارض

ودع المضامض بالفصول فانها شر المضامض

أولا فانك باعث أسد الجواب من المرابض

وليست هذه القصيدة مذكورة فيما طبعه الكيلانى من ديوانه .

وعلى هذا النمط اكثر من الهجاء فشكاه الجلساء الى القاسم بن عبيد الله فسمه فى خشكنانجة كانت نفسه فيها فمات . وعلق العقاد فى كتابه عن ابن الرومى على هذه الألفاظ بقوله انها من مادة الجرامض لا معنى لها ولا وجود .

قال ابو تراب : خشكنانجة هو خشكنان قال داوود فى التذكرة : هو دقيق الحنطة إذا عجن بشيرج وبسط وملىء بالسكر واللوز أو الفستق وماء الورد وجمع وخبز . وأهل الشام تسميه المكفن .

وقال الجواليقى فى المعرب ص ١٣٤ : الخشكنان قد تكلمت به العرب . قال الراجز .

ياحبـذا الكعـك بلحـم مثرود وخشكنـان وسويـق مقنود

قلت : المقنود معمول بالقند وهو عسل قصب السكر ، يقال : سويق مقنود ومقند .

قال ابو أحمد العسكرى : كنا فى مجلس بعض الرؤساء ولهم معلم يعجبون به . فتذاكرنا قولهم (العير) وعلى كم وجهاً يتصرف : وأوردنا ما قيل فيه وكان نيفا على ثلاثين معنى .

قال ابو تراب : منها الوتد والجبل والسيد والمالك ومآقى العين والحمار الوحشى ، والعظم الناتىء وسط الكف ـ وعير النصل وسطه ، وعير الورقة الخط البارز فيها ـ قال : فطلب المعلم الاعراب والزيادة فقال : ومنها بنات عير ـ فتبسمت فقال لى صاحب المجلس : تبسم منكر ، فقلت : نعم قد صحف انما هو بنات غير . بالغين المعجمة والراء غير المعجمة . ويقال للرجل اذا جاء بالكذب : جاء ببنات غير . ثم قلت له : أنشدنا نفطويه . عن ثعلب عن ابن الاعرابى .

إذا ما جئـت جاء بنـات غير وإن وليـت أسرعـن الذهابا

قال ابو تراب : وهو فى نوادر ابن الاعرابى التى فى اولها الكلام فى الحو واللو ـ اى البين والخفى ـ فأمر باحضار الكتاب من الخزانة . فكان مضبوطا بخط ابن الكوفى كما قلت فزجره . ثم ضرب ذلك المعلم بينى وبين اكثر الحاشية . قال ابو تراب : ضرب بين القوم أى أغرى . وفى أساس الزمخشرى جاء ببنات غير أى بأكاذيب

وذكر الصولى قال : أخرج بعض الكتاب عبيد الله بن سليمان بن وهب فوقع فى

رقعته : (هذا هذّا) فقدر الرجل لبعد ذهنه أنه قد وقع : (هذا هذا) أى هو حجة ثابتة كما يقال : أنت انت ، وأنا أنا فأخرج التوقيع الى الكتاب . وقال .

قد قبل الوزير حجتى فلم يعرفوا ذلك . وجاءوا بالتوقيع الى صاحب الديوان . فرده الى عبيد الله ، واستأمره . فما زاد عبيد الله على ان شدد الذال ووقع تحته : الله المستعان . قلت : اراد : هذا هذاء فحذف الهمزة للمشاكلة والهذاء شديد الهذيان . فلما لم يشكله وقع الابهام فظنوا انه كتب : هذا هذا كما يقال : هو هو .

* * *

تصحيفات نادرة

ومن نوادر التصحيف ما ذكره حمزة الاصفهاني فى كتاب التنبيه : ان المحدثين بالبصرة غبروا زمانا يروون ان على بن ابى طالب قال : الا ان خراب بصرتكم هذه يكون بالريح فما اقلعوا عن هذا التصحيف الا بعد مئتى سنة عند معاينتهم خرابها بالزنج فعلموا انهم كانوا يصحفون الزنج فيقولون : الريح ـ وان كثيرا من الرواة يروون ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : تختموا بالعقيق ، وانما قال : تخيموا بالعقيق وهو اسم واد بظاهر المدينة ـ فقلبوا تخيموا فقالوا تختموا وحسبوا ان المراد بالعقيق هو الحجر المعروف . لكن ذكر ابن الاثير فى النهاية جـ ١ ص ٢٨١ التختم بالياقوت ينفى الفقر قال فاذا صح الحديث فهو لخاصية فيه ، قال ابو تراب : وليس يَصحُّ الحديثان ويروى ان مرحبا اليهودى قتله على بن ابى طالب يوم حنين ، وانما قتله يوم خيبر ـ فصحفوا خيبر فقالوا حنين .

ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكره النوم فى القدر ، وانما الصواب انه كره الثوم فى القدر ـ لرائحته ـ كما روى آخر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستحب العسل فى يوم الجمعة ـ والصواب انه كان يستحب الغسل يوم الجمعة ـ وروى انه قال : الجار احق بصفته وانما هو بصقبه ـ اى المجاور له صقب بيته والصقب القريب ـ كما روى انه صلى الله عليه وسلم بلع قديدا ، والصواب بلغ قديدا وهو موضع قرب مكة ـ وروى آخر : لا بأس ان يصلى الرجل وفى كمه سنورة ـ وانما هى سبورة وهى الالواح من الابنوس يكتب فيها التذكرات ونبه عليه ايضا ابن الاثير فى النهاية جـ ٢ ص ١٤٢ وقال سبورة الواح من الساج .

وروى آخر : لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فحملوها وانما هو فجملوها أى أذابوها

وروى آخر : من أنزلت عليه نعمة فليشكرها ، وإنما هو من أُزِلّت اليه نعمـة أى أسديت وانظر النهاية جـ٢ ص ١٣٠ ورووا : عم الرجل ضيق أبيه وإنما هو صنو أبيه أى

شبهه . وفى كتاب أبى أحمد العسكرى فى التصحيف : غم الرجل ضيق أبيه ، بالغين المعجمة . والصنو المثل والأخ الشقيق والابن والعم يقال فلان صنو فلان ولا يقال صنو حتى يكون معه آخر . وفسر أبو عبيد الحديث فقال : معناه أن أصلهما واحد قال . وأصل الصنو إنما هو فى النخل .

ورووا ان الحارث بن كلدة كان يقعد فى مقثأة له . وإنما هو مقناة له . وهى كل موضع يواجه مدار بنات نعش فلا تقع فيه الشمس .

قال ابو تراب : الحارث بن كلدة هو الثقفى طبيب العرب وحكيمهم اختلف فى إسلامه وذكره القفطى فى أخبار الحكماء .

وبنات نعش النجوم المنتشرة فى الأفق وهى سبعة كواكب اربعة منها على هيئة النعش والأخرى بنات ولم يذكرها الثعالبى فى كتاب المضاف والمنسوب مع أنه موضوع لمثل هذا الباب ورووا أنه قد كان الحارث بن كلدة يقول : الشمس تنقل الريح وانما هو تنفل الريح لكنهم غلطوا .

ورووا أنه نهى عن لبس القِسِّى . وإنما هو القَسّى وهو ثوب رقيق النسيج قبطى منسوب إلى قرية من قرى مصر تسمى قَسًّا كما أن الشطوى منسوب الى قرية تسمى شطا . والدبيقى إلى قرية تسمى دبيقا .

قال ابو تراب : وسماها ياقوت فى معجم البلدان باسم دبق أيضا والقسى بكسر القاف وفتحها وتشديد السين منسوب إلى قس وهو موضع بين العريش والفرماء من أرض مصر . وقسا أيضا قرية بمصر ، فحمزة الأصبهانى صحح نسبة تلك الثياب المنهى عن لبسها الى قس بالفتح ، والمحدثون وكثير من اللغويين ينسبونها إلى قس بالكسر وغلط محمد أسعد طلس محقق كتاب حمزة فظن أنه ينسبها إلى قسا ولو كان كذلك لكانت النسبة قسوية كشطوية كما غلط فظن انه يسمى قرية دبيق دبيقا وسبب غلطه أن الاسمين وقعا فى كلامه معمولين لفعل (تسمّى) منصوبين فظن ألف التنوين ألف قصر فغلط وليس كذلك وانما كان مراده ضبط فتح القاف وطرح كسرها كما يفعل المحدثون .

قال ابن الاثير فى النهاية : وهى بقرب تنيس وبعض اهل الحديث يكسر قافها وقيل : أصل القسى القزى منسوب الى القز وهو ضرب من الابريسم فابدلت الزاى سينا

وهى ثياب من كتان مخلوط بحرير .

وقيل هى منسوبة الى القس وهو الصقيع لبياضه ورووا أنه قيل لعلى : ما القسية فقال : ثياب تاتينا من الشام أو مصر مضلعة فيها أمثال الأترج .

وهذا غير القِسِّي فى جمع القوس .

* * *

غلط الشرتونى

قال أبو تراب : وغلط الشرتونى فى أقرب الموارد . فقال : قس موضع بين العريش والقرماء والصواب : الفرماء بالفاء فهى التى على الساحل من ناحية مصر . أما القرماء فهى قرية باليمامة . وهذه الثياب مصرية فالصواب ان يحدد (قس) بالفرماء كما فى القاموس لان القرماء قرية نجدية لاعلاقة لها بمصر وارضها وقد ذكرها الاعشى فى شعره فقال :

عرفت اليوم من تَيَّا مقاما بجو او عرفت لها خياما

فهاجت شوق محزون طروب فأسبل دمعه فيها سجاما

ويوم الخرج من قرماء هاجت صباك حمامة تدعو حماما

وقد ذكرها الشيخ عبد الله بن خميس فى كتاب المجاز بين اليمامة والحجاز ص ٤١ وقال : ان اسمها الآن ضرماء محرفا .

* * *

مضحك التصحيفات

وممن صار ضحكة فى مجلس الخلافة احمد بن أبى خالد وزير المأمون غلط فى كلمات اضحكت منه المأمون ومن حضر . فقد روى أنه قرأ القصص يوما على المأمون فمر بقصة فلان البريدى . فقال : فلان الثريدى فضحك المأمون . وقال : ياغلام طعاما لابى العباس . فانه اصبح جائعا . فاستحيا وقال : ما أنا بجائع . ولكن صاحب القصة أحمق . نقط الباء بنقطة الثاء . فقال : على ذاك . فجاءوه بالطعام فاكل حتى انتهى ثم عاد فمر بقصة فلان الحمصى فقال : فلان الخبيصى فضحك المأمون وقال : ياغلام جاما فيه خبيص ، فان طعام أبى العباس كان مبتورا فقال : ان صاحب القصة أحمق ، فتح الميم فصارت كأنها حرفان ، فضحك وقال لو جمعها لبقيت جائعا . قال المأمون : بحقى عليك الا أكلت فمضى فأكل ثم غسل يده وعاد الى القراءة فما أسقط حرفا .

قال ابو تراب : الخبيص هو نوع من الحلواء .يعمل من التمر والسمن يخلط بعضها ببعض والجام اناء مصنوع من الفضة . نقل ابن منظور فى اللسان عن الليث انه عربى فصيح ، والثريد من أطعمة العرب وهو الخبز يفت فى مرق اللحم ، وفى الحديث الصحيح انه صلى الله عليه وسلم قال : فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام . وكان أحب الأطعمة اليه ..

فقيل : لم يرد عين الثريد وانما أراد الطعام المتخذ من اللحم والثريد معا لان الثريد لا يكون الا من لحم غالبا . والعرب قلما تجد طبيخا ولا سيما بلحم . ويقال الثريد أحد اللحمين . بل اللذة والقوة اذا كان اللحم نضيجا فى المرق أكثر مما يكون فى اللحم نفسه . والثرد الغمس ومنه حديث عائشة : فأخذت خمارا لها قد ثردته بزعفران أى صبغته ، يقال ثوب مثرود اذا غمس فى الصبغ . وفى المجازات : فى شفتيك تثريد أى تشقيق . والثرائد جمع . وفى الشعر :

ألا ياخبز يا ابنة اثردان أبى الحلقوم دونك أن يناما

ومن أغلاطهم أنهم رووا أن أعرابيا أتى النبى صلى الله عليه وسلم وعلى يده سخلة تبعر- والصواب : تيعر أى تصوت . واليعار صوت اليعر وهو الجدى ، ومن أمثالهم : ما الكباش كالسخال ، وهى أولاد الغنم ساعة تولد قال عنترة :

ارجع لمعزاك التى فارقتها حتى تربى سخلها وجداها

والجدى فى السنة الاولى ويقال للانثى فيها عناق وذكر المبرد النحوى فقال : انشدنا يوما ابو العلاء المنقرى :

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومر[١]

فقلت : باللام فقال : كذا قلت (فحومرل) قلت : الدخول وحومل مواضع .

وقال أبان اللاحقى فى رجل كان كلما أخطأ فقيل له : هذا لايجوز قال : هذا فى لغة قوم :

يكسر الشعر وان عاتبته فى محال قال فى هذا لغه

وقرأ كاتب (حاضر طيىء) فقال : جاء ضريطى ، فصار ضحكة

وأنشد ابو العلاء المنقرى الخطيب فى مجلس عيسى بن جعفر والى البصرة :

كفى حزنا أن الكريم مقير عليه ولا معروف عند بخيل

يريد (مقتر عليه) فوهم ، فهزىء به المسور بن عبد الله الملقب بمهرويه وكان مخنثا فصيحا فقال فى أبى العلاء خصلتان من خصال النبوة هو أمي ويكسر الشعر . فقال ابو العلاء خصلتان من خصال النبوة اصلح من خصلتين من خصال النساء الخنث والبغاء . ذكره ابو أحمد العسكرى فى كتاب ما يقع فيه التصحيف والتحريف .

وعن على بن الحسين الاسكافى قال : لما خرج بُغا الى منبج وقلدها كان معه كاتب فقرأ يوما عليه كتاب عامله بسميساط ان فلانا سقط عن يزدونه - يريد عن برذونه فقال بغا : ما يزدونه ؟ ويحك . فقال جبل بين سميساط والروم وهو الحد بينهما قال : فلم ندر من أى شىء نعجب ؟ من تصحيفه ام من احتجاجه بما احتج به ؟

قال ابو تراب : بغا هذا هو مولى المعتصم عمّر مدينة شمكور سنة ٢٤٠ هـ وهو والى أرمينية وأذربيجان وشمشاط وسماها المتوكلية . ومَنْبج مدينة كبيرة بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ وسميساط مدينة على الشاطىء الغربى للفرات بالشام . والبرذون من الخيل ما كان من غير نتاج العرب وكان جواب هذا الكاتب تخلصا من الورطة فانه لا جبل هناك يسمى بهذا الاسم .

* * *

حال الجريض دون القريض

قال أبو تراب : ومن الأمثال السائرة : قول عبيد بن الابرص الشاعر الجاهلى صاحب المعلقة المشهورة : (حال الجريض دون القريض) قال الميدانى : فى مجمع الامثال جـ١ ص ١٢٩ : الجريض الغصة من الجرض وهو الريق يغص به ، يقال : جرض بريقه يجرض : وهو أن يبتلع ريقه على هم وحزن . يقال : مات فلان جريضا اى مغموما . والقريض الشعر . واصله جرة البعير ، وحال أى منع ، وهذا المثل يضرب للأمر يقدر عليه اخيرا حين لا ينفع . وأصل المثل ان رجلا كان له ابن نبغ فى الشعر فنهاه أبوه عن ذلك فجاش به صدره ومرض حتى اشرف على الهلاك فأذن له أبوه فى قول الشعر فقال هذا القول .

وفى لسان العرب : قيل : الجريض والقريض يحدقان بالانسان عند الموت فالجريض تبلع الريق . والقريض صوت الانسان .

وقاله عبيد بن الابرص للمنذر حين اراد قتله . فقال له : أنشدنى من قولك فقال (حال الجريض دون القريض) وقيل : ان قائله جوشن الكلابى . قاله حين منعه أبوه من قول الشعر فمرض فقال : انطق بما أحببت فقال هذا المثل .

وقد روى عن عبد الله بن عبد الجبار انه صحفه انسان فقال : حال الحريص دون القريص .

قال ابو تراب : الحريص البخيل والقريص ضرب من الأدم . فكأنه ذهب وَهْلُهُ إلى هذا المعنى فغلط وفى كتاب حدوث التصحيف صـ ٧ قال أبو حاتم قرأه سليمان بن جعفر حال الحريص دون القريض فقال أبو عبيدة : الحرص شؤم وتغافل

الحميل لا يورث

وعن زكريا بن مهران قال : صحف بعضهم : لا يورث حميل الا ببيّنة فقال : لا يرث جميل الا بثينة .

قال ابو تراب : ذهب وهله الى جميل الشاعر المشهور وصاحبته بثنية ، وليس كذلك بل هو : (الحميل لا يورث الا ببينة) وهو من قول عمر بن الخطاب فى كتابه الى القاضى شريح .

قال فى لسان العرب : الحميل الذى يحمل من بلده صغيرا ولم يولد فى بلد الاسلام . ويقال سمى حميلا لانه محمول النسب وذلك أن يقول الرجل لانسان : هذا أخى أو ابنى . ليزوى ميراثه عن مواليه . فلايصدق الا ببينة .

وقال ابن سيدة : الحميل الولد فى بطن أمه اذا أخذت من ارض الشرك الى بلاد الاسلام فلا يورث الا ببينة ، والحميل ايضا : المنبوذ يحمله قوم فير بونه ، والحميل الدعى . قال الكميت يعاتب قضاعة فى تحولهم الى اليمن بنسبهم :

علام نزلتمو من غير فقر ولا ضراء منزلة الحميل

والحميل الغريب ايضا .

وفى النهاية لابن الاثير انه من قول على بن أبى طالب فى كتابه الى شريح وقيل معناه مجهول النسب

* * *

مضحك التصحيفات أيضاً

وعن ابى على الخراسانى قال : جلس اليعقوبى وابن مكرم الى ابن ابى فنن فمر بهم صعودا فجلس اليهم فأنشد :

بكيت صيانة وبكيت شوقا كذاك الدهر أضحكنى وأبكى

فقال اليعقوبى : يا سلحة الفراء لو كانت صيانة ما بكيت انما هى صبابة فاستحيا وقام

قال ابو تراب : صعودا هذا هو أبو سعيد محمد بن هبيرة الاسدى احد العلماء بالنحو واللغة على مذهب الكوفيين وكان منقطعا الى عبد الله بن المعتز . والفراء امام شهير هو أبو زكريا يحيى بن زياد وقد روى هذا الخبر عن القاسم بن جرير انه أنشد : (بكيت ضبابة وبكيت شوقا) فقال اليعقوبى هذا يبكى غيما .

قال ابو تراب : لان الضبابة سحاب رقيق كالدخان وانما اراد الشاعر الصبابة من الوجد .

وفى كتاب التنبيه لحمزة الاصبهانى : قال ابو حاتم : كنت اختلف مع أبى عبيدة والاصمعى الى ذوى الاشراف بالمربد من رهط سليمان بن على للاستماع الى ما يقرأ عليهما من الكتب فقرأ على أبى عبيدة رجل فى شعر عنترة :

ذهب الذين فراقهم أتوقع وجرى ببينهم الغراب الأنقع

فقال أبو عبيدة : تعس الغراب ولم يزد عليه .

قال ابو تراب : وفى كتاب أبى احمد العسكرى : الغراب الأنفع وأن أبا عبيدة قال له : ويحك أما سمعت بغراب أبقع ولا رأيته قط ؟

وفيه أيضا أنه قرأ : (وخرى ببينهم الغراب الانفع) فوجه ابو عبيدة الى يونس : قد

وقع طير فاحضر فاجتمعا فقرأ الرجل فقال ابو عبيدة ان عذرت فى تصحيفك الأول لم تعذر فى الثانى وسليمان بن على هذا هو من الأجواد الممدوحين ولاه ابن اخيه السفاح البصرة وما اليها . والمربد من أجل شوارع البصرة ، وقع به حريق فارتجل أبو القاسم نصر بن احمد الحميرى قوله :

أتتكم شهود الهوى تشهد فما تستطيعون ان تجحدوا
فيا مربديون ناشدتكم على أننى منكم مجهد
جرى نفسى صعدا نحوكم فمن أجله احترق المربد
وهاجت رياح حنينى لكم وظلت به ناركم توقد
ولولا دموعى جرت لم يكن حريقكمو أبدا يخمد

وذكر أبو أحمد العسكرى قال : قرأ رجل على أبى عبد الله المفجع :

فلماّ نزلنا منزلا طله الندى أنيقا وبستانا من النور خاليا

بالخاء المعجمة . فحرك المفجع رأسه وقال : يا سيد أمه . فعلى أى شىء كنتم تشربون ؟ على الخسف ؟

قلت : المفجع هو الكاتب البصرى محمد بن عبيد الله تلميذ ثعلب كان شاعرا له قصيدة تعرف بالأشباح يمدح فيها على بن أبى طالب ، وبينه وبين ابن دريد مهاجاة . وله كتاب الترجمان فى معانى الشعر ذكره ابن النديم فى الفهرست ص ٣٢٥ .

والاضافة فى قوله : (يا سيد أمه) للتحقير والذم . وصواب البيت المذكور :

(وبستانا من النور حاليا) . والنور الزهر وقوله : أكنتم تشربون على الخسف ؟ الخسف هنا الجوع . قال أبو بكر فى قولهم : شربنا على الخسف أى شربنا على غير أكل .

ويقال : بات القوم على الخسف إذا باتوا جياعا ليس لهم شىء يتقوتونه . قال الشاعر :

ولا يقيـــم على ضيـــم يســـام به إلاّ الأذلان عـــير الحـــى والوتد
فذا على الخسف مربـــوط برمته وذا يدق فلا يرثـــى له أحد

ـ عير الحى هو الحمار يجاع وهو مربوط بحبله ويستخدم ولا يدرى بجوعته أحد .

وكان هشام بن الحكم مشهورا بقلة المعرفة . قال أحمد بن سليمان بن أبى شيخ : انه نظر الى كتاب فيه شعر كثير عزّة ـ الشاعر المشهور بعزة بنت الظبية ـ فجعل يقول : ما هذا ؟ كبير عزّة ، ويرددها .

قال ابن أبى شيخ : وأراد مرة أن يقول : طبخ لنا فلان رخبينية فقال : خربينية . فأقام يرددها لا يقدر أن يقول غير ذلك :

قال ابو تراب : فى تكملة المعاجم لدوزى . رخبين مأخوذة من رخفين . ثم فسرها باللبن الخاثر . وفى اللسان الرخف المسترخى من العجين الكثير الماء واسمه الوريخة . وقال الفراء : هى الرخيفة والوريخة ، وثريدة رخفة مسترخية . وقيل خاثـرة . والرخفـة الزبدة المسترخية الرقيقة .

* * *

مضحك التصحيف أيضاً

قال ابو أحمد : وذكروا يوما لحم الدواب فقال هشام بلغنى أنه يُظعن فقلت وما يُظعن فقال يظعن . فقلنا يظعن الى أين ؟ فغضب فجحد أنه قال ذلك وكابر ولم يعرب لسانه عما فى قلبه وانما أراد ينعظ . وقرأ كاتب الوليد بن عبد الملك فى كتاب : وقد أبعط أمير المؤمنين ابعاطا فصحف فقال أنعظ انعاظاً فقام الدلال المخنث فحرك كتفيه ولوى عنقه . وقال اللعين : بسم الله علىّ . قال أبو أحمد أبعط إذا أبعد فى الذهاب والابعاط من الذهاب قال :

ناج يعنيهــن بالابعاط اذا استــدى نوهــن بالسياط

ويقال : أبعط فى السوم إذا غلا فيه . وعن أبى عمر المقرىء قال : سمعت إنسانا يقرأ على معلم : (إن السماوات والأرض كانتا رتقا) فقال له المعلم الجهول : ويحك (زيفا) وعن أبى العيناء قال كتبت الى صديق : جعلت فداك (من السوء كله) فلقينى بعد ذلك فقال (أستفيد أبداً منك لا عدمت ذاك وقد كتبت الى جعلت فداك (من الشوكلة) فما الشوكلة ؟ قال : فعجبت وضحكت وقلت : نلتقى بعد هذا وتقع الفائدة .

وذكر حمزة الأصبهانى فى التنبيه : إن الشيرجى وكان اماما من أئمة الحنبلية اجتاز بمسجد فيه معزّى فخرج عليه منه نحوى بغيض فقال له الشيرجى : من المتوفى ؟ فقال النحوى : الله ، فلببه ، وقال : زنديق والله ــ ورفعه الى صاحب الجسر

قال ابو تراب : لَبَّبه امسك بتلابيبه وصاحب الجسر هو الموكل بصلب الزنادقة على جسر بغداد . وقد كانت هذه سنة منذ العهد العباسى زمن المهدى .

قال العسكرى : أخبرنا محمد بن يحيى قال : كتب رجل من أغبياء الكتاب الى صاعد بن مخلد كتابا فصير العين غينا فى كتبته ونقطها من فوق . ونقط الخاء من مخلد من تحت فصيرها جيا فوقع صاعد فى الكتاب . ولم يقف على ذلك . وخرج الكتاب الى الديوان فقال بعض الكتاب :

رأيــت الوزيــر كثــير الشكوك   بعيــد الافاقــة من غفلته
فما عرف الجــد من والد   ولا اســم ابنــه الفــدم من كنيته
رأيــت الكتابــة قد عطلت   وحســن البلاغــة فى دولته

قال ابو تراب : الفدم من الناس هو العيى عن الحجة والكلام البعيد عن الفطنة مع ثقل ورخاوة ، والأنثى فدمة . وهو أيضا الغليظ السمين الأحمق الجافى .

وقد جاء ضبط صاعد بن مخلد فى كتاب ما يقع فيه التصحيف لأبى أحمد العسكرى بتحقيق عبد العزيز أحمد كبير مفتشى اللغة العربية بمصر بضم الميم وتشديد اللام وهو غلط والصواب بفتح الميم وسكون الخاء . أمّا التثقيل فهو كما ذكر الذهبى فى المشتبه ص٧٥٩ فى اسم الصحابى مسلمة بن مخلّد وخالد بن مخلد جد جماعة بدريّين وثابت بن مخلد الذى قتل يوم الحرة والحارث بن مخلد الذى يروى عن أبى هريرة وصاعد بن مخلد هذا ذكره ابن الجوزى فى المنتظم جـ ٥ ص ١٠١/٦٦ وابن الأثير فى الكامل فى حوادث سنة ٢٦٥ ،

و٢٧٢ والشابشتى فى الديارات ص ٥٤ ، ١٧٥ والثعالبى فى ثمار القلوب ص ٢٣٣ وهو من فوات تاريخ بغداد للخطيب . وهو وزير من أهل بغداد كان نصرانيا وأسلم على يد الموفق العباسى ، واستكتبه الموفق سنة ٢٦٥هـ . ووجه فى المهمات ولقب بذى الوزارتين .

قال الشابشتى : كان من رجالات الناس حزماً وضبطاً وكفاية وكرماً ونبـلاً كثـير الصلوات والصدقات ليلاً ونهاراً . وأراد الموفق مالاً لقتال عمرو بن الليث الصفّار فتلكأ صاعد . ووقعت الوحشة بينهما فسجنه الموفق سنة ٢٧٢هـ وقبض على أمواله وكانـت كثيرة .

فظل فى السجن الى سنة خمس وسبعين ومائتين . ونقل الى دار فى الجانب الغربى من بغداد ، على دجلة فتوفى فيها . وقال ابن الجوزى فيه : هو من عمال السلطان . كان لا يركب حتى ينفذ صدقاته من الدراهم والدنانير والثياب والدقيق فى كل يوم . وهذا يشبه خبر شجاع بن القاسم الذى كان يناظر فى القصص فقرأ على احداها : أبو معشر المنجم . فأمر غلامه أن يصيح بأبى معشر المتخم .

وأبو معشر البلخى المنجم معروف بعلم الفلك كان يضاغن أبا يوسف الكندى .

قال أبو تراب : ومن التصحيفات الشنيعة : ما ورد عن سلامة بن روح الأيلى مما رواه أبو داوود السجستانى انه قال فى حديث السقيفة : الا كانا (بعده أن يقتـلا) تصحيف (تغرّة أن يقتلا) قال ابو داوود وكان أحمد بن صالح كتب عنه خمسين ألف حديث فتركه.

قال ابو تراب : ورد الحديث فى سيرة ابن هشام : وليس فيكم من تنقطع الأعناق اليه مثل أبى بكر فمن بايع رجلا من غير مشورة من المسلمين فانه لا بيعة له هو ولا الذى بايع تغرة أن يقتلا . وفى رواية أخرى أيما رجل بايع آخر فانه لا يؤمر واحد منها تغرة أن يقتلا .

والتغرة من الغرر كالتعلة والتقدير فى الكلام : خوف تغرة أن يقتلا أى خوف وقوعهما فى القتل (انظر النهاية لابن الأثير) .

* * *

أعطى الحجّام آجرة

قال ابو تراب :

وهذا كالذى صحف من المغفلين فروى أن النبى صلى الله عليه وسلم احتجم وأعطى الحجام آجرة ـ وإنما هو أجره .

وقد هجا بعض الشعراء أبا حاتم السجستانى وهو واحد عصره فى فنه .

إذا أسند القوم أخبارهم   فاسناده الصحف والهاجس

وممن هجى بالتصحيف أبو خالد النميرى كان يتبادى ـ يتشبه بالبادية ـ ويتقعر ويستعمل الغريب فعشق جارية لآل سليمان بن على فتبعها يوما وقال لها : قد كنت اخالك عروبا ما بالنا نمقك وتشنئيننا فقالت : يا ماصّ بظر أمّك ما رأيت أحداً يجمش ـ أى يغازل ـ بالغريب غيرك وهو الذى أنكر الميازيب فقال ما هذه الخراطيم لا نعرفها فى بلادنا فقال فيه ابن هانىء يهجوه بأبيات خبيثة :

يا راكباً أقبل من ثهمد   كيف تركت الابل والشاء

وأما تصحيفه فان أبا عبيدة لما شخص الى الرشيد فجاء ليخلفه كان أول شعر أنشده قصيدة الأسعر الجعفى فلما بلغ قوله :

أما اذا استقبلته فكأنه   باز يكفكف أن يطير وقد رأى

قال (فكأنه نار) فقال فيه جهم بن خلف المازنى :

قلت لما غدا علينا النميرى   وسار المخرقات بمعمر
وأتانا كيسان وابن نجيم   خلف من أبى عبيدة أعور
بغريب له يصحف فيه   ذاك تصحيفه الذى ليس ينكر
جعل الباز للجهالة ناراً   وتمادى فى غيه وتجبر

وكيسان هو صاحب أبى عبيدة الذى قال فيه : (ولا محدث إلا مثل كيسان) وابن نجيم هو يحيى من أصحاب القصائد التى قيلت فى الغريب ذكره ابن النديم فى الفهرست ص ١٧٠ .

تصحيفات المصحفين فى القرآن
وقد حفظ الله كتابه

قال ابو تراب :

ومن تصحيفات المصحفين فى القرآن أن رجلاً قرأ : يا عيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والديك ، وانما هو على والدتك وهو مخالف قوله تعالى : « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب » .

وان رجلاً قرأ : والعاديات صبحاً . وإنما هو ضبحاً ، كما قرأ آخر : وفرش مرقوعة . وإنما هو مرفوعة . وقرأ آخر : وأخذ برأس أخيه يجزه إليه ، وإنما هو يجره وقرأ آخر : فكذبوهما فعزرنا بثالث وإنما هو فعززنا .

وروى أن عثمان بن أبى شيبة قرأ : واتبعوا ما تبلو الشياطين . وإنما هو ما تتلو الشياطين .

وأن الوليد بن عبد الملك صلى بالناس وهو خليفة فقرأ فى أم الكتاب : صراط الذين أنعمت عليهم بضم التاء والصواب فتحها .

وقرأ يوماً آخر على المنبر : يا ليتها كانت القاصية . والصحيح القاضية فسمعها عمر بن عبد العزيز . فقال يا ليتها كانت بك .

وروى أن عبد الله بن أحمد ـ ولعله صغير ـ تقدم قوما يصلى بهم فقرأ : (باسم ربك الذى خُلق) . فقال له قائل أبوك ضرب بالسياط على أن يقول كلام الله مخلوق . وقد جعلت خالق الأشياء مخلوقا . وأنه قرأ يوما آخر (هو الله الحالق البارىء المصور) وإنما هو (الخالق) . ومما عدّ على حماد الراوية من التصحيفات فى القرآن : (وأوحى ربك الى النخل) . وإنما هو (النحل) ، و(ومن الشجر ومما يفرشون) وإنما هو (يعرشون) . و(الاّ عن موعدة وعدها اباه) وإنما هو (إياه) . و (ليكون لهم عدوا وحربا) . وإنما هو (حَزَناً) و (ما يجحد بآياتنا الاّ كل جبار كفور) . وإنما هو (ختّار) . و (بل الذين كفروا فى غرّة وشقاق) وإنما هو (عِزّة) . و (فعززوه ونصروه) . وإنما هو (فعزروه) . و (تعززوه وتوقروه) . وإنما هو (وتعزروه وتوقروه) . و (لكل امرىء منهم يومئذ شأنٍ

يغنيه) وإنما هو (شأنٌ) . و (هم أحسن أثاثاً وزيًّا) وإنما هو (ورئياً) وقال (عذابى أصيب به من أساء) وإنما هو من (أشاء) و (يوم يحمى غليها فى نار جهنم) وإنما هو « عليها » و (فبادوا ولات حين مناص) وإنما هو (فنادوا) و (تبلوَ أخبارهم) وإنما هو (نبلوَ أخبارهم) و (صيغة الله ومن أحسن من اللـه صيغـة) وإنمـا هو (صِبْغـة) و (فاستعانه الذى من شيعته على الذى من عدوه) وإنما هو (فاستغاثه) . و (سلام عليكم لا نتبع الجاهلين) وإنما هو (لا نبتغى) ولا تدخلوا بيوتا غـير بيوتـكم حتـى تستأذنوا وتسلموا على أهلها . وإنما هو (حتى تستأنسوا) (وأهليكم أو كأسوتهم) وإنما هو (كسوتهم) و (ياويلنا من بغتنا من مرقدنا هذا) وإنما هو (من بعثنا) و (قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العائذين) أو (العائدين) . وإنما هو (العابدين) .

قال ابو تراب : هذا ذكره حمزة فى التنبيه . وزاد عليها العسكرى والحمد لله على حفظه كتابه العزيز .

وفى محاضرات الراغب جـ ١ ص ١٠٧ : سمع رجل يقرأ : ربنا إنك من تدخل النار فقد أخريته وإنما هو فقد أخزيته فقال بعضهم : أخراه ولكن بلفظ أحسنَ من هذا .

وقال رجل فى مجلس الشافعى : كيف يقرأ بشوال يعجنك أو بشوال يعجبك ؟ فقيل ليس فى القرآن شىء من ذلك فقال الشافعى دعوه لى ، إنما هو بسؤال نعجتك .

وقال الجاحظ سمعت من يقرأ ض والقرآن ، وإنما هو (ص) وقرأ آخر (إن السموات والأرض كانتا ريقا) ، وانما هو (رتقا) وقرأ آخر : نبية من ربكم وانما هو بينة وقرأ آخر : التى أخصيت فرجها وانما هو أحصنت .

قال ابو تراب : ونسأل الله السلامة ، ومثل هذا كان يقع لعدم التنقيط والشكل ويذكر الحافظ ابن حزم فى الملل عن إمام مسجد وقع فى مثل هذا

* * *

غلط الأب لويس

وفى كتاب التنبيه للأصفهانى : أن مسلم بن الوليد قرأ يوماً على الأصمعى

عرفت بأعشاش وما كنت تعرف ... وأنكرت من أسماء ما كنت تعرف

فقال كذا يقال الشعر ولم يفطنه .

قال ابو تراب : الصواب عزفت وانظر اللسان جـ ١١ ص ١٤٩ .

وحكى الامام أبو حاتم عن نفسه أنه كان يقرأ شعر المتلمس على الأصمعى وأراد أن يقول

أغنيت شأنى فأغنوا اليوم شأنكمو ... واستحمقوا من مراس الحرب أو كيسوا

فقال : أغنيت شاتى بدل (شأنى) فقال الأصمعى بالعجلة (فأغنوا اليوم تيسكموا اذاً) وأشار الى أبى حاتم فأضحك منه الحاضرين .

قال ابو تراب : والعجب من جهل الأب لويس جامع شعراء النصرانية إذ قال : إن المصحف هو شانى . وأثبت فى الديوان : أغنيت شاتى . وقد علق على ذلك محمد أسعد طلس فى هامش كتاب التنبيه للأصبهانى بالاشارة الى ذلك .

قال ابو تراب : وليس ذلك بأول أوهامه فالمتتبع يجد فى تعليقاته ما فيه الدهشة وسببه النقل دون التريث . وقد جربته أثناء تعليقاتى على ديوان علقمة الفحل وزهير بن أبى سلمى . فوجدته ينقل عن الأعلم نقلاً حرفياً دون أن ينسب إليه كلمة ، فلما طبع شرح الأعلم الشنتمرى لديوان زهير افتضح الرجل عندى . وأنه ليس بشىء .

* * *

تصحيف يطلق سجناء

أما قصة الفرزدق فقد قدمنا شيئا من ذكرها ويذكر الأصبهانى فى كتاب التنبيه ص ١٣ : أنه لم يبلغنا أن التصحيف نفع أحدا إلاّ فى حكاية واحدة جاءت عن الفرزدق فانهم زعموا أن مولى له ورد عليه البصرة من البادية فأخبره أنه خلف بسفوان ـ قلت : هو اسم ماء بالبصرة ـ امرأةً تستجير بقبر أبيه غالب ـ كدأب المشركين ـ فاستشخصها الفرزدق . فقالت إن ابناً لها بالسند قد جمّر منذ سنين ـ أى ترك ـ فأردت استيهابه فكتب الى تميم بن زيد القينى عامل خالد القسرى على السند ـ وفى محاضرات الراغب : نعيم بن زيد . وهو خطأ ـ

كتبتُ وعجلت البِرادة أننى	إذا حاجةٌ حاولتُ عَجَّت ركابُها
وَلى ببلاد السند عند أميرها	حوائج جمات وعندى ثوابها
فمن تلك أن العامرية ضمّها	وبيتى نوار طاب منى اقترابها
أتتنى تهادى بعدما مالت الطُّلى	وعندى رداح الجوف فيها شرابها

الى ان قال

فقلت لها ايه اطلبى كل حاجة	لدى فعندى حاجة وطلابها
فقالت بحزن حاجتى أن واحدى	حبيش بأرض السند خوّى سحابها
فأقفل حبيشا واتخذ فيه منة	لغصة أم ما يسوغ شرابها
تميم بن زيد لا تكونن حاجتى	بظهر فلا يخفى عليك جوابها
ولا تدلين ظهرا لبطن صحيفتى	فشاهدها فيها عليك كتابها
فقد علم الأقوام انك فارس	شجاع إذا ما الحرب شب ضرابها

قال ابو تراب : نوارهى زوج الفرزدق فى هذا الشعر .

وفى اللسان :

أتتنى فعــاذت ذات شكوى بغالب وبالحــرة الســافى عليهــا ترابها

والأبيات مذكورة فى اللسان والديوان والصواب وبالحفرة .

وأطلق الوالى أربعين أو من دونهم فى اختلاف حُبيش وخُنيس وحُنيش وأمر لكل منهم بخمسمائة درهم .

* * *

تصحيفات المعلّمين

وفى محاضرات الراغب جـ ١ ص ١٠٦ قيل : إن كيسان يمسخ العلم على لسانه ثلاث مرات فانه يكتب فى ألواحه خلاف ما يسمع وينقل من ألواحه الى الدفتر خلاف ما يكتب ، ثم يقرأ من الدفتر خلاف ما يكتب وقال شاعر :

ولـم يسمـع النحـو لكنه قرا منـه شيئـا وقـد صحفه

ووجد معلم يلقن صبيا :

عفـت الديـار محلهـا فمقامها بمنـى بأبـد غولهـا فرجامّها

وإنما هو : بمنىً تأبد . قال الجاحظ ومررت بمعلم وهو يلقن صبـ :

يا أبـا الفيّـاش جنّى اخـرج الفتيـان غثا
لبش فى الأرض اباسٌ شزنـوا أيلـج مثا

فقلت : بالعبرانية هذا ؟ قال : لا هو بالعربية . فلما تأملته فاذا هو مكتوب :

يا أبـا العبـاس حبى أخـرج الفتيـان عنا
ليس فى الأرض أناس شربـوا أملـح منا

فقلت : أيها المعلم إنك ضائع بهذا البلد قال : نعم قدور ومزاريق .

ورؤى صبى يقرأ على معلم :

والشيـخ لا يبـرك أجلافه حتـى يوارى فى ثرى دمسه

فاذا هو :

والشيـخ لا يتـرك أخلاقه حتـى يوارى فى ثرى رمسه

وقرأ رجل على القباب المحدث : لا يدخل الجنة قباب . فقال : أعيذنى بالله إنما هو قتّات . فقدم القارىء اليه وعرك أذنه وقال : ما صنع المسكين حتى لا يدخل الجنة ؟

قال ابو تراب : القتات هو النام ذكره فى النهاية جـ ٣ ص ٢٢٧ والقتات المتسمع على القوم وهم لا يعلمون وهو كالقساس .

وقرأ آخر : إذا أردت أن تنعظ فادخل المقابر وإنما هو تتعظ .

وقرأ آخر : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغسل خصى الحمار فقيل له : وما أراد بذلك ؟ قال : التواضع . وإنما هو حصى الجمار

قال ابو تراب : ولم يصح سنده .

ومن هذا القبيل ما حكاه بعضهم أن بعض المغفلين صحف ما ورد من قوله : إذا حضر أحدكم الصلاة فعليه بالسكينة والوقار . فجعله سكينة أى مدْية وفاراً أى جرذاً ذكره الأبشيهى فى المستطرف .

وفى محاضرات الراغب فممن صحف وتأول برقاعته أنه قرأ : فأوجس فى نفسه جيفة . فقيل هو خيفة . فقال : لا . بل لأنه توضأ ولم يغسل إسته .

وقرأ آخر : فى روضة يخبزون فقيل : أخشكار أم جوارى ؟ فقال : ما أرادوا ففيها ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين وانما هو يحبرون . وقرأ آخر : فاسأل به جبيرا . فقيل : من جبير ؟ فقال : والد سعيد

قال ابو تراب : ومثل هذه التصحيفات تنزل الى الطامات والعياذ بالله .

وذكر الراغب فى المحاضرات جـ ١ ص ١٠٨ قال :

قرأ رجل على محمد بن حبيب من شعر الراعى (تعود ثعالب السرقين منه) فقال : انما هو : « ثعالب الشرفين منه » . فقال : ان الثعالب أولع شىء بالسرقين فقال : أتصحيف وتفسير ؟

وقرأ رجل على ابن مجاهد « بل عجنت ويسجرون » فقال : أحسنت فمع العجن سجر التنور وانما هو: بل عجبت ويسخرون . وقرأ صبى على معلم : « إنى أريد أن أنكحك » فقال : هذا إذا قرأت على أمك ، وقرأ آخر : (وأما الآخر فتصلب) فقال : هذا إذا قرأت على أبيك الكشحان . وغنى رجل (خليلى هبا نصبطح بسماد) فقال له رجل : اصطبح به وحدك إنما هو (بسواد) .

وأما التصحيف الذى أدى الى خلاص فقد أتى عبد الملك بخارجى فأمر بقتله وقال : ألست القائل :

ومنا حصين والبطين وقعنب ... ومنا أمير المؤمنين شبيب

فقال : إنما قلت : أميرَ المؤمنين أى يا أميرَ المؤمنين . فأطلقه

وأحضر جعفر بن سليمان الهاشمى خطاب المقدم الهذيلى وفيه :

يا ابــن الزوانــى من بنــى معاوية أنــت لعمــرى منهمــو ابــن الزانية

فقال : إنما قلت : يا ابن الرواثى وانت ابن الراثية أى اللواتى ينحن على موتاهم

قال ابو تراب : ومن ذلك ما رواه صاحب نفحة اليمن أن أبا نواس كتب :

لقــد ضاع شعــرى على بابكم كما ضاع در على خالصة

فأبصر الخليفة فاستدعاه فلما مر بالمكتوب محا ذَيْل العين فصار (ضاء) فتخلص

وحكى أن علوبة الشاعر اجتمع عليه الصوفية فقالوا له أنت أنشدت :

(طاب لنا الرفض بغير حشمه) فقال : أنا قلت : طاب لنا الرقص ، فرضوا عنه وانصرفوا .

* * *

نوادر التصحيفات

ومن تعبير كتابة قليلة يغير بها المعنى ذكروا : أنه خرج توقيع عن الرشيد الى بعض أوليائه باقطاع مئة ألف وألف دينار الى الرى فدفع الى معين لنسخه وطلب رسما من صاحبه فامتنع . فزاد المعين ألفاً وجعله أو ألف دينار فلما خرج وأوصله الى العامل قال : لك ما فيه توفير السلطان من أحد هذين فقال : إنما أمر لى بهما فاسترجع التوقيع وعـاد به الى الحضرة . فلما رآه الرشيد ضحك وقال : لعلك لم ترض الكاتب فأصلحه .

وعلق ستر على باب أم جعفر وكان قد أمر أن يكتب عليه السيدة الميمونة المباركة فأغفل المطرز الراء فدخل الرشيد فرآه . وقرأه مناكه فضحك وأمر أن يمزق .

وقال الصاحب : لاينبغى أن يخاطب النساء بحراستها ونظرها ولاعقلها لأنه لايؤمن أن يصحف بِحِرِاْستها وبظرها وعفلها .

ودفع المعروف بصخرة دبير قصة الى الصاحب يستوهب منه شيئا وفى آخر القصة ، فعل إن شاء الله فزاد الصاحب فيه ألفاً وجعله أفعل ان شاء الله . وقال خذها فقد وقعت لك فأخذ صخرة دبير القصة فتأملها فلم ير توقيعاً فراجعه مرتين كل ذلك يقول قد وقعت فيه حتى أراه الصاحب ما أثبته من الألف .

وقال بعضهم حضرت مجلس القاضى عبد الجبار فقال له بعض العلوية الكبار ماهذا الذى يقوله النجار فى كتبه الكس بالكسب .. أراد الكيس فضحك كل من عنده فأنشد فيه :

اذا الغصـن لم يثمـر وان كان شعبة   من المثمرآت اعتده النـاس فى الحطب

وكان حماد الراوية لايحسن القرآن فقيل له لو قرأت القرآن فأخذ المصحف وقرأ فلم يزل إلاّ فى أربعة مواضع قال : (عذابى أصيب به من أساء) ، وقال : (وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الاّ عن موعدة وعدها أباه) . وقال : (ومن الشجر ومما يغرسون) . وقال : (بل الذين كفروا فى غرة وشقاق)

ودفع رجل إلى محمد بن عبد الله قصة عليها : حريث بن الغراس فعجمه وقال : خريت فى الفراش ، ووقع تحته بئسما فعلت .

ووجه الى المأمون رجل ، وقيل سابق الحاج فتباطأ الرجل فنقط تحته وجعله سائق الحاج .

وكتب أبوتمام رقعة الى عبد الملك بن صالح وعليها : حبيت ، وجعله جنيت .

وهجا أبو نواس أبان اللاحقى فقال :

صحفت أمك إذ سمتـك فى المهد أبانا قد علمنـــا ما أرادت لم ترد إلا أتانا

وقال المتنبى :

جرى الخلف إلا فيـــك انـــك واحد وانـــك ليـــث والملـــوك ذئاب

وانـــك لو قويســـت صحف قارىء ذئابـــا ولـــم يخطـــىء فقـــال ذباب

وقال آخر يهجو :

رأى الصـــيف مكتوبـــا فظـــن بأنه لتصحيفـــه ضيف فقـــام يواثبه

* * *

أسباب وقوع التصحيف

قال أبو تراب : وفى كتاب العبارة (بارى أرميناس) لأرسطو طاليس قال : كل كتابة تتشابه صور حروفها فهى على شرف تولد السهو والغلط والخطأ فيها . لأن مافى الخط دليل على مافى القول . وما فى القول دليل على مافى الفكر . ومافى الفكر دليل على مافى ذوات الأشياء .

وزعم بعض الفلاسفة : إن كتابات الأمم إنما اختلفت كما اختلفت لغاتهم . فأما المعين الواصل إلى الفكر فواحد لايتغير . وصورة حروف الهجاء إنما هى علامات تحمل الدلالات . والعلامات كلما كانت أشهر صارت دلالاتها أوضح . وإذا جاءت الدلالات أوضح كان الشك فيها أبعد . والفهم إليها أسرع .

قال حمزة الأصبهانى فى كتاب التنبيه ص ٢٧ : وأما سبب وقوع التصحيف فى كتابة العرب فهو أن الذى أبدع صور حروفها لم يضعها على حكمة ، ولا احتاط لمن يجىء بعده . ذلك أنه وضع لخمسة أحرف صورة واحدة وهى : الباء ، التاء ، الثاء ، الياء ، والنون . وكان وجه الحكمة فيه أن يضع لكل حرف صورة مباينة للأخرى حتى يؤمن عليه التبديل .

* * *

معنى التصحيفات

وأما قولهم : صحف فلان مارواه ، وجاء بالمصحّف فقد أجاب أهل المعانى فى معناه فقالوا : التصحيف هو أن يقرأ الشيء بخلاف ما أراد كاتبه . وعلى غير ما اصطلح عليه فى تسميته ، وأما لفظ التصحيف فان أصله أن قوماً أخذوا العلم عن الصحف من غير أن لقوا فيه العلماء . فكان يقع فيا يروونه التغيير فيقال عندها : قد صحفوا فيه أى رووه عن الصحف . ومصدره التصحيف ومفعوله مصحّف . فأما المُصْحَفُ فمأخوذ من قولهم : أَصْحَفَ إصحافاً ، وأصله أن الصحف جمعت فيه . فقيل : قد أُصْحِف ، ولو سمى التصحيف تغييراً أو تبديلاً جاز .

ونقل السيوطى فى المزهر فى أصول اللغة جـ[٢] ص ١٨١ عن المعرّى قال : أصل التصحيف أن يأخذ الرجل اللفظ من قراءته فى صحيفة ولم يكن سمعه فيغيره عن الصواب .

وفى لسان العرب : التصحيف الخطأ فى الصحيفة . والمصّحِف والصَّحفى الذى يروى الخطأ عن قراءة الصحف بأشباه الحروف . وهذه لغة مولدة .

وفى أساس البلاغة : الصَّحفى والصحّاف هو اللحّانة المصحف .

قال ابو تراب : والناس يقولون : صُحُفِيّ وهو خطأ نبه عليه فى القاموس ذلك لأنه نسبة إلى فعيلة كما نص عليه ابن مالك .

ويجوز فى المصحف ضم الميم وكسرها نص عليه فى اللسان قال أبوعبيد : تميم تكسرها ، وقيس تضمها ، ولم يذكر من يفتحها ، ولا أنها تفتح إنما ذلك عن اللحيانى عن الكسائى .

والمصحف هو الجامع للصحف المكتوبة بين الدفتين كأنه أُصْحِفَ قال الأزهرى فى تهذيب اللغة : معناه أنه جعل جامعاً للصحف المكتوبة .

قال الفراء :

استثقلت العرب الضمة فى حروف فكسرت الميم وأصلها الضم . فمن ضم جاء به على الأصل . ومن كسر فلاستثقاله الضمة . وكذلك قالوا فى المُغْزَل مِغْزلاً والأصل مُغْزَل من أُغْزِل أى أدير وفُتِل . وكذلك المِخْدَع وأصله المُخْدَع والمِطْرَف وأصله المُطْرَف . قال الجوهرى فى الصحاح : وهو الذى جعل فى طرفيه علمان .

* * *

صُوَر الحروف

وذكر حمزة الاصبهانى قال : فقد بان لمن عقل وأنصف فى نفسه أن اعتراض التصحيف فى هذه الكتابة مع ماجلب إليها من الزيادة فى البيان من النقط والاعجام ليس الاّ من ضعف الأساس .

قالوا : والتصحيف ربما عرض فى الكلمة على مثالين وثلاثة وأكثر . وربما لم يعرض فيها بتة . فأما مالايعرض فيه بتة فمثل : (طمع) فانه لاتصحيف له الاّ أن يوصل بغيره ، وأما مايعرض على مثالين فمثل : (الوعد) والوغد .

وأما مايعرض على ثلاثة أمثلة . فمثل (الضخم) و (الصحم) للاحمرار فى السواد . و (الضَّجَم) لميلان الشدق . فأمّا الاسم الثلاثى إذا كانت حروفه كلها من المتشابه فانها تصحف على أكثر من ثلاثين مثالا مثل : بنت ونبت وبيت وثيب وثبت وتبت ويثب ونبث .... الخ فاذا اتفق على الاسم الثلاثى أن يكون أحد حروفه السين تصحف على نحو مئتى مثال فاما إن كان قبل الخمس السنات أو بعدها حرف معنى فان ذلك يكون منه فنون كثيرة مثل : حسبت ، عسيت ، خنست ، ولو خشيت فانه تصحيف لوح شيث ومثلها نسخ وسيف وغير ذلك .

فاذا تصحفت لفظة واحدة على أكثر من مئتى وجه فقد بان أن واضع الهجاء لم يحكم وضعه . ويكون الاحتراس من التصحيف لايدرك إلاّ بمعرفة اللغة ، وعلم مقدمات الكلام ومعرفة مايصلح أن يأتى بعدها مما يشاكلها وماتستحيل مصاقبته لها ولو رام إنسان من أهل الزمان أن يضع كتابة سليمة من التصحيف جامعة لكل الحروف التى تشتمل على جميع اللغات لزمه أن يضع أربعين صورة لأربعين حرفلًا

قال ابو تراب : كان هذا التخمين فى زمن سابق . فأما اليوم فربما احتيج إلى أكثر من هذه الحروف . وفى زمننا قد نودى فى المجامع اللغوية الى ذلك ووضع شيئاً من هذا أحمد تيمور وطه حسين . ولم يستجب لهما . والحروف الأربعون ذكرها الأصبهانى فى كتابه ويقال إن جابر بن حيان أشار الى هذا المعنى .

بيت يقرأ على أكثر من ٤٠,٠٠٠ وجه

وفى كتاب بدائع الفوائد لابن القيم ج٣ ص٢٤٤ بيت للمقرى يقرأ على أربعين ألف وجه وثلاثمئة وعشرين وجهاً وذكره أحمد تيمور فى المختارات ص١٨٣ وفيها ما هو أدهش من هذا وقد ألممت بذلك فى كتاب الموزون والمخزون ، مع ذكر الكيفية وذكر أحمد تيمور بيتين يمكن استخراج سبعمئة ألف وخمسة وعشرين ألفاً وسبعمئة وستين صورة منهما وذكر بعض العلماء ان هذه الصور تصل الى آلاف عديدة من الكلمات تتولد من الاحتمالات وجهة التقبل للوجوه .

قال أبو تراب : أما الاقتراح الذى اقترحه حمزة الأصبهانى لوضع الكتابة السليمة من الأخطاء بزيادة حروف تستوعب اللغات وعدها أربعون حرفا ذكرها فى التنبيه فيقـول المستشرق باول كراوس فى مجلة الثقافة العدد ٢٢٣ ص ١٦ ورد هذا المعنى فى احدى رسائل جابر بن حيان اذ يقول : ولو جعل مكان كل واحد من تلك الأشباه ـ أى أشباه الحروف ـ مثال غير المثال المشابه لأمن الناس من تصحيف الكلام والغلط . فهذا مما قصر فيه ناظمه . وهو ممكن فى الطبيعة والقوة معا . ولعل خلقا من الناس يقدرون أن ذلك ممتنع ان يكون

قال ابو تراب : وقد جاء هذا فى مختار رسائل جابر بن حيان ص ٩ وما أبعد هذا الرأى من قول اخوان الصفا ج ٣ ص ١٤٠ وج ٢ ص ٤٠٦ من أن واضع الخط العربى اقتفى فى وضعه حكمة البارئ تعالى .

وقال بعض فلاسفة الاسلام : أن من وضع الكتابة العربية لم ينتبه الى مايدخل اللبس على الأسماء المتشابهة الحروف فترك الناس مضطرين الى طلب الاحتيال فى التماس العلامات لها . وهم مع ذلك يستدلون على تبين مايقرؤون بما قبله ومابعده نحو : (يا أيها الرجل المرحى) ينظر الى مابعده فان كان : مطيته فهو : المزجى ، وان كان عمامته فهو المرخى وإن كان همه فهو المرجى .

وقد يعين وزن الشعر على مايعرض للاشعار من هذا النحو والتصحيف الذى لايعاب قائله به ، ويعتل للأئمة عليه مالم تفسد قاعدة الكلام به ولا يجد المعترض فيه مقالا مثل :

مازال وقــع سيوفنــا ورماحنا   فى كل يوم تحايــل ورجام

فانه لو رواه راو (وزحام) لما لحقه بأس .

وكذلك كل ماجرى هذا المجرى من اسماء من لم يشتهر برئاسة ولا سيادة . ولكن فى اسماء الناس مايقع فيه اللبس حتى لايحيط بمعرفة الصحيح منه الا علماء النسب نحو عيلان وغيلان وبشار ويسار ورباب وزيات وزياد وزناد وغيرها .

كما صحف العلماء اسم الشاعر الذى ذكره امرؤ القيس فى قوله :

عوجــا على الــطلل المحيــل لعلنا   نبــكى الديــار كما بكى ابــن حذام

رواه الأصمعى خذام ورواه أبو عبيدة جذام ورواه آخر حزام .

* * *

تقريظ الخط العربي

ونذكر هنا فقرا من حكم البلغاء وبدائع الشعراء فى تقريظ الخط العربى يزول بها عن النفوس ذات الفضائل مايداخلها من الضجر ببشاعة التصحيف ، ثم نتبع ذلك بتصحيح الأخطاء الشائعة على ألسنة الكتاب وأقلامهم وبالله التوفيق .

قال يحيى بن خالد البرمكى مؤدب هارون الرشيد : الخط صورة روحها البيان ويدها السرعة وقدمها التسوية . وجوارحها معرفة الفصول ، وقال جعفر بن يحيى صاحب هارون الرشيد ووزيره : الخط سمط الحكمة به تفصل شذورها . وينتظم منثورها .

وقال الكاتب الأديب المشهور سهل بن هارون الملقب ببزرجمهر الاسلام لحكمته وأدبه وقد نظر إلى خطين : هذا وشى محبوك ، وهذا ذهب مسبوك . وقال خالد بن يزيد الكاتب البغدادى : الخط حلى العقول .

وقال أبو دلف العجلى أمير الكرخ وقائد المأمون : الخط صيغة الكلام ، والقلم صائغه ، يفرع به ما أصله العلم .

وقال أمير خراسان والشام ومصر عبد الله بن طاهر الخزاعى أحد رجال المأمون من الكبار الشجعان العلماء : حسن الخط يناضل عن صاحبه . بوضوح الحجة ، ويمكن من درك البغية .

وقال مسلم بن الوليد الشاعر العباسى الملقب بصريع الغوانى : الخط هو المقيد على الباقين حكم الماضين . والمخاطب للعيون بسرائر القلوب على لغات مختلفة . فى معان مقصودة ، بحروف معلومة . من ألف وباء وجيم متباينات الصور مختلفات الجهات . لقاحها التفكير ، ونتاجها التأليف . تخرس منفردة ، وتنطق مزدوجة . بلا أصوات مسموعة ، ولا ألسن مشحوذة ــ وهذا الوصف نقله عنه القلقشندى فى صبح الأعشى ج ٣ صـ ٦ .

وقال اقليدس من كبار قدماء فلاسفة اليونان : الخط هندسة روحانية ، وإن ظهرت بآلة جسمانية . وهذا المعنى أخذه النظام امام المعتزلة فقال : الخط أصيل فى الروح وأن ظهر بحواس الجسد .

وقال أرسطاطاليس : الخط العلة الصورية ، والقلم العلة الآلية ، والمداد العلة الهيولانية . والكاتب العلة الفاعلية ، والبلاغة العلة التامية . وهذا النعت نقله عنه الصولى فى أدب الكتاب صـ ٤٥ والقلقشندى جـ ٢ صـ ٤٣٨ .

وقال أفلاطون : عقول الرجال ظاهرة على خطوطها ، كما أن خطوطها باطنة تحت سن أقلامها

وقال جالينوس : الكتاب كلام ميت يتناوله قارئه كيف يشاء والخطابة كلام حى يمكن صاحبه ان يبصره حتى يبلغ منه غرضه . وفى نعت ذلك قال الحسن بن وهب وهو أحد كبار الكتاب والشعراء . وكان معاصرا لأبى تمام وله معه أخبار وقد رثاه البحترى وأثنى عليه :

قد راقنى كتابك ، وآنقنى ماضمنته من وشى بنانك وأودعته من نسج أقلامك ، ونمقته من طرائف خطوطك ، وبدائع حروفك ، ونمنمته فيه من عجائب سطورك وغرائب فصولك ، التى هى أحسن من الخيلان فى خدود الحسان ، وأبهج من العقائص فى فروع الأوانس ، وأبهى من نقوش الخضاب فى أطراف الغانية الكعاب وأزهر من اللؤلؤ والمرجان فى سموط شكلات القيان ، وأملح من نظم العقود فى جيب المغناج الخود . وأنور من القلائد فى لبات الخرائد وأزين من الدرر والزبرجد ، فى صدور النواعم الخرد .

فسبحان من أجرى أناملك اللطيفة على تقليب أقلامك المرهفة . فى متون القراطيس . وبطون الكراريس بحافات كأنها ألسن الحيات حتى أطاعتك ، ولعبت لك فى الحروف بالمد المستقيم ، والمعقف المستدير ، وحسن الخط والتسطير ، والتعليق والتفليق ، فى الجليل الأنيق ، والمليح الدقيق . من المرصف المدرع . فى أسرع من لمح الطارف ، ولمع البارق الخاطف ، فى أتم التمام وأحسن النظام ، وأكمل الكمال وأجمل الجمال . لا بالمختل المعوج . ولا بالناقص المغنج ، بحروف مقومة مملحة ، وعيون مبينة مفتحة . تلوح فى يقق البياض . كطرائف الأنوار فى الرياض ـ قلت : اليقق البياض الناصع .

وفى كتاب أدب الكتاب للصولى ص ٥٠ :

إذا ما تخللّ قرطاسه وساوره القلم الأرقش
تضمن من خطه حلة كنقش الدنانير بل أنقش
حروفاً تعيد لعين الكليل نشاطا ويقرأها الأخفش

ومن لطيف ما جاء فى ذلك قول أحمد بن إسماعيل :

أضحكت قرطاسك عن جنة أشجارها من حكم مثمرة
مسودة سطحاً ومبيضة أرضاً كمثل الليلة المقمرة

وفى نهاية الأرب للنويرى جـ ٧ ص ١٧ للشاعر كشاجم ونسبه حمزة الأصبهانى فى التنبيه ص ٤٨ الى نطاحة :

واذا نمنمت بنانك خطا معرباً عن إصابة وسداد
عجب الناس من بياض معان تجتنى من سواد ذاك المداد

وقال أحمد بن اسماعيل الملقب بنطاحة :

مستودع قرطاسه حكما كالروض زين نبته زهره
وكأن أحرف خطه شجر والشكل فى أضعافها ثمره

وقال ابن الرومى يصف كتابا :

متنطق من جلده متخشم فى خصره
أبداً تراه وصدره فى بطنه أو ظهره

ذكرها الصولى فى أدب الكتاب ص ٤٨ .

وقال ابن المعتز الخليفة الشاعر الأديب ابن المتوكل:

فدونكه موشى نمنمته وحاكته الأنامل أى حوك
بشكل يؤمن الإشكال فيه كأن سطوره أغصان شوك

وقال على بن الجهم :

يا رقعة جاءتك مثنية كأنها خد على خد
بند سواد فى بياض كما ذر فتيت المسك فى ورد

ساهمة الأسطر مصروفة ... عن ملح الهزل الى الجد
يا كاتبا أسلمني عَبْثه ... إليه حسبي منه ما عندى

وقال أبو تمام يستدعى كتاب صديق له :

أجل القذى عن مقلتى بأسطر ... يكشفن من كربات بالٍ بالى
سود يبيضن الوجوه بمصطفى ... تلك النوادر منك والأمثال
واحثث أناملك السوابق بينها ... حتى تجول هناك أىَّ مجال
فى بطن قرطاس أنيق ضمنت ... أحشاؤه غرر الكلام الغالى

ولأبى تمام فى هذا الصدد شعر جيد كثير .

* * *

وصف القلم

أما من وصف القلم فقد قال عمرو بن مسعدة وزير المأمون وأحد بلغاء الكتاب : « الأقلام مطايا الفطن » . وقال العتابى الكاتب البليغ : « ببكاء القلم يضحك الخط » وقال سهل بن هارون : « القلم أنف الضمير . إذا رعف أعلن أسراره . وأبان آثاره » . وقال الجاحظ : « الدواة منهل ، والقلم ماتح ، والكتاب عطن ، قال ابو تراب : العطن المقر . مأخوذ من معاطن الابل وهى مباركها . وقال عبد الحميد الكاتب أحد البارعين فى فن الكتابة : « القلم شجرة ثمرها الألفاظ ، والفكر بحر لؤلؤه الحكمة ، وقال ابن المقفع إمام البلغاء المترسلين : « القلم بريد القلب يخبر بالخبر . وينظر بلا نظر » . وقال أحمد بن أبى دؤاد أحد القضاة الكبار : « القلم سفير العقل ، ورسول الفكر ، وترجمان الذهن »
وفى أدب الكتاب للصولى ص ٤٦ لشاعر يصف كتاباً :

إنــى رأيــت بخطـــه ... حسنـا يصيـد به العقـولا
كمنمنـم للـوشى قــد ... سحـب القيـان به ذيـولا
أو كالريــاض بكى الحيــا ... فيهــا فأوسعهــا همـولا

● الحيا السحاب والهمول نزول المطر بغزارة .

فتضاحــكت ضحــك الخليــ ... لة حــين أبصرت الخليــلا

● يعنى بتضاحك الرياض تفتّح الزهرات فيها .

وتــراه للمعنــى اللطيــف ... متــى أشرت به قبـولا
لا مستعيــداً منــك إذ ... تملى عليــه ولا ملولا
عرف المبــادىء والوصـو ... ل من الخطابــة والفصولا
والهمــز والممــدود والمقصــ ... ـور والمثـل المقـولا
وصنــوف ترتيــب الــد ... عاء وأن يقصر أو يطيــلا

والكلام فى هذا الضرب كثير ونقتصر على هذا مستعينين بالله على ما يأتى :

وجوه الأخطاء في تصاريف الصيغ ومعانيها

قال أبو تراب : والخطأ لا يقتصر على تصاريف الصيغ أو وجوه الاستعمال أو أحكام الاعراب وإنما قد يقع فى التفسير اللغوى ما يند فيه الفهم عن جادة الصواب ونضرب مثلا لذلك بالجاحظ حين فسر فى كتاب البيان والتبيين جـ ١ ص ١٤٧ قول مالك بن اسماء :

وحديث ألذه هو مما يشتهي الناعتون يوزن وزنا
منطق صائب وتلحن أحيا ناً وأحلى الحديث ما كان لحنا

قال الجاحظ هذا الشعر لمالك بن أسماء الفزارى يقوله فى استملاح اللحن فى الكلام من الجوارى وهذا من أوهام أبى عثمان الجاحظ المعدودة فقد ذكر أبو الفرج فى الأغانى جـ ١٦ ص ٤٣ عن على بن المنجم قال : قلت للجاحظ : إنى قرأت فى فصل من كتابك المسمى كتاب البيان قولك : إن مما يستحسن من النساء اللحن فى الكلام . وانشدت بيتى مالك بن أسماء ؟ فقال الجاحظ : هو كذلك . فقلت : أما سمعت بخبر هند بنت أسماء مع الحجاج حين لحنت فى كلامها فعاب ذلك فاحتجت ببيتى أخيها مالك بن اسماء فقال لها الحجاج : إنما أراد أخوك أن المرأة فطنة فهى تلحن بالكلام الى غير المعنى فى الظاهر. لتورّى عنه ويفهمه من أرادت بالتعريض . كما قال الله تعالى : « ولتعرفنهم فى لحن القول » . ولم يرد أخوك الخطأ فى الكلام . والخطأ لا يستحسن من أحد فوجم الجاحظ وقال : لو سقط إلىّ هذا الخبر ما قلت ما تقدم قال ابن المنجم فقلت له : أصلحه ؟ قال : الآن وقد سار الكتاب فى الآفاق !

قال ابو تراب : نقل أبو عبيد البكرى هذه الرواية فى اللآلىء فى شرح الأمالى ص ١٥ . وقال فى آخرها : « وإنما أراد مالك بن أسماء معنى قول القطامىّ :

يقتلننا بحديث ليس يعلمه من يتقين ولا مكنونه باد
فهن ينبذن من قول يصبن به مواقع الماء من ذى الغلة الصادى

وهو الذى ذهب اليه أبو الطيب فى قوله :

وإذا الفتى ألقى الكلام معرضاً   فى مجلس أخذ الكلام اللَّذْعَنَى

ومرَّ عمر بن الخطاب بقوم يتناضلون فقال لهم : انتسئوا ـ أى تأخروا ـ عن البيوت فان للنضال كلاماً لا يصلح أن يسمعه النساء . ورمى أحدهم فأخطأ فقال له عمر : أخطأت . فقال : يا أمير المؤمنين نحن (متعلمين) يعنى نحن متعلمون . فقال : والله لخطؤك فى الكلام أشد علىّ من خطئك فى النضال . احفظوا القرآن وتفقهوا فى الدين . وتعلموا اللحن . هكذا رواه المطرز فى كتاب اليواقيت .

قال ابو تراب : معناه تعلموا لغة العرب باعرابها كما ذكر ابن الأثير فى النهاية . وقال الأزهرى : معناه تعلموا لغة العرب فى القرآن . واعرفوا معانيه كقوله تعالى : « ولتعرفنهم فى لحن القول » أى معناه وفحواه . واللحن اللغة والنحو واللحن أيضا الخطأ فى الاعراب فهو من الأضداد . قال الخطابى : كان ابن الأعرابى يقول : اللحن بالسكون الفطنة والخطأ سواء . وعامّة أهل اللغة فى هذا على خلافه قالوا : الفطنة بالفتح والخطأ بالسكون ـ أى فرقوا بين اللَّحَنِ واللَّحْنِ ـ وقال ابن الأعرابى : واللَّحَن أيضا بالتحريك اللغة . وقد روى أن القرآن نزل بلحن قريش أى بلغتهم ، وفسر الزمخشرى قول عمر المتقدم بمعنى تعلموا الغريب واللَّحن لأن فى ذلك علم غريب القرآن ومعانيه ومعانى الحديث ومن لم يعرفه لم يعرف أكثر كتاب الله ومعانيه ولم يعرف أكثر السنن .

قال ابو تراب : وفسر المرزبانى جـ ١ ص ١١ قول مالك بن اسماء بمثل تفسير ابن المنجم وقد تبع القتبى الجاحظ فى العيون جـ ٢ ص ١٦١ ونقل عن ابن دريد أيضا مثله وقد تردد كلامه فى الملاحن ص ٦ بين المعنيين وأنظر السهيلى جـ ٢ ص ١٩٠ والأدباء جـ ٦ ص ٦٥ والمرتضى جـ ١ ص ١٢ والتصحيف ص ٥٣ . وقد انتصر أبو حيان التوحيدى لهذا القول الذى اعترف الجاحظ بخطئه فيه فقال : وعندى أن المسألة محتملة للكلام لان مقابل المنطق الصائب المنطق الملحون . واللحن من الفتيات والغوانى غير منكر ولا مكروه . قال الراجكوتى :

لعمرى انه اصاب غير انها ان كانت فى الأنصارية فانها عربية لا تلحن . وذكر المرتضى خبر لحن اسماء بنت خارجة عند الحجاج وأنه قال لها : أتلحنين وأنت شريفة وفى بيت قيس فاستشهدت بقول اخيها لامرأته حبيبة بنت ابى جندب الانصارية فقال

الحجاج : انما عنى اخوك اللحن فى القول ـ ولم يعن اللحن فى العربية فأصلحى لسانك .
قال الراجكوتى : والذى عرفته العربية بسليقتها احسن مما فهمه الحجاج بعلمه .

وقال ابن الانبارى فى الاضداد : ان اللحن هو الصواب ثم نقل عن ابن قتيبة انه استملح منها الخطأ ثم قال : وقوله عندنا محال لأن العرب لم تزل تستقبح اللحن من النساء كما تستقبحه من الرجال ثم عضده بشواهد فى طيب حديث الصواحب ، وهو باب لا يختص بالصائب من الكلام بل يشاركه فيه الخطأ . وانما طيب احاديثهن من الخلابة والمواعيد والتأنيث

وذكر فى اللسان ايضا : انها تخطىء فى الاعراب وذلك انه يستملح منها اذا كان خفيفا ويستثقل منهن لزوم حاق الاعراب . وفى كتاب ابى احمد العسكرى ص ٩١ عن ابن دريد انه اخطأ فى تفسير بيت مالك بن اسماء فقال يستظرف من الجارية ان تكون غير فصيحة وان يعترى منطقها اللحن وهذا خطأ وانما اراد انها تورى عن الشىء من فطنتها وذكائها . وعن ابن المنجم قال قلت للجاحظ مثلك فى علمك ومقدارك يفسره كذا . قال : قد فطنت بعد وكيف لى بما سارت به الركبان .

* * *

مجازات اللغة

قال أبو تراب : ومن المجاز قول العرب : قدح لاحن اى ليس بصافى الصوت عند الافاضة . وقوس لاحنة عند الانباض . وسهم لاحن عند التنفير . واذا صفاصوته قيل : سهم معرب . قال ذو الرمة : (فى لحنه عن لغات العرب تعجيم) . قال ابن رشيق فى العمدة : العرب كثيرا ما تستعمل المجاز وتعده من مفاخر كلامها . فانه دليل الفصاحة . ورأس البلاغة . وبه بانت لغتها عن سائر اللغات .

ومعنى المجاز طريق القول ومأخذه . وهو مصدر (جزت مجازا) كما تقول : « قمت مقاما . وقلت مقالا » ذكره الحاتمى .

ومن كلام ابن قتيبة فى المجاز قال : لو كان المجاز كذبا لكان اكثر كلامنا باطلا لانا نقول : « نبت البقل ، وطالت الشجرة ، واينعت الثمرة ، واقام الجبل ورخص السعر » . ونقول : « كان هذا الفعل منك فى وقت كذا ، والفعل لم يكن وانما يكون . وقال فى قول الله عز وجل « فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه » . ولو قلنا لمنكر هذا كيف نقول فى جدار رأيته على شفا انهيار ؟ لم يجد بدا من ان يقول : يهم ان ينقض أو يكاد أو يقارب . فان فعل فقد جعله فاعلا ولا أحسبه يصل الى هذا المعنى فى شيء من ألسنة العجم الا بمثل هذه الالفاظ .

والمجاز فى كثير من الكلام ابلغ من الحقيقة ، وأحسن موقعا فى القلوب والأسماع وما عدا الحقائق من جميع الالفاظ ثم لم يكن محالا محضتا فهو مجاز . لا حتماله وجود التأويل . فصار التشبيه والاستعارة وغيرهما من محاسن الكلام داخلة تحت المجاز ، الا انهم خصوا به اعنى اسم المجاز . بابا بعينه . وذلك ان يسمى الشيء باسم ما قاربه او كان منه بسببه كما قال جرير بن عطية الخطفى :

اذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وان كانوا غضابا

أراد المطر لقربه من السماء ، ويجوز ان تريد بالسماء السحاب . لان كل ما أظلك فهو

سماء . وقال : نزل السماء او سقط يريد سقوط المطر الذى فى السحاب . وقال : رعيناه والمطر لا يرعى ، ولكن اراد النبت الذى يكون عنه فهذا كله مجاز . وكذلك قول العتابى :

ياليلـــة لى بجوّاريـــن ساهرة حتـــى تكلـــم فى الصبـــح العصافير

فجعل الليلة ساهرة على المجاز ، وانما يسهر فيها . وجعل للعصافير كلاما ، ولا كلام لها على الحقيقة .

قال ابو تراب : هكذا قال ، وآخرون على أن لها منطقا لا نفقهه ومن يشأ الله يفقهه فهو على الحقيقة قال :

ومثله قول الله عز وجل اخبارا عن سليمان عليه السلام « يا أيها الناس علمنا منطق الطير » وانما الحيوان الناطق الانس والجن والملائكة ، فأما الطير فلا . ولكنه مجاز مليح واتساع . وهو اكثر من ان يحصره احد .

ومثله فى كتاب الله عز وجل كثير من ذلك قوله تعالى : « واسأل القرية » ومثله : « وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهـم » يعنـى حبـه ، ومنـه قولـه تعـالى « والله خـير الماكرين » . وانما سمى ذلك مكراً لكونه مجازاة عن مكر ـ وكذلك قوله تعالى : « فبشرهم بعذاب أليم » والعذاب لا يبشر به . وانما هو انه مكان البشارة .

ومن هذا الباب قول الفرزدق :

والشيـــب ينهض فى الشبـــاب كأنه ليـــل يصيـــح بجانبيـــه نهار

وقال ابن السكيت فى اصلاح المنطق :

العرب تقول بأرض بنى فلان قد صاح شجر اذا طال ـ قال ابن قتيبة : لما تبين الشجر بطوله ودل على نفسه جعله كأنه صائح لان الصائح يدل على نفسه بصوته ، ويقال : نبات واعد اذا أقبل كأنه قد وعد بالتام . وكذلك اذا نور ايضا قيل : قد وعد . ومن المجاز عندهم قول الشاعر ابن زيدون :

« اذ العيش غض والزمان غلام » وهو يريد نفسه ليس الزمان . قال ابن رشيق : ولا ارى ذلك مستقيما . بل الصواب عندى ان يبقى الكلام على ظاهره مجازا لانا نجد فى هذا النوع ما لاينساغ فيه التأويل كقول بعضهم :

سألتنـــى عن أنـــاس هلكوا شرب الدهـــر عليهـــم وأكل

فليس معناه : شربت وأكلت عليهم . لانه انما يعنى بعد العهد لا السلو وقلة الوفاء .
وقال ابو الطيب :

أفنـــت مودتهـــا الليـــالى بعدنا ومشى عليهـــا الدهـــر وهـــو مقيد

فانما اراد الدهر حقيقة ، وقال الصنوبرى :

كان عيشى بهـــم انيقـــا فولىّ وزمانـــى فيهـــم غلامـــا فشاخا

فليس مراده انه كان غلاما فشاخ . ولكل موضع ما يليق به من الكلام .

قال ابو تراب : وللباقلانى والجرجانى وغيرهما كتب فى المجاز القرآنى ولابن تيمية فيه كلام فى الفتاوى ليس هذا موضع ذكره .

* * *

لحن بشر المريسى

قال أبو تراب : ولم يكن الجاحظ رد عليه فى تفسير اللحن فحسب بل وقع له مع بشر المريسى ما ذكره الزجاجى فى كتاب مجالس العلماء ص٧٣ عن أبى عثمان المازنى قال : قال لى الجاحظ : رأيت المريسى وقد سئل عن رجل فقال : هو على أحسن حال وأهيؤها ـ وفى البيان والتبيين للجاحظ ج ٢ ص ٢١٣ هو على احسن حال وأهنؤها ـ قال : فقلت لاصحابه لحن المريسى . فقالوا لى : اترى اننا نبطل قول المريسى ونقبل منك ؟ فذهبوا فسألوا ثمامة فقالوا : ان المريسى سئل عن رجل فقال : هو على أحسن حال وأهيؤها ـ فقال الجاحظ : لحن . فقال ثمامة . أخطأ الجاحظ . الجاحظ أحمق . هذا يجوز على قوله :

ان سليمــى والله يكلؤها ضنــت بشىء ما كان يرزؤها

قال ابو تراب : هذا البيت منسوب فى تاريخ بغداد للخطيب جـ ٧ ص ٥٧ وشواهد المغنى الى ابن هرمة وبشر بن غياث المريسى الكوفى هو الذى كانت بينه وبين الامام الشافعى مناظرات . وكان يلحن لحنا فاحشا لعدم معرفته بالنحو . وقال الجاحظ . فى البيان والتبيين : انه قال قضى الله لكم الحوائج على أحسن الوجوه وأهنؤها فقال قاسم التمار هذا على قوله (ان سليمى والله يكلؤها) وصار احتجاج قاسم أطيب من لحن بشر .

وفى تاريخ بغداد : ان الناس ضحكوا من لحن بشر المريسى فقال التمار : ما هو الا صوابا . واحتج بقول ابن هرمة فشغل الناس بتفسير القاسم عن لحن المريسى .

قال ابو تراب : المريسى نسبة الى قرية بمصر يقال لها مريسة بكسر الميم وتشديد الراء . هكذا ضبطها صاحب القاموس . وذكر ياقوت فى معجم البلدان : انها بفتح الميم وتشديد الراء . وضبطها صاحب اللسان والسمعانى فى الانساب بفتح الميم وتخفيف الراء .

وابن هرمة الشاعر اسمه ابراهيم ترجم عنه ابو الفرج وأبو عبيد البكرى فى شرح أمالى القالى والبغدادى فى الخزانة وابن قتيبة فى الشعراء وهو من الخُلُج والخُلُج من قيس عيلان . ويقال : انهم من قريش فسمو الخُلُج لانهم اختلجوا منهم ، او لانهم نزلوا بالمدينة على خُلُج جمع خليج . وكان ابراهيم بن هرمة من ساقة الشعراء . قال الأصمعى : ساقة

الشعراء ـ يعنى متأخريهم ـ ابن ميادة وابن هرمة ورؤبة وحكم الخضرى ، ومكين العذرى وقد رأيتهم أجمعين .

وفى الخزانة : ابن هرمة آخر الشعراء الذين يحتج بشعرهم . ولما ولى ابو جعفر شخص اليه ابن هرمة وامتدحه . فاستحسن شعره . ومما يستجاد من شعره قوله :

قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه خلق وجيب قميصه مرقوع
عجبت اثيلة ان رأتنى مخلقا ثكلتك أمك أى ذاك يروع
اما ترينى شاحبا متبذلا كالسيف يخلق جفنه فيضيع
فلرب ليلة لذة قد بتها وحرامها بحلالها مدفوع

ـ المخلق هو ذو الثياب البالية وأخلق اى بلى وأثيلة اسم امرأته والجفن غمد السيف ـ ويستجاد له قوله فى كلب الحراسة .

يكاد اذا ما أبصر الضيف مقبلا يكلمه من حبه وهو أعجم

وأنشد له ابو على القالى فى الامالى جـ ١ ص ١٤٨ قوله :

خير الرجال المرهقون كما خير تلاع البلاد أكلؤها

وفى شرحها ص ٣٩٨ لابى عبيد انه قال على الصواب :

مرتع ذودى من البلاد اذا ما شاع جدب البلاد أكلؤها

ـ الذود جماعة الابل ـ وبعده :

يكن ضيفى اذا تأوبنى أوسع أبياتنا وأدفؤها
خير الرجال المرهقون كما خير تلاع البلاد أوطؤها

ـ تأوبنى أى اتانى ليلا مشتق من الأوب والتلاع جمع تلعة وهى مسايل الماء والبيت يجمع على بيوت وأبيات والجمع الثانى غلب على الشعر. قال البكرى : وابن هرمة من متقدمى الشعراء وممن ادرك الدولتين الأموية والهاشمية يكنى ابا اسحق . وذكر الراجكوتى : انه ابراهيم بن عبد الله . وفى تاج العروس : ان هذه الابيات قالها ابن هرمة وقد قيل له : ان قريشا لا تهمز ، فقال : لأقولن قصيدة أهمزها كلها بلسان قريش . والبيت الذى اختلف فيه الجاحظ وبشر المريسى هو من شواهد المغنى وهو مطلع قصيدته

الهمزية . وقد ذكر السيوطى فى شرح الشواهد ص ٢٧٩ أبياتا بعده منها :

وعودتنـــى فيما تعودنى أظماء ورد ما كنـــت اجزؤها

ـ الاظماء جمع ظمأ ، وأجزؤها أى اجتزىء فيها كما تجتزىء الظباء بأكل الرطب من الكلأ عن الماء اياما فلا تشرب ماء أو المعنى انها تصله مرة وتقطعه اخرى .

* * *

نشطته شعوب

قال أبو تراب : ومن المجازات العربية قولهم : (نشطته شعوب) أى نزعته المنية وشعوب اسم المنية غير منصرف للعلمية والتأنيث . ونشطها هو نزعها من نشط الدلو من البئر اذا نزعها وجذبها صعدا بغير قامة اى بلا بكرة .

وقد فسر الزجاج : « والناشطات نشطا » بأنها الملائكة تنشط الارواح نشطا أى تنتزعها نزعا كما تنزع الدلو من البئر . وفى الاساس : بئر نشوط : تحتاج الى نشط كثير لبعد قعرها . ومن المجاز : طريق ناشط ينشط من الطريق الاعظم اى يخرج . ويقال : نشط بهم طريق فأخذوه ، ونشطته الحية عضته بنابها ، وتقول : رب نقطة بسن قلم . شر من نشطة بناب ارقم .

وذكر ابن فارس فى المقاييس : ان النون والشين والطاء أصل صحيح يدل على اهتزاز وحركة . منه النشاط المعروف ونشطت للشىء قشرته كأنه لما قشر اخرج من جلده وقال قوم : الانشاط الحل والتنشيط العقد . وفى الكشاف فى : « الناشطات نشطا » هى طوائف الملائكة التى تنزع الأرواح من الأجساد وتخرجها .

وروى الطبرى عن ابن مسعود : أنها الملائكة تنشط نفس المؤمن أى تسلها سلا رفيقا فتقبضها كما ينشط العقال من يد البعير . وخص النزع بنفس الكافر . والنشط بنفس المؤمن لان بينهما فرقا فالنزع جذب بشدة والنشط جذب برفق ذكره الخازن .

وعن ابن عباس هى نفوس المؤمنين تنشط للخروج عند الموت لما ترى من الكرامة ، وذلك لانه يعرض عليه مقعده من الجنة قبل ان يموت ، وعن على بن ابى طالب : انها ارواح الكفار تنشط بين الجلد والاظافر حتى تخرج من افواههم بالكرب والغم . وقيل : هى النجوم تنشط من افق الى افق اى تذهب . وقيل : هى خيل الغزاة لانها تخرج بسرعة الى ميدانها وقيل : هى السهام فى الرمى . وقيل : هى النفوس تجذب ، وسبب الخلاف فى هذا هو عدم ورود النص على المراد بالناشطات .

ومما أخذ على الجاحظ فى قولهم : (نشطته شعوب) ما ذكره ابو احمد العسكرى قال : حكى انه روى : نشطته الشعوب فعرفها بالالف واللام .

قال ابو تراب : ان تفسيره الذى اسلفناه فى اللحن كان موضع خلاف بين تخطئته وتصويبه فكذلك هذا ايضا .

قال ابن منظور : ان شعوب بمعنى المنية معرفة لا تنصرف ولا تدخلها الالف واللام وقيل : شعوب والشعوب كلتاهما المنية لانها تفرق .

اما قولهم فيها : (شعوب بغير لام والشعوب باللام فقد يمكن ان يكون فى الأصل صفة ، لانه من امثلة الصفات بمنزلة : قتول وضروب ، واذا كان كذلك فاللام فيه بمنزلتها فى : العباس والحسن والحارث ، ويؤكد ذلك عندهم انهم قالوا فى اشتقاقها : انها انما سميت شعوب لانها تشعب اى تفرق ، هذا المعنى يؤكد الوصفية فيها . وهذا اقوى من ان تجعل اللام زائدة .

ومن قال : (شعوب) بلا لام خلصت عنده اسما صريحا ، واعراها فى اللفظ عن مذهب الصفة فلذلك لم يلزمها اللام . كما فعل ذلك من قال : عباس وحارث الا ان روح الوصفية فيه على كل حال وإن لم تكن فيه لام .

الا ترى ان ابازيد حكى انهم يسمون الخبز جابر بن جبة . وانما سموه بذلك لانه يجبر الجائع . فقد ترى معنى الصفة فيه وان لم تدخله اللام ، ومن ذلك قولهم : واسط . قال سيبويه : سموه واسطا لانه من وسط بين العراق والبصرة فمعنى الصفة فيه وان لم يكن فى لفظه لام . ويحضرنى هنا قول الصريفى فى الملح :

وقائلـــة أراك بغـــير مال وأنـــت مهـــذب علـــم امام
فقلـــت لان لامـــا عكس مال ومـــا دخلـــت على الاعـــلام لام

ذكره فى البغية ص ١٠٨

وفى تاج العروس للزبيدى : شعوب اسم للمنية ذكره غير واحد بغير الف ولام كالشعوب معرفة وقد أنكره جماعة وعدّوه من اللحن وفى صحاح الجوهرى : الشعبة الفرقة تقول شعبتهم المنية أى فرقتهم ، ومنه سميت المنية شعوب . وهى معرفة لا تنصرف ولا يدخلها اللام .

ومن المحاورات : فلان اقصته شعوب اقصاصاً ـ اذا اشرف على الموت ثم نجا . وفى حديث طلحة : فمازلت واضعا رجلى على خده حتى ازرته شعوب اى المنية وازرته من الزيارة . قال نافع بن لقيط الاسدى .

ذهبــت شعــوب بأهلــه وبمــا له ان المنايــا للرجــال شعوب

وفى حديث عائشة تصف اباها : انه كان يرأب شعبنا اى يجمع متفرق امر الامة وكلمتها ، وقد يكون الشعب بمعنى الاصلاح فى غير هذا الباب فهو من الاضداد ومن حديث ابن عمر : شعب صغير من شعب كبير : اى صلاح قليل من فساد كبير.

ومما اخذ على الجاحظ ايضا انه قال : يقال ضبعة للانثى من الضباع .

قال ابو احمد : واصحابنا لا يعرفون ذلك ويضحكون ممن يقول : الضبعة العرجاء قلت : ومن عرف حجة على من لم يعرف .

* * *

اعراب "واصبر نفسك" الآية

قال أبو تراب : سألنى بعض الفضلاء ، وأنا أكتب هذه التعليقات عن اعراب قوله تعالى : « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا » . وقد قرأ فى تفسير ابن الجوزى : ان معنى قوله : « ولا تعد عيناك عنهم » اى لا تصرف . فما وجه الاعراب فى « عيناك » مرفوعا وهو معمول للفعل « ولا تعد »

فقلت : « عيناك » فاعل فارتفع من اجل ذلك ، وتعدو صيغة المؤنث للواحدة الغائبة من الفعل المتعدى ، دخلت عليها « لا » الناهية فحذفت واوها فبقيت « لاتعد » وأما قول ابن الجوزى ان معناه : لا تصرف فلعله عبر عن المضمون والفحوى ، والا لكان بعده : (عينيك) أو أن (لا تصرف) بناه على المجهول او انه لا تتصرف فحذفت احدى التاءين او هو لا تنصرف عنهم .

وراجعت الخازن والنسفى فاذا فيهما كما فى زاد المسير لابن الجوزى : (لا تعد عيناك عنهم) اى لا تصرف ولا تجاوز الى غيرهم . فلم يشفيا الغليل . ثم راجعت الكشاف جـ ٢ ص ٣٧٧ للزمخشرى فوجدت ان ما قلته حق . فأحببت ان أُسَطِّره هنا وبالله نتأيد .

قال الزمخشرى : معناه (لا تقتحمهم عيناك مجاوزتين الى غيرهم) فجعل « عيناك » فاعلا لقوله : « ولاتعد » وهذا هو سبب ارتفاعها .

ويؤيد ما ذهب اليه الزمخشرى ابو البقاء العكبرى فى كتاب اعراب القرآن جـ ٢ ص ١٠١ فقد قال : (ولاتعد عيناك) الجمهور على نسبة الفعل الى العينين ، وقرأ الحسن « ولاتُعَدّ عينيك » وقرأ ايضاً « ولا تُعْدِ عينيك » بالتشديد والتخفيف اى لا تصرفها .

قال ابو تراب : فالتفاسير التى فيها : ان معناه لا تصرف هو على هذه القراءة . او انه تعبير عن دلالة المضمون . او ان الصيغة مبنية على المجهول : « لاتصرف » وابعد من هذا ان يكون : لاتصرفك عيناك عنهم فيكون اصله لاتعدك . ومن الاحتمالات المتكلفة لا تتصرف ولا تنصرف ايضا .

ولم اجد قراءة التخفيف من باب « اعدى . يعدى . اعداء » : (لاتعد) ولا قراءة التشديد من باب « عدى يعدى تعدية » (لا تعد) فى القراءات العشر لابن الجزرى ، وانما ذكرها اهل العلم بالتفسير .

قال فى الكشاف : يقال : عداه اذا جاوز ومنه قولهم : (عدا طوره) وجاءنى القوم عدا زيد . وانما عدى بـ « عن » لتضمين (عدا) معنى(نبا)و(علا) فى قولك : نَبَتْ عنه عينه ، وعلت عنه عينه . اذا اقتحمته ولم تعلق به قال : فان قلت : أى غرض فى هذا التضمين ؟ وهلاّ قيل : « ولا تعدهم عيناك » أو لاتَعْلُ عيناك عنهم » قلت : الغرض فيه اعطاء مجموع معنيين وذلك أقوى من اعطاء معنىً فَذٍّ . الا ترى كيف رجع المعنى الى قولك : ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين الى غيرهم ، ونحوه قوله تعالى « ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم » أى : لا تضموها اليها آكلين لها .

قال : وقرىء « ولا تُعْد عينيك » و« لا تعدّ عينيك » من أعْداه وعداه نقلا بالهمزة وتثقيل الحشو . ومنه قوله : (فعَدّ عما ترى اذ لا ارتجاع له) لان معناه فعَدّ همك عما ترى .

قال ابو تراب وفى اللغة : عدا فلانا عن الأمر صرفه وشغله ، ومنه : (ما عدا مما بدا) وعدا الأمر وعن الأمر جاوزه وتركه ، وكذلك عداه عن الأمر صرفه وشغله ومنه قوله : (فعِدّ عما يشير الاغبياء به) أى اصرف بصرك عنه . وكذلك اعدى الأمر أى جاوز غيره اليه .

وفى اللسان يعدوك عن امورك أى يُشغلك . وقد عدانى عنك أمر فهو يعدونى اى صرفنى ، وعد عنا حاجتك اى اطلبها عند غيرنا ، وعديت عنى الهم اى نحيته . وما عدا فلان ان صنع كذا أى ما جاوز فلان ، ومالى عنه مَعْدَى أى لا تجاوز لى الى غيره .

وفى الصحاح (عدا) فعل يستثنى به مع (ما) وبغير (ما) تنصب ما بعدها والفاعل مضمر فيها . قلت : لم ينقل عن سيبويه فى (عدا) الا الفعلية . قال ابن هشام فى المغنى : وحكمها حكم (خلا) قلت : والاعراب بعد (عدا) اما النصب واما الخفض وأما المصدرة بما فالنصب . قال الأزهرى : النصب بمعنى (الا) والخفض ، بمعنى

(سوى) قلت ويرتفع بعدها فاعلها نحو عدا زيد ومن محاوراتهم : ماله غَدْوة ولا رَوحة الا على عدوة وجوحة . ومنها : صروف الدهر متمادية ، ونوائبه متعادية ذكرها فى الأساس وقال الزجاجى عدا اسم وفعل وحرف . وفى الامثال للميدانى : أعـدى من الذئـب . وتقول : ما هو الاذئب عَدوان ، دينه الظلم والعدوان وفلان ذو عَدَوات وذو بَدَوات وذو عَدَوانٍ وذو بَدَوانٍ قال ابو عارم الكلابى :

لقـد علـم الذئب الـذى كان عاديا　　على الناس أنى مائـر السهـم نازع

والاعداء بمعنى الاعانة ، قال الشاعر :

وانـت امـرؤ لا الجـود منـك سجية　　فتعطى وقد يُعْـدِى على النائـل الوجد

* * *

التضمين والإيداع

قال ابو تراب :

والتضمين الذى اشار اليه صاحب الكشاف فى قوله تعالى : (ولا تعد عيناك عنهم) هو تحميل الكلمة معنى كلمة أخرى للتقوية . ويدل عليه الصلة التى بعدها فقولـه : (ولا تعد) حمل معنى النبو والعلو ، ودل على ذلك تعديته بقوله : (عنهم) وكأنه قال : ولا تنب عيناك عنهم متجاوزتين الى غيرهم . وهذا من أسرار العربية .

قال القاضى الأحمد نكرى فى كتاب دستـور العلماء جـ ١ ص ٣١٢ : التضمـين الأصح فى تعريفه أن يقصد بلفظ معناه الحقيقى ويراد معه معنى آخر تابع له بلفظ آخر دل عليه بذكر ما هو من متعلقاته كيلا يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز . فتارة يجعل المذكور أصلا والمحذوف حالاً وتارة يعكس .

فان قلت : إذا كان المعنى الآخر مدلولا عليه باللفظ المحذوف لم يكن فى ضمن المذكور فكيف قيل : انه يتضمن اياه ؟ قلت : لما كانت مناسبة المعنى المذكور بمعونة ذكر صلته قرينة على اعتباره جعل كأنه فى ضمنه ، ومن ثمةَ كان جعله حالاً وتبعاً للمذكور أولى من عكسه .

والتضمين فى الشعر أن يتعلق معنى البيت بالذى قبله تعلقاً لا يصح إلاّ به . وتضمين المزدوج هو أن يقع فى أثناء قرائن النظم والنثر لفظان مسجعان بعد مراعاة حدود الأسجاع والقوافى الأصلية كقوله تعالى : (وجئتك من سبأ بنبأ يقين)

وفى البديع : أما التضمين فهو أن يضمن الشعر شيئا من شعـر الغـير بيتـاً كان أو ما فوقه أو مصراعاً أو ما دونه مع التنبيه على أنه من شعر الغير ان لم يكن مشهوراً عند البلغاء والأمثلة فى كتب ذلك الفن .

وفى كتاب تحرير التحبير ص ١٤٠ لابن أبى الاصبع المصرى : حسن التضمين أن يضمن المتكلم كلامه كلمة من بيت أو من آية . أو معنى مجردا من كلام . أو مثلاً سائرا . أو جملة مفيدة أو فقرة من حكمة كقول على بن أبى طالب فى جواب كتاب لمعاوية « وانى

مرقل نحوك بجحفل من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم باحسان . شديدٍ زحامهم ، ساطع قتامُهم متسر بلين سرابيل الموت . أحب اللقاء اليهم لقاء ربهم . قد صحبتهم ذرية بدريّة ، وسيوف هاشمية ، عرفت مواقع نصالها (وماهى من الظالمين ببعيد) فضمن كلامه هذه الآية .

وفى كتاب البديع ص ١٤٤ لابن المعتز فى هذا الباب :

عوذ لما بت ضيفا له أقراصه منى بياسين
فبت والأرض فراشي وقد غنت (قفانبك) مصارينى

فضمن هذا الشاعر بيته الأول كلمة من السورة ، وبيته الثانى جملة من البيت الذى هو أول القصيدة المشهورة . وذكره ابن رشيق فى العمدة جـ ١ ص ٧١ والنويرى فى نهاية الأرب جـ ٧ ص ١٢٦ . وقد وقع من ذلك فى الكتاب العزيز ما تضمنه من التوراة كقوله تعالى : « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس » .

ومن لطيف التضمين فى الشعر قول أبى تمام :

لعمرو مع الرمضاء والنار تلتظى أرق وأحفى منك فى ساعة الكرب

فضمن بيته كلمات من البيت المشهور وهو :

والمستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

وفى الكتاب العزيز من هذا الباب ما حكاه فيه سبحانه من صفة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه وذلك قوله : « محمد رسول الله » . الى قوله : « ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل » . فضمن كتابنا صفتهم من الكتابين الأولين .

والفرق بين التضمين والايداع والاستعانة والعنوان ان التضمين يقع فى النظم والنثر ، ويكون بالنظم والنثر . ويكون من المحاسن والعيوب ، ولكنه لا يكون من العيوب إلا إذا وقع فى النظم بالنظم ، والايداع والاستعانة ، وان وقعا معاً فى النظم والنثر فلا يكونان إلاّ بالنظم دون النثر ، والعنوان يقع فى النظم والنثر ولا يقع بالنثر وهو بخلاف التضمين لا يكون إلاّ من المحاسن دون العيوب . والتضمين منهما معاً .

ولم يفرق النابلسى فى نفحات الأزهار ص ١٢٤ بين التضمين والايداع . والاستعانة هى أن يستعين الشاعر ببيت لغيره مع التوطئة اللائقة به والعنوان هو أن يأخذ المتكلم فى غرض له من وصف أو غيره ثم يأتى لقصة تكميلية بألفاظ تكون عنوانا لأخبار متقدمة وقصص سالفة .

وفى القرآن من باب العنوان « ألم تر أن الله يزجى سحابا ثم ، يؤلف بينه ، ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد » فان فى ذلك عنوان العلم المعروف بالآثار العلوية .

ومن أمثلة التضمين والايداع المسبوكة فى قوالب الابداع قول : مجير الدين ابن تميم مضمنا مصراع بيت للمتنبى المشهور :

وكذا الكريم إذا أقام ببلدة ... سال النضار بها وقام الماء

فقال يصف نافورة وبركة :

لو كنت مذ أبصرتها فوارة ... للشمس فى أفواهها لألاء
لرأيت أعجب ما يرى من بركة ... سال النضار بها وقام الماء

ولصفى الدين الحلى مضمنا مصاريع أبيات من معلقة امرىء القيس :

رأى فرسى اصطبل عيسى فقال لى ... قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل
به لم أذق طعم الشعير كأننى ... بسقط اللوى بين الدخول فحومل
تقعقع من برد الشتاء أضالعى ... لما نسجتها من جنوب وشمأل
إذا سمع السواس صوت تحمحمى ... يقولون لا تهلك أسًى وتجمَّل
أعول فى وقت العليق عليهم ... وهل عند رسم دارس من معول

وقال عبد القاهر التميمى :

إذا ضاق صدرى وخفت العدا ... تمثلت بيتا بحالى يليق
فبالله أبلغ ما ارتجى ... وبالله أدفع ما لا أطيق

وقال ابن العميد :

كأنــه كان مطويــا على إحن ولــم يكن فى قديــم الدهــر أنشدنى
إن الــكرام إذا ما أيسروا ذكروا من كان يألفهــم فى المنــزل الخشن

ولبعضهم :

كنــا معــاً أمس فى بؤس نكابده والعــين والقلــب منــا فى قذى وأذى
والآن أقبلــت الدنيــا عليــك بما تهــوى فلا تنسنــى إن الــكرام إذا

وقال الشيخ إسماعيل الكبير جد الشيخ عبد الغنى النابلسى من قصيدة أرسلها الى شيخ الاسلام خوجه أفندى فى أواخر ذى الحجة سنة ٩٩١ يمدحه بها ويشكو بعض حال دمشق الشام :

تعــدى علينــا واستطــال فلــم يدع فؤاد امــرىء الا من الخــوف يخفق
وأنشدتــه فى حالــة الأسر والبلا وشــدة ما ألقــاه ممــا يضيق
سلــوا أم عمــرو كيف بات أسيرها تفــك الأســارى دونــه وهــو موثق
فلا هو مقتــول ففــى القتــل راحة ولا هو ممنــون عليــه فيعتق

وهى قصيدة طويلة ومطلعها قوله :

ترفــق بقلــب من تجنيــك يخفق وانســان عــين كاد بالدمــع يغرق

أما قول الصفى الحلى

إذا رآه الأعــادى قال حازمهم حتــام نحــن نســارى النجــم فى الظلم

وقد ضمنه المصراع الأول من قصيدة لأبى الطيب المتنبى وهو :

حتــام نحــن نســارى النجــم فى الظلم ومــا سراه على خف ولا قدم

أما بيت الشيخ عز الدين الموصلى :

إيداعه الفضــل فى الأصحــاب شرفهم بــين الرجــال وإن كانــوا ذوى رحم

فقد أودع بيته شطر بيت من قصيدة للمتنبى وهو :

ولــم تزل قلــة الإ نصــاف قاطعة بــين الرجــال وإن كانــوا ذوى رحم

وأما بيت ابن حجة الحموى :

وأودعـوا للثـرى اجسادهـم فشكت　　شكوى الجريـح الى العقبـان والرخم

فقد ضمنه شطر بيت للمتنبى وهو :

ولا تَشَـكَ الى خلـق فتشمته　　شكوى الجريـح الى العقبـان والرخم

وبعد البيت :

وكن على حذر للنـاس تستره　　ولا يغـرك منهـم ثغـر مبتسم
غاض الوفـاء فما تلقـاه فى عدة　　وأعـوز الصـدق فى الأخبـار والقسم

ويروى الغربان بدل العقبان ، ومعنى البيت المذكور أنه يقول : لا تشك الى أحد ما ينزل بساحتك من ضر وشدة ، فتشمته بشكواك فتكون شكواك كشكوى الجريح الى الطير التى ترقب ان يموت فتأكله . قال التبريزى : الناس بعضهم أعداء بعض . فمن شكا حاله اليهم فهو كمثل جريح اجتمعت عليه الطير لتأكل لحمه . فهو يشكو الى من ليس عنده رحمة لأن الغربان - جمع غراب - والرخم - جمع رخمة - طائر من الجوارح الخسيسة إنما يجتمعان حول الجريح ليأكلا لحمه .

وقرأت فى سلك الدرر فى ترجمة عبد الفتاح بن مغيزل الدمشقى قول الشيخ مصطفى الحموى نزيل دمشق مضمنا :

يؤمننـى العـذول على تلافى　　بمـن من لحظـه لى راش سهما
رويـدك كيف أسمـع منـك عذلاً　　(ولى أذن عن الفحشـاء صما)

وقد ترجم عنه شيخنا الراوية المؤرخ محمد زبارة فى كتاب نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف . لأن الشيخ مصطفى الشامى نزل باليمن وأصله من بلدة حماة وهو أديب بارع وأبوه الشيخ فتح الله الشامى ، وله رحلة الى مكة فاستوطنها ومن مشايخه : إبراهيم الكورانى وشاهين الأرمناوى والبابلى والنخلى والشهاب البشيشى والعجمى والثعالبى والبصرى والشبراملسى والمزاحى والشبلى من أكابر علماء عصره بالحجاز والشام .

وترجمه السيد إبراهيم الحوثى فى نفحات العنبر وكان عالما مؤرخا .

أفانين التضامين

قال أبو تراب : وقد تفنن الشعراء فى تضمين قوله : (ولى أذن عن الفحشاء صما) .
فمن تلك التضامين قول الشيخ سعيد السمان :

دعونى والغرام ولا تطيلوا ملاماً يقصم الحجر الأصما
فلى قلب عليه مستقيم (ولى أذن عن الفحشاء صما)

وتضمين الشيخ عبد الرحمن بن أحمد المنينى بقوله :

لحانى العاذلون وعنفونى فولت عنهم الأسماع صما
ولم أسمع مقالتهم بلوم (ولى أذن عن الفحشاء صما)

وقول الشيخ عبد الفتاح بن مغيزل الدمشقى :

لقد زار الخليل بجنح ليل فأوسعت المعاطف منه ضما
ولام العاذلون فقلت كفوا (فلى أذن عن الفحشاء صما)

وقال الشيخ أحمد العمرى :

وشمس فى يدى قمر تبدت يطوف بها كبدر التم ألمى

إلى أن قال :

وأستمع المثانى لا أبالى بواش أوسع الأسماع سقما
وانى والهوى والشطح قسمى (ولى أذن عن الفحشاء صما)

وقول حامد العمادى المفتى :

إذا زار الحبيب بغير وعد وأطفأ جمرة الأشواق لثما
يذكرنى جفاه حين وافى (ولى أذن عن الفحشاء صما)

وقال السيد حسين بن عبد الرحمن السرمينى :

وأحدب يسترق القول عنى ويقصدنى لكى يزداد اثما
ولى عين تكف الطرف عنه (ولى أذن عن الفحشاء صما)

وقال الغزى العامرى :

حبيبـى قد حبانـى ضد صد   وضيـم البـين أبدلنيـه ضما

عصيـت بحبـه قول اللواحى   (ولى أذن عن الفحشـاء صما)

وقد تفننوا أيضا فى تضمين قوله : (من عادة الكافور إمساك الدم) .

فمن ذلك قول الشيخ عبد الغنى النابلسى :

وشقائـق النعمان حول الماء فى   روض أريض بالربيـع منمنم

هطـل النـدى فيـه النضـارة ممسكا   (مـن عادة الكافـور إمسـاك الدم)

وقال الشيخ عبد الرحمن بن عبد الرازق :

ورد الريـاض تفتحـت أكمامه   والجلنـار أدار كاس العندم

والياسمـين الغض وافى بعده   (مـن عادة الكافـور إمسـاك الدم)

وقال عبد الحى الخال :

ولقـد وقفـت على الطلـول وأدمعى   تجـرى على خدى كلـون العندم

وطفقـت أسـأل ربعهـم وديارهم   شوقـاً اليهـم باليديـن وبالفم

فأجابنـى رسـم الديـار وقـال لى   حييـت من باك بغـير توهم

لو عاينـت عينـاك أجيـاداً لمن   باتـوا لما سالـت دمـا بمخيم

ولجف هذا الدمـع منـك لأنه   (مـن عادة الكافـور إمسـاك الدم)

وقال صادق الخراط :

ودعتـه وبكيـت عنـد فراقـه   بمدامـع تحـكى عصـارة عنـدم

وأنـت بشائـر قربـه فى رقعـة   بيضـاء ذات تلـطف وتكـرم

فوضعتهـا فوق العيـون فامسكت   (من عادة الكافـور إمسـاك الدم)

قال ابو تراب : العندم نبت عصارته حمراء كالتوت يقال له دم الأخوين . ويعرف بالبَقّم . والتضامين فى هذا الشطر كثيرة وقد ألف فيها الكمال الغزى العامرى رسالة سماها : لمعة النور بتضمين (من عادة الكافور) أكثر فيها من التضامين لهذا المصراع .

وفى كتاب سلك الدرر فى ترجمة سعيد بن محمد الجعفرى من تضامين (وكل اناء بالذى فيه ينضح) قوله :

لقد قيل لى رعى لذمة أحمق ... لدى الخلق طرًا بالمهذب يقبح
وما بال ذى حمق أذاع خبائثا ... وأنت بثوب العفو مازلت تمرح
فقلت لهم رعى الذمام خليقتى ... (وكل إناء بالذى فيه ينضح)

وقال كشاجم :

ومستهجن مدحى له ان تأكدت ... لنا عقد الاخلاص والحر يمدح
ويأبى الذى فى القلب الآ تبينا ... (وكل إناء بالذى فيه ينضح)

وقال محيى الدين السلطى :

عفا الله عمن ساءنا بلسانه ... فانا بما نحوى من الفضل نفصح
وشيمتنا المعروف والحلم والرضا ... (وكل إناء بالذى فيه ينضح)

وينسب للشافعى :

خليلى أنى كاتم سر صاحبى ... ولو كان فى عرضي يخوض ويشطح
سيظهر بين الناس فعلى وفعله ... (وكل اناء بالذى فيه ينضح)

وقال الحيص بيص بن الصيفى :

ملكنا فكان العفو منا سجية ... فلماّ ملكتم سال بالدم أبطح
وحللتمو قتل الأسارى وطالما ... غدونا على الأسرى نمن ونصفح
وحسبكمو هذا التفاوت بيننا ... (وكل إناء بالذى فيه ينضح)

وقد ضمنوا قوله صلى الله عليه وسلم : (خيار الناس أحسنهم قضاء) . فمن ذلك ما قرأنا فى ترجمة اسماعيل بن محمد العجلونى قوله :

أتانى منكمو ما نلت فخراً ... به بالمدح منكم قد أضاء
وحليتم حديثا قد عقدتم ... (خيار الناس أحسنهم قضاء)

وضمن الدكدكجى فقال :

رب شخص جاءنا فى قرية ... طوله فى عرضه قد ضمنا
فسألناه فقلنا أنت من ... (قال عفريت من الجن أنا)

المجاز اللغوي

قال أبو تراب : وأمّا المجاز اللغوى فقد اختلف فيه العلماء فقوم أجازوه وقوم أنكروه . وقد تكلم فيه الأصوليون . وألف فيه الشريف الرضى وغيره وعقد له السيوطى فصلاً فى الاتقان جـ ٢ ص ٥٩ ، ولابن تيمية كلام طويل فى هذا المبحث فى كتاب الايمان ص ٤١ . وأفاض فيه الجرجانى فى دلائل الاعجاز وأسرار البلاغة .

ولسنا فى معرض ايراد الآراء والحجج وإنما نود أن نورد هنا ما ذكره الحافظ ابن حزم فى الأحكام جـ ٤ ص ٨ لتمام الفائدة وبالله التوفيق .

* * *

اللغة توقيفية

قال : ان الاسم اذا تيقنا بدليل نص أو اجماع أو طبيعة أنه منقول عن موضوعه فى اللغة الى معنى آخر وجب الوقوف عنده . وأما مادمنا لا نجد دليلاً على نقل الاسم عن موضوعه فى اللغة . فلا يحل لمسلم أن يقول انه منقول .

فان الله تعالى هو الذى علم آدم الاسماء كلها ، وله تعالى أن يسمى ما شاء بما شاء . وقال تعالى : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم » . فكل خطاب خاطبنا الله تعالى به أو رسوله صلى الله عليه وسلم فهو على موضوعه فى اللغة ومعهوده فيها إلاّ بنص أو إجماع أو ضرورة حس تشهد بأن الاسم قد نقل عن موضوعه الى معنى آخر . فان وجد ذلك أخذناه على ما نقل اليه . وهذا هو الذى لا يجوز غيره .

فكل كلمة نقلها تعالى عن موضوعها فى اللغة الى معنى آخر فان كان تعبدنا بها قولاً وعملاً كالصلاة والزكاة والحج والصيام والربا وغير ذلك فليس شىء من هذا مجازا بل هى تسمية صحيحة واسم حقيقى لازم مرتب حيث وضعه الله تعالى .

وأما ما نقله الله تعالى عن موضوعه فى اللغة الى معنى تعبدنا بالعمل به دون أن يسميه بذلك الاسم فهذا هو المجاز . كقوله تعالى : « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة » فانما تعبدنا الله تعالى بأن نذل للأبوين ونرحمهما ، ولم يلزمنا قط أن ننطق ولا بد فيما بيننا بأن للذل جناحاً وهذا لا خلاف فيه وليس كذلك الصلاة والزكاة والقيام لأنه لا خلاف فى أن فرضاً علينا أن ندعو الى هذه الأعمال بهذه الأسماء بأعيانها ولابد .

أما قوله تعالى : « واسأل القرية التى كنا فيها والعير التى أقبلنا فيها » فقال قوم : معناه : واسأل أهل القرية وأهل العير فقال آخرون : يعقوب نبى ولو سأل العير والقرية نفسها لأجابته ، وكلا الأمرين ممكن . ومنه قوله تعالى : « جداراً يريد أن ينقض » فقد علمنا بضرورة العقل أن الجدار لا ضمير له . والارادة لا تكون الاّ بضمير لحَىّ ـ هذه هى الارادة المعهودة التى لا يقع اسم إرادة فى اللغة على سواها ـ فلما وجدنا أنه قد أوقع

هذه الصفة على الجدار الذى ليس فيه ما يوجب هذه التسمية علمنا يقيناً أن الله عز وجل قد نقل اسم الارادة فى هذا المكان الى ميلان الحائط . فسمى الميل ارادة ، إلاّ أن ذلك لا يوجب نقل الحقائق التى رتب تعالى فى عالمه عن مراتبها .

ولولا الضرورة التى ذكرنا ما استجزنا أن نحكم على اسم بأنه منقول عن مسماه أصلا .

وقد قال قوم : إنه تعالى قادر على أن يحدث فى الجدار إرادة ، وبلى هو قادر على ما يشاء وكل ما يتشكل فى الفكر ، ولكن كل ما لم يأتنا به نص أنه خرق فيه ما قد تمت به كلماته من المعهودات فهو مكذب كما أن كل مدع ما لم يأت بدليل فهو مبطل .

وكذلك قوله تعالى : « وهى تجرى بهم فى موج كالجبال » فانه تعالى سمى حركة السفينة جريا ، وحركة السفينة اضطرارية .

وأما قوله تعالى : « وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم » فانما عنى تعالى حب العجل على الحذف الذى أقيم لفظ غيره مقامه . وأما قوله تعالى : « يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد » فهو عندنا حقيقة وإنطاق لها .

ومما ذكرناه من نقل بعض الاسماء الى غير معهودها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الفرس : « إن وجدناه لبحراً ».. فأوقع عليه السلام لفظ بحر على الفرس الجواد . وكذلك لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارفق بالقوارير- يعنى النساء ـ كان ذلك نقلا لاسم القوارير عن موضوعه فى اللغة عن الزجاج الى النساء . وكذلك قوله تعالى : « قوارير من فضة » هو نقل أيضا للقوارير عن موضوعه فى اللغة عن الزجاج الى الفضة . إلاّ أنه لا يحل لمسلم ان يقول فى لفظة لم يأت نص ولا ضرورة حس بأنها منقولة عن موضوعها : إنها منقولة ولا يصرف لفظ عن موضوعه إلاّ بأحد هذين الوجهين وإلاّ فهى باقية فى مرتبتها فى اللغة . وإن العجب ليكثر ممن لا يستشهد بكلام أفصح العرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أعلم بلغة قومه من الذين يحتج بألفاظهم . فما فى الضلال أبعد من هذا !

اشتقاق عرفات

قال أبو تراب : « ورد علينا سؤال ونحن نكتب هذا عن بعض أسماء المشاعر المقدسة فى الحج كعرفة والمزدلفة ومنى ، وذلك لمناسبة حلول موسمه فلئلا يخرج البرنامج عن حدّ موضوع اللغة اقتصرنا فى الاجابة على ما يتعلق بالاشتقاق اللغوى وما ورد فى أسباب تسميتها بتلك الألفاظ وبالله التوفيق .

فأمّا عرفات فاختلف رأى العلماء فى اشتقاق لفظها على أربعة أقوال القول الأول : أنه مشتق من الاعتراف لأن الحجاج إذا وقفوا بعرفة اعترفوا للحق بالربوبية والجلال . والصمدانية والاستغناء عن الخلق واعترفوا لأنفسهم بالفقر والذلة والمسكنة والحاجة .

وعلى هذا الرأى يوجه بعضهم قول آدم وحواء عليهما السلام لما وقفا بعرفات قالا : « ربنا ظلمنا أنفسنا » فقال الله سبحانه وتعالى : الآن عرفتما أنفسكما حيث اعترفتما بالتقصير وركنتما للاستغفار .

القول الثانى : إنه مشتق من العُرف ـ بضم الأول ـ بمعنى الصبر . وذلك لأن الناس يصبرون على معاناة المشاق فى الوصول اليها حيث دعاهم ربهم ليباهى بهم الملائكة . والعرف من صنائع المعروف .

القول الثالث : إن لفظ عرفات مشتق من العَرف ـ بفتح الأول ـ وهو الرائحة الطيبة ومعنى ذلك أن المذنبين إذا تابوا فى عرفات فقد تخلصوا من نجاسات الذنوب وأدران المعاصى ، إذن يكتسبوا بذلك عند الله رائحة طيبة من الجنة أعدها لهم . قال تعالى : « ويدخلهم الجنة عرفها لهم » يعنى طيبها لهم . بسبب إنابتهم الى الله تعالى . ورجوعهم اليهم تاركين أهلهم وأوطانهم مهاجرين أتوا إليه شعثا غبرا .

القول الرابع : انه مشتق من المعرفة . وتعليل هذا الاشتقاق يرجع الى ثمانية وجوه اليك شرحها :

الوجه الأول : أن عرفات سميت بهذا الاسم لأن الله تعالى يتعرف فى هذا اليوم الى الحجاج بالمغفرة والرحمة . لأن يوم عرفة هو يوم إقالة عثرات النادمين . وقبول توبة التائبين . وهو يوم يفد فيه إلى الله زواره ، كما ورد فى الحديث : « ان الحجيج زوّار الله . وحق على المزور الكريم أن يكرم زائره » . فقد خص يوم عرفة باكمال نعمة الدين إذ أنزل الله فيه الآية الكريمة : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » . فلما نزلت هذه الآية عشية يوم عرفة . وكان يوم جمعة : قرت عين المؤمنين بهدم منار الجاهلية ، وارتفاع لواء الاسلام ورسول الله صلى الله عليه وسلم إذ ذاك واقف بعرفة موقف الخليل إبراهيم عليه السلام فى حجة الوداع . فاستنارت وجوه المسلمين بشرا . وكأنه أعلن فى الناس بتمام نعمة المعرفة بالاسلام فكانت تسمية عرفات بذلك لأجلها .

والوجه الثانى : أن الحجاج يتعارفون بعرفات إذا وقفوا فى رحاب ربهم بعضهم ببعض . وهذا من الحكم البديعة فى التشريع الاسلامى حيث أن الدين يرشد الى الاجتماع وتداول الآراء والتعارف بين المسلمين . فقد فرض الله هذا الركن الاسلامى العظيم لما ينطوى عليه من مصالح عديدة قال تعالى : « ليشهدوا منافع لهم » .

والوجه الثالث : هو قول ابن عباس أن آدم وحواء التقيا بعرفة فعرف أحدهما صاحبه فسمى اليوم عرفة والموضع عرفات . وذلك لما أمر الله آدم عليه السلام بالحج فلقى حواء بعرفات فتعارفا .

والوجه الرابع : أن آدم عليه السلام علمه جبريل عليه السلام مناسك الحج . فلما وقف بعرفات قال له : أعرفت المناسك ؟ قال : نعم . فسميت عرفات وبذلك وردت روايات فى كتب التفسير .

والوجه الخامس : هو قول على بن أبى طالب قال : سمى موضع عرفات بهذا الاسم لأن ابراهيم عليه السلام عرفها حين رآها . وقد أحاط علما بوصفها ونعتها بما تقدم له من الأخبار .

والوجه السادس : ورد أن جبريل علم إبراهيم عليهما السلام المناسك وأوصله الى عرفات وقال له : أعرفت المناسك كلها ؟ أعرفت كيف تطوف وفى أى موضع تقف ؟ فقال : نعم . فلذلك سميت بهذا الاسم .

والوجه السابع : كان ابراهيم عليه السلام ترك ابنه اسماعيل وأمه هاجر بمكة وهى إذ ذاك واد غير ذى زرع ، ورجع الى الشام . ثم التقى بهما بعرفة فسميت بذلك للتعارف الذى وقع بينهم .

والوجه الثامن : أنه لما رأى انه يذبح ابنه فى المنام أرى عند ذلك المشاعر كلها . فلما أتى عرفة عرفها فسميت بهذا الاسم وفدى الله ابنه بكبش عظيم .

وبعد . فهذه جملة أقوال وردت بها آثار فى وجه تسمية عرفات بهذا الاسم . والترجيح يحتاج الى بحث طويل لسنا هنا بصدده

* * *

اشتقاق المزدلفة

قال أبو تراب :

وأما المزدلفة فاشتقاقها من الازدلاف وهو التقدم والتقرب . وقد تجرد عن اللام فيقال : مزدلفة .

وسميت بذلك لأنه يتقرب فيها الى الله تعالى كما قاله صاحب العباب أو لاقتراب الناس إلى منى بعد الافاضة من عرفات كما قاله الليث . قال ابن سيدة : ولا أدرى كيف هذا .

وفى القاموس : أو سميت به لمجيء الناس إليها فى زلف من الليل . أو لأنها أرض مستوية مكنوسة وهذا أقرب .

وفى تاج العروس للزبيدى : وأشهر منه ما ذكره المؤرخون وأكثر أهل المناسك والمصنفون فى المواضع . أنها سميت لأن آدم اجتمع فيها مع حواء عليهما السلام وازدلف أى دنا منها كما سميت جمعاً لذلك . والى هذا الوجه مال أبو عبيدة .

وفى المقاييس لابن فارس : الزاى واللام والفاء يدل على اندفاع وتقدم فى قرب الى شيء . يقال من ذلك ازدلف الرجل : تقدم . وسميت مزدلفة لاقتراب الناس الى منى بعد الافاضة من عرفات . ويقال : لفلان عند فلان زلفى أى قربى . قال الله عز وجل : « وإن له عندنا لزلفى » . والزّلَفُ والزُّلْفه الدرجة والمنزلة . وأزلفت الرجل إلى كذا أدنيته . وقال قوم : المزالف هى بلاد بين البر والريف وإنما سميت بذلك لقربها من الريف .

وأما الزلف من الليل فهى طوائف منه لأن كل طائفة تقترب من الأخرى . وأما ما أنشده الجوهرى للعُمانىِ من قوله :

حتــى إذا ماء الصهاريــج نشف   من بعــد ما كانــت مِلاء كالزَّلَفْ

فقال أبو عمرو : الزّلَفُ فى هذا البيت مصانع الماء وقال أبو عبيدة : هى الأجاجين الخضر ، قال ابو تراب : الأجاجين هى ما حول الغراس شبه الأحواض . قال ابن فارس : فان كان كذا فانما سميت بذلك لأن الماء لا يثبت فيها عند امتلائها . بل يندفع .

وفى حديث يأجوج ومأجوج : ثم يرسل الله مطراً فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة ، وهى مصنعة الماء . أراد أن المطر يغدر فى الأرض فتصير كأنها مصنعة من مصانع الماء . وقال ابن الأعرابى : الزلفة وجه المرآة . يقال البركة تطفح كالزلفة على التشبيه .

قال ابو تراب : لم تستعمل هذه المادة فى القرآن لغير معنى القربة والدنو . قال تعالى : « وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى » وهى اسم كأنه قال : بالتى تقربكم عندنا ازدلافاً . وقال تعالى : « وأزلفت الجنة للمتقين » أى قربت . قال الزجّاج : وتأويله أى قرب دخولهم فيها ونظرهم اليها .

واشتقاق مزدلفة من هذا أقرب . قال ابن منظور : ومزدلفة سميت بذلك لاقتراب الناس الى منى بعد الافاضة من عرفات .

وقوله تعالى : « وأزلفنا ثم الآخرين » . قال بعضهم : جمعنا . وقيل : قربنا الآخرين من الغرق وهم أصحاب فرعون . وكلاهما حسن وجميل لأن جمعهم تقريب بعضهم من بعض . ومن ذلك سميت مزدلفة جمعاً .

قال أبو اسحق الحربى فى قوله تعالى : « فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا » أى رأوا العذاب قريبا . وفى حديث الباقر : مالك من عيشك الاً لذة تزدلف بك الى حمامك . أى تقربك الى موتك . ومنه سمى المشعر الحرام مزدلفة لأنه يتقرب فيها .

وفى الحديث : « إذا أسلم العبد فحسن إسلامه يكفر الله عنه كل سيئة أزلفها » ـ أى أسلفها وقدمها ـ والأصل فيه أيضا معنى القرب كأنه قرّبها من الآخرة . ومن يوم الحساب . وقال ياقوت فى معجم البلدان : اختلف فى مزدلفة لم سميت بذلك فقيل : منقولة من الازدلاف وهو الاجتماع وقيل الاقتراب لأنها مقربة من الله . وقيل لازدلاف الناس فى منى وقيل : لاجتماع الناس بها ، وقيل لاجتماع آدم وحواء بها . وقيل لنزول الناس بها فى زلف الليل . وقيل لأن الناس يدفعون منها زلفة واحدة . وقيل لأن الناس يزدلفون فيها الى الحرم .

* * *

اشتقاق منى

قال أبو تراب : واختلفوا فى مِنَى ـ بالكسر والتنوين وهو مذكر مصروف ومؤنث وقد لا يصرف ـ لماذا سمى بذلك . فقيل سمى به لما يمنى به من الدماء أى يراق قال الله تعالى : « من منىٍّ يُمنى » أى يراق . وذكر ياقوت فى معجم البلدان ما قيل من أن آدم عليه السلام تمنّى فيه الجنة ، وقد امتنى القوم إذا أتوا منىً . قاله يونس . وقال ابن الأعرابى : أمنى القوم ومنى الله الشيء قدره ، وبه سمى منًى . وقال ابن شميل : سمى منًى لأن الكبش مُنىَ به أى ذبح .

وقال ابن عيينة : أخذ من المنايا ، وعن ابن عباس أن جبريل عليه السلام لما أراد أن يفارق آدم عليه السلام قال له : تمن : قال أتمنى الجنة فسميت منى لأمنية آدم عليه السلام .

ومنى كالى تكتب بالياء كما فى تاج العروس وكتابتها بالألف فى اللسان فى مادة (زلف) خطأ . وقد لا يصرفونها . وقال ثعلب : هو من قولهم : منى الله عليه الموت أى قدره لأن الهدى ينحر هنالك . وقيل : لأن العرب تسمى كل محل يجتمع فيه منى . وقيل : لبلوغ الناس فيه مناهم . قال ابو تراب : وأما قول لبيد فى مطلع معلقته المشهورة :

عفت الديار محلها فمقامها ... بمنًى تأبد غولها فرِجامها

فمنى المذكور فيه موضع بنجد وليس هو منى الحاج . وعفت بمعنى انمحت ، وتأبد أى توحش والغول والرِجّام جبلان معروفان واياه عنى الشاعر إذ قال :

أتبعتهم مقلة إنسانها غرق ... كالفص فى رقرق بالدمع مغمور

حتى تواروا بشعف والجبال بهم ... عن هضب غول وعن جنبى منى زور

ـ الزور أى المائلة بجنوبها والشعف أعالى الجبال ـ وجاء البيتان فى التاج مصحفين ، ومنى الذى هو مبيت الحجيج ذكره غير واحد من الشعراء ومن ذلك قول المضرب وهو عقبة بن كعب بن زهير بن أبى سلمى كما ذكره المرتضى فى الأمالى والمرزبانى ج ٣ ص ١١٠

وينسب لكثير عزة كما ذكره الراجكوتى ص ٧٧ فى شرح الأمالى :

ولما قضينا من منى كل حاجة ... ومسح بالأركان من هو ماسح
وشدت على حدب المهارى رحالنا ... ولا ينظر الغادى الذى هو رائح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا ... وسالت بأعناق المطىّ الأباطح

قال ابن قتيبة فى الشعراء ج ١ ص ١١ : هذا ضرب من الشعر حَسن لفظه وحلا . فاذا أنت فتشت لم تجد هناك فائدة فى المعنى . فهذه الألفاظ كما ترى أحسن شيء : مخارج ومطالع ومقاطع . وإن نظرت الى ما تحتها من المعنى وجدته : ولما قطعنا أيام منى ، واستلمنا الأركان . وعالينا أبلنا الأنضاء ومضى الناس لا ينتظر الغادى الرائح ابتدأنا فى الحديث وسارت المطى فى الأبطح.

وقال القالى فى النوادر أطراف الأحاديث ما يستطرف منها ويؤثر .

قال أبو تراب : المهارى فى هذا الشعر بزنة الصحارى . ويقال : مهارى بزنة الكراسى ومهار كجوار وغواش . قال الرضى فى شرح الشافية جـ٢ صـ ١٦٥ : وقد ألحق بباب صحارى وان لم يكن فى المفرد ألف التأنيث لفظان . وهما : بخاتى ومهارى فجوز فيهما الأوجه الثلاثة والتشديد أولى ولا يقاس عليهما فلا يقال فى أثفية وعارية أثافى وعوارى بالألف .

قال أبو تراب : العوارىّ بتشديد الياء وقد تخفف جمع عارية مشددة أو مخففة كأنها منسوبة الى العار لان طلبها عيب ، والأمنية أفعولة جمعها أمانىّ مشددة الياء وأمان مخففة كما يقال أضاح وأضاحىّ .

وكأن تخريج شيخ الزبيدى تسمية « منى » بأنه لبلوغ الناس مناهم يعنى من قصد الحج عنى به ماروى عن تمنى آدم عليه السلام هناك الجنة . وكأنه عدل به الى التغيير كما غيروا المنْية بابدال الآخر واوًا والأول فتحاً . فقالوا المنوة بمعنى الأمنية كما ذكره ابن سيدة ومِنى مقصور . يقال : امتنى القوم وأمنوا أى نزلوا منىً . واشتقاقه من إمناء الدماء أى إراقتها أقرب . واذا كان من المنية والمنايا فالمَنا القدر . فكأن الأضاحىً تلقى ثَمَّة ما قدر عليها . ولم أر من ذكر اشتقاقه من قولهم : فلان داره مَناداری أى بحذائها . وهذه المادة

تدل على تقدير شيء ونفاذ القضاء به .

أما الأبيات التي مضى ذكرها في اشتقاق « منى » من قول عقبة فقد نسبها هكذا الشريف المرتضى في أماليه والمرزباني ونسبها غيرهما لكثير عزة ونسبها في الوساطة ليزيد بن الطثرية . والبيتان اللذان وقع بهما الاستشهاد هما مما تناوله النقد ونورد طرفاً من ذلك

* * *

كلام البلاغيين على بيتين

قال :

ولما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالأركان من هو ماسح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطى الأباطح

قال الجرجانى فى اسرار البلاغة ص ١٥ : فانظر الى الأشعار التى أثنوا عليها من جهة الألفاظ . ووصفوها بالسلاسة ونسبوها الى الدماثة . وقالوا : كأنها الماء جرياناً ، والهواء لطفاً والرياض حسناً . وكأنها النسيم وكأنها الرحيق مزاجها التسنيم وكأنها الديباج الخسروانى فى مرامى الأبصار ووشى اليمن منشوراً على أذرع التجار ، ثم راجع فكرتك واشحذ بصيرتك وأحسن التأمل . ودع عنك التجوز فى الرأى . ثم انظر هل تجد لاستحسانهم وحمدهم وثنائهم ومدحهم منصرفا الاً إلى استعارة وقعت موقعها . وأصابت غرضها . أو حسن ترتيب تكامل معه البيان حتى وصل المعنى إلى القلب مع وصول اللفظ إلى السمع . واستقر فى الفهم . مع وقوع العبارة فى الأذن والاّ الى سلامة الكلام من الحشو غير المفيد ، والفضل الذى هو كالزيادة فى التحديد وشيء داخل المعانى المقصودة مداخلة الطفيلىّ الذى يستثقل مكانه ، والأجنبى الذى يكره حضوره ، وسلامته من التقصير الذى يفتقر معه السامع إلى تطلب زيادة بقيت فى نفس المتكلم فلم يدل عليها بلفظها الخاص بها ، واعتمد دليل حال غير مفصح ، أو نيابة مذكور ليس لتلك النيابة بمستصلح .

وذلك أن أول ما يتلقاك من محاسن هذا الشعر أنه قال :

(ولما قضينا من منىً كل حاجة) فعبر عن قضاء المناسك بأجمعها والخروج من فروضها وسننها من طريق أمكنهُ أن يقصر معه اللفظ وهو طريقة العموم ثم نبه بقوله :

(ومسح بالأركان من هو ماسح) على طواف الوداع الذى هو آخر الأمر ودليل المسير الذى هو مقصوده من الشعر . ثم قال : (أخذنا بأطراف الاحاديث بيننا) فوصل بذكر مسح الأركان ما وليه من زمّ الركاب وركوب الركبان ، ثم دل بلفظة الأطراف على الصفة التى يختص بها الرفاق فى السفر من التصرف فى فنون القول وشجون الحديث أو ما هو عادة المتطرفين من الاشارة والتلويح والرمز والايماء ، وأنبأ بذلك عن طيب النفوس وقوة

النشاط ، وفضل الاغتباط . كما توجبه ألفة الأصحاب ، وأنسة الأحباب وكما يليق بحال من وفق لقضاء العبادة الشريفة ، ورجا حسن الاياب . وتنسم روائح الأحبة والأوطان ، واستماع التهانىء والتحايا من الخلان والاخوان .

ثم زان ذلك كله باستعارة لطيفة طبق فيها مفصل التشبيه ، وأفاد كثيرا من الفوائد بلطف الوحى والتنبيه فصرح أولاً بما أومأ اليه فى الأخذ بأطراف الأحاديث من أنهم تنازعوا أحاديثهم على ظهور الرواحل ، وفى حال التوجه الى المنازل ، وأخبر بعد بسرعة السير ، ووطاءة الظهر ، إذ جعل سلاسة سيرها بهم كالماء تسيل به الأباطح وكان فى ذلك ما يؤكد ما قبله لأن الظهور اذا كانت وطيئة . وكان سيرها السير السهل السريع زاد ذلك فى نشاط الركبان ، ومع ازدياد النشاط يزداد الحديث طيبا . ثم قال : (بأعناق المطى) ولم يقل بالمطىّ لأن السرعة والبطء يظهران غالبا فى أعناقها . ويبين أمـرها من هواديهـا وصدورها ، وسائر أجزائها تستند اليها فى الحركة وتتبعها فى الثقل والخفة . ويعبر عن المرح والنشاط اذا كانا فى أنفسها بأفاعيل لها خاصة فى العنق والرأس ويدل عليهما بشمائل مخصوصة فى المقاديم .

فقل الآن هل بقيت عليك حسنة تحيل فيها على لفظة من ألفاظها حتى أن فضل الحسنة يبقى لتلك اللفظة . ولو ذكرت على الانفراد وازيلت عن موقعها من نظم الشاعر ونسجه وتأليفه وترصيفه ، وحتى تكون فى ذلك كالجوهرة التى هى وان ازدادت حسنـا بمصاحبة اخواتها ، واكتسبت رونقا بمضامة أترابها فانها اذا جليت للعين فردة ، وتركت فى الخيط فذة ، لم تعدم الفضيلة الذاتية ، والبهجة التى فى ذاتها مطوية ، والشذرة من الذهب تراها بصحبة الجواهر لها فى القلادة ، واكتنافها لها فى عنق الغادة .. وصلتها بريق حمرتها ، والتهاب جوهرها ، بأنوار تلك الدرر التى تجاورها ، ولألآء اللآلىء التى تناظرها ، تزداد جمالا فى العين ، ولطف موقع من حقيقة الزين .

ثم هى ان حرمت صحبة تلك العقائل ، وفرقّ الدهر الخؤون بينها وبـين هاتيـك النفائس ، لم تعر من بهجتها الأصلية ، ولم تذهب عنها فضيلة الذهبية .

كذا ليس هذا بقياس الشعر الموصوف بحسن اللفظ ، وإن كان لا يبعدان يتخيله من لا ينعم النظر ، ولا يتم التدبر .

بل حق هذا المثل أن يوضع فى نصرة بعض المعانى الحكمية والتشبيهية بعضاً وازدياد الحسن منها بان يجامع شكل منها شكلا ، وأن يصل الذكر بين متدانيات فى ولادة العقول

اياها ، ومتجاورات فى تنزيل الافهام لها .

وقال ابن جنّى فى الخصائص جـ ١ صـ ٢١٥ : إن العرب كما تعنى بألفاظها فتصلحها وتهذبها وتراعيها . وتلاحظ احكامها بالشعر تارة ، وبالخطب أخرى ، وبالأسجاع التى تتكلفها ، وتلتزم استمرارها . فان المعانى اقوى عندها وأكرم عليها ، وافخم قدراً فى نفوسها .

فأول ذلك عنايتها بألفاظها . فانها لما كانت عنوان معانيها وطريقاً الى أظهار اغراضها ومراميها أصلحوها ورتبوها وبالغوا فى تحبيرها وتحسينها ليكون ذلك أوقع لها فى السمع ، وأذهب بها فى الدلالة على القصد .

فاذا رأيت ان العرب قد اصلجوا ألفاظها وحسنوها وحموا حواشيها وهذبوها ، وثقلوا غروبها وارهفوها ، فلا ترين ان العناية إذ ذاك انما هى بالألفاظ ، بل هى عندنا خدمة منهم للمعانى ، وتنويه بها وتشريف منها .

ونظير ذلك اصلاح الوعاء وتحصينه وتزكيته وتقديسه ، وانما المبغى بذلك منه الاحتياط للموعى عليه وجواره بما يعطر بشره ولا يعرجوهره كما قد نجد من المعانى الفاخرة السامية ما يهجنه . ويغض منه كدرة لفظه ، وسوء العبارة عنه فان قلت : فانا نجد من ألفاظهم ما قد نمقوه ، وزخرفوه ووشوه ودبجوه ، ولسنا نجد مع ذلك تحته معنى شريفاً ، بل لا نجده قصداً ولا مقاربا ، ألا ترى الى قوله .

ولما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالأركان من هو ماسح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطى الأباطح

قال أبو تراب : ونسبها فى الوساطة صـ ٥٨ الى يُزيد بن الطثرية قال ابن جنى فقد ترى إلى علو هذا اللفظ ومائه ، وصقاله وتلامح أنحائه ، ومعناه مع هذا ما تحسه وتراه ، إنما هو : لما فرغنا من الحج ركبنا الطريق راجعين وتحدثنا على ظهور الإبل ، ولهذا نظائر كثيرة شريفة الألفاظ رفيعتها مشروفة المعانى خفيضتها .

قيل : هذا الموضع قد سبق إلى التعلق به من لم ينعم النظرفيه ، ولا رأى ما رآه القوم منه ، وانما ذلك لجفاء طبع الناظر وخفاء غرض الباطن ، وذلك أن فى قوله (كل حاجة) ما يفيد منه أهل النسيب والرقة ، وذوو الأهواء والمقة ما لا يفيده غيرهم ، ولا يشاركهم من

ليس منهم ، ألاترى ان من حوائج منىً أشياء كثيرة غير ما الظاهر عليه والمعتاد فيه سواها . لأن منها التلاقى ومنها التشاكى ومنها التخلى الى غير ذلك مما هو تال له ، ومعقود الكون به . وكأنه صانع عن هذا الموضع الذى أومأ إليه وعقد غرضه عليه بقوله : فى آخر البيت : (ومسح بالأركان من هو ماسح) . أى انما كانت حوائجنا التى قضيناها وآرابنا التى أنضيناها من هذا النحو الذى هو مسح الأركان وما هو لاحق به وجارفى القربة من الله مجراه ـ أى لم يتعد هذا القدر المذكور الى ما يحتمله أول البيت من التعريض الجارى مجرى التصريح .

وأما البيت الثانى فان فيه (أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا) وفى هذا ما أذكره لتراه فتعجب ممن عجب منه ووضع من معناه .

وذلك انه لو قال : أخذنا فى أحاديثنا ونحو ذلك لكان فيه معنىً يكبره أهل النسيب : وتعنو له ميعة الماضى الصليب . وذلك أنهم قد شاع عنهم ، واتسع فى محاوراتهم علو قدر الحديث بين الاليفين . والفكاهة بجمع شمل المتواصلين ، ألا ترى الى قول العباس بن الأحنف :

وحدثتنــى ياسعــد عنهــا فزدتنى شجونــا فزدنــى من حديثــك ياسعد

وقول الهذلى :

وإن حديثــا منــك لو تعلمينه جنـى النحــل فى ألبــان عوذ مطافل

وقول آخر : ـ

وحديثهــا كالغيــث يسمعه راعــى سنـين تتابعـت جدبا

فأصــاخ يرجــو أن يكون حيا ويقــول من فرح هيــا ربا

فاذا كان قدر الحديث مرسلاً عندهم هذا على ما ترى فكيف به إذا قيده بقوله : (بأطراف الأحاديث) . وذلك أن فى قوله : أطراف الأحاديث وحيا خفيا ورمزاً حلواً ، ألا ترى انه يريد بأطرافها ما يتعاطاه المحبون ويتفاوضه ذوو الصبابة المتيمون من التعريض والتلويح والايماء دون التصريح . وذلك أحلى وأدمث وأغزل وأنسب من أن يكون مشافهة وكشفا ومصارحة وجهرا . وإذا كان كذلك فمعنى هذين البيتين أعلى عندهم ، وأشد تقدماً فى نفوسهم من لفظها . وإن عذب موقعه ، وأنق له مستمعه .

نعم وفى قوله : (وسالت بأعناق المطىّ الأباطح) من الفصاحة ما لا خفاء به .
والأمر فى هذا أسير ، وأعرف وأشهر .

فكأن العرب إنما تحلىّ ألفاظها وتدبجها ، وتشيها وتزخرفها عنايـة بالمعانـى التـى وراءها . وتوصلا بها إلى إدراك مطالبها . وفى الحديث ـ فى مسند أحمد وسنن أبى داوود ـ ان من الشعر لحكما . وان من البيان لسحرا .. فاذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتقَد هذا فى ألفاظ هؤلاء القوم التى جعلت مصايدو أشراكاً للقلوب ، وسبباً وسلّما إلى تحصيل المطلوب . عرف بذلك ان الألفاظ خدم للمعانى والمخـدوم لاشـك أشرف من الخادم .

والأخبار فى التلطف بعذوبة الألفاظ إلى قضاء الحوائج أكثر من أن يؤتى عليهـا أو يتجشم للحال نعت لها . ألا ترى إلى قول بعضهم وقد سأل آخر حاجة فقال المسؤل : إن على يمينا ان لا أفعل هذا . فقال له السائل : إن كنت أيدك الله لم تحلف يمينا قط على أمر فرأيت غيره خيرا منه فكفرت عنها له وأمضيته ، فما أحب أن احنثك . وان كان ذلك قد كان منك فلا تجعلنى أدون الرجلين عندك فقال له سحرتنى وقضى حاجته . وندع هذا ونحوه لوضوحه .

* * *

تداخـــل اللغـــات

قال أبو تراب : أما معرفة تداخل اللغات فقد قال ابن جنّى فى كتاب الخصائص : إذا اجتمع فى الكلام الفصيح لغتان فصاعداً كقوله :

وأشرب الماء ما بى نحـــوه عطش   الاّ لأن عيونـــهْ سال واديها

فقال : (نحوهُ) بالاشباع ـ أى اظهار الضمة على الهاء ـ و (عيونهْ) بالاسكان فينبغى أن يتأمل حال كلامه . فان كانت اللفظتان فى كلامه متساويتين فى الاستعمال ، كثرتهما واحدة فأخلق الأمر به أن تكون قبيلته تواضعت فى ذلك المعنى على ذينك اللفظين لأن العرب قد تفعل ذلك للحاجة اليه فى اوزان أشعارها وسعة تصرف اقوالها ـ ويجوز أن تكون لغته فى الأصل احداهما ثم انه استفاد الأخرى من قبيلة أخرى ، وطال بها عهده وكثر استعماله لها . فلحقت لطول المدة واتساع الاستعمال بلغته الأولى . وان كانت احدى اللفظتين أكثر فى كلامه من الأخرى فأخلق الأمر به أن تكون القليلة الاستعمال هى الطارئة عليه والكثيرة هى الأولى الأصلية . ويجوز أن تكونا مخالفتين له ولقبيلته . وانما قلت : احداهما فى استعماله لضعفها فى نفسه وشذوذها عن قياسه .

واذا كثر على المعنى الواحد ألفاظ مختلفة فسمعت فى لغة انسان فعلى ما ذكرناه كما جاء عنهم فى اسماء الأسد والسيف والخمر وغير ذلك ، وكما تتحرف الصيغة واللفظ واحـد كقولهم : رَغْوة اللبن ورِغْوته ورُغْوته ورِغاوته كذلك مثّلثاً وكقولهم : جئت من عَلِ ومن عَلُ ومن عَلاَ ومن عُلْوٍ ومن عِلْوٍ ومن عَلْوٍ ، ومن عالٍ ومن مُعَالٍ . فكل ذلك لغات لجماعات ، وقد تجتمع لانسان واحد .

قال أبو تراب : شاهد (عَلِ) بكسر اللام قول امرىء القيس :

مكر مفــر مقبــل مدبــر معاً   كجلمود صخـر حطـه السيـل من عل

وشاهد (عَلُ) بضم اللام قول عدى بن زيد أنشده يعقوب :

فى كنـــاس ظاهـــر يستره   من عَلُ الشفـــانَ هُدّاب الفنن

والشفان القطر القليل ، وشاهد (علا) قول أبى النجم أو غيلان بن حريث الربعى :

باتت تنوش الحوض نوشاً من علا نوشاً به تقطع أجواز الفلا

وشاهد (عال) قول دكين بن رجاء أنشده يعقوب :

(ظمأى النَسَا من تحتُ رَيَّا من عالْ)

يعنى فرساً ، والنَّسَا عرق من الورك إلى الكعب . قال الزجاج :

لا تقل عرق النسا لأن الشىء لا يضاف إلى نفسه .

قال أبو تراب : ويغلطون فيقولون : عرق النِسا وعرق النساء . وشاهد (مُعال) قول ذى الرمة :

جذبُ العرى وجِرْية الجبال ونَغَضَان الرَّحْل من مُعال

قال الجوهرى : وأما قول أوس :

فملّك بالليط الذى تحت قشرها كغرقىء بيض كنّه القيض من عَلُو

فان الواو زائدة وهى لاطلاق القافية . ولا يجوز مثله فى الكلام .

وقال ابن هشام : والتزم فى (عل) مخففة اللام جره بمن وقطعه عن الاضافة فلا يقال : أخذته من عل السطح كما يقال : من علوه خلافاً للجوهرى وابن مالك وأمّا قوله : (أرمض من تحت وأضحى من عَلُهْ) فالهاء للسكت لأنه مبنىٌّ ولا وجه للبناء لو كان مضافاً . واذا أريد به المعرفة فبناء على الضم كما فى البيت تشبيها له بالغايات أو النكرة فهو معرب . كما فى قوله : (حطّه السيل من عل) .

نقله البدر القرافى فى حاشيته . وقول العجلى : (أقب من تحت عريض من عَلِ) انما هو محذوف المضاف إليه لأنه معرفة وفى موضع المبنىّ على الضم . قال ابن منظور : ألا تراه قابل به ما هذه حاله وهو قوله : (من تحت) وينبغى أن تكتب (على) فى هذا الموضع بالياء وهو فَعِل فى معنى فاعل أى (أقب من تحته عريض من عاليه) بمعنى أعلاه

والعالى والسافل بمنزلة الأعلى والأسفل . قال :

(ما هــو الا الموت يغلى غاليه مختلطــا سافلــه بعاليه

لابد يوما أننى ملاقيه)

وقوله تعالى : (عاليهم ثياب سندس ..) ، قال الفراء : قرىء بفتح الياء وسكونها فمن فتحها جعلها كالصفة فوقهم لأنه محلٌ ، وقال الزجاج : نصبه فى حال علو الثياب اياهم ورفعه بالابتداء .

ونقل السيوطى فى كتاب المزهر عن الأصمعى قال : اختلف رجلان فى الصقر فقال أحدهما : بالصاد وقال الآخر : بالسين . فتراضيا بأول وارد عليهما فحكيا له ما هما فيه فقال : لا أقول كما قلتما . إنما هو الزقر .

وعلى هذا يتخرج جميع ما ورد من التداخل فى اللغات نحو (قلا يقلى ، سلى يسلى ، وطهر فهو طاهر ، وشعر فهو شاعر) وكل ذلك إنما هو لغات تداخلت فتركبت بأن أخذ الماضى من لغة والمضارع أو الوصف من أخـرى لا تنطـق بالماضى كذلك . فحصـل التداخل والجمع بين اللغتين .

فان من يقول : قَلَىَ يقول فى المضارع يَقلى ِ ، والذى يقول : يَقْلَىَ يقول فى الماضى قَلِىَ ، وكذا من يقول : سلاَ يقول فى المضارع يَسْلُو ومن يقول فيه : يَسْلَىَ يقول فى الماضى سَلِى ِ .

فتلاقى أصحاب اللغتين فسمع هذا لغة هذا وهذا لغة هذا فأخذ كل واحد من صاحبه ماضيه إلى لغته فتركبت هناك لغة ثالثة .

وكذا شاعر وطاهر انما هو من شعر وطهر بالفتح . وأمّا بالضم فوصفه على فعيل فالجمع بينهما من التداخل . ذكره ابن جنىّ .

وقال ابن دريد فى الجمهرة : البكا يمد ويقصر فمن مده أخرجه مخرج الضُغاء ـ صوت السنور ـ والرُغاء ـ صوت الابل ـ ومن قصره أخرجه مخرج الآفة وما أشبهها مثل الضنى ونحوه ، وقال قوم من أهل اللغة : بل هما : لغتان صحيحتان وأنشدوا بيت حسان :

بكت عينــى وحــق لهــا بكاها ومــا يغنــى البــكاء ولا العويل

وكان بعض من يوثق به يدفع هذا ويقول : لا يجمع عربى لفظين أحدهما ليس من لغته فى بيت واحد . وقد جاء هذا فى الشعر الفصيح كثيراً .

وقال ثعلب فى الأمالى : يقال : : فَضَلَ يَفْضُلُ وفَضِلَ يَفْضَلُ وربما قالوا : فضِل يفضُل . قال ابو تراب : هذه الأخيرة مركبة من بابين . فماضيها من باب علم ومضارعها من باب نصر قال الفراء وغيره من أهل العربية فَعِل يَفعُل لايجىء فى الكلام الاّ فى هذين الحرفين : مِتَّ تموت فى المعتلّ ودِمْتَ تدوم بالكسر وهى نادرة ، وفى السالم : فضِل يفضَل . أخذوا من لغة من قال يفضَل . وأخذوا (يموت) من لغة من قال يفضُل ولا ينكر أن يؤخذ بعض اللغات من بعض . وقال ابن درستويه فى شرح الفصيح : يقال : حَسِبَ يحْسَبُ نظير علم يعلم لأنه من بابه . وهو ضده فخرج على مثاله ، وأما يحسِب بالكسر فى المستقبل فلغة مثل « ورم يرم » و« ولى يلى » وفى المزهر : قال بعضهم : حَسَبُ يَحْسِبُ على مثال ضرب يضرب مخالفة للغة الأخرى . فمن كسر الماضى والمستقبل فانما أخذ الماضى من تلك اللغة ، والمستقبل من هذه فانكسر الماضى والمستقبل لذلك .وقال فى موضع آخر : شملهم الأمر يشملهم لغات . فمن العرب قوم يقولون : شمَل بفتح الميم من الماضى وضمها فى المستقبل . ومنهم من يقول : شمِل بالكسر يشمَل بالفتح ، ومنهم من يأخذ الماضى من هذا الباب والمستقبل من الأول فيقول شمِل بالكسر يشمُل بالضم وليس ذلك بقياس واللغتان الأوليان أجود

وقال : أبو حيان فى شرح التسهيل : كل ما كان لغة لقبيلة قيس عليه . وانما يسوغ التأويل إذا كانت الجادّة على شىء ثم جاء شىء يخالف الجادة فيتأول . أما إذا كان لغة طائفة من العرب لم يتكلم الاّبها فلا تأويل

وقال ابن فارس : لغة العرب يحتج بها فيا اختلف فيه اذا كان التنازع فى اسم أو صفة أو شىء مما تستعمله العرب من سننها فى حقيقة أو مجاز أو ما أشبه ذلك ، فأمّا الذى سبيله سبيل الاستنباط ، وما فيه لدلائل العقل مجال فلا يحتج فيه بشىء من اللغة لأن موضوع ذلك على غير اللغات .

وقال ابن جنّى فى الخصائص : اللغات على اختلافها كلها حجة فليس لك أن ترد إحدى اللغتين بصاحبتها لأنها ليست أحق بذلك من الأخرى ، لكن غاية مالك فى ذلك أن تتخير احداهما .

قال ابن فارس : اختلاف لغات العرب من وجوه أحدها :

الاختلاف فى الحركات نحو : نستعين بفتح النون ونستعين بكسرها قال الفراء : هى مفتوحة فى لغة قريش وأسد وغيرهم يكسرها .

والوجه الآخر الاختلاف فى الحركة والسكون نحو معَكم ومعْكم ووجه آخر وهو الاختلاف فى إبدال الحروف نحو : أولئك وأولالك - ومنها قولهم : إن زيداً وعنّ زيداً .

ومن ذلك الاختلاف فى الهمز والتليين نحو : مستهزئون ومستهزون ، ومنه الاختلاف فى التقديم والتأخير نحو : صاعقة وصاقعة . ومنه الاختلاف فى الحذف والاثبات نحو : استحييت واستحيت وصددت وأصددت . ومنها الاختلاف فى الحرف الصحيح يبدل حرفاً معتلاً نحو : أما زيد وأيما زيد . ومنه الاختلاف فى الامالة والتفخيم مثل : قضى ورمى فبعضهم يفخم وبعضهم يميل .

ومنه الاختلاف فى الحرف الساكن يستقبله مثله فمنهم من يكسر الأول ومنهم من يضم نحو : « اشتروا الضلالة » .

ومنها الاختلاف فى التذكير والتأنيث فان من العرب من يقول : هذه البقر وهذه النخل ومنهم من يقول : هذا البقر وهذا النخل ، ومنه الاختلاف فى الادغام نحو : مهتدون ومهدّون . ومنه الاختلاف فى الاعراب نحو : مازيد قائماً ، وما زيد قائم ، وانّ هذين وان هذان .

ومنه الاختلاف فى صورة الجمع نحو : أسرى وأسارى ، ومنه الاختلاف فى التحقيق والاختلاس نحو : يأمركم ويامركم ، وعفىَ له وعفىْ له ، ومنه الاختلاف فى الوقف على هاء التأنيث مثل : هذه أُمَّهْ ، وهذه أُمّتْ .

ومنها الاختلاف فى الزيادة نحو : انظر وانظور .

وكل هذه اللغات مسماة منسوبة الى أصحابها ، وهى وان كانت لقوم دون قوم فانها لما انتشرت تعاورها كل ، ومن الاختلاف اختلاف التضاد وذلك كقول حمير للقائم ثب أى اقعد .

وفى الحديث أن عامر بن الطفيل قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبه وسادة (أى افرشه إياها) والوثاب الفراش بلغة حمير .

وأفصح الخلق على الاطلاق سيدنا ومولانا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم حبيب رب العالمين جَلَّ وعَلاَ قال : أنا أفصح العرب ، وفى رواية أخرى :أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أنى من قريش ، وروى البيهقى فى شعب الايمان أن رجلاً قال يارسول الله ما أفصحك فما رأينا الذى هو أعرب منك ؟ قال : حق لى فانما أنزل القرآن على بلسان عربى مبين .

قال الخطابى : ان الله لما وضع رسوله صلى الله عليه وسلم موضع البلاغ من وحيه ونصبه منصب البيان لدينه اختار له من اللغات أعربها ومن الألسن أفصحها وأبينها ، ثم أمده بجوامع الكلم ، ومن فصاحته انه تكلم بألفاظ اقتضبها لم تسمع من العرب قبله . ولم توجد فى متقدم كلامها كقوله : « مات حتف أنفه » وكقوله : « حمى الوطيس » وكقوله : « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » فى ألفاظ عديدة تجرى مجرى الأمثال ، وقد يدخل فى هذا إحداثه الأسماء الشرعية .

وقال ابن فارس فى فقه اللغة : أجمع علماؤنا بكلام العرب والرواة لأشعارهم والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحالهم أن قريشا أفصح العرب ألسنة ، وأصفاهم لغة . وذلك ان الله تعالى اختارهم من جميع العرب واختار منهم محمدا صلى الله عليه وسلم فجعل قريشا قطان حرمه وولاة بيته . فكانت وفود العرب من جحاجحها وغيرهم يفدون الى مكة المكرمة للحج ويتحاكمون الى قريش وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم . فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى سلائقهم التى طبعوا عليها فصاروا بذلك أفصح العرب .

وقال الفارابى فى كتاب الألفاظ والحروف : كانت قريش أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق وأحسنها مسموعا وأبينها ابانة عما فى النفس .

غـَــاو وغواة

قال أبو تراب :

ومن أهم الغلطات اللغوية الدائرة على ألسنة الخطباء واقلام الكتاب فى زماننا هذا قولهم : (فلان غاو) و (هؤلاء غواة) قال أسعد داغر فى تذكرة الكاتب ص ٢٨ : انهم يستخدمون هذه الكلمة للتعبير عمن يزاول شيئا لمحبته له لا لا تخاذه حرفة . وهـذا الاستخدام كثير الشيوع فى الالعاب الرياضية . والفنون الجميلة وغيرها . ولكن الغاوى هو الضال . وعليه القول فى القرآن الشريف : « ما ضل صاحبكم وما غوى » والقول : « والشعراء يتبعهم الغاوون » . فكيف يصح استعماله للدلالة على معنى محب .

قال : وقد اصطلح المضمار منذ اول نشأته على كلمة « هاو » وجمعها « هواة » من الفعل (هوى يهوى) اى أحب واشتهى فهى من كل وجه تصلح للاستخدام بالمعنى الذى يريدونه من (الغاوى) و (الغواة) فما ضرّ كتابنا الأدباء لو وافقونـا على هاوٍ وهواة ، واجتنبوا خطأ استعمال غاو وغواة ؟

قال ابو تراب : من المحاورات العربية قولهم : فلان استغواهم بالأمانى الكاذبة . وهو من الغواة . ومن اهل الغواية . وتقول : هو فى غواية الضلال وغياية الضـلال ، ومـن المجاز : قولهم : رأس غاو أى كثير التلفت . وفلان حفر لأخيه مغَوَّاة اذا ورطه . والمعنى الذى ترمى اليه العامة من الغاوى اى المحب للشيء دون احتراف هو شديد الصلة بالرأس الغاوى اى كثير التلفت . فالتلفت والبحث والخوض صفات تلازم الهاوى وقد يكون هذا من باب رد العامى الى الفصيح لهذا التشابه . فاذا كانت الغواية ضلالا فالهوى لا يبعد عنها . فقد قالوا : طاح فى المهواة والهاوية (هذه هوة عميقة) و « أمه هاوية » كما قالوا : حفر لاخيه مغواة

اما قوله تعالى : « ما ضَل صاحبكم وما غوى » الذى استشهد به أسعـد داغـر فمعناه : ما عدل عن طريق الحق فى اقواله وافعاله وما اعتقد باطلا قط . والغَىُّ جَهلٌ

ناشٍئ من اعتقاد فاسد . ويقابله الرشد . لذلك قال بعده : « وما ينطق عن الهوى » اى لا يصدر نطقه فيما يأتيكم به عن هوى نفسه ورأيه . قال الزمخشرى فى الكشاف : الضلال نقيض الهدى والغي نقيض الرُشد .

قال ابو تراب : وعلى كل حال استعمال الهاوى بدل الغاوى خير للزوم صيغة الغواية أمور الفساد . قال ابن فارس فى كتاب المقاييس : هذه المادة تدل على خلاف الرشد واظلام الأمر . وايضا على فساد فى شيء ، والغي بمعنى الجهل بالامر والانهماك فى الباطل مشتق من الغياية وهى الغبرة والظلمة تغشيان ، كأن ذا الغي قد غشيه ما لا يرى معه سبيل حق . ويقال وقع القوم فى أغوية اى داهية وامر مظلم . والتغاوى التجمع ولا يكون ذلك فى سبيل رشد ومغواة حفرة الصائد والجمع مغوّيات وفى الحديث : أن عمر قال : (ان قريشا تريد ان تكون مغويات لمال الله) يريد انهم يحتجنون الأموال كالصائد الذى يصيد . وفى لسان العرب : عن ابى عبيد انه قال روى فى الحديث مُغْوِيَات بالتخفيف ، والعرب تقول : المُغَوِيَّات .

وفى النهاية لابن الأثير : المغواة حفرة تحفر للذئب ويجعل فيها جَدْيٌ اذا نظر اليه سقط عليه يريده . ومنه قيل : لكل مهلكة مغواة ، ومعنى الحديث : ان قريشا تريد ان تكون مصايد للمال ، ومهالك كتلك المغويات .

قال أبو تراب : يقال غَوِى وَغَوَى ، ومصدر غَوِى الغواية ومصدر غَوَى الغَيُّ واسم الفاعل من غَوِى غَاوٍ وغَوٍ ومن غَوى غَوِيُ وغَيّانُ .

قال دريد بن الصِمّة الشاعر المعروف :

وهل أنا الا من غَزِيّةَ إن غَوَتْ ... غَوَيْتُ وإن ترشد غَزِيةُ أرشد

وهذا البيت من قصيدة له من جيد شعره فى الأصمعيات ص ٢٨ وفى المفضليات ص ٢ ص ٤٧ للمرقش الأصغر أحد شعراء العرب الفرسان .

فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره ... ومن يغو لا يعدم على الغى لائما

وهذا البيت من قصيدة يقول فيها :

أمــن حُلُــمٍ أصبحــت تنــكت واجماً
وقــد تعتــرى الأحــلام من كان نائما

والواجم : الحزين ، وهو الذى ينكت فى الارض ويخطط بعود من الهم والفكر .

ومن امثال العرب : من حفر مغواة اوشك ان يقع فيها ، وفى الحديث الصحيح : من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى .

* * *

مؤامر ومتآمر

قال أبو تراب :

قال الدكتور مصطفى جواد فى (قل ولا تقل ، ج ١ ص ٢١ : قل : فلان مؤامر ، ولا تقل : متآمر ، لان حق الواحد المفاعلة اى المؤامرة ، تقول : آمر فلان فهو مؤامر كما تقول حارب فلان فهو محارب ، ولا تقول : متحارب .

وشارك فلان فهو مشارك . ولا تقول : متشارك ، ورافق فلان فهو موافق ولا تقول : مترافق .

واذا قلت : تآمر وتآمروا قلت : هما متآمران وهم متآمرون . فمتفاعل من هذا الوزن وهذا المعنى لا يستعمل الا مثنى او جمعاً . فاذا اريد استعمال المفرد وحده يرد الى مفاعل تقول : هو مؤامر وهى مؤامرة .

قال ابو تراب : تآمر القوم وأْتمروا مثل تشاوروا واشتوروا ولا يقال : متشاور وانما هو مشاور قال الله تعالى : « وشاورهم فى الامر) هذا لما كان الامر مقتصرا على الواحد اما فى حالة الاجتماع فقال تعالى : (فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما) فهما فى هذه الحالة اثنان . على ان هذه التفرقة التى جنح اليها الدكتور مصطفى جواد تفرقة معنوية لا لفظية لان كلا البابين المفاعلة والتفاعل يدلان على المشاركة وهى ثابتة فيهما .

لذلك قال الرضى فى شرح الشافية ص ١ ص ١٠١ فى علم الصرف لابن الحاجب الاولى هو ان فاعل لاقتسام الفاعلية والمفعولية لفظا والاشتراك فيهما معنى ، وتفاعل للاشتراك فى الفاعلية لفظا وفيها وفى المفعولية معنى يعنى ان كلا البابين سواء فى الاصل المشترك .

ولا فَرْقَ من حيث المعنى بين فاعل وتفاعل فى افادة كون الشىء بين اثنين فصاعداً ، وليس كما يتوهم من ان المرفوع من باب فاعل هو السابق بالشروع فى أصل الفعل على المنصوب بخلاف باب تفاعل الا ترى الى قول الحسن بن على لبعض من خاصمه :

(سفيه لم يجد مسافهاً) فانه سمى المقابل له فى السفاهة مسافهاً وان كانت سفاهته وجدت بعد سفاهة الاول ، فلا فرق من حيث المغزى والمقصد الحقيقى بين البابين . بل الفرق بينهما من حيث التعبير عن ذلك المقصود ، وذلك انه قد يعبر عن معنى واحد بعبارتين تخالف مفردات احداهما مفردات الاخرى معنى من حيث الوضع . فكذا ضارب زيد عمروا اى شارك فى الضرب وتضارب زيد وعمرو اى تشاركا فيه ، والمقصود من شاركه وتشاركا شيء واحد مع تعدى الفعل الأول ولزوم الفعل الثانى وهذه التفرقة بين البابين كما ذهب اليها الدكتور مصطفى جواد مؤدى كلام ابن الحاجب فى الشافية ص ٩٩/٩٦ اذ قال فى معانى باب المفاعلة انه لنسبة اصله الى احد الامرين متعلقا بالآخر للمشاركة صريحا فيجيء العكس ضمنا نحو ضاربته وشاركته ، ومن ثم جاء غير المتعدى متعديا نحو كارمته وشاعرته ، وجاء المتعدى الى واحد مغايرا للمفاعل متعديا الى اثنين نحو جاذبته الثوب واما تفاعل فلمشاركة امرين فصاعداً فى أصله صريحا نحو تشاركا ومن ثم نقص مفعولا عن فاعل .

قال الجواليقى : تآمر القوم اذا امر بعضهم بعضا ، ومعنى قوله تعالى (يأتمرون بك) أى يؤامر بعضهم بعضا ، وجائز ان يقال : ائتمر فلان رأيه اذا شاور عقله فى الصواب الذى يأتيه .

وفى لسان العرب : من المؤامرة المشاورة وفى الحديث (آمروا النساء فى انفسهن) اى شاوروهن فى تزويجهن .

ومن هذه المادة اشتق لفظ التامور ، قال الزمخشرى فى الاساس : هو تفعول من الأمر وهو القلب والنفس ، يقال اجعله فى تأمورك ولقد علم تأمورك ذاك ، وسميت النفس بذلك لأنها الأمارة .

قال ابن سيدة : قضينا عليه أن التاء زائدة فى التامور لعدم فعلول فى كلام العرب ، واطلق التامور على العقل والولد . وغير ذلك . قال الاعشى فى شعره .

واذا لها تامورة * مرفوعة لشرابها

فالتامورة هنا بمعنى الأبريق . ويقال : ما بالدار تامور اى ما بها احد ، وما بالركية تامور أى ما بالبئر ماء

والتامور من دواب البحر ، وهو ايضا جنس من الاوعال او شبيه بها له قرن واحد متشعب فى وسط رأسه ، وصَحَّ أن اشتقاق التامور من الأمر .

* * *

مشترك ومشارك

وقال الدكتور مصطفى جواد : قل هذا بدل المشاركة فى الجريدة او المجلة ولا تقل هذا بدل الاشتراك ، وذلك لانك تقول : شاركت فى الجريدة او المجلة اشارك شراكا ومشاركة ، ولا يصح البتة ان تقول اشتركت فى المجلة او الجريدة لان اشترك يدل على التشارك اعنى ان افتعل هاهنا بمعنى تفاعل الاشتراكى ولا يصح ان يكون من جهة واحدة بل يكون من جهتين فاعلتين او اكثر منهما ، الا ترى انه لا يجوز لك ان تقول اعتونت وتكتفى ولا افتشلت وتسكت ولا ائتمرت وتدعى الافادة فلابد لك من ان تقول اعتونت انا وفلان اى تعاونتا واقتتلت انا وعدو الوطن اى تقاتلنا وائتمرت انا وفلان بالخائن اى تآمرنا به فكذلك اشتركت انا والقوم فى المجلة فاذا لم يكن معك واحد معلوم رجعت الى المفاعلة فقلت شاركت فى المجلة كما تقول عاونت وقاتلت وآمرت ويؤيد ذلك ان الفصحاء منذ وُجدت العربية الى اليوم لم يقل احد منهم فلان متشارك ولا مشترك بل قالوا : هو شريك ومشارك ولا قال احد هو متعاون بل معاون ولا قال احد هو متقاتل بل قالوا مقاتل الا المتآمر فان من الذين لا يعلمون من العربية شيئا جليلا قالوا فلان متآمر والصواب مؤامر كمشارك ومقاتل ومحاسب والمبارى والمسابق .

قال أبو تراب : وقد علقنا على هذا فيما سبق لنا من الكلام . وقال اسعد داغر : ويعدون الفعل شارك الى مفعولين فيقولون : فتعود احدى الصحف الى مشاركة قرائها عواطفهم واميالهم ، فكأنهم يقيسون الفعل شارك على شاطر اذ يقال شاطره اى ناصفه ولكنه ليس كذلك فالصواب ان يقال فى عواطفهم واميالهم ، وقال ايضا : الشراكة خطأ والصواب الشركة .

* * *

شرفة ومستشرف

قال أبو تراب :

وفى كتاب الدكتور مصطفى جواد : قل : وقف فى المستشرف او الروشن أو الجناح . ولا تقل : وقف فى الشرفة فالشرفة هى اجزاء متساوية من البناء ناتئة على حافة السطح بعضها متصل ببعض ، وهى فى الغالب محددة الاطراف ، وتعد زينة السطوح ، وقد يقع عليها طائر. اما الانسان فكيف يقف او كيف يقعد على ناتئة من البناء فى حافة السطح ؟

وقد وصف ابن الرومى شرفات بعض القصور التى كانت على دجلة فقال :

ترى شرفاته مثل العذارى
خرجن لنزهة فقعدن صفا

عليهن الرقيب ابو رياح
فلسن لخوفه يبدين حرفا

فالمراد اذا (المستشرف) وهو الموضع الذى يشرف منه الانسان على ما حوله ، او الروشن ، وهو المعروف عند الغربيين بالبالكون .

ويجوز ان يقال المشرف . وقد ظهر لنا ان بعض المترجمين الضعفاء ترجم البالكون بالشرفة ولم يعرف الروشن ولا المستشرف وكذلك يجوز استعمال الجناح مكان الشرفة بالمعنى المغلوط فيه .

قال ابو تراب : جاء فى لسان العرب الشرفة أعلى الشيء وكذلك الشرف ، والجمع أشراف قال الأخطل (الديوان) ص ١٩٧

وقد اكل الكيران اشرافها العلا
وابقيت الالواح والعصب السمر

قلت الكيران جمع كور وهو رحل الناقة اراد انه من طول الاحتكاك فى الاسفار اكل ظهرها ـ قال ابن برزح . (اللسان سلم) بزرج (اللسان شرف) قالوا : لك الشرفة فى

فؤادى على الناس ، وقال شمر : الشرف كل نشز من الارض قد أشرف على ما حوله سواء كان رملا او جبلا ، والشرف من الارض ما أشرف لك يقال : أشرف لى شرف فما زلت اركض حتى علوته .

وقال الجوهرى فى الصحاح : الشرف العلو والمكان العالى قال الشاعر :

آتـى النـدى فلا يقـرب مجلسـى
وأقـود للشـرف الـرفيـع حمـارى

قال ابو تراب : الندى المنتدى . ومعنى البيت كما فسره ابن منظور انه يقول : انى خرفت فلا ينتفع برأيى وكبرت فلا استطيع ان اركب من الارض حمارى الا من مكان عال .

والمشرف الذى اختار الدكتور مصطفى جواد استعماله قال الليث : هو المكان الذى تشرف عليه وتعلوه . وقد خطأ استعمال الشرفة بدل المشرف والروشن وان كانا يتفقان فى معنى العلو والارتفاع لان الشرفة اطلقت على ما يوضع على اعالى القصور والمدن والجمع شرف كما فى لسان العرب ، والا فان المعنى الاشتقاقى يساعد على تسويغ استعمالها كالمستشرف والمشرف . قال ابن منظور : شرف الحائط جعل له شرفة .

وفى حديث ابن عباس امرنا ان نبنى المدائن شُرَفاً والمساجد جُمّاً أراد بالشرف التى طولت أبنيتها بالشرف . الواحدة شرفة ، قال فى النهاية : والجم جمع أجم وهو الذى لا قرون له ، شبه الشرف بالقرون ، والجماء هى الدابة غير القرناء .

وفى اساس البلاغة : مدينة شرفاء ومدائن شرف أى ذوات شرف . وقد استعمل مجمع اللغة العربية بالقاهرة كلمة الشرفة التى لم يرتضها الدكتور مصطفى جواد ففى المعجم الوسيط الذى اخرجه ابراهيم مصطفى واحمد حسن الزيات وحامد عبد القـادر ومحمد على النجار : الشرفة بناء خارج من البيت يستشرف منه على ما حوله ، وقال المعجم : انها محدثة ، واصلها ما يوضع فى اعلى البناء يحلى به واطلق الروشن على الرف ، والكوة والشرفة بمعناها المحدث وجمعه رواشن واما الجناح فهو الجانب ومنه جناح الفندق والروشن .

قال أبو تراب : وما سمى الجناح بذلك الا لمجانبته .

وفى محيط المحيط لبطرس البستانى : الجناح الروشن والمنظر يقال : اشرع فلان جناحاً الى الطريق أى رَوْشَناً ومنظراً

قال أبو تراب : وليس فى لسان العرب : الروشن بمعنى المشرف او الشرفة او الجناح او المنظر وانما فيه الروشن بمعنى الرف وبمعنى الكوة وقال الزبيدى فى تاج العروس ان الكلمة فارسية . وفى اللسان الروشن الرق ، والظاهر انه خطأ بل هو الرف ، قال فى ذيل اقرب الموارد : وهو الذى يوضع عليه طرائف البيت

قال أبو تراب : اما كون الروشن فارسى الاصل فهذا صحيح لم ينبه عليه مجمع اللغة المصرى ، ولعل الذى صدفهم عن ذلك كون الكلمة متفقة اللفظ مع مادة رشن فى العربية بمعنى تشمم الطعام او تحينه ، ودليلنا على كونها معربة ان المطرزى ذكره فى المغرب قال فى المنتقى : روشن موقع لصاحب العُلو مشرف على نصيب الآخر ، وعن القاضى الصدر هو الممر على العلو مثل الرف .

* * *

تعريب وترجمة

قال ابو تراب :

ومن الخطأ الشائع استعمال كلمة التعريب مكان كلمة الترجمة والترجمة غير التعريب فالتعريب نقل كلمة غير عربية الى العربية بحروفها مع تصرف يناسب العربية واما الترجمة فهى حكاية معناها باللفظ العربى . وهذا الفرق الكبير بين دلالة التعريب والترجمة يغفل عنه كثير من الكتاب والخطباء .

قال اسعد داغر فى تذكرة الكاتب : ويستعملون الفعل (عرّب) وما يشتق منه مكان الفعل (ترجم) ومشتقاته فيقولون : هذا الكتاب عربه فلان او هو تعريب فلان او لمعربه فلان ، فيغيرون معنى الفعل ، ويحولون وجه استعماله . لان التعريب انما هو نقل الكلمة بلفظها من احدى اللغات الاجنبية الى اللغة العربية اما نقل معنى الكلمة او الجملة او المقالة او الكتاب فهو ترجمة . فبالتعريب ننقل مثلا الكلمات الاتية بالفاظها وتقول : (بيسكل) و (أتوموبيل) وغيرهما كالتلغراف والبنك والفوتوغراف والتلفون ، وبالترجمة نعبر عن معنى الكلمتين الاوليين بقولنا : دراجة وسيارة .

قال ابو تراب : ووهم (الشاعر الشيخ أحمد الغزاوى) فظن كلمة (بيسكل) من بسكل يبسكل فى العربية ، والبسكل بالعربية الغرس ، وما اشنع هذا التخريج لأن اتفاق اللفظين فى التركيب لا يعنى البتة كون الكلمتين من لغتين متباينتين من اصل واحد . وهذا كالذى جعل البنك من الكتاب المعاصرين عربيا من بنك يبنك والتبنيك بالعربية قضاء الحاجة والاقامة وما ابعد هذا عن جادة الصواب ، نعم هناك كلمات اتفقت الفاظها مع التراكيب العربية فى تداخلها ثم ثبت سقوط تلك الكلمة العربية الى اللغة الاجنبية ثبوتا علميا تاريخيا فهذه نقطع بيقين بعربيتها كالترسانة اسما لمصنع الاسلحة ، واصل الكلمة عربى لانها محرفة من (دار الصناعة) اما

التعسف الذى يلجأ اليه هؤلاء الكتاب فيجعلون كل ما اشتموا منه رائحة التركيب العربى عربيا فلا ، وذلك اشبه بجعلهم شكسبير الشاعر من اصل عربى وجعلوا اسمه ايضا عربيا فقالوا هو محرف من (شيخ كبير) واوتوستراد من الصراط وقد حذر السراج فى الاشتقاق من هذا النوع لئلا يجعل الطير ولد الحوت . اما التعريب فقد جاء بمعان منها ما ذكرنا . قال الشرتونى فى اقرب الموارد : عرّب الاسم العجمى تفوه به على منهاج العرب وصيره عربيا . ومثله فى محيط المحيط .

وفى المعرب للجواليقى : (المقدمة) انه ما تكلمت به العرب من الكلام الاعجمى وذكرته فى اشعارها واخبارها . ولفظت به بألسنتها فعربته فصار عربيا بتعريبها اياه فهى عربية فى هذه الحال اعجمية الأصل . والأسماء المعرّبة على ضربين احدهما ما ادخل عليه لام التعريف . والثانى ما لم يدخلوا عليه لام التعريف . ثم ذكر الجو اليقى مذاهب العرب فى استعمال الاعجمى من التغيير الى ابنية العرب وصيغ كلامها كالابدال والهمز وائتلاف الحروف فالمقصود ان التعريب هو غير الترجمة .

قال فى القاموس : التُرْجُمان والتَرْجَمان والتَّرْجُمان المفسر للسان . وقد ترجمه وترجم عنه ، والفعل يدل على اصالة التاء . وقال فى لسان العرب : الترجمان هو الذى يترجم الكلام اى ينقله من لغة الى لغة اخرى والجمع التراجم ، والتاء والنون زائدتان . وترجمان من المثل التى لم يذكرها سيبويه فى كتابه .

وقال ابن جنى : التاء فيه اصلية .

قال أبو تراب : وقد ورد لفظ الترجمان فى صحيح البخارى فى حديث هرقل حين وصل اليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام فسأل ابا سفيان عن النبى صلى الله عليه وسلم واخباره فكان يحدثه ويجيب عن كل ما سأل . وفى هذا الحديث انه قال : لترجمانه قل لابى سفيان : كذلك الانبياء فالترجمان هو الذى كان ينقل معنى كلام ابى سفيان الى هرقل وينقل معنى كلام هرقل عظيم الروم الى

ابى سفيان . ثم اطلقت الترجمة على العنوان وشرح الحال واستعملت بمعنى التعبير عن الشيء فما ابعدها عن التعريب والمعرّب .

ومن فوائد ما نحن بصدده ان كلمة العرب تطلق على النفس ايضا وشاهد ذلك ذكره الصغانى فى التكملة وهو بيت للشاعر ابن ميادة من قصيدة يمدح بها الوليد بن يزيد قال :

لما أتيتك من نجد وساكنه
نفحت لى نفحة طارت بها العرب

أى طابت بها النفس . وفى رواية اخرى :

لما أتيتك أرجو فضل نائلكم
نفحت لى نفحة طابت بها العرب

* * *

سواح وسياح

قال أبو تراب :

ومن الاغلاط الدارجة كلمة السُوّاح ، جمع سائح فيقولون كثر السُوّاح هذه السنة فى لندن مثلا . وهذا خطأ فجمع السائح ليس سُواحاً . بل هو سياح . وسائحون .

قال الله تعالى فى صفات المؤمنين : « التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون » وأراد بالسائحين الغُزاة المجاهدين وجمع المؤنث سائحات قال الله تعالى فى صفات الأزواج المطهرات : « قانتات تائبات عابدات سائحات » وأراد بالسائحات الصائمات تشبيها لهن بالسائحين لتركهن الملاذّ .

والسياح من السياحة . وهذه الصيغة تسمى عند الصرفيين اجوف يائياً لتوسط الياء فى الكلمة ، ولانها فى الوزن الصرفى مقابل عين الكلمة فتسمى معتلة العين لان الياء حرف علة فلا يجوز ابدالها بالواو كما فعلوا فى (السواح)

فالصواب سياح باثبات تلك الياء فى هذا الجمع الذى هو جمع تكسير واما السائحون فهو جمع سلامة ، لانه لم ينكسر فيه بناء واحده . والدليل على كون هذه الكلمة يائية قوله تعالى : « فسيحوا فى الأرض » فلو كانت واوية لكان فسوحوا ولا ننفى بهذا وجود مادة السوح فى كلام العرب بل هى موجودة ومادة السوح منها ساحة الدار والجمع سوح ، يقال : عمر الله بك ساحتك ، ويقال : احمرّ اللُوح ، واغبرت السوح اذا وقع الجدب . واللُوح بمعنى الريح .

قال ابو ذؤيب الهذلى :

وكان سِيّان أن لا يسرحوا نعماً
أو يسرحوه بها واغبرت السوح

اما السياحة فهى من ساح الماء على وجه الأرض سيحاً . واساح فلان نهراً اى اجراه

قال الفرزدق :

وكم للمسلمين أسحت فيهم
بإذن الله من نهر ونهر

ومن المجاز: ساح الرجل فى الارض سياحة . ورجل سائح وسياح ، والهمزة فى سائح . مبدلة من الياء وشبه الصائم بالسائح قال ابو طالب :

وبالسائحين لا يذوقون قطرة
لربهم والراتكات العوامل

الراتكات الابل ـ ومن المجاز ايضا فلان سيح تسييحاً اذا نمّق فى الكلام . والخلاصة ان هذه الكلمة يائية فلا يجوز فيها (السواح) بل الصواب السياح .

قال مصطفى جواد : قل هؤلاء السياح جواسيس ولا تقل هؤلاء السواح جواسيس

وذلك لأن السياح جمع تكسير للسائح ، والسائح اسم فاعل من الفعل ساح فى الأرض سياحة وسيوحاً وسيحاً وسيحانا كما فى لسان العرب . والمصدر المشهور هو السياحة لزيادة أحرفه المستوجبة زيادة معناه ، وليس السائح من ساح يسوح المفقود حتى يجمع على سواح مثل قائد وقواد بل هو مثل غائب وغياب وعائب وعياب واما الجمع المصحح للسائح فهو السائحون والسائحين بحسب انواع الاعراب ، ويعمد الى جمع المذكر السالم عند ارادة الحدث كأن يقال : « كان السياح سائحين فى أمريكا » « وإنّا السائحون اليوم وانكم السائحون غداً » وغير الفصيح فى مثل هذا المعنى ان يقال كان السياح سياحاً فى امريكا وانا السياح اليوم وانكم السياح غداً » اذا اريد فعل السياحة ايضا

وفى لسان العرب : والسياحة الذهاب فى الارض للعبادة والترهب . وفى الحديث لا سياحة فى الاسلام يعنى مفارقة الامصار وسكنى البرارى وترك شهود الجمعة والجماعات قال ابن الأثير : فى معنى هذا الحديث انه اراد الذين يسعون فى الارض بالشر والنميمة والافساد بين الناس .

وذكروا ان اسم المسيح بن مريم عليهما السلام مشتق من السياحة لانه كان يذهب فى الارض فأينما ادركه الليل صف قدميه وصلى حتى الصباح . فاذا كان كذلك فهو اسم

مفعول بمعنى فاعل .

وفى حديث على بن ابى طالب : اولئك امة الهدى ليسوا بالمساييح ولا بالمذاييع البُذُر - يعنى الذين يسيحون فى الأرض بالنميمة والشر والافساد بين الناس ، والمذاييع الذين يذيعون بالفواحش .

وفى تهذيب اللغة للازهرى : المساييح ليس من السياحة ولكنه من التسبيح ، وهو ان تكون فى الثوب خطوط مختلفة ليست من نحو واحد .

وسياحة هذه الأمة الصيام ولزوم المساجد قال الزجاج (السائحون) فى قول اهل التفسير واللغة جميعا الصائمون وانما قيل للصائم سائح لان الذى يسيح متعبداً يسيح ولا زاد معه انما يطعم اذا وجد الزاد والصائم لا يطعم ايضا فلشبهه به سمى سائحا .

* * *

كتابة وتحرير

قال أبو تراب :

ومن الأخطاء التى اطبق عليها الناس كافة فى زماننا هذا استعمالهم كلمة (التحرير) مكان الكتابة وفى الصحف المنتشرة يستعملون (المحرر) بدل الكاتب . ويقولون : (رئيس التحرير) وانما هو رئيس الكتاب ، لأن التحرير غير الكتابة . وهم لم يفرقوا بينهما ، فالتحرير هو اصلاح الخطأ واقامة الاعوجاج فى الكتابة ، فهو اشبه بالتصحيح .

فالاولى ان يسمى المصححون بالجرائد محررين . والمحررون كتابا ، ورئيس المصححين هو رئيس التحرير لأنه يُصْلح ما كتبوا ويضيف اليه ما سقط ، واما رئيس التحرير فهو رئيس الكتاب على الصواب .

وإليكم الدليل : قال الفيروز ابادى فى القاموس : تحرير الكتاب وغيره تقويمه . وقال الزبيدى فى تاج العروس : ومن المجاز تحرير الكتاب وغيره تقويمه وتخليصه باقامة حروفه وتحسينه باصلاح سقطه ، وتحرير الحساب اثباته مستويا لا غَلَتَ فيه ولا سقط ولا محو .

وفى لسان العرب : تحرير الكتابة إقامة حروفها وإصلاح السقط . وتحرير الحساب اثباته مستويا لا غلت فيه ولا سقط ولا محو .

قال أبو تراب : فى لسان العرب (لا غلث فيه) وهو خطأ والصواب لا غلت فيه . فالغلت فى الحساب كالغلط فى القول . وهذا الفرق اللغوى نبه عليه الفيومى فى المصباح المنير وغيره . ونقل الزبيدى عبارة اللسان فطبع (لا غلث فيه) كما فى اللسان على الخطأ . وقال الزمخشرى فى الاساس : حرر الكتاب حسنه وخلصه باقامة حروفه واصلاح سقطه .

قال أبو تراب : اشتقاقه من تحرير الرقاب فانه تخليصها من الرق . وكذلك تحرير الكتاب هو تخليصه من شوائب الغلط ، وتحرير الحساب هو تخليصه من شوائن الغلت .

ومنه : (رب انى نذرت لك ما فى بطنى محرراً) أى مخلصاً للعبادة . وتحرير الولد ان يفرده لطاعة الله عز وجل وخدمة المسجد .

قال الزجاج : معنى قول امرأة عمران : (انى نذرت ما فى بطنى محرراً) جعلته خادماً يخدم فى متعبداتك . وكان ذلك جائزاً وكان على اولادهم فرضا ان يطيعوهم فى نذرهم . فكان الرجل ينذر فى ولده ان يكون خادماً يخدمهم فى متعبدهم ولعبادهم ولم يكن ذلك النذر فى النساء . وانما كان فى الذكور . فلما ولدت امرأة عمران مريم قالت : رب انى وضعتها انثى وليست تصلح للنذر فجعل الله من الآيات فى مريم لما أراد من أمر عيسى عليهما السلام ان جعلها متقبلة فى النذر فقال تعالى « فتقبلها ربها بقبول حسن » .

قال أبو تراب : فتحرير الكتاب جاء من هذا الاشتقاق فالمحرر ليس هو الكاتب والمنشىء وانما هو يخلص الكتابة من العيوب ويقيمها على وجهها فاطلاق لفظ التحرير على الكتابة دائما خطأ وكذلك اطلاق لفظ رئيس التحرير على منشىء المجلة او الجريدة .

ومنه تحرير الوزن وهو ضبطه بالتدقيق وتحرير المعنى وهو استخلاصه مجرداً . فالمحرر هو المستخلص الضابط وليس الكاتب قال أسعد داغر فى أثناء الرد على المولعين باستعمال التعريب يزعمون أن فيها معنى أرفع شأناً من معنى « الترجمة » أو يرون لفظها أفخم وأفصح وهو زعم باطل ورأى فائل : وقد سبقهم إلى الوقوع فى مثل هذا الوهم بعض الكتاب المشتغلين بالصحافة فانهم طلقوا كلمة « الكتابة » فى الدلالة على صناعتهم وأطلقوا عليها كلمة (تحرير) وقالوا : محرر ورئيس تحرير بدل (كاتب) (ورئيس كتاب) مع أن التحرير مهما نتوسع فى معناه يظل دون مدلول الكتابة . ولكنهم عدلوا إليه لزعمهم أنه أفخم مبنى وأعظم معنى ؟

قال أبو تراب : ويذكر فى هذه المادة من محاورات العرب قولها : فلان رماه الله بالحرة تحت القرة ـ الحرة من الحر والقرة من القر وهو البرد ـ وقالوا : هبت السمائم والحرائر ـ جمع السموم والحرور ـ ويقال : فلان فى كرم وحرية ـ الحرية الخلاص ـ وأرض حُرة لا سبخة فيها ، ورملة حُرة طيبة النبات . ونزل فى حر الدار أى وسطها ، وليس هذا منك بحر أى

حسن قال طرفة بن العبد :

لا يكن حبك داء قاتلاً
ليس هذا منك ماوِىَ بُحرُّ

ماوِى هنا منادى مرخم أى محذوف الآخر وأصله ياماوِيَّةُ ويقال : وجه حر ، وكلام حر ، وفلان ضرب حر وجهه قال الشاعر فى الاقتباس :

رب يوم هواؤه يتلظى
فيحاكى فؤاد صب متيم
قلت إذ خد حره حر خدى
« ربنا اصرف عنا عذاب جهنم »

والحُرّتان : الأذنان . تقول : حفظ الله كريمتيك وحرتيك ، الكريمتان ـ العينان ـ وسحابة حرة أى كريمة بمطرها وأحرار البقول . مايؤكل غير مطبوخ .

* * *

أيُّما أفضل وأيهما أفضل

قال مصطفى جواد : قل : أيُّما أفضل آلعلم أم المال ؟ ولا تقل أيهما أفضل آلعلم أم المال .

وذلك لأن (هما) فى قولك أيهما ضمير يعود إلى اسم ظاهر متأخر عنه لفظاً ورتبة عوداً غير مجاز ، مضافاً إلى أن التركيب مخالف للمنطق اللغوى . فأىُّ للاستفهام و (هما) إخبارٌ ويكون الاستفهام عن الظاهر أول مرة ، فاذا كرر الظاهر جاز لنا أن نستفهم عن ضميره ولما لم يذكر الظاهر فى هذه الجملة وضعنا مكانه (ما) فقلنا : أيُّما أفضل آلعلم أم المال ؟

قال أبو تراب : الاستفهام الكلامى يجب أن يذكر معه المستفهم عنه كى يصح الاستفهام سواء كان المستفهم عنه ظاهراً أم حاضراً . فأما الظاهر فكقوله تعالى : « فبأى آلاء ربكما تكذبان » فالآلاء وهى النعم ـ مستفهم عنها وهى اسم ظاهر . وكقوله تعالى : « وماتدرى نفس بأى أرض تموت » فالأرض أسم ظاهر . وكقوله تعالى : « قل أى شيء أكبر شهادة » فأىُّ مضاف إلى شيء مستفهم عنه وهو اسم ظاهر . فأمّا الحاضر وهو ضمير الخطاب فكقوله تعالى : « أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين » . فى قصة بلقيس وسليمان عليه السلام فالمستفهم عنه ضمير الخطاب وهو (كم) فاذ قد ثبت أن المستفهم عنه يجب أن يكون مذكوراً بعد أداة الإستفهام لم يجز لنا أن نستفهم عن شيء غير مذكور بضمير الغائب كقولك أيهما أفضل آلعلم أم المال ؟ لأن (هما) يرجع إلى شيء لم يذكر فكيف يرجع إليه الضمير وهو غير مذكور ، فلو ذكر قبله شيء يعود إليه الضمير جاء ذلك الاستفهام كأن تقول : العلم والمال أيهما أفضل لديك ؟ فلما لم يذكر قبل الضمير شيء يرجع إليه أقيم مقامه (ما) الزائدة ، فتقول : أيما أفضل آلعلم أم المال ؟ ليصح التركيب اللغوى . ومثال زيادة (ما) قوله تعالى : « أيَّما الأجلين قضيتُ فلا عدوان علىّ » فى قصة موسى وشعيب عليهما السلام وهى هنا شرطية لا استفهامية كقوله تعالى : « أيّاماً تدعو فله

الأسماء الحسنى » ويجوز ذلك فى ضمير المتكلم لأنه من ضمائر الحضور كقوله تعالى فى قصة موسى عليه السلام وفرعون : « ولتعلمن أينا أشد عذاباً وأبقى » فقد دخلت أى على (نا) وهو ضمير المتكلمين . والشاهد على جواز الاستفهام بأىّ عن ضمير الغائب بعد ذكر المستفهم عنه قوله تعالى : « وماكنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم » فضمير (هم) راجع إلى المذكورين الذين كانوا يلقون الأقلام للقرعة من الأنبياء . ومثله قوله « آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً » فالمستفهم عنه مذكور هنا وهو معشر الآباء والأبناء والضمير راجع إليهم ، فالخلاصة أن الاستفهام عن ضمير المستفهم عنه لابد من أن يكون مسبوقاً بذكر المستفهم عنه وإلاّ أقيم مكان الضمير (ما) فيقال : أيما خير هذا أم ذاك ؟ ولا يقال : أيهما خير هذا أم ذاك ؟ وأىٌّ اسم يأتى على خمسة أوجه فهو شرط واستفهام وموصول ودالّ على معنى الكمال ووصلة إلى النداء .

قال ابن هشام فى المغنى ج ١ ص ٧٣ ما خلاصته : أمّا الشرط فهو نحو : « أيًّاماً تدعو فله الأسماء الحسنى » والاستفهام نحو : « أيكم زادته هذه إيماناً » والموصول نحو : « لننزعنّ من كل شيعة أيهم أشد » التقدير لننزعن من كل شيعة الذى هو أشد . وعارض ذلك بعض البصريين والكوفيين . بل زعم ثعلب أن أياً لا تكون موصولة أصلاً ، وخالفوا فى ذلك سيبويه وأما الدالة على معنى الكمال فتقع صفة للنكرة نحو : زيد رجل) أى رجل أىْ كامل فى صفات الرجال . وتكون حالاً للمعرفة مثل : مررت بعبد الله أىَّ رجل أى حال كونه رجلاً كاملاً .

والوصلة إلى النداء نحو يا أيها الرجل – والهاء بعدها للتنبيه وقد تخفف أىٌّ فيقال : أيْهَا بدَلَ أيُّها قال الفرزدق يذكر نصر بن سيار ملك العراقين :

تنظرت نصراً والسماكين أيْهما
علىّ من الغيث استهلت مواطره

قال أبو تراب : تنظرت يعنى انتظرت والسماكان : كوكبان أحدهما السماك الأعزل والثانى السماك الرامح . واستهلت أى صَبَّبَتْ والمواطر هى سحائب وقد شرحه الدسوقى والشمنى والسيوطى ولم يذكر السيوطى أنه أراد نصر بن سيار بل قال هو والشراح أنه اسم رجل ولكن ذكر ابن الأمير فى حاشية المغنى أنه نصر بن سيار والبيت أورده ابن مالك فى شرح الكافية أيضاً شاهداً على حذف (أل) من العلم بالغلبة دون نداء ، ولم يذكر السيوطى أنه للفرزدق .

* * *

رجعيّ وتقدميّ

قال أبو تراب :

وكثر استعمال كلمة (الرجعى) ضد (التقدمى) وهو خطأ . وهم يقصدون بالرجعى . المتأخر عن ركب الحضارة المتمسك بالأمور البالية . لكنهم نسبوه إلى الرجع . وهو مصدر الفعل المتعدى رجع يرجع رجعاً . قال تعالى « فرجعناك إلى أمك كى تقرعينها ولاتحزن » أى أعدناك إليها ، وأما الفعل اللازم رجع يرجع أيضاً أى تأخر وارتد فمصدره رجوع . فاذا أرادوا النسبة إلى مصدر هذا الفعل فالصواب أن يقولوا : فلان رجوعيٌّ لا رجعيٌّ لأن الرجعيَّ نسبة إلى فعل متعد بمعنى الاعادة ومعناه المعيد وهذا ليس مرادهم . وإنما مرادهم المتأخر الناكص . إذن فليقولوا : رجوعيٌّ نسبة إلى فعل لازم ، وكلا الفعلين اللازم والمتعدى سواء فى اللفظ ، فيقال : فلان رجع أى انصرف وهذا لازم . ويقال : فلان رجع الشيء أى رده وهذا متعدٍ . مثل أرجع .

ومصدر الفعل المتعدى هو الرجع ومصدر الفعل اللازم هو الرجوع فلما كان المراد فى النسبة هو مصدر اللازم لا المتعدى تعينّ أن يكون الصواب رجوعياً . وأن يكون الخطأ رجعياً كما هو شائع ذائع .

ومن مصادر فعل رجع يرجع اللازم الرُّجْعَى قال تعالى : « إن إلى ربك الرجعى » . فتجوز النسبة إلى هذا المصدر :

قال الدكتور مصطفى جواد فى كتابه : قل هذا رجل رُجْعيٌّ . وهو منسوب إلى الرجعى على وزن الدنيا وهو مصدر الفعل اللازم (رجع) جاء فى مختار الصحاح : والرُّجعى : الرجوع .

قال أبو تراب : جوز الدكتور رُجْعياً بحذف الألف المقصورة من الرُّجعى فى النسبة وهو مثل جُمادى نسبة إلى جُمادى بحذف ألفها المقصوة ومنهم من لا يحذفها مثل دنيوىٍ فيقلبها بموجب القانون الصرفى واواً . وعلى هذا تكون النسبة إلى الرّجعى رجعويا ويجوز

أيضاً زيادة ألف قبلها فتقول بدل رجعوى رجعاوىٌّ وهو مثل دنياوىٍ .

قال الرضى فى شرح الشافية حـ ٢ ص ٣٩ : الألف الرابعة إن كانت منقلبة أو للإلحاق أو أصلية فالأشهر الأجود قلبها واواً دون الحذف لكونها أصلاً أو عوضاً من الأصل أو ملحقة بالأصل . وإن كانت للتأنيث فالأشهر حذفها . لأنه إذا اضطر إلى إزالة عين العلامة فالأولى بها الحذف فرقا بين الزائدة الصرفة والأصلية أو كالأصلية ، ويتحتم حذفها إذا تحرك ثانى الكلمة كجمزى لزيادة الاستثقال بسبب الحركة فصارت الحركة لكونها بعض حروف المد كحرف . فاذا كان الأولى بألف التأنيث من دون هذا الاستثناء الحذف صار معه واجب الحذف .

وقال فى شرح الكافية : جـ ١ ص ٤٤ والدليل على قيام حركة الوسط مقام الحرف الرابع إنك تقول فى حبلى : حبلى وحبلوى ولا تقول فى جمَزى الآجمزى كما لا تقول فى جُمادىَ الآجمادى وفى شرح الشافية : إن كان ثانى الكلمة ساكناً جاز تشبيه ألف التأنيث بالألف المنقلبة والأصلية والتى للالحاق فتقول : حبلوى وبألف التأنيث الممدودة فتزيد قبلها ألفاً آخر وتقلب ألف التأنيث واواً فتقول : حبلاوى ودنياوى كصحراوىٍ .

قال أبو تراب : فعلى هذا لك أن تقول فى هذه النسبة : رجوعىٌّ ورُجْعىٌّ ورجعاوىٌّ ، ومن مصادر هذه المادة : مرجع ومرجِعة وهما شاذان كما فى القاموس لأن فعَل يفعِل مصادره على وزن مفعَل لا مفعِل . ورجعان أيضاً مصدر ولا يصح أن يكون الرجعى منسوباً إلى الرجعة وهى مذهب أهل الباطل يؤمنون بالرجوع إلى الدنيا بعد الموت والعياذ بالله . قال مصطفى جواد : ويقولون للرجل المتمسك بالأمور القديمة العقيمة وللأمر القديم العقيم (رجعى) لبيان أنه ضد التقدمى وذلك خطأ لأن الرجعى منسوب إما إلى الرجع وهو مصدر الفعل المتعدى رجعه يرجعه رجعاً . وأمّا إلى الرجعة وهى الحياة الثانية فى الدنيا . ومنها قولهم : فلان يقول بالرجعة ويعتقدها وهو من أهل الرجعة أى ممن يؤمنون بأن أناساً من الموتى سيعودون إلى الحياة بعد الموت ويحيون حياة ثانية . جاء فى مختار الصحاح : فلان يؤمن بالرجعة أى بالرجوع إلى الدنيا بعد الموت ، فالرجعة صارت مصطلحاً وذلك ضد مايريد القائل ، لأن الحياة بعد الموت تجدد وتقدم فاستعماله خطأ مبين .

والذى منع من استعمال الرجعى منسوباً إلى مصدر الثلاثى المتعدى هو أن المراد الفعل اللازم لإفادة النكوص والتأخر ومصدره الرجوع والرجعى ليقابل الفعل اللازم (تقدم) ومصدره التقدم وهما غير تقدمه المتعدى ومصدره التقدم أيضاً غير المرادين هنا . فالرجوعى واضح المعنى .

قال أبو تراب : والرجع المطر ، ومن المحاورات رزقنا الله رجع السماء قال تعالى : « والسماء ذات الرجع » .

* * *

استلم وتسلم

قال أبو تراب :

ويستعملون : (استلم) بدل (تسلم) وهو خطأ شائع ، والاستلام لا يعنى الأخذ بل يعنى اللمس باليد والتقبيل ، قال ابن منظور فى اللسان : تسلمه منى أى قبضه . وسلمت إلبه الشىء فتسلمه أى أخذه .

واستلم الحجر واستلأمه قبله أو اعتنقه ـ وليس أصله الهمز ـ وله نظائر ، قال سيبويه : استلم من السلام لايدل على معنى الاتخاذ . وقول العجاج : (بين الصفا والكعبة المسلّم) قيل فى تفسيره أراد المستلم ، كأنه بنى فِعْلَه على فَعَّل . وقال ابن السكيت : استلأمت الحجر وانما هو من السِلام وهى الحجارة . وكأن الأصل استلمت ، وقال غيره : استلام الحجر افتعال فى التقدير مأخوذ من السِلام وهى الحجارة تقول : استلمت الحجر إذا لمسته من السلام كما تقول : اكتحلت من الكحل .

قال الأزهرى : وهذا قول القتيبى والذى عندى فى استلام الحجر أنه افتعال من السَّلام . وهو التحية ، واستلامه لمسه باليد تحريا لقبول السَّلام منه تبركاً به ، وهذا كما يقال : اقترأت منه السلام .

قال : وقد أملى على أعرابى كتاباً إلى بعض أهاليه فقال فى آخره : اقترىء منى السلام ، وهذا يدل على صحة هذا القول ، أن أهل اليمن يسمون الركن الأسود المُحَياً معناه أن الناس يحيونه بالسلام فافهمه .

وفى حديث ابن عمر قال : استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجر فاستلمه ثم وضع شفتيه عليه يبكى طويلاً فالتفت فاذا هو بعمر بن الخطاب يبكى فقال : يا عمر ههنا تسكب العبرات . ذكره الطبرى فى القرى .

وروى أبو الطفيل قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف على راحلته يستلم بمحجنه ويقبل المحجن ، قال الليث استلام الحجر تناوله باليد وبالقبلة ومسحه

بالكف ، قال الأزهرى وهذا صحيح ، وقال الجوهرى : استلم الحجر لمسه اما بالقبلة أو (كذا) باليد لا يهمز لأنه مأخوذ من السِّلامِ وهو الحجر كما تقول : استنوق الجمل وبعضهم يهمزه .

قال أبو تراب : المحجن الذى استلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم الركن هو عصاً معقفة الرأس كالصولجان والميم زائدة ، وهى التى يسمونها المشعاب ويجمع على محاجن .

وقد ذكر أسعد داغر هذه اللفظة فى التذكرة قال : ويقولون استلم فلان الشيء ، وأمضى وصول الاستلام ، وهو شائع مستفيض بين كثير من الكتاب ، فيستعملون هذا الفعل ومشتقاته بمعنى الأخذ والتناول على خلاف المعنى الموضوع له وهو اللمس بالتقبيل أو باليد أو المسح بالكف ، ومنه تيمن الحجاج فى مكة المكرمة باستلام الحجر الأسود الذى قيل له ذلك لأنه اسود من لمسهم له عند استلامه .

قال أبو تراب : ورد فى الحديث أن الحجر كان أبيض كاللبن وانما سودته خطايا بنى آدم رواه ابن ماجه وغيره .

وقال الفرزدق فى الحسين بن على بن أبى طالب كذا ذكر أسعد والصواب أنه قول الحزين الكنانى فى عبد الله بن عبد الملك وزعم بعضهم أنه للفرزدق فى زين العابدين على بن الحسين وقيل غير ذلك :

يكاد يمسكه عرفان راحته
ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم

أمّا الفعل الذى يفيد معنى الأخذ والتناول فهو (تسلم) يقال تسلمه وسلّم إليه الشيء فتسلمه ، وأمضى وصول التسلم .

وفى الأساس : سلم إليه الشيء فتسلمه ، واستلم الحجر من السّلام وهى الحجارة ، وفى مثل : (أكتم للسر من السلام) ، ومن المجاز قول ذى الرمة :

ولم يستطع إلفٌ لإلفٍ تحية
من الناس الاّ أن يُسَلّم حاجبه

ومن المحاورات : أسلم السِلْكُ الجُمانَ . قال عمر بن أبى ربيعة :

فقــالا لهــا فارفض فيض دموعهـــا
كما أســلم الســلك الجُمــانَ المُنَظَّمَا

ورجل مستلم القدمين أى لَيَّنُهَمَا ، وقد استلـم الخف قَدميـه أى لَيَنَّهُمَا . وأسلمـه للْهلكة .

وفى المعجم الوسيط : استلم الزرع خرج سنبله ، واستلم الحاج الحجر الأسود بالكعبة لمسه بالقبلة أو اليد ، ويقال : فلان لا يستلم على سَخطَه أى لا يصلح على ما يكرهه . وتسلم الشىء أخذه وقبضه ، وتسلم منه تبرأ وتخلص ، وتسالمت الخيل أى تسايرت فى هدوء لا يهيج بعضها بعضاً ولم يذكر الميدانى فى مجمع الأمثال قولهم : فلان أكتم للسر من السِّلام يعنى الحجارة ، وإنما ذكر قولهم : سلم أديمه من الحلم وهو جمع حلمة وهى دودة تقع فى الجلد فتأكله فاذا دبغ كان ذلك الموضع رقيقا ، يقال حلم الأديم إذا وقع فيه الحلم ويضرب هذا المثل لمن كان بارعاً سالماً من الدنس .

* * *

حاضر وخطب

قال أبو تراب :

وفى التذكرة : يستعملون حاضر ومحاضرة ومحاضراً بدل خطب وخطبة وخطيب ، وقد عم هذا الابدال على مافيه من الخطأ . حتى إنك لتراه تلوكه أفواه المتكلمين وألسنة الخطباء وأقلام الكتاب . وكأنهم يتوهمون أن المحاضرة أضخم لفظاً وأفخم معنى من كلمة خطبة فيؤثرونها عليها فى الاستعمال ، كما يفضلون كلمة : تعريب ومحرر واستاذ على كلمة ترجمة وكاتب ومعلم لهذا الوهم نفسه وقد وقع مثل ذلك فى كلمة معلم ولكن عذر معلمى المدارس فى عدولهم عنها إلى مدرس واستاذ شيوع استعمالها لغيرهم من أصحاب الحرف والصناعات كالنجارين والبنائين وسواهم وهذه كما لا يخفى معربة وهم غير مختصين بها بل يشاركهم فيها حتى الحوذى (اسطى) فاذا كان النجار معلماً فسائق المركبة أستاذ أيضاً .

قال ابو تراب : الحُوذيُّ الطارد المستحث على السير من الحوذ وهو السير الشديد ، وكلمة استاذ فارسية . ولا تجتمع السين والذال فى أصل الكلمة فى العربية وكل كلمة إجتمعتا فيها فهى معربة ، ولصاحب القاموس رسالة فى تحقيق كلمة استاذ حققها عبد السلام هارون وطبعت ضمن الرسائل النادرة بالقاهرة .

وقال أسعد داغر : ولعل بعضهم يرى غضاضة عليه أن يقال لما ألقاه من الكلام على جماعة (خطبة) ولا يقال له : محاضرة فالمحاضرة مصدر حاضر بمعنى عدا وسابق ومنه محاضير العرب للعدائين كسليك والشنفرى وتأبط شرا وغيرهم ، وحاضر بمعنى جاء بالجواب حاضراً إذن هى العدو والسباق أو هى ما بين القوم أن يجيب الواحد صاحبه بما يحضره من الجواب ومن ذلك المحاضرات الشعرية كما بين عبيد بن الأبرص وامرىء القيس . وبين أبى تراب السريجى والشريف العباسى . وفلان حسن المحاضرة أى حسن المجالسة والمحاضرة من فنون الأدب الاثنى عشر .

هذه معانى المحاضرة . وليس فيها واحد يسوغ استعمالها بمعنى الخطبة . وجميع الأئمة الذين اشتهروا بالبراعة فى الخطابة لم ينعت منهم قط أحد بكلمة محاضر ، بل كان كل منهم يوصف بكلمة خطيب ، وكان ما يكلم الناس به يطلق عليه خطبة لا محاضرة .

قال ابو تراب : وجاء حاضرته بمعنى شاهدته ، وفرس محضير وخيل محاضير ، تقول : ما السبق فى المضامير إلاّ للجرد المحاضير ، وحاضرته أى عاديته من الحُضْرْ وهو العدو وتقول أنا أشد حُضرة وفلان حسن الحُضرْة أى لايزال يحضر الأمور بخير . وهو حاضر الجواب وحاضر بالنوادر والتحضر كالاحتضار والحضور قال الطرماح :

وأخو الهموم إذا الهموم تحضرت
جنح الظلام وساده لا يرقد

وقال الأسود بن يعفر :

نام الخلى وما أحس رقادى
والهم محتضر لدىّ وسادى

ومن المجاز : حضرت الصلاة ، وأحضر ذهنك ، وجاءنا ونحن بحُضْرة الدار وحُضْرة الماء أى بقربها قال ابو دؤادٍ :

ومنهل لا يبيت القوم حضرته
من المخافة أجْنٍ ماؤه طامى

وكنت حضرة الأمر اذا كنت حاضره قال عمر بن أبى ربيعة :

ولقد قلت حضرة البين إذ
جدّ رحيل وخفت أن استطارا

وحضرنى فلان وأحضرته واستحضرته ، وطلبته فأحضرنيه صاحبه وفى التمثيل والمحاضرة كتاب لأبى منصور الثعالبى يضم نشر ما يجرى مجراها من ألفاظهم . ويتضمن ما يأخذ مأخذها من فرائد النثر وقلائد النظم وعيون أمثال العرب والعجم وما يناسبها من نتف الخلفاء . وفقر الوزراء ونكت الحكماء ولمع الفقهاء ، وحكم البلغاء ، وغرر الشعراء ،

وملح الظرفاء ، وهو على أربعة فصول فى المدخل والأنموذج وسياقة ما يجرى مجرى الأمثال وما يكثر التمثل به وسائر الفنون والأغراض وفيه يقول الدنوسرى :

كتاب التمثل فى الحسن لا
يشابهه أبداً من كتاب
حوى حكماً فيه قد أحكمت
ولكنهن عجاب عذاب
عرائسه للنهى تجتلى
وقد أسفرت عن حلاها النقاب
وأزهار أوراقه تجتنى
شذاها لأهل النهى يستطاب
تذكر أخبار من قد مضوا
وما قيل عنهم بنقل صواب

* * *

نسبة : "هذا الذى تعرف البطحاء وطأته"

قال أبو تراب :

ونسب صاحب تذكرة الكاتب إلى الفرزدق هذا البيت . الذى استشهدنا بنصه لأن الاستلام هو اللمس باليد :

يكاد يمسكه عرفان راحته
ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم

وقال : هو فى الحسين بن على بن أبى طالب . قلت : المشهور أنه من قصيدة للفرزدق قالها فى مدح زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب . وليس كذلك . ففى الشعر والشعراء جـ ١ ص ٩ لابن قتيبة ذكر من الشعر الذى حسن لفظه وجاد معناه من قول القائل فى بعض بنى أمية :

فى كفه خيزران ريحه عبق
من كف أروع فى عرنينه شمم
يغضى حياء ويغضى من مهابته
فما يكلم إلاّ حين يبتسم

قال : ولم يقل فى الهيبة شيء أحسن منه .

وذكر الشيخ أحمد محمد شاكر فى شرحه قال :

هذان البيتان للحزين الكنانى من أبيات يمدح بها عبدالله بن عبدالملك بن مروان .

وزعم أبو تمام فى الحماسة : (أنظر شرح التبريزى جـ ٤ ص ١٦٧) إنهماله فى مدح زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب : وزعم غيره أنهما من أبيات للفرزدق فى مدح زين العابدين .

قال أبو الفرج : فى الأغانى جـ ١٤ ص ٧٤ وهو غلط ممن رواه فيهما وليس هذان البيتان مما يمدح به مثل على بن الحسين . وله من الفضل المتعالم ما ليس لأحد .

والصحيح أنهما للحزين فى عبد الله بن عبد الملك ، وقد غلط ابن عائشة فى إدخاله البيتين فى تلك الأبيات ، وأبيات الحزين مؤتلفة منتظمة المعانى ، متشابهة تنبىء عن نفسها ، ثم ساق أبيات الحزين . والبيتان أيضا ضمن أبياته فى المؤتلف ص ٨٨ .

قال أبو تراب : وفى شرح الحماسة جـ ٤ ص ٧٠٨ للمرزوقى انهـا للفـرزدق فى على بن الحسين ، فالتبريزى شارحها نسبها الى الحزين الليثى والمرزوقـى نسبهـا إلى الفرزدق . وقال التبريزى : يقال : أنها للفرزدق قالها حين قال الشامى لهشام بن عبد الملك من هذا الذى أعظمه الناس وفرجوا له عن استلام الحجر الأسود فقال : لا أدرى فقال الفرزدق : لكننى أعرفه فقال الشامى : من هذا يا أبا فراس ؟ فقال :

هـذا الـذى تعـرف البـطحـاء وطـأته
والبيـت يعـرفـه والحـل والحـرم
اذا رأتـه قـريش قـال قائلهـا
إلى مـكارم هـذا ينتهـى الكرم
أى القبـائـل ليسـت فى رقابهمـو
لأوليـة هـذا أولـه نعـم

إلى آخر الأبيات السابقة . وبعدها نحو أربعة وعشرين بيتا فى زهر الآداب جـ ١ ص ٦٥ للحصرى .

ونسبت الأبيات الى الفرزدق فى على بن الحسين فى كتاب العمـدة لابـن رشيـق القيروانى . وأمالى المرتضى ، ونسبت للمنقرى فى العمدة أيضا ولكثير بن كثير السهمى فى محمد بن على بن الحسين كما فى المؤتلف ص ١٦٩ ونسبت أيضا فى قثم بن العباس إلى داوود بن سلم عند ابن رشيق وسكت الجاحظ فى الحيوان ج ٣ ص ١٣٣ والبيان جـ ١ ص ٣٧٠ وجـ ٣ ص ٤ وابن قتيبة فى عيون الأخبارجـ ١ ص ٢٩٤ عن نسبتها ، وهذا مثل ظاهر لكثرة الاختلاف فى الشعر .

وفى زهر الآداب قال : حج هشام بن عبد الملك أو الوليد أخوه فطاف بالبيت وأراد استلام الحجر فلم يقدر فنصب له منبر فجلس عليه . فبينما هو كذلك إذْ أقبل على بن الحسين بن على بن أبى طالب فى إزار ورداء . وكان أحسن الناس وجهاً وأعطرهم رائحة ، وأكثرهم خشوعا . وبين عينيه سَجّادةً كأنها ركبة عنز فطاف بالبيت ، وأتى ليستلم الحجر فتنحى الناس هيبة وإجلالاً فغاظ ذلك هشاماً فقال رجل من أهل الشام : من الذى أكرمه الناس هذا الاكرام وأعظموه هذا الاعظام فقال هشام : لا أعرفه لئلاّ يعظم فى صدور أهل الشام فقال الفرزدق وكان حاضراً قصيدته المذكورة ، وفيها :

ينجاب نور الهدى عن نور غرته
كالشمس ينجاب عن إشراقها القتم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله
بجده أنبياء الله قد ختموا
سهل الخليقة لا تخشى بوادره
تزينه الاثنتان الحلم والكرم

قال ابو تراب : ويظهر أن أبيات الحزين الكنانى فى عبد الله بن عبد الملك وهو أمير على مصر اختلطت بغيرها فنسبت إلى هذا وذاك وفى أخبار مكة للفاكهى انها للفرزدق فى على بن عبد الله بن جعفر وقيل فى محمد بن على بن الحسين قال ابن عبد البر فى البهجة جـ ١ ص ٥١١ هذا القول أصح عندى من قول من قال انها فى على بن الحسين لأنه توفى سنة ثلاث أو أربع وسبعين وهشام ولى الخلافة سنة خمس ومئة وجائز ان يكون الشعر للحزين فى محمد بن على بن الحسين أو للفرزدق فيه وإن كان له فى أبيه فلم يكن هشام يومئذ خليفة وأما قول الزبير انه فى قثم فليس بشىء وانما قيل فيه على قافيته وليس هو هذا .

قال أبو تراب :

والبطحاء أرض مكة المنبطحة وكذلك الأبطح ، والحطيم الجدار الذى عليه ميزاب الكعبة ، فكأنه حطم بعض حجره ولذلك سمى بهذا الاسم والأبطح والبطحاء وان كانتا

صفتين فانهما لحقتا بالأسماء لذلك جمع لفظهما على الأباطح والبطحاوات ، ويستلم بمعنى يلمس الحجر الأسود ، وأصله تناول الحجر باليد أو بالقبلة أو مسحه بالكف فكأنه من السِلام : الحجارة .

قال الخليل ولم نسمع أحداً يفردها ، وذكر ابن جنى فى التنبيه أوجها فى اعراب قوله :

يكاد يمسكه عرفانَ راحته
ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم

والأشهر ان (عرفان) مفعول له .

استطراد

قال أبو تراب :

ويقتضينا الاستطراد أن نذكر أن ابن قتيبة قسم الشعر أربعة أضرب وكان عنده قول القائل :

يغضى حياء ويغضى من مهابته
فما يكلم الا حين يبتسم

من الضرب الأول وهو الذى حسن لفظه وجاد معناه إذ لم يقل فى الهيبة شيء أحسن منه .

قال أبو تراب : ومما يذكر فى هذا الباب قول ذى الرمة فى بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى :

فما يعرفون الضحك إلا تبسما
ولا ينبسون القول الا تناجيا

وما الفحش منه يرهبون ولا الخنا
عليه ولكن هيبة هى ماهيا

فتى السن كهل الحلْمِ يسمع قوله
يوازن أدناه الجبال الرواسيا

وأورد ابن قتيبة قول أوس حَجَر :

أيتهـــا النفـس أجمـلى جزعـــا
إن الــذى تحــذريــن قــد وقعـــا

إذ لم يبتدىء أحد مرثية أحسن من هذا .

قال أبو تراب : ذكرها القالى فى ذيل الأمالى والنوادر وبعد البيت المذكور قوله

أن الــذى جمّــع السماحــة والنجـدة
والحـــزم والقـــوى جُمَعـــا

الألمعـــىّ الــذى يظـــن بك الظـــنّ
كأن قد رأى وقــد سمعا

وكقول أبى ذؤيب الهذلى :

والنفـس راغبـــة إذا رغبتهـــا
وإذا تــرد إلى قليـــل تَقْنَــعُ

وهو من قصيدة له فى الذروة العليا من الشعر، وهذا البيت قال الاصمعى فيه إنه أبرع بيت قالته العرب وكقول حميد بن ثور فى الكبر إذ لم يقل فيه أحسن منه :

أرى بصـــرى قد رابنـــى بعـــد صحـــة
وحســـبـــك داء أن تصـــح وتسلمـــا

قال ابن قتيبة : وضرب من الشعر حسن لفظه وحلا فاذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة فى المعنى كقول القائل :

ولمـــا قضـــينـــا من منـــى كل حاجـــة
ومســـح بالأركان مـــن هـــو ماســـح

أخـــذنـــا بأطـــراف الأحـــاديـــث بيننـــا
وســـالـــت بأعنـــاق المطـــىّ الأبـــاطح

قال هذه الألفاظ كما ترى أحسن شيء مخارج ومطالع ومقاطع وإذا نظرت إلى ماتحتها من المعنى وجدته : ولما قطعنا أيام منى واستلمنا أركان البيت العتيق ، ومضى النـاس

ابتدأنا فى الحديث وسارت المطى فى الأبطح ، وهذا الصنف كثير فى الشعر.

قال أبو تراب : هذه الأبيات نسبها غير واحد لكثير عزة ، ونسبها الشريف المرتضى للمضرب فى الأمالى ج٢ ص ١١٠ ، وذكرها عبد القاهر الجرجانى مثالاً للشعر الذى سما به المعنى فى أسرار البلاغة ص ١٥ ، وذكرها ابن جنى فى الخصائص ج١ ص٢٢٥ مثالاً للشعر الرائق لفظه البسيط معناه قال ابن قتيبة : ومنه ضرب جاد معناه وقصرت ألفاظه كقول لبيد بن ربيعة :

ما عاتب المرء الكريم كنفسه
والمرء يصلحه الجليس الصالح

هذا وأن كان جيد المعنى والسبك فانه قليل الماء والرونق كقول الفرزدق :

والشيب ينهض فى الشباب كأنه
ليل يصيح بجانبيه نهار

قال : وضرب منه تأخر معناه وتأخر لفظه كقول الأعشى :

إنّ محلاً وإنّ مرتحلاً
وأن فى السفر ما مضى مَهَلاً

يعنى ان لنا محلاً فى الدنيا ومرتحلاً عنها الى الآخرة ، وأراد بالسفر من رحل من الدنيا ، يقول : فى رحيل من رحل ومضى مهل أى لا يرجع . وهذا البيت من شواهد سيبويه لحذف خبر (ان) لعلم السامع ، وبعده :

والأرض حمالة لما حُمِّل
الله وما إنْ ترد ما فعلا

وليس فيه من شىء يستحسن الا قوله بعده :

يا خير من يركب المطى ولا يشرب
كأسا بكف من بخلا

يريد ان كل شارب يشرب بكفه وهذا ليس ببخيل فيشرب بكف من بخل وهو معنى لطيف

وكقول الخليل العروضى : (ان الخليط تصدع × فطر بدائك أوقع)

وهو بين التكلف ردىء الصنعة كشعر الأصمعى وابن المقفع خلا خلف الأحمر فانه كان أجودهم طبعا وأكثرهم شعراً

وقال الرشيد للمفضل الضبى : اذكر لى بيتا جيد المعنى يحتاج الى مقارعة الفكر فى استخراج خبيئه ثم دعنى واياه . فقال له المفضل أتعرف بيتا أوله أعرابى فى شملته ، هاب من نومته ، كأنما صدر عن ركب جرى فى أجفانهم الوسن فركد ، يستفزهم بعنجهية البدو ، وتعجرف الشدو ، وآخر مدنى رقيق قد غذى بماء العقيق ؟

قال لا أعرفه قال : هو بيت جميل بن معمر :

(ألاَ أيهُّا الركبُ النيام ألا هُبوّا)

ثم أدركته رقة المشوق فقال :

(أسائلكم هل يقتل الرجل الحُبُّ)

قال صدقت : فهل تعرف انت الآن بيتاً أوله أكثم بن صيفى فى اصالة الرأى ونبل العظة وآخره إبُقْراطُ فى معرفة الداء والدواء قال المفضل : قد هولت علىّ فليت شعرى بأى مهر تفترع العروس فى هذا الخدر قال باصغائك وانصافك وهو قول الحسن بن هانىء :

دع عنك لومى فان اللوم اغراء
وداونى بالتى كانت هى الداء

* * *

دحر واندحر

قال أبو تراب :

ويقال اليوم : (اندحر جيش العدو) فهو مندحر ، وهذا غلط . والصواب : دحرنا جيش العدو . فجيش العدو مدحور . والمصدر من هذا الفعل : دحور قال الله تعالى : « ويقذفون من كل جانب دحوراً » يعنى المردة من الشياطين والدحور الطرد والابعاد . والمدحور والمطرود المبعد كما قال تعالى فى إخراج ابليس من الجنة مهاناً : « اخرج منها مذءوماً مدحورا » والفعل دحره يدحره دحراً ودحوراً . والمدحور فى موضع دحر الجيش هو الصواب قال الله تعالى : « من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً » وقال ايضا : « ولا تجعل مع الله الهاً آخر فتلقى فى جهنم ملوماً مدحوراً » أى مبعداً من رحمة الله .

والدحر فى اللغة الدفع بعنف على سبيل الاهانة والاذلال . وفى الدعاء : اللهم ادحر عنا الشيطان أى ادفعه واطرده ونحِه ولم يرد فى كتب اللغة (اندحر) ولا يجيزه القياس ايضاً ، لأن (انفعل) فى اللغة يأتى اراديا وطبيعيا فقولك : انطلق وانصرف وأشباههما تتوفر فيها ارادة الفاعلين ، أما انقشع واندثر فتتوفر فيهما وفى أشباههما العوامل الطبيعية فيجوز من هذا الباب ان تقول : اندحر جيش العدو أى بعامل الفشل والجبن ، لكن اذا أردت انك دحرت العدو فلا يجوز ان تقول : فهو مندحر بل تقول فهو مدحور لأن العدو لايريد أن يكون مقصى مهانا لذلك قال الجوهرى فى الصحاح فى مادة (طرد) ولا يقال من هذا انفعل ولا افتعل الاّ فى لغة رديئة ، وفى لسان العرب ويقال : طردت فلاناً فذهب ولا يقال فاطرد .

قال أبو تراب : والسر فى هذا المنع هو عدم ميل الطريد الى ان يكون كذلك فهو بفعل الطرد مطرود وليس بمنطرد بعامل الارادة الطبيعية وغلط صاحب اللسان فاستعمل (انطرد) بعد أن قيل انها لغة رديئة فقد قال فى مادة (خسأ) يخسأ الكلب خسأً وخسوءًا

فخسأ وانخسأ أى طرده قال الشاعر :
(كالكلب ان قيل له اخسأ انخسأ) أى ان طردته انطرد .

قال مصطفى جواد : والصحيح أن (انطرد) و (انخسأ) من اللغة الرديئة . ولا يستعملان الاّ عند الضرورة كضرورة الشعر والسجع ، لأن المنطرد والمنخسىء لا يريدان الانطراد ولا الانخساء ، وليسا من الأمور الطبيعية لهما .

وقل : دحرنا جيش العدو فجيش العدو مدحور ولا تقل اندحر جيش العدو فهو مندحر . وذلك ان كان هزمه وكسره ناشئين عن حرب وخسران فى الحرب . وهو من باب المجاز ، والفصيح أن يقال كسرنا جيش العدو أو هزمناه ، أوشتتنا شمله أو فللناه ، ومع هذا قد شاع فى العصر الحاضر : (دحرنا جيش العدو) أى دفعناه بعنف وطردناه أما (اندحر) فلم يرد فى كتب اللغة ، ولكننا ينبغى لنا أن لا نكون جامدين على النصوص اللغوية ، فلغتنا العربية الزاهرة الباهرة قياسية اشتقاقية ، ويصاغ (انفعل) فى اللغة لرغبة الفاعل فى الفعل ، ارادية كانت كانصرف وانطلق وانحاز وانضمّ ، (أو) طبيعية (كذا) كانجاب الغيم وانقشع واندفن النهر ، لا بتأثير مؤثر الخارج . وهو ماسموه المطاوعة ونحن لا نطاوعهم فيها ، فعلى هذا يجوز اشتقاق (اندحر) بمعنى انهزم وانكسر ، أى هرب من ساحة الحرب بغير قتال ، جبنا وفشلا وخيوماً ، أما اذا أردنا (اندحر) من الدحر الذى هو الطرد الحقيقى العنيف ، فلا يجوز اشتقاقه لأن الانسان لا يرغب ان يكون طريداً ، ولا يريد ذلك ، ألا ترى أن الفصحاء لا يقولون : انطرد فلان . كما يقولون : انصرف وانطلق ، وانحاز وانضّم فرغبة الفاعل ، وارادته وميله الطبيعى أو شبهه يجب ان تكون متوفرة فى الفعل

وخاتمة القول : انه لا يقال اندحر جيش العدو الاّ اذا هرب قبل القتال فشلا خائماً خائراً

وقال اسعد داغر انهم يبنون اندحر من دحر قياسا على انكسر وانهزم ولكن افعال المطاوعة مما يسمع ويحفظ ولا يقاس عليه فلم يسمع اندحر ولا انغلب

وفى نهاية ابن الأثير : ورد فى حديث عرفة : ما من يوم ابليس فيه أدحر ولا أدحق منه فى يوم عرفة ، الدحر الدفع بعنف على سبيل الاهانة والاذلال ، والدحق الطرد والابعاد ، وقد نزل وصف الشيطان بأنه أدحر أدحق منزلة وصف اليوم به لوقوع ذلك فيه فلذلك قال (من يوم عرفة) كأن اليوم نفسه هو الأدحر الأدحق وأفعل الذى للتفضيل من دحر ودحق كأشهر وأجن من شهر وجن

تأكد من الأمر وتأكد الأمر

قال أبو تراب :

ويقولون : تأكد فلان من الأمر ، وهذا خطأ شائع والصواب تأكد فلان الأمر قياساً على : تبين فلان الأمر لأن أصل هذا الفعل لازم وليس متعديا فقد ورد فى كلام العرب : تأكد الأمر أى ثبت ثبوتا لامرية فيه ، ومثله تبين الأمر أى ظهر ، وتحقق الأمر أى تجلىّ واضحاً ، فلما ورد فى اللغة (تبين) و (تحقق) متعديين أيضا فقد قالوا : تبينته وتحققته مثل تيقنته قسنا على ذلك فعل تأكد فقلنا تأكدنا الأمر ، فهذا التعدى قياسٌى وتعدى ما قسناه عليه سماعىٌ كما فى القاموس وغيره ، و (من) هنا فى كلام أكثر الكتاب فى قولهم : (تأكد من الأمر) فضلة لا حاجة اليها . وصواب التركيب كونه مُعَرّىً عنه .

وفى القاموس : أكده تأكيداً بمعنى وكده والأكيد الوثيق ، وأكد الرحل شده ، والوكائد سيور يشد بها ، والتوكيد أفصح من التأكيد وتوكد وتأكد بمعنى (واحد)

قال مصطفى جواد : قل تأكدت الشىء تأكداً ولا تقل تأكدت من الشىء ، والفعل (تأكد) لم يرد فى كلام العرب الاّ لازماً بمعنى توكد ، فقد قالوا : تأكد الأمر أى ثبت ثبوتا وثيقا ، وجاء فى لسان العرب : وكد العقد أو العهد أوثقه ، والهمز فيه أى فى أكد لغة ، يقال : أوكدته وأكدته وآكدته إيكاداً ، وبالواو أفصح أى شددته ، وتوكد الأمر وتأكد بمعنى (واحد) ويقال : وكدت اليمين ، والهمز فى العقد أجود . ولما كانت اللغة العربية سائرة فى طرقها الاشتقاقية نشأ فيها (تأكد) المتعدى فى كلام الكتاب وكتاباتهم قياساً على (تَفَعلَّ فلان الشىء) أى أصابه بأصل الفعل ، مثل تبينَّ فلان الأمر ، أى أوقع عليه البيان ، وتحققه أى أوقع عليه التحقيق ، فتأكد فلان الشىء بمعنى أوقع عليه التأكيد وهذه الافعال المتعدية الثلاثية هى غير اللازمة التى هى بوزنها نحو : تأكد الأمر أى ثبت ثبوتا وثيقا وتبين أى ظهر واتضح وتحقق أى بانت حقيقته ، فالأول قياسى والثانى والثالث سماعيان قياسيان .

ولذلك لا نجد موضعا لاستعمال « من » فى قولهم : « تأكد فلان من الأمر ومن المبلغ » لكن كثرة استعمال هذا الغلط جعلتهم لا يفكرون فى تركيب جملته ، وتحرى الصحة فيه ، لأنهم فكروا فى تأدية المعنى حسب ، وليس من شأن المتكلم ان لم يكن لغويا أن يفكر فى دقائق التركيب بعد أن يجده منطبقا على قواعد الأعراب العامة . والعرب تستعمل « من » فى مثل هذه الجملة عند استعمال المصدر أو الاسم لوصلهما بما يفيد تمام المعنى ، مثل : « أنا على بينة من هذا الأمر ، وأنتم على ثقة من أمركم »

قال أبو تراب : واذا ذهبنا مذهب طرح القياس فى اللغة لم يجز استعمال (تأكد) متعديا : لذلك قال أسعد داغر فى التذكرة ص ٥٣ يقولون جرب الدواء وتأكد فائدته فيستعملون الفعل تأكد متعديا وهو خطأ لأن معنى تأكد وتوكد اشتد وتوثق وهو لازم غير متعد فالصواب ان يقال تحقق أو تبين

قال أبو تراب : والأمثلة التى ضربها مصطفى جواد ليست للحصر ، ولاستيعاب هذه المادة نذكر هنا ماجاء فى اللسان قال :

أكد العهد والعقد لغة فى وكده ، وقيل : هو بدل .

قال أبو تراب : لم يذكره أبو الطيب فى الابدال والتأكيد لغة فى التوكيد ، وقد اكدت الشيء ووكدته ، قال ابن الاعرابى دست الحنطة ودرستها وأكدْتُها وتقول اذا عقدت فأكد واذا حلفت فوكد .

وقال ابو العباس : التوكيد دخل فى الكلام لاخراج الشك وفى الاعداد لاحاطة الاجزاء . ومن ذلك أن تقول : كلمنى أخوك فيجوز أن يكون كلمك هو أو أمر غلامه بأن يكلمك فاذا قلت : كلمنى أخوك تكليما لم يجز أن يكون المكلم لك الا هو والسيور التى يشد بها القربوس تسمى المياكيد ولا تسمى التواكيد ، وقال ابن دريد : الوكائد السيور التى يشد بها القربوس الى دفتى السرج ، والوكاد حبل يشد به البقر عند الحلب ، ووكد بالمكان أقام ، ويقال : ظلَّ متوكداً بأمر كذا أى قائماً مستعداً ، ووكد يكد وكداً أى أصاب وقصد وفعل مثل فعله ، ومازال ذاك وكدى أى مرادى وهمّى ، ووكد فلان أمراً اذا مارسه وفى حديث الحسن فى ذكر طالب العلم : قد اوكدتاه يداه وأعمدتاه رجلاه ، أوكدتاه أى

حملتاه ، وفى الحديث : الحمد لله الذى لا يكده الاعطاء ولا يَفِرُه المنع أى لا ينقصه ذاك ولا يزيده هذا .

وقال مصطفى جواد : قل اكدنا على فلان الأمر أو فى الأمر ولا تقل أكدنا على الامر ذلك لأن الأمر هو الذى يستحق التأكيد أو الوصية فى شأنه فينبغى ان يتعدى الفعل اليه أو يقدر له مفعول به كالوصية أو القول أوالنصح وتبقى « على » من حروف الجر أو الظروف مفيدة التسلط على الانسان وهو فرع من الاستعلاء

والعرب تستعمل « على » للضرر والتسلط فى الغالب وهى بخلاف اللام عندهم فهى للنفع والايناس فكانوا يخشون أن تكون « على » فى أول كلامهم لما فيها من اشعار المخاطب بحلول الأذى ولذلك قالوا سلام عليك ولم يقولوا عليك سلام وهو القياس والواجب أعنى أنهم أخروا « على » وخالفوا القاعدة استجابة للنفس وقالوا : ويل لفلان ولم يقولوا لفلان ويل وهو القياس والواجب لأن اللام عندهم للنفع والايناس فأخروها عن موضعها لئلا يشعر المخاطب بالنفع والايناس ولما أنشد أبو تمام قوله مبتدئا :

على مثلها من أربع وملاعب
تزال مصونات الدموع السواكب

قال بعض الحاضرين « لعنة الله والناس أجمعين » فصار الكلام « على مثلها لعنة الله » وكان ينبغى له ان يؤخر « على » فيقول :

تزال مصونات الدموع السواكب
على مثلها من أربع وملاعب

وأما تقدير المفعول فكأن يقول : أكدت عليه الوصية فى الأمر أو القول فى الأمر أو النصح فى الأمر .

* * *

شيق وشائق

قال أبو تراب :

ومن الخطأ الدارج قولهم : هذا حديث شيق وهذه مقالة شيقة والصواب : هذا حديث شائق وهذه مقالة شائقة لأن شيقاً ليس هو الذى يشوق وانما هو الذى يشتاق ، فمدلول شيق لا ينطبق على المراد ، وإنما ينطبق عليه شائق .

قال صاحب تذكرة الكاتب : إنهم يستعملون هذه الصفة بمعنى شائق أى داع إلى الشوق وهو خطأ لأنها بمعنى مشتاق فيقال رجل شيق وقلب شيق . قال المتنبى :

ما لاح برق أو ترنم طائر
الا انثنيت ولى فؤاد شيق

فالصواب : أن يقال حديث شائق ، وخطبة شائقة .

قال أبو تراب : هذا من قصيدة مدح بها أبا المنتصر الأزدى وأولها :

أرق على أرق ومثلى يأرق
وجوى يزيد وعبرة تترقرق

جهد الصبابة أن تكون كما أرى
عين مسهدة وقلب يخفق

وفى هذا المعنى قال البحترى :

هل غاية الشوق المبرح غير أن
يعلو نشيج أو تفيض مدامع

والشائق هو الذى يشوق غيره وقد استعمله أبو الطيب أيضاً فى مديح الحسين بن اسحاق التنوخى قال :

وقفنا ومما زاد بثاً وقوفنا
فريقىْ هوى منّا مشوق وشائق

وقد صارت الأجفان قرحى من البكا
وصار بهاراً فى الخدود الشقائق

والبهار زهر أصفر والشقائق جمع شقيقة وهى زهر أحمر يقال له شقائق النعمان .
قال الشرتونى فى أقرب الموارد : الأصح إنه من أسماء الجنس للمفرد والجمع .
وقال الثعالبى فى المضاف والمنسوب ص ١٨٣ نسبت إلى النعمان بن المنذر لأنه حماها أو شبهت بالدم والنعمان من أسمائه

قال أبو تراب : ويقال حديث مشوق من التشويق ، وهذه المادة تدل فى اللغة على تعلق الشيء بالشيء . ومنه نزاع النفس إلى الشيء .
قال ابن فارس فى المقاييس يقال : شاقنى وذلك لا يكون الآعن عَلَقِ حُبٍ .

قال أبو تراب : واسم الفاعل منه شائق .. واما شيِّق فأصله شيوق على وزن فَيْعِلٍ ثم قلبت الواو ياء وأدغمت الياء فى الياء فصار شيق ، والمشوق هو مشووق على وزن مقولٍ حذفت إحدى واويه وهو صيغة مفعول . ويستعمل بمعنى الفاعل أى ذو شوق ، والأشوق جمعه شُوق بضم الشين ، والتشوق هو إظهار الشوق بتكلف ولا خلاف بين اللغويين أن شيقاً على وزن كيس هو المشتاق ، فكلام الناس هذه مقالة شيقة معناه مشتاقة وهو خلاف المراد لأنهم قصدوا أنها تشوق القارىء والسامع فهى إذن شائقة من شاق يشوق أو مشوقة من شوق يشوق كأنها تشوق قارئها إلى استيعابها وأما شيقة فهو غلط ، وشيق نعت للقلب كما فى أساس الزمخشرى بمعنى أنه يحمل الشوق ، وبهذا المعنى جاء بيت المتنبى الذى أنشدناه قال الإفريقى فى اللسان : الشوق والإشتياق نزاع النفس إلى الشيء والجمع أشواق ، وشاق إليه شوقاً وتشوق واشتاق اشتياقاً . ويقال : شُقْ شُقْ إذا أمرته أن يشوق إنساناً إلى الآخرة . ويقال شاقنى الشيء يشوقنى فهو شائق وأنا مشوق . وشاقنى شوقاً وشوقنى هاجنى ، فتشوقت إذا هيج شوقك . ومن معانى هذه المادة الإشتقاقية قولهم : شاق الطُّنُبَ إلى الوَتِدِ شوقاً أى مده إليه فأوثقه به وذلك لأن الشوق تعلق الشيء بالآخر . ومنه شقت القربة أشوقها أى لنصبتها مسندة إلى الحائط فهى مشوقة

أما قول الشاعر:

يا دار سلمى بدكاديك البُرقْ
صبراً فقد هيّجتِ شوق المُشْتَئِقْ

فانما أراد المشتاق فأبدل الألف همزة . قال سيبويه : همز ماليس بمهموز ضرورة . يعنى فى الشعر- وقال ابن جنى ِ القول عندى : إنه اضطر إلى حركة الألف التى قبل القاف من المشتاق لأنها تقابل لام (مستفعلن) فلما حركها إنقلبت همزة الا أنه اختار لها الكسر لأنه أراد الكسرة التى كانت فى الواو التى إنقلبت الألف عنها . وذلك أنه مفتعلن من الشوق وأصله مشتوق ، ثم قلبت الواو ألفاً لتحركها وإنفتاح ماقبلها ، فلما احتاج إلى حركة الألف حركها بمثل الكسرة التى كانت فى الواو التى هى أصل الألف .

وأنشد ابن الأعرابى :

الى ظُعُنٍ للمالكية غدوة
فيالك من مرأى أشاق وأبعدا

فسره فقال : معناه وجدناه شائقاً بعيداً قلت الظعن جمع ظعينة - وهى الهودج والدكاديك جمع دكدك وهى أرض فيها غِلظٌ . وبرق ديار العرب تنيف على مئة .

قال مصطفى جواد : قل إنسان شيق أو شيق القلب وكتاب شائق الموضوع وموضوع شائق ولا تقل كتاب شيق الموضوع ولا موضوع شيق وذلك لأن شيقا معناه المشتاق كالقيم بمعنى المستقيم ولأن الكتاب لا يكون مشتاقاً ، وكتب قيمة معناها مستقيمة وليس معناها أنها ذوات قيمة .

وقال أبو زبيد الطائى من قصيدة أنشدها عثمان بن عفان

من مبلغ قومنا النائين إذ شحطوا
ان الفؤاد إليهم شيق ولع

فالفؤاد الشيق هو المشتاق .

وفى كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين : وأنشأ فلان معنى شائقاً .

وقال العماد الأصفهانى فى خريدة القصر وجريدة العصر : هى أبيات شائقة .

وقال أبو الحسن الخزرجي فى كتابه العسجد المسبوك فى ترجمة القاسم بن أبى الحديد المدائنى : وأشعاره كثيرة رائعة ومعانيه بديعة شائقة ويجوز فسر الشيق بالمشـوق كفسر الصينّ بالمصون وفسر الريّض بالمروض .

وقال الفيومى فى المصباح المنير أنا مشتاق وشيق .

* * *

املأنا وملأنا

قال أبو تراب :

ومن الأغلاط الشائعة قولهم : (أملينا الوظائف الشاغرة) وأملأنا والصواب ملأنا . لأن الاملاء من أملى يملى بمعنى الامالة والتوسعة وأملى عليه الكتاب قاله له فكتب عنه وهو مبدل من أمَلَّ قال الله تعالى « فليكتب وليملل الذى عليه الحق » وقال : « أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل » ويقال أملى له فى غيه أطال له ، وأملى البعير وسع له فى قيده ، وفى الأساس : أمليت القيد للبعير ارخيته وأوسعته ، وأملى الله للظالم أمهله وطوّل له . ومنه قوله تعالى : « فأمليت للكافرين » أى أمهلتهم .

فهذا من باب الناقص معتل الياء . وأما من المهموز (أملأ يملىء) فهو بمعنى أزكمه ، وأملأ فى قوسه أى أغرق فى النزع ويقال أيضاً : أملأ النزع فى القوس ولم يذكر مصطفى جواد من معانى الاملاء الامعنيين من مصدرين مختلفين معتل ومهموز قال : قل ملأ الوظيفة الشاغرة ، وينبغى ملءُ الشواغر ، ولا تقل : املاء الشواغر وذلك لأنك تقول : ملأ الوظيفة الشاغرة ، ومصدر ملأ المشهور هو الملء لا الاملاء ، والاملاء يكون مصدراً لفعلين مختلفين احدهما : « أملى فلان على الكاتب شيئاً املاء » ، أى ألقاه عليه ليكتبه ، والآخر : « أملأه الغداء املاء » أى أصابه بالملأُة وهى الزكام ، أو ثقل يأخذ فى الرأس من امتلاء المعدة والثلاثى منه ملِىء يَملأُ (وُملِىء) نحو زُكم يزكم فهو مملوء ومزكوم فالإملاء هو الإزكام .

قال الزبيدى فى تاج العروس : الملاءة ممدوداً والملاء كغراب والملأة كمتعة .. الزكام يصيب من الإمتلاء أى امتلاء المعدة وقد مُلِىءَ فلان كعُنى مبنياً للمفعول . ومَلوَّ مثال كرم ، وأملأه الله تعالى املاء أى أزكمه فهو مملأ ، فقل : ملء الشاغر والشواغر ولا تقل املاء الشواغر

قال أبو تراب : ويقال ملآن ومملوء وهو نادر لأن القياس : مُملأٌ . أما (أمللت الكتاب

على الكاتب املالاً وأمليته عليه » املاءا بقلب اللام ياء فهو بمعنى ألقيته عليه أى قلته له فكتب عنى ، واللغة الأولى هى لغة أهل الحجاز ، وبنى أسد .. اللغة الثانية لغة بنى تميم وقيس .

قال فى الكشاف : الإملاء والاملال لغتان قد نطق بهما القرآن قال الله تعالى : « وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا » وفى اللسان الاملاء والاملال على الكاتب واحد ، وأمليت الكتاب أملى ، وأمللته أُمِلُّه لغتان جيدتـان جاء بهما القـرآن ، واستمليته الكتاب سألته أن يمليه علىّ والله أعلم .

وأملّ الشيء قاله فكتب ، وأملاه كَأمَلّه على تحويل التضعيف ـ أى الحرف المضاعف الى حرف العلة ـ وفى التنزيل : « فليملل وليه بالعدل » وهذا من أَمَلَّ . وفى التنزيل أيضاً : « فهى تملى عليه » وهذا من أملَىَ . وحكى أبوزيد : أنا أَمْلِلُ عليه الكتاب باظهار التضعيف وقال الفراء : أمللت لغة أهل الحجاز وبنى أسد ، وأمليت لغة بنى تميم وقيس ، يقال : أَمَلَّ عليه شيئاً يكتبه وأملى عليه ونزل القرآن العزيز باللغتين معاً ، ويقال أمللت عليه الكتاب وأمليته .

وفى حديث زيد أَمَلَّ عليه : « لا يستوى القاعدون من المؤمنين » يقال : أمللت الكتاب وأمليته إذا ألقيته على الكاتب ليكتبه .

قال أبو تراب : وأما الأمالىّ ففى أقرب الموارد : أنها الملخصات والأقوال ، وما يُملَىَ ، وكأنه جمع أمْلِيَّةٍ كالأُحْجيَّة والأحاجى وقد رده الأب انستاس فى اغلاط اللغويين ص ٢٠١ فقال هو جمع إملاء .

وقرأت فى القاموس الإسلامى لأحمد عطية الله : الأمالى فى اللغة جمع املاء وهو مايمليه الأستاذ على تلاميذه فى أثناء الدرس . ويقابل ما يعرف اليـوم بـ « المحـاضرات » فى الجامعات الحديثة . كان يدونها التلاميذ بأقلامهم من كلام العالم الفقيه أو الراوية الأديب فتصير كتاباً ينسب إليه واشتهرت المكتبة العربية والإسلامية بمجموعة من كتب الأمالى فى كل علم وفرع من أشهرها فى الفقه : أمالى ابن الحاجـب والمروزى والسرخسى ، وفى الحديث أمالى ابن عساكر وأمالى ابن حجر ، والقضاعى وفى الأدب واللغة أمالى القالى وأمالى ابن دريد وأمالى ثعلب وأمالى الزجاج .

خرج وتخرج

قال أبو تراب : ومن مجازات كلام العرب : خرج فلان فى العلم والصناعة خروجاً إذا نبغ ، ويقال خرّجه فلان فتخرج وهو خريجه ذكر ذلك الزمخشرى فى الأساس . وقال زهير بن ابى سلمى يصف الخيل :

وخرّجهـــا صوارخ كل يـــوم
فقـــد جعلـــت عرائكهـــا تلـــين

أراد : وأدّبها كما يخرَّج المتعلم . قال الأعلم الشنتمرى : معناه درّبها وعوّدها . يعنى أنها كانت فى أول استعمالها ممتنعة نشاطاً لا تواتى ، فمازالت تجيب الصارخ والمستغيث وتنهد الى العدو حتى لانت عرائكها والعريكة الطبيعة ، واذا كان فى الرجل اعتراض وشدة قيل : فيه عريكة ، فاذا ذلَّ وانقاد قيل : لانت عريكته ، وقيل خرّجها أى جعلها خرجاء منها ما فيه طِرْقٌ وهو الشحم ، ومنها ما ليس فيه طِرْقٌ ، وكل ما فيه ضربان فهو أخرج وبه سمى الخُرج لما فيه من البياض والسواد واختار الزمخشرى المعنى الأول ، والأزهرى المعنى الثانى .

وفى اللسان عن ابن الأعرابى قال : معنى خرجها أدبها كما يخرج المعلم تلميذه ، وفلان خَرِيْجُ مال وخِرّيجُه بالتشديد بمعنى مفعول ، اذا دربه وعلمه ، وقد خرجه فى الأدب فتخرج .

قال أبو تراب : وعلى هذا فقول الناس : فلان تخرج من الكليـة الفلانيـة خطـأ والصواب تخرج فلان فى الكلية الفلانية . هكذا ذكروا .

قال مصطفى جواد : وذلك لأن (تخرج) فى هذه الجملة وأمثالها بمعنى (تأدب) و (تعلم) و (تدرب) فيقال تعلم فى الكلية ، وتأدب فلان فى الكلية وتدرب ، ولا محل لحرف الجر (من) فليس المقصود الخروج من الكلية فى قولنا (تخرج من الكلية) ولو كان المقصود الخروج لكان لكل طالب فى اليوم خرجة أو خرجتان ، ولذهب المعنى المقصود .

والعجيب أن التخرج لايزال فى اللغة العامية العراقية يفيد معنى العلم وحسن التصرف فالعوام يقولون فى ذكر من يسىء التصرف والعمل ، ويرتبك فى الأشغال ، « فلان ما يتخرج بهذا الشغل ، وفلان يتخرج » إلاّ أن استعمال النفى هو الغالب عليه .

قال أبو تراب : الخروج فى اللغة يدل على معنيين أحدهما النفاذ عن الشىء والثانى اختلاف اللونين ، فمن المعنى الأول قولنا : خرج يخرج خروجا والخُرّاج بالجسد ، والخراج والخرج الاتاوة لأنه مال يخرجه المعطى ، ويقال : ما أحسن خروج السحابة ، وفلان خريج فلان اذا كان يتعلم منه كأنه هو الذى أخرجه من حد الجهل ، والخروج الناقة التى تخرج من الابل ذكره ابن فارس فى المقاييس ، وعلى هذا يصح عندى : فلان خريج من الكلية الفلانية لكن يقال : هو خريج منها فى العلم الفلانى والفن الفلانى لأنه يخرج منها على كل حال حاملاً علماً فتخرُّجه إنما هو فى ذلك العلم والخروج يتعدى بـ « من » و « عن » والصلة والتعدية الأخيرة للبعد والمجاوزة وهذا غير الخروج على الأمر.

وانما تعقب من تعقب هذا لأنه تصور خروج الرجل من الحقل الذى مارسه وليس كذلك لأن خروجه من الكلية واقع لا محالة وهو غير تخرجه فى الفن الذى تعلمه فلو قلنا :

فلان تخرج من الأدب لكان خطأ لأنه غير المقصود بالذات فهو قد تخرج فيه ثم فرغ من الكلية حاملاً اياه فالتخرج فى الشىء غير التخرج منه وهذه نكتة لم أر من نبه عليها .

وأما الأصل الآخر فى معنى الخروج وهو اختلاف لونين فمنه الخرجاء الشاة التى تبيضّ رجلاها الى خاصرتها ، والأرض المخرجة اذا كان نبتها فى مكان دون مكان وغير ذلك مما ليس فيما نحن بصدده .

ومن فوائد هذه المادة قوله عز وجل : « ذلك يوم الخروج » أى يوم يخرج الناس من الأجداث ، وقال ابو عبيدة معمر بن المثنى فى كتاب مجاز القرآن : يوم الخروج من اسماء يوم القيامة ، واستشهد بقول العجاج :

أليس يوم سمى الخروجا
أعظم يوم رَجّةً رجُوجاً

وقال ابو اسحاق فى قوله تعالى : « ذلك يوم الخروج » أى يوم يبعثون فيخرجون من الأرض ، ومثله قوله تعالى : « خشعا أبصارهم يخرجون من الأجداث » ويوم الخروج يوم الزينة وهو يوم العيد وأما قول الحسن بن مطير :

ما أنس لا أنس منكم نظرة شغفت
فى يوم عيد ويوم العيد مخروج

فانه أراد مخروج فيه . فحذف كما قال فى هذه القصيدة : (والعين هاجعة والروح معروج) أى معروج به أما قول صاحب القاموس خرجه فى الأدب فتخرج وهو خريج فلا ينهض به الرد على من قال : فلان تخرج من الكلية . لأن الكلية ظرف مكان وهو خارج منها بعد الفراغ من التحصيل البتة فهى خرجته فى العلم منها أو المعلمون خرّجوه فى الفن الذى درسه فخرج منها حاملا اياه . فلما كان التخرج بمعنى التدرب والتعلم أنكروا أن يكون تخرجه منها لئلا ينافى المقصود وما فطنوا لأنه لم يتخرج من العلم وانما تخرج فيه من الكلية كما تقول تعلم فى ذلك من فلان ولا فرق .

* * *

أجاب عنه وعليه وفتش عنه وعليه

قال أبو تراب :

قال في تذكرة الكاتب : يقولون أجاب على سؤاله وذهب يفتش عليه ، فيعدّون كلاّ من هذين الفعلين بـ « على » والصواب : ان يعدّى الفعل الأول بنفسه أو بـ « عن » أو بـ « الى » . فتقول : أجبت سؤاله أو عن سؤاله أو الى سؤاله . وأما الفعل الثاني فيعدى بنفسه ان أريد استعماله بمعنى تصفح نحو فتشت الكتب ، ويعدّى بـ « عن » اذا كان بمعنى سأل واستقصى في الطلب نحو فتشت عنه .

قال أبو تراب : أما الاستجابة من هذه المادة فهي تتعدى باللام قال الله تعالى : « فاستجبنا له ونجيناه من الغم » وتتعدى بدونها أيضا والاجابة تتعدى بدون صلة قال تعالى : « فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان » وفي اللسان انها تتعدى بـ « عن » أيضا ، تقول أجابه عن سؤاله .

وشاهد تعدى الاجابة بـ « إلى » قول كعب بن سعد العنزى يرثى أخاه أبا المغوار وفيه شاهد تعدى الاستجابة أيضا بدون صلة :

وداع دعـا يـا من يجيـب الى النـدى
فلـم يسـتجبه عنـد ذاك مجـيب

فقلـت ادع أخـرى وارفـع الصـوت رفعـة
لعـلّ أبـا المغـوار منـك قريـب

قال الفراء : المصدر الاجابة والاسم الجابة بمنزلة الطاعة والطاقة يعنى من أطاع يطيع وأطاق يطيق ـ والجواب أيضا اسم المصدر ، وذكر ابن جنى : المجوبة أيضا ، وهى ليست مصدراً لأن المَفْعُلَة ليست من أبنية المصادر عند سيبويه ، ولا تكون من باب المفعول لأن فعلها مزيد . وفي أمثال العرب : أساء سمعا فأساء جابة قال ابن منظور : هكذا يتكلم به لأن الأمثال تحكى على موضوعاتها وأصل هذا المثل على ما ذكر الزبير بن بكار انه كان

لسهل بن عمرو ـ وفى أمثال الميدانى جـ ١ ص ٢٢٣ سهيل بن عمرو أخو بنى عامر بن لؤى ـ ابن مضعوف فقال له انسان : أين أمُّكَ ؟ أى أين قَصْدُك ؟ فظن أنه يقول أين أُمُك ؟ فقال ذهبت تشترى دقيقا فقال أبوه : أساء سمعا فأساء جابةً .

قال الميدانى فى الجمهرة : ويروى ساء سمعا فأساء اجابة : وساء فى هذا الموضوع تعمل عمل (بئس) نحو قوله تعالى : « ساء مثلاً » ونصب سمعاً على التمييز وأساء سمعاً نصب على المفعول به . تقول أسأت القول وأسأت العمل ، وقوله فأساء جابة هى بمعنى اجابة يقال : أجاب اجابة وجابة وجواباً وجيبة ، ومثل الجابة فى موضع الاجابة الطاعة والطاقة والغارة والعارة .

قال المفضل الضبّى هذه خمسة أحرف جاءت هكذا .

قال أبو تراب : وكلها اسماء وضعت مواضع المصادر .

قال المفضل : ان أول من قال ذلك سهيل بن عمرو ، وكان تزوج صفية بنت أبى جهل بن أبى هشام فولدت له أنس بن سهيل فخرج معه ذات يوم وقد خرج وجهه يريد النحى ـ أى زق السمن ـ فوقف بحزورة مكة ـ أى الرابية الصغيرة ـ فأقبل الأخنس بن شريق الثقفى فقال : من هذا ؟ قال سهيل : ابنى قال الأخنس : حياك الله يا فتى ، قال لا والله ما أمى فى البيت انطلقت الى أم حنظلة تطحن دقيقاً فقال أبوه : أساء سمعاً فأساء جابةً فأرسلها مثلا ، فلما رجعا قال أبوه : فضحنى ابنك اليوم عند الأخنس قال كذا وكذا فقالت الأم انما ابنى صبىٌّ قال سهيل : أشبه امرؤ بعض بَزِّهِ فأرسلها مثلا أيضاً وفى اللسان عن كراع : الجابة مصدر كالاجابة وقال ابو الهيثم : جابة اسم يقوم مقام المصدر . وانه لحسن الجيبة أى الجواب وفى القاموس : ان المثل : أساء سمعا فأساء جابة لا غير ، وذكر من مصادر هذا الفعل الاجاب .

وقد تعقبه أحمد فارس فى كتاب الجاسوس (ص ٢٤٩)

قال : يعنى صاحب القاموس انه لا يقال : فأساء إجابة على الأصل وهو غير صحيح فقد نقله المحشى عن عدة من أئمة اللغة ، ونص عبارته قال الفراء فى كتابه البهى : تقول : أساء سمعاً فأساء جابة بغير ألف ، هذا هو الفصيح ، ومن العرب من يقول :

فأساء اجابة بالألف وقال اليزيدى فى نوادره : ويقال فى المثل أساء سمعاً فأساء اجابة وجابة وجيبة .

فتبين بهذا أن المثل قد جاء بألف وبغير ألف . وقال ابن درستويه : ان الجابة ليست بمصدر وانما المصدر الاجابة وبهذا تعلم ما فى كلام صاحب القاموس من القصور فى المصدر ورواية المثل .

قال أبو تراب : وتعدى هذا الفعل بـ « إلى » اذا كان المقصود الارتياح وبـ « عن » إذا كان السؤال ، وبدون صلة اذا كان محكيا وهذه نكتة لم ينبه عليها أصحاب المعاجم ، وأمّا اقتصار المجد على الجابة فى المثل فقد تبع فيه غيره .

قال مصطفى جواد : قل أجاب عن السؤال اجابة وهذا جواب عن الكتاب ولا تقل أجاب على السؤال اجابة وهذا جواب على الكتاب وذلك لأن المسموع عن العرب والمذكور فى كتب العربية هو أجاب عن السؤال لا أجاب عليه ولأن معنى الفعل (أجاب) يستوجب استعمال (عن) لافادة الازاحة والكشف والابانة والقطع والخرق ولا يصلح معه استعمال (على) التى هى للظرفية الاستعلائية قال فى اللسان : الاجابة رجع الكلام تقول منه أجابه عن سؤاله .

وإذا كانت الاجابة هى من الشق والخرق والقطع والابانة وجب استعمال (عن) معها ، وفى حديث ابى بكر أنه قال للأنصار يوم السقيفة انما جيبت العرب عنا كما جيبت الرحى عن قطبها أى خرقت العرب عنا فكنا وسطا وكانت العرب حوالينا كالرحى وقطبها الذى تدور عليه . وفى اللسان : انجاب عنه الظلام انشق وانجابت الأرض انخرقت .

وبهذا علمنا أن معنى أجاب عنه هو شق عنه وأبان عنه وقطع عنه وخرق عنه أى شق عنه الغموض أو الجهل أو الابهام وأبانه عنه وقطعه عنه وخرقه عنه فكما لا يقال شق الابهام عليه ولا أبان الابهام عليه ولا خرق الابهام عليه كذلك لا يقال أجاب عليه بل أجاب عنه أى عن السؤال وإذا أردت الظرفية فلا مانع من استعمال الحرفين معاً ، يقال أجاب المسؤل عن السؤال على ورقة كما يقال تكلم المحامى عن موكله على القضية وذلك

باستعمال حرفى الجر (عن وعلى) ولكل منهما معناه وموضعه وان كان فى جملة واحدة تضيف إلى ذلك ان أجاب عليه عنه الفصحاء يفيد معنى غطاه وغطى عليه فتأمل ذلك وقل أجاب عنه .

قال أبو تراب : لا يجوز أبان الابهام عليه لأن متعلق الجار والمجرور هو الابانة وإلا فإن صلة الابهام هى (على) .

* * *

الملافاة والتلافى

قال أسعد داغر : يقولون يجب الاهتمام بملافاة هذا الأمر فيستعملون الملافاة بمعنى التدارك والاصلاح وهو خطأ صوابه التلافى .. من تلافى الأمر اذا تداركه أى أصلحه ..

قال أبو تراب : اللام والفاء والحرف المعتل أصل صحيح . قال ابن فارس يدل على انكشاف شيء وكشفه .. ويكون مهموزا وغير مهموز .. يقال : لفأت الريح السحاب عن وجه السماء . ولفأت اللحم عن العظم كشطته .. ولفوته ذكرهما ابن دريد فى الجمهرة .

واللفاء التراب والقماش على وجه الأرض . يقال مثلا : (رضى من الوفاء باللفاء) أى من وافر حقه بالقليل . وألفيته لقيته ووجدته الفا . وتلافيته تداركته . وقال الزمخشرى فى الأساس . لفأه حقه إذا انتقصه ومنه : رضى باللفاء من الوفاء ، وهو ماعلى وجه الأرض من القماش والتراب .

قال أبو تراب : القماش ماعلى وجه الأرض من فتات الأشياء حتى يقال لرذالة الناس : قماش . وقماش كل شيء فتاته وقماشته مثله .. وقماش البيت : متاعه .

وفى أساس البلاغة : الفيته كاذبا . وفى الكتاب العزيز : (ما ألفينا عليه آباءنا) وتلافيت التقصير . وهذا أمر لايتلافى . ومن محاورتهم : جاء بالعمل المتنافى ثم لم يتعقبه بالتلافى .

وفى اللسان : لفأت الريح السحاب عن الماء والتراب عن وجه الأرض تلفؤه لفأ . فرقته وسفرته . ولفأ اللحم عن العظم يلفؤه لفأً ولفاً والتفأه كلاهما : قشره وجلفه عنه . والقطعة منه لفيئة ، وكل بضعة لا عظم فيها فهى لفيئة . والجمع لفىء ، وجمع اللفيئة من اللحم لفايا مثل خطيئة وخطايا .

وفى الحديث : رضيت من الوفاء باللفاء ، قال ابن الأثير فى الغريب : الوفاء التام .. واللفاء : النقصان .. واشتقاقه من لفأت العظم إذا أخذت بعض لحمه عنه .. واسم تلك اللحمة لفيئة .. ولفأ العود قشره ولفأه بالعصا : ضربه . ولفأه : رده .. واللفاء : الشيء

القليل ، واللفاء دون الحق ، ويقال : أرض من الوفاء باللفاء .. أى بدون الحق ..
قال أبوزبيد :

فما أنـا بالضـعيف فتزدرينى ولاحظـى اللفـاء ولا الخسيس

ويقال : فلان لايرضى باللفـ من الوفاء أى لايرضى بدون وفاء حقه وأنشد الفراء :

أظنـت بنـو حجـوان أنـك آكل كبـاشى وقـاضّى اللفـاء فقابله

قال أبوالهيثم : يقال لفأت الرجل .. اذا نقصته حقه .. وأعطيته دون الوفاء .
وقال الأزهرى فى تهذيب اللغة : لفأه حقه إذا أعطاه أقل من حقه ..

وفى لسان العرب نقلا عن أبى تراب قال : أحسب هذا الحرف من الأضداد
قلت : أبوتراب هذا لغوى فى القرن الثالث ؛ من أعيان خراسان وهو من أهل الورع والفقه والعبادة .. وله كتاب العين .. استدرك فيه على الخليل بن احمد الفراهيدى .. أما اللفظ الذى قال فيه : انه من الأضداد فلم يذكره ابن الانبارى فى كتاب الأضداد .

وقال الافريقى : اللَّفَاَةُ : الأحمق . وهو فعلة .. من قولهم : لفـوت اللحـم والهـاء للمبالغة .. وألفى الشىء وجده .. وتلافاه : افتقده وتداركه وأنشد ابن الاعرابى

يخبرنـى أنـى به ذو قرابة وأنبأتـه أنـى به متلافى

فسره وقال : معناه إنى لأدرك به تأرى .. والفيت الشىء ألفيه الفا .. اذا وجدته وصادفته ولقيته . واللفى : الشىء المطروح .. كأنه من ألفيت أو تلافيت والجمع : ألفاء .. وألفه ياء ـ يعنى أن أصلها : الفاىٌ ـ لأنها لام ـ يعنى أنها لام الكلمة فى الوزن ـ وقال الجوهرى فى الصحاح : اللفاء الخسيس من كل شىء .. وكل شىء يسير حقير فهو لفاء .. ويقال : رضى فلان باللفاء من الوفاء : أى من حقه الوافى بالقليل : ويقال : لفّاه حقَّه : أى بخسه .

قال أبو تراب : وذكره ابن الأثير فى (لفأ) بالهمز .. لأنه مشتق من لفأت العظم إذا أخذت بعض لحمه عنه . وقد ذكرنا ان المهموز والمعتل من هذا الفعل واحد فى الاشتقاق .

وفى حديث عائشة : ما الفاه السَّحر عندى إلا نائما .. أى ما أتى عليه السحر إلا وهو نائم .. تعنى بعد صلاة التهجد .. وقد كان عليه السلام يصلى ثم ينـام ثم يقـوم للصبح . والفعل فى كلام عائشة للسحر مجازا .. وفى الحديث ايضا : لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته .. أى لا أجد .. وهذا فى حق من ينكر الحديث والتحذير منه .

* * *

خافر وخفر

قال أبو تراب :

ويقولون : الطبيب الخفر .. والجندى الخفر .. وهم يقصدون صاحب النوبة والموكل بالنظر والحراسة .. وهو خطأ .. والصواب : الطبيب الخافر .. أو طبيب الخَفْرِ .. والجندى الخافر .. أو جندى الخفر .

وفى كتاب مصطفى جواد : أن الخافر اسم فاعل من خفره .. وخفر به .. وخفر عليه اى أمنه وحماه وأجاره وحرسه .. فيكون لفظ الخافر .. مستعملا على سبيل المجاز للطبيب .. وعلى سبيل الحقيقة للجندى ..

أما الخَفَر ، فهو مصدر الفعل : خَفِرَتْ المرأةُ تَخْفَرُ خَفَراً وخفارةً أى استحيت أشد الحياء .. فهى خفرة وخفير .. ومخفار .. ومن (البديهى) (كذا) أن الذى يستعمل الخفر .. لايريد خفر المرأة ولايخطر ذلك بباله . بل يريد صاحب النوبة والرقيب والموكل بالتدبر أو النظر أو الحراسة .

قال ابو تراب : استعمل الدكتور مصطفى (البديهى) وقد خطّأَ العلماء هذا الاستعمال لأنه منسوب الى البديهة .. وهى على وزن فعيلة .. والمنسوب اليها (فَعَلِىٌّ) كما فى ألفية ابن مالك قال : « وفَعَلِىٌّ فى فعيلة التزم » وقد رأيت الامام ابن حزم يلتزم فى المحلىّ الياء فى المنسوب الى فعيلة علما وهذا له وجه .

قال : ويجوز أن يكون الأصل فى هذا الاصطلاح .. الطبيب ذو الخَفْر .. وهو بمعنى : الطبيب الخافر . باعتبار ان المراد باسم الفاعل هو النسبة الى الفعل . فقولهم : ذو الخفر هو رجوع الى الأصل .. فينبغى اذن ان يقال : الطبيب ذو الخفر .. أو طبيب الخفر باضافة الاسم الى فعل صاحبه ..

وذلك أثقل من الطبيب الخافر .. وكذلك القول فى الجندى ذى الخفر .. وجندى الخفر .

وتسكين الفاء واجب لئلا يلتبس الخفر الذى هو الحفظ والحراسة بالخَفَرِ الذى هو الحياء .. ثم انه لايجوز ان يكون الخَفَرُ جمعا .. قياسا على حارس وحرس .. وخادم وخَدَم ..

وطالب وطَلَب .. وقاعد وقعد .. وسامر وسمر .. وناشىء ونشأ .. لأن المقصود خافر واحد لا جماعة ولا جُمَيْعة .

واستعمال الجمع مكان المفرد هو من اللغة العامية اذا كان المفرد غير مجزأ كقولهم : فلان أشقياء .. وأبناء الثلاثين .. وفلان أرباب ..

قال أبو تراب : سراويل جمع يطلق على الواحد باعتبار كل قطعة منها سروالة .. ويقال سرويل وليس فى العربية وزن فعويل غير هذا .. ويقال ثوب أخلاق اذا كانت الخلوقية منه كله وذلك انهم يجعلون النعت لجماعة اجزائه البالية فيذكرونه بلفظ الجمع .. نقله الشرتونى ..

قال ابن دريد فى الجمهرة : خلابيس هو الشيء الذى لانظام له لم يعرف البصريون له واحدا . وقال البغداديون : خلبيس وليس بثبت . وذكر مما جاء على لفظ الجمع ولا واحد له : سمادير العين ـ مايراه المغمى عليه من حلم ـ وكان الأصمعى يقول : لم تتكلم العرب واحدا لقولهم : تفرق القوم عبابيد وعباديد ..

وفى صحاح الجوهرى : التعاجيب : العجائب لا واحد لها من لفظها وأرض فيها تعاشيب اذا كان فيها عشب لا واحد لها .. وذهب القوم شعارير اى تفرقوا .. قال الأخفش لا واحد له .

وذكر الثعالبى منها فى فقه اللغة : المقاليد والمسام وهى منافذ البدن .. ومراق البطن .. مارق ولان .. والمحاسن والمساوىء والمادح والمقابح والمعايب .

وفى مختصر العين : الا باسق القلائد لم يسمع لها بواحد .. وفى المجمل لابن فارس : الاثاث : متاع البيت يقال انه لا واحد له من لفظه . وكذا الخيل والبقر لا واحد له من لفظه ..

وفى الغريب المصنف لابى عبيد : الأرجاب : الامعاء لا واحد لها من لفظها ..

وفى أدب الكاتب لابن قتيبة : الألى بمعنى الذين واحدهم الذى وأولو بمعنى اصحاب واحدهم (ذو) وأولات ، واحدها (ذات) وقال الكسائى .. من قال فى الاشارة (أولاك) فواحده (ذاك) ومن قال أولئك فواحده (ذلك) .

أما مخفار فعلى النسب او الكثرة .. ولم ينبه عليه الدكتور مصطفى جواد كما لم يذكر متخفرة . ولا خفره بمعنى استجار به ولا تخفيرا . قال أبو جندب الهذلى :

ولكننـــى جمـــر الغضـــا من ورائـــه .. يُخَفِّرنـــى سيفـــى اذا لم أُخَفَّرِ

والاسم : الخُفْرَة ، والخَفارة والخُفارة والخِفارة جعل الخفير والخُفـرة : هو المجـير .. وأخفره : غدر به .. قال زهير :

فانكمـــو وقومـــا أخفروكم لكالديبـــاج مال به العباء

* * *

تنقلات ونقلات

قال أبو تراب :

ويخطىءُ الناس اذ يقولون : تنقلات الموظفين ، والصواب نَقَلات الموظفين أو نقول الموظفين . لأن التنقلات مضافة الى فاعلها وذلك لايكون الا بالاختيار . والنَقَلات مضافة الى مفعولها وهو المراد . اذ الموظف ينقل من وظيفة الى اخرى وهو ليس ينتقل بمشيئته كما يفعل فى ايام الاجازة . فهو فيها ينتقل . اما فى الوظائف فهو ينقل اى يحول . فينتقل والنُقْلة هى انتقاله . وهى اسم المصدر . والمصدر نَقْلة . والنِّقلةُ نوع انتقاله . كما تقول : جلست جلسة القارىء اى على هيئته . وجلست جلسةً اى مرة واحدة ، وجمع النقلة نقلات . وجمع النقل : نقول . ولا تحرك عين فَعْلة فى الجمع اذا كانت صفة . وتحرك اذا كانت اسما شريطة ان لا تكون العين فى الوزن واوا أو ياء فى الموزون . فعلى هذا تقول : نَقَلات الموظفين . لا تنقلاتهم . أو نقول الموظفين : ولا تقل نَقْلات لأنه ليس صفة . بل تقول : نقلات . وقل ضَخْمات ورحمات وعَبْلات لأنها صفات ورحمات بفتحتين جمع رحمة بفتح الحاء وقل عَبَرات وسَفَرات وخَطَرات لأنها أسماء ..

قال مصطفى جواد : التنقلات جمع المصدر : « التنقل » المشتق من تنقل فلان . ومضارعه يتنقل فلان .. أى انتقل من شيء إلى آخر ومن مكان إلى آخر . ومن بلدة إلى أخرى عدة مرات بحسب هواه ورغبته ومن ذلك قول الشاعر :

(تنقل فلذات الهوى فى التنقل)

فتنقلات الموظفين ليست مكررة عدة مرات فى تلك المرة . ولم تكن برغبة منهم وعلى هواهم . فالصواب : النقول والنقلات . أى نَقلات الموظفين . ولكل موظف نقلة .. والنقلة مصدر المرة . كما تقول : فى الخرجة .. خرجات .. وفى السفرة سفرات . وفى الطلعة طلعات وفى الحملة حملات . وفى الدخلة دخلات وتقول فى النَقْلة نَقَلات لأن الموظف إذ ذاك نقل نقلة واحدة .. وجمع النقلة نقلات كما ذكرت آنفا . فقل نقلات الموظفين كما تقول : سفرات

الموظفين .. وحملات الجيش والفرق بينها أن النقلة مضافة إلى مفعولها .. وتلك مضافة إلى فاعلها .. ولا تقل تنقلات الموظفين بهذا المعنى .. فتنقلات الموظفين تكون فى أيام أجازاتهم واستراحاتهم أو تفتيشهم وتحقيقاتهم . أى حينما ينتقلون مرة بعد مرة باختيار أو باذن للاعتبار والاختبار ..

قال أبو تراب : النقل يدل على تحويل شيء من مكان إلى مكان ثم يفرع ذلك .. ومنه : نقل الفرس قوائمه .. وفرس مِنْقَل سريع نقل القوائم .. والمُنَقِّلَة من الشجاج التى ينقل منها فراش العظام .

وفى جمهرة ابن دريد : النَّقل بالفتح لصاحب الشراب ولا يُضم والناس يقولون بالضم والنَّقَل : ما بقى من صغار الحجارة إذا قلعت لأنها تنقل . والنقيل : الطريق لأنه لا يسلكه إلا منتقل : والمَنْقَلة : المرحلة : والمنقل : الخف الخَلَق لأن الماشى ينتقل عليه حتى ينخرق .. والنقائل : الرقاع التى يرقع بها الخف .

ومن الباب : المناقلة وهى مراجعة الحديث أو الانشاد .. كأنك نقلت حديثك اليه : ونقل حديثه اليك

وفى الحديث : كان على قبر الرسول ﷺ النقل ، قال ابن الأثير فى غريب الحديث : هو بفتحتين .. صغار الحجارة .. أشباه الأثافى وهو على وزن فَعل . بمعنى مفعول .. أى منقول .

وفى حديث أم زرع :لاسمين فينتقل .. أى ينقله الناس إلى بيوتهم فيأكلونه . وفى ذكر الشجاج : المنقلة : هى التى تخرج منها صغار العظام وتنتقل عن أماكنها .. وقيل : التى تنقل العظم أى تكسره وقال الزمخشرى : رجل نقيل : غريب .. وهو ابن نقيلة .. أى غريبة قال رؤبة :

فوجدوا آباءك الأفاضلا لأمهات لم تكن نقائلا

ومن المجاز : ناقل الشاعر الشاعر أى ناقضه .. ورجل نقِل وذو نقَل : إذا كان جليلا مناقلا .. قال لبيد :

ولقـــد يعلـــم صحبـــى كلهم بِعـــدانِ الســـيف صبـــرى ونقل

قال أبو تراب : عدان . موضع على سيف البحر قاله شمر ..

وقال ابو الهيثم : عدان ويروى (بِعَدانى) جمع العدنية .. وقيل أراد عدن فزاد الألف للضرورة .. وقال ابن الأعرابى : عدان النهر ضفته والبيت فى الديوان صـ ١٨٦ . ولم يذكره ياقوت فى المعجم .

* * *

متحف ومقهى

قال أبو تراب :

وشاع فى كلام الكتاب كلمة : المتحف والمقهى .. وفى سورية يقولون : الميتم لدار الايتام .. وقد صححه بعض المعنيين باللغة لأنه (مفعل) وهو اسم مكان .. قيل .. لكن غاب عنهم أن العرب إذا عبرت عن مكان كثرة الشيء جعلت اسمه من الباب الثلاثى « مفعلة » فقد قالوا مأسدة للموضع الذى تكثر فيه الأسود فعلى هذا يقال : متحفة بدل متحف ومقهاة .. بدل مقهى وميتمة .. بدل ميتم .

قال مصطفى جواد : وذلك لأن قياس الاسم الذى يدل على مكان كثرة الشيء واجتماعه .. هو مفعلة .. كمبصلة ومقثأة : للمكان الكثير البصل والمكان الكثير القثاء . وكذلك مبطخة للمكان الكثير البطيخ .. ومسلحة للمكان الكثير السلاح .

وهكذا .. يشتق اسم لكل شيء ثلاثى الأصل إن لم يكن مسموعا كالمتحفة للمكان الذى تكثر فيه التحف . ثم إن تسمية ما فى معرض العاديات والأشياء العتيقة تحفا هى من باب التغليب فليس كل ما فيه تحفا ..

أما الاحتجاج بأنه مُتْحَفٌ .. فمردود بأن المتحف مشتق من أتحفه فلان أى أعطاه تحفة .. أو أهدى اليه شيئا . فلو كان كل زائر للمتحفة يعطى شيئا ما بقى فيها شيء يرى من العاديات والتحف العتيقة . فقل المتحفة والمقهاة والميتمة ولا تقل : المتحف والميتم والمقهى

أما إذا كان الاسم رباعيا أو غير ثلاثى مطلقا فيصاغ اسم المكان منه على وزن اسم الفاعل تقول : أرض مثعلبة للتى فيها ثعالب كثيرة . وأرض معقربة للتى فيها عقارب كثيرة . ومضفدعة للتى فيها ضفادع كثيرة ..

قال أبو تراب : وزن مفعلة بالتاء مع فتح العين شاذ على رغم ورود أشباه كثيرة له ، وقد نص الرضى وغيره فى شرح الشافية لابن الحاجب على أن لحاق التاء شاذ يقتصر فيه

على ما سمع .. والتمس بعضهم للحاق التاء لبعض الاسماء سببا كالمبالغة أو إرادة البقعة .. كما فعل مصطفى جواد . وجعلوا ذلك قياسا وهذا عجيب .. كيف يقاس على الشواذ ..

قال الرضى فى شرح الشافية ج ا ص ١٨٥ : ومفعلة بفتح العين أشذ . لكن كل ما ثبت اختصاصه ببعض الأشياء دون بعض .. وخروجه عن طريق الفعل فهو العذر فى خروجه عن القياس ..

قال محيى الدين عبد الحميد فى تعليقه : هذا وجه ذكره المؤلف تبعا لسيبويه ومن العلماء من يرى أن هذه الالفاظ اسماء أمكنة الأحداث المطلقة . لم يخرج بها عن مذهب الفعل .. ولكنها من حيث صيغتها شاذة عن القياس ..

قال أبو تراب : وفى المخصص لابن سيدة ج ١٤ ص ١٩٨ فى باب ما يكون مفعلة لازمةً لها الهاء والفتحة .. وذلك إذا أردت أن يكثر الشيء بالمكان والباب فيه مفعلة وذلك قولك مسبعة ومأسدة ومذأبة إذا أردت أرضا كثر بها السباع والأسد والذئاب ..

قال سيبويه : : وليس فى كل شيء يقال هذا يعنى لم تقل العرب فى كل شيء من هذا فان قست على ما تكلمت به العرب كان هذا لفظه .

قال أبو تراب : ولا أرى لقولهم مغسلة ومقهاة وجها من الصواب لأن ارتباط هذا الوزن ألصق بالأرض وليست هى المراد فى الصيغتين . فهم لا يقصدون بالمغسلة أرضا يكثر فيها الغسل ولا بالمقهاة أرضا يكثر فيها القهوة .. وإنما يعنون مكاناً مخصصا محدودا لوجود ذلك الشيء والمراد الشيء نفسه وهو ليس كالأرض فى التَّصوُّر العقلى حيث تكون هى المراد .. موصوفة بما فيها . وهذا فرق دقيق لم أر من نبه عليه .. وهو قصد مكان دون مكان .. وقصد موضع على هيأة مخصوصة . ألا ترى أنهم حين لم يقصدوا الأرض قالوا « مسجد » ولم يقولوا « مسجدة » لأنهم يعنون الفعل وقالوا « مطبخ » لا « مطبخة » .

أما قول الدكتور مصطفى جواد : أن الرباعى يبنى على وزن اسم الفاعل فيقال : أرض معقربة ومثعلبة ، فقد تبع فيه صاحب اللسان حيث ضبطها بكسر الراء وبكسر اللام .

وهو خلاف ما نعرفه من القاعدة . وهـي أن ماعـدا الثلاثـي على وزن المفعـول لا الفاعل .. نص عليه ابن الحاجب وغيره .. وهو الذى ذكره سيبويه .. قال ولو قلت من بنات الأربعة لقلت متعلبة لأن ما جاوز الثلاثة يكون نظير المفعل منه بمنزلة المفعول

قال ابن سيدة : لفظ المكان فيما جاوز ثلاثة أحرف يجيء على لفظ المفعول . وقالوا على ذلك أرض مثعلبة ومعقربة ..

قال أبو تراب : ولم ينبه على هذا صاحب تاج العروس .. وإنما اكتفى بضبط صاحب اللسان على وزن اسم الفاعل .. والصواب عندى مُتْحَف لأنَّ معنى الفعل لم يزل عنه .. ومقهى لأنه موضع شرب القهوة وليس المراد الأرض فيكون مقهاة أو متحفة أى أرضا ذات تحف وأرضاً ذات قهوة .. ألا ترى أنهم قالوا : مصنعة حين أرادوا الأرض كما فى اللسان فى مادة (زلف) . وفى تذكرة الكاتب يقولون : فلان اعتاد الجلوس فى القهاوى والصواب القهْوات .

قال ابن الحاجب : اسماء الزمان والمكان مما مضارعه مفتوح العين أو مضمومها يعنى فى الوزن .. ومن المنقوص .. يعنى ما آخره حرف علة .. على مَفْعَلْ .. نحو مشرب ومقتل ومرمى - ومن مكسورها والمثال - يعنى ماكان أوله حرف علة - على مفعِل نحو مضرب وموعد ..

وجاء .. يعنى شذوذا عن هذه القاعدة المَنْسكِ .. والمجـزر .. والمنبـت والمطلـع .. والمشرق والمغرب والمفرق والمسقط والمسكن . والمرفق والمسجد .. والمنخر ..

وأما مِنْخرَ ففرع كمنتن ولاغيرها .. ونحو المَظِنَّة والمقبَرة والمقْبُرة فتحا وضما - ليس بقياس - وما عداه فعلى لفظ المفعول .

قال الرضى : كأنهم بنوا الزمان والمكان على المضارع فكسروا العين فيما مضارعـه مكسور العين ففتحوها فيما مضارعه مفتوحها .. وإنما لم يضموها فيما مضارعه مضمومها نحو يقتل وينصر .. لأنه لم يأت فى الكلام فى غير هذا الباب مَفْعُـل .. إلاّ نادراً كمَـكْرُم ومَعْوُن .. فلم يحملوا ما أدى اليه قياسُ كلامهم على بناء نادر فى غير هذا الباب ..وعُدِلَ إلى أحد اللفظين .. مفعَل ومَفْعِل .. وكان الفتح أخف فحمل عليه .

وقد جاء من يفعُل المضموم العين كلمات على مفعِل بالكسر لاغير .. وهى المشرق والمغرب والمرفِق .. وهو موصل الذراع والعضد وهو أيضا كل ما ينتفع به .. والارتفاق الانتفاع .. والاتكاء على المِرفَق .. ويقال فيهما المرفق على وزن المِثْقب أيضا لأنهما آلتا الرفق الذى هو ضد الخُرْق .. إذ المتكىء على مرفقه ساكن مطمئن .. وكذا ذو المال المنتفع به على الأغلب ومعنى الموضع فيها أبعد .. وذلك بتأويل أنهما مظنتا الرفق ومحلاه ..

قلت : ذكر الزمخشرى قولهم (ما فيها مِرْفَقَة من مرافق الدار) نحو المتوضأ والمطبخ .

والظاهر أنه تشبيه الموضع بالآلة وإحلاله محلها .. ومنها المنبت والمنخر والمجزر والمسقط والمظنة .

وقد جاء من يفعل المضموم العين أيضا كلمات سمع فى عينها الفتح والكسر وهى المفِرَق والمحشرَ والمسجد والمَنسِك .. وأمّا المَحِل .ّ. بمعنى المنزل فلكون مضارعه على الوجهين .. قرىء قوله تعالى : « فَيحَلَّ عليكم غضبى » .. على الوجهين وجاء فيما مضارعه يفعل بالكسر لغات بالفتح والكسر وهى المِدَبّ ومأوى الابل والمزِلّة ومضربة السيف ..

وجاء مقبرة ومفياة ومفيؤة ومقناة ومقنؤة فتحا وضما ومشرقة بالثلاث والمشربة فى الغرفة والمشرقة والمفيأة من ذوات الزوائد إذ هما موضعان للتشرق والتفيؤ فيشذان من هذا الوجه أيضا . ولهذا لم تعل المفيأة . أو لأنه لم يذهب بها مذهب الفعل والمسربة لشعر الصدر مضمومة العين لاغير ..

قال سيبويه : لم تذهب بالمسجد مذهب الفعل ولكنك جعلته اسما لبيت .. يعنى أنك أخرجته عما يكون عليه اسم الموضع .. وذلك لانك تقول : المقتل فى كل موضع يقع فيه القتل ولا تقصد به مكانا دون مكان .. ولا كذلك المسجد فانك جعلته اسما لما يقع فيه السجود وبشرط أن يكون بيتا على هيئة مخصوصة . فلم يكن مبنيا على الفعل المضارع كما فى سائر اسماء المواضع . وذلك أن مطلق الفعل لااختصاص فيه بموضع دون موضع ..

قيل : ولو أردت موضع السجود وموقع الجبهة من الأرض سواء كان فى المسجد أو (كذا) غيره فتحت العين لكونه إذن مبنيا على الفعل بكونه مطلقا كالفعل .. وكذا يجوز

أن يقال فى المنسك إذ هو مكان نسك مخصوص . وكذا المفرق لأنه مفرق الطـريق أو الرأس .. وكذا مضربة السيف مخصوصة برأس السيف قدر شبر .. وليس بمعنى موضع الضرب مطلقا . فلذا جاء فيه الفتح أيضا . أى لكونه غير مبنى على الفعل . ولذا دخلته التاء التى لا تدخل الفعل وكذا المقبرة .. إذ ليست اسما لكل ما يقبر فيه أى يدفن .. إذ لا يقال لمدفن شخص واحد مقبرة . فموضع الفعل إذن مقبر كما هو القياس ..

وكذا المشرقة اسم لموضع خاص لا لكل موضع يتشرق فيه من الأرض من جانب الغرب أو الشرق . وكذا المقنأة والمفيأة .. وكذا المنخر صار اسما لثقب الأنف ولا يقصد فيه معنى النخر . وكذا المشربة ليست اسما لكل موضع يشرب فيه الماء .

قال سيبويه : وكذا المطبخ والمربد بكسر الميم فيهما اسمان لموضعين خاصين لا لموضع الطبخ مطلقا .. ولا لكل موضع الربود أى الاقامة . بل المطبخ بيت يطبخ فيه الأشياء معمول له . والمربد محبس الأبل . أو موضع يجعل فيه التمر .. ويجوز أن يقال فى المرفق بكسر الميم فى المعنيين : أن أصله الموضع فلما اختص غُيرِّ بكسر الميم عن وضع الفعل .. كما قال سيبويه فى المطبخ والمربد .

قال الرضى : كل ما جاء على وزن مفعِل بكسر العين مما مضارعه يفعل بالضم فهو شاذ من وجه .. وكذا مفعلة بالتاء مع فتح العين .. وكذا مِفعل بكسر الميم وفتح العين .. ومفعلة كالمظنة أشذ .. ومفعُله بضم العين كالمقدرة أشذ .. إذ قياس الموضع إما فتح العين أو (كذا) كسرها ـ وكذا كل ما جاء من يفعل المكسور العين على مفعَل بالفتح شاذ من وجه .. وكذا مفعِلة بالتاء مع كسر العين .. ومفعلة بفتحها أشـذ .. لكن كل ما ثبـت اختصاصه ببعض الأشياء دون بعض وخروجه عن طريقة الفعل فهو العذر فى خروجه عن القياس كما ذكرناه ..

وأما المنقوص فهو كالمثوى وإن كان من يفعل بكسر العين . وإن كان أيضا مثالا واويا كالمولى لموضع الولاية . وذلك لتخفيف الكلمة بقلب اللام الفا . وإنما كان المثال الواوى على مفعل بالكسر وإن كان على يفعل كالموجل والموحِل لأنهم ربما غيروا فقالوا يَيجَلَ فلما أعلّوه بالقلب شبهوه بواو يوعد .. فكما قالوا : موعد : قالوا موجل .. ومن العرب

من يقول : موجَل .. وحكى الكوفيون : الموضَع ..

وقد جاء على مفعَل بالفتح من المثال بعض اسماء ليست بمصادر ولا أمكنة مبنية على الفعل كموحد فى العدد والموهبة للغدير من الماء .. وقد جاء بالكسر أيضا .

والمثال اليائى بمنزلة الصحيح عندهم لخفته .. تقول فى ييقظ : ميقظ فى المصدر والزمان والمكان .. ومنه قوله تعالى : فَنَظِرَةٌ إلى ميسرة » بفتح العين ..

أما ماعدا ذلك فعلى لفظ المفعول فى الزمان والمكان يعنى ماعدا الثلاثى المجرد . وهو ذو الزيادة والرباعى . فالمصدر بالميم منه والمكان والزمان على وزن مفعوله قياساً لاينكسر .. كالمُخْرَج والمستخرج والمقاتَل والمدحرج والمحرنجم .. يحتمل كل منها أربعة معان .. يعنى اسم الزمان والمكان والمصدر الميمى واسم المفعول ..

وعلى هذا فقول الدكتور مصطفى جواد إنه يصاغ اسم المكان من غير الثلاثى على وزن اسم الفاعل خطأ .. فقد صرح الصرفيون بكونه على وزن اسم المفعول وبمثله ذكره ابن سيدة فى المخصص . والذى أوقع فى الوهم هو عبارة ابن منظور فى اللسان .. أرض معقربة ومثعلبة بكسر الراء واللام بمعنى ذات عقارب وثعالب .. وكذلك مطحلبة ومضفدعة .. وواضح أنه لم يعن بها اسم المكان .. وإنما أراد اتصاف الارض بذلك على صيغة الفاعل .. وقد اختار مصطفى جواد أن تكون مفعلة هى صيغة الأماكن التى تمتاز بكثرة ما فيها .. وغاب عنه أنها من صفات الأرضين .. ونحن فى تعبيراتنا لا نريد إلا موضعا بعينه على هيئة مخصوصة للشىء المراد .. وليس القصد نعت الأرض فى مثل قولنا : متحف ومقهى لكى يكون الصواب متحفة ومقهاة قال فى المخصص .. مفعلة من صفات الأرضين .. وضرب مثلا لذلك : مأبلة : ذات إبل .. ومؤرنبة من الأرانب . ومدبة من الدبية على أن هذا الوزن شاذ فكيف يقاس عليه ..

وقد أحلت العرب مفعلة وهو وزن الآلة محل مفعلة لاسم المكان .. وليس معنى هذا أن مِفْعَلة اسم مكان .. وكذلك قول ابن منظور فى اللسان . أرض معقربة بكسر الراء ليس معناه أن اسم المكان من الرباعى يبنى على وزن اسم الفاعل كما توهم مصطفى جواد .

بل قيل ذلك لاكتساب الأرض الصفة الفاعلية فى كونها ذات عقارب مع أنه حكى فى

طحلب فتح اللام .. ومن أمثلة ذلك .. أرض مدبَبَة من الدّبى وقالوا أيضاً مُدْبِبَة فأدخلوا فى ذلك مفعولة وفاعلة أى مفعِلة ومُفعَلة .

ومن أمثلة إحلال مِفعلَة محل مفعَلة : مِرْقَاة ومِسْفاة ومطهرة .. ويروى فيها الفتح أيضا ..

قال سيبويه : إن ما جاوز الثلاثة الأحرف يكون نظير المفعل منه بمنزلة المفعول ..

يريد أن لفظ المصدر والمكان والزمان الذى فى أوله الميم زائدة فيما جاوز ثلاثة أحرف يجيء على لفظ المفعول سواء .. وفى الثلاثة على غير لفظ المفعول .. ألا ترى أنك تقول فى الثلاثة للمصدر المضرَب .. والمقتَل وللمفعول .. مضروب ومقتول وتقول فيما جاوز الثلاثة المقاتل فى معنى القتال والمسرَّح فى معنى التسريح والموقى فى معنى التوقية .. ولفظ المفعول أيضا كذلك تقول : قاتلت زيدا فهو مقاتل وسرحته فهو مسرح ووقيته فهو موقًّى .. وقالوا على ذلك : أرض مثعلبة وأرض معقربة ..

قال أبو تراب : وعلى صيغة المفعول قال لبيد :

يمَّمن أعداداً بلُبْنَى أو أجا مضفدعات كلها مطحلبة

الاعداد جمع عِد وهو الماء الدائم ولبنى واد وأجا جبل وقد أراد بالمضفدعات كثيرة الضفادع .. وشكل فى اللسان على صيغة الفاعل .. وفى مادة طحلب فى اللسان ماء مطحلب بفتح اللام قال الرضى فى شرح الشافية : ج ١ ص ١٨٨ : اعلم أن الشيء إذا كثر بالمكان وكان اسمه جامدا فالباب فيه مفعلة بفتح العين كالمأسدة والمسبعة والمذأبة ـ أى الموضع الكثير الأسد والسباع والذئاب وهو مع كثرته ليس بقياس مطرد .. فلا يقال : مضبعة ومقردة .. ولم يأتوا بمثل هذا فى الرباعى فيما فوقه نحو الضفدع والثعلب .. بل استغنوا بقولهم : كثير الثعالب .. أو بقول : مكان مثعلب .. ومعقرب ومضفدع .. ومطحلب بكسر اللام الأولى على أنها اسم فاعل قال لبيد :

يمن أعداداً بلبنى أو أجا مضفدعات كلها مطحلبة

ولو كانوا يقولون من الرباعى على قياس الثلاثى لقالوا : مثعلبة ومعقربة على وزن المفعول .. لأن نظير المفعل فيما جاوز الثلاثة على وزن مفعوله نحو مدحرج ومقاتل وممزق .. ولم يسمع مثعلبة ومعقربة بفتح اللام .. فلا تظن أن معنى قول سيبويه : فقالوا على ذلك أرض مثعلبة ومعقربة .. أن ذلك مما سمع .. بل معنى كلامه أنهم لو استعملوا من الرباعى لقالوا كذا ..

قال : ومن قال ثعالة .. قال مثعلة لأن ثعالة من الثلاثى .. قال الجوهرى وجاء معقرة بحذف الباء أى كثيرة العقارب وهو شاذ ..

قال أبو تراب : وقد تناقض كلام مصطفى جواد فقال فى (قل ولا تقل) ص ٣٩ إذا كان الاسم رباعيا أو غير ثلاثى مطلقا فيصاغ اسم المكان منه على وزن اسم الفاعل تقول : أرض مثعلبة الخ .. وقال فى الكتاب نفسه صـ ٨٢ : واسم المكان من الفعل غير الثلاثى يكون على وزن اسم المفعول الخ ..

قال أبو تراب : واختلف أيضا فى ضبط بيت لبيد : هل هو على وزن المفعول أو الفاعل ، وقولنا فى هذا هو ما جزمنا به آنفاً .

* * *

قطَّـاع وقِطـاع

قال أبو تراب : وفى كتاب : « قل ولا تقـل » .. قل القَطَّـاع ولا تقـل القِطـاع ولا القُطاع .. وذلك لأن القَطَّاع من اصطلاحات الهندسة القديمة .. وقد استعير للتقسيمات الاقتصادية باعتبار أن مجموع الاقتصاد دائرة والقطاع يقطع جزءاً منها ويفرزه قال أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمى الكاتب من أهل القرن الرابع للهجرة : « الشكل القطَّاع » بفتح القاف وتشديد الطاء ـ قطعة من دائرة رأسها إما على مركزها وإما على محيطها مثل هذين الشكلين .. ولم يرد شكلا القطاع فى الكتاب المطبوع بمصر باسم مفاتيح العلوم .

وهذه التسمية من باب تسمية الكل بالجزء كما قالت العرب : الحائط للبستان .. مع أن الحائط هو جداره . وكما سمى العصريون عدة أشياء بالمنطقة .. من غير أن يشترطوا الاستدارة فى الشيء المسمى ، وذلك خطأ قبيح . لأن المنطقة كالحزام فتستعمل للاستدارة لا للانبساط ، فقولهم المنطقة الاستوائية من الأرض صحيح .. لأن الخط دائر مع الاستواء كالنطاق .. وإن كان مقصورا .. وقولهم : المنطقة المحرمة من البلاد خطأ لأنها لا استدارة فيها

أما القِطاع : آلة القطع أو طائفة من الليل والدراهم فلا محل لها فى إدارة هذا المعنى .

قال أبو تراب : يكثر فى كتب البيرونى وابن الهيثم وابن عراق .. لفظ الشكل القطَّاع وكتبهم مطبوعة بالهند .. وعندى رسالة فى الشكل القطاع للعلامة أحمد بن محمد بن عبد الجليل السجزى المتوفى سنة أربع مائة وخمس عشرة ورسالة لابن الهيثم فى المرايا المحرقة بالقطوع يعنى المخروطات . وذكر طاش كبرى زاده فى مفتاح السعادة ج ١ ص ١٣٣ أنه علم تتعرف منه أحوال الخطوط الشعاعية المنعطفة والمنكسرة ومواقعها وزواياها ومراجعها وكيفية عمل المرايا المحرقة بانعكاس أشعة الشمس عنها .. ونصبها ومحاذاتها .

وكانت القدماء تعمل المرايا من أسطحة مستوية .. وبعضهم من مقعر كرة إلى أن ظهر

دنوفلس وبرهن على أنها إذا كانت أسطحتها مقعرة بحسب القطع المكافىء فانها تكون فى نهاية القوة والاحراق .. وكتاب ابى على ابن الهيثم على هذا الرأى

وفى فيروز اللغات استعمال القِطاع والقِطْع والقَطوع بهذا المعنى .

وفى المعجم الوسيط لمجمع اللغة ا لعربية بمصر : القِطاع بالكسر من الدائرة جزء محصور بين نصفى قطر .. وجزء من المحيط . وفى اللغة المولدة : الجزء المقتطع من أىّ شىء .. ويقال : هذا خاص بالقطاع الصناعى أو بالقطاع الزراعى مثلا ، والمثال الذى يقطع عليه الثوب والأديم ونحوهما .. ولم يذكره مشددا بهذا المعنى الهندسى .. ولاذكره أحمد رضا الشبيبى فى معجم متن اللغة .

وفى محيط المحيط لبطرس البستانى : القُطاع بالضم مصدر ويطلق عند المهندسين على شيئين : أحدهما قُطاع الدائرة .. والثانى قُطاع الكرة .

وفى قطر المحيط : القطِاع : المقطع الذى يقطع عليه الثوب . وأهمل الشرتونى الاصطلاح الهندسى الذى نحن بصدده فى أقرب الموارد . وإنما أجاد فيه صاحب المنجد فقال : القطوع المخروطية واحدها قطع فى الاصطلاح الهندسى . وهى قطوع سطح مخروط دائرى قائما كان أم مائلا بمستو لايمر برأسه وهى ثلاثة :

القطع الزائد ـ القطع الناقص ـ القطع المكافىء .. ثم شرحها .. وأما القطاع بالتشديد فقال : هو فى الهندسة : الجسم الحاصل من دوران قطاع دائرى حول قطر من دائرته لايَقْطَعه .. وقطاع الدائرة ـ السطح المحصور بين قوس منها والشعاعين المنتهيين إلى طرف القوس ..

قال أبو تراب : فضبطه بالقطاع ـ بالكسر مخففا ـ كما فى المعجم الوسيط خطأ ـ وكذلك ضبطه بالقُطاع بالضم مخففا ـ كما فى المحيط خطأ ..

* * *

تعرف إلى الشيء وعليه

قال مصطفى جواد : قل تعرفت الشيء والأمور .. وتعرفت إلى فلان .. واعترفت اليه .. واستعرفت اليه .. وقالت العامة : تعرفت بفلان .. قال أبو الخضر فى الغلط والفصيح : قولهم : تعرفت بفلان : يريدون أنهم صاروا من شخصه على علم وصلة .. والحقيقة أنك إذا قلت : تعرفت بزيد كان مرادك أنك سميت أنت بهذا الاسم وعرفت به فى الناس .. وتقول : عرفته بالطول او بالبياض إذا نعته بالطول او بالبياض .. أما معرفة الناس او الصلة بهم فذلك أن تعدى الفعل بـ« الى » .. ومن لطيف ذلك أن تقول : أتيت متنكرا ثم استعرفت أى عرَّفت نفسى اليه ..

ولا تقل : تعرفت إلى الشيء والأمور لا تعرفت عليها . وذلك لأن لغة العرب تميز فى هذا الفعل بين الانسان وغيره .. كما تميز بين مدلولى صيغة الفعل : « تفعل » فى هذه العبارة .. فتعرفت الشيء وتعرفت الأمور هما على وزن تفعل .. ولكن مدلوله غير مدلول تعرفت إلى فلان .. أى تفعل أيضا مع مخالفة مدلول هذا الفعل لمدلول ذاك ..

ولغة العرب لغة اشتقاقية .. وأوزان أفعالها أى صيغ أفعالها محدودة معدودة والمعانى كثيرة .. فلم يكن بد من أن تدل الصيغة الواحدة والوزن الواحد على أكثر من معنى واحد للوفاء بالمعانى وأدائها ..

ومن تلك الصيغ المشتركة المعانى :تفعل التى جاء وزنها على تعرف : فقولنا : تعرفت الشيء والأمور هو تفعل الذى بمعنى أوقعت أصل الفعل على المفعول أى أوقعت المعرفة عليه بعد أن كان مجهولا .. وأقول بعبارة أخرى : هو بمعنى أصبته بالمعرفة .. وأما قولنا : تعرفت إلى فلان ففيه .. تعرف بمعنى أظهر الفعل من نفسه خاصة مرة بعد مرة أى أظهر معرفة نفسه بتكرار لتأكيد الفعل .. فهو لازم ملازم لفاعله ..

وشواهد الأول ـ أعنى تعرفته ـ كثيرة أنا ذاكرها بعد النصوص اللغوية ..

قال الجوهرى فى الصحاح : وتعرفت ما عند فلان أى تطلبت حتى عرفت وتقول : إيت فلانا فاستعرف اليه حتى يعرفك وكرره مؤلف لسان العرب ناقلا .. وذكر قول طريف

العنبرى :

تعرَّفونـــى أننـــى أنـــا ذاكمو شاك سلاحـــى فى الفـــوارس معلم

وتعرَّفه قد أورده الفيروزابادى فى القاموس كايراد الجوهرى له فى الصحاح . أمـا الواقع اللغوى فمنه ما ورد فى أخبار الخوارج من الكامل للمبرد من قول المهلب بن أبى صفرة لهريم بن عدى المجاشعى : « إنى لا آمن أن يكون قطرىٌ كادنا بترك موضعه فاذهب فتعرف الخبر » وقول بعض النصحاء فى موضع آخر منه : يتعرفه النصر ويساعده الظفر .. ومنه قول بعض الفصحاء فى اخبار ابن مسجح فى الأغانى : وما منعنى من عتقه إلا حسن فراستى فيه ولئن عشت لا تعرفن ذلك .. ومن قول بعضهم فى أخبار ابـن المولى : فلما أفاق ابن المولى من علته ونهض دخل عليه يزيد بن حاتم متعرفا خبره . ومنه قول الجاحظ فى كتابه « الحيوان » : جعلها فى موضع امتحان إخلاصهم وتعرف صدق نياتهم . وأما قولهم : تعرف فلان إلى فلان فقد ورد فى كتب اللغة الموثوق بها المعتمد عليها مثل لسان العرب .. وفى تعابير الفصحاء .. فقد جاء فى كتاب الأغانى فى أخبار معبد المغنى : غنيت فأعجبنى غنائى وأعجب الناس وذهب لى به صيت وذكر فقلت لآتين مكة فلأسمعن ممن بها ولأغنينهم ولأتعرفن اليهم ..

وقال أبو هلال العسكرى فى جمهرة الأمثال : لا الملك معرفـة ولا البحـر جار. أى لا تتعرف اليه ولا تجاور البحر ..

أما تعرف به فقد نقـل (رينهـارد دوزى) فى معجمـه المستـدرك للغـة العـربية والفرنسية .. (كذا) من كتاب تاريخ الموحدين لابن صاحب الصلاة قوله .. حين دخل بغداد وتعرف بسلطانها .. فهذا شاهد تعّرف به ـ ونقل من مرجع آخر قول القائل : تعرَّف بالناس والظاهر أن تعرف به أى صار معروفا عنده .. هو من التعابير العامية . ومن العامية ما هو فصيح ولا يزال عوام بغداد وغيرها يستعملونه فى كلامهم كقولهم : (اتعرَّفت بى) وتأويله اللغوى أن المتعرف كان مجهولاً ولما اتصل به صار معروفاً . واذا كان ذلك بالنسبة للمجرور كان التعبير صحيحاً وإذا كان بالنسبة للفاعل كان من سوء التعبير ..

قال أبو تراب : كتاب ابن صاحب الصلاة الذى نقل منه طبع السفر الثانى منه عن نسخة اكسفورد بتحقيق عبد الهادى التازى باسم « المن بالامامة » وهو طبقات الموحدين

ولا وجه لرد شاهد قول العنبرى المتعدى بدون صلة إلى المفعول وهو إنسان . وفى الحديث إن الله ليتعرف إلى العبد ، هو من إسداء المعروف اليه

* * *

يستهدفه ويهدف اليه

قال أبو تراب : وفى « قل ولا تقل » : قل هذا يرمى إلى الاصلاح ويستهدفه ولا تقل يهدف إلى الاصلاح .. وذلك لأن هدف الشيء لا يؤدى هذا المعنى وله معنى آخر لا تستغنى عنه اللغة العربية . ومن أجله اشتق الفعل من الهدف .

قال الزمخشرى فى أساس البلاغة : وهدف للخمسين .. وأهدف قارب .. وفى لسان العرب : ويقال : هل هدف اليكم هادف أو هبش هابش ؟ يستخبره هل حدث ببلده سوى مَنْ كان به .. وهدف الي الشيء أسرع .. وفى القاموس : وهل هدف اليكم هادف : هل حدث ببلدكم أحد سوى مَنْ كان به .. وهدف اليه دخل .. وهدف الخمسين : قاربها كأهدف .

وفى المعجم الوسيط : هدف اليه هدفا : دخل .. وهدف فلان للخمسين قاربها .. هدف الى الشيء قصد وأسرع .. وقال بعد ذلك : هدف إلى الأمر رمى كأنه جعله هدفا له .. مولد . وهذا المولد خطأ .. لأن جميع معانى (هدف) المتقدمة على هذا المعنى تعنى قرب الوصول والدخول وما أشبهها . على حين أن « رمى إلى الشيء » لا يعنى القرب منه ولا إصابته وإنما يعنى الاجتهاد والسعى لاصابته .. فالهدف يكون بعد الرمى وهو مقاربة النجاح .. يقال : رمى إلى النجاح فهدف له أى قاربه ..

أما . استهدفه فمعناه اتخذه هدفا .. وقد ورد ذلك فى كلام على بن أبى طالب على إحدى روايتين وهى فى قوله : (دار بالبلاد محفوفة وإنما أهلها فيها أغراض مستهدفة .. ترميهم بسهامها وتفنيهم بحمامها)

قال ابن ابى الحديد فى شرح نهج البلاغة مستهدفة بفتح الدال على المفعولية كأنها قد استهدفها غيرها .. أى جعلها أهدافا .

ونقل ذلك فخر الدين الطريحى .. ولم يشر اليه قال فى مجمع البحرين : « فيه أغراض مستهدفة بكسر الدال منتصبة .. واستهدفت الى : طلبت اتخاذ هدف .. وهو كلّ شيء مرتفع من تراب أو رمل .. ومنه مستهدفة بفتح الدال ..

وقال أسامة بن منقذ فى الاعتبار ص ٤٠ وكان قد هدف الينا من العرب خلق كثير .. أى قصد الينا وأسامة كان من رجال القرن السادس للهجرة . ولايقوم كلامه لمناهضة كلام العرب الفصحاء الذى ضمته معجمات العربية . قال الزمخشرى فى أساس البلاغة : أهدف لى الشيء واستهدف : انتصب وأعرض . وقال عبدالرحمن بن ابى بكر لأبيه : لقد أهدفت لى يوم بدر .. فضفت عنك .. قال : لكنك لو أهدفت لى لما ضفت عنك أى ماعدلت عنك .. وركب مستهدف عريض .. وفلان هدف لهذا الأمر وعَرَضٌ له . ورموا فى الهدف والأهداف .

قال ابن فارس فى المقاييس : الهاء والدال والفاء أصيل يدل على انتصاب وارتفاع .. والهدف كل شىء عظيم مرتفع .. ولذلك سمى الرجل الشخيص الجافى هدفا .. قال أبوذؤيب الهذلى :

إذا الهدف المعزال صوَّب رأسَه

ومن الباب الهِدْفَةُ : الجماعة من الناس .

قال أبو تراب : المعزال الذى يرعى ماشيته بمعزل من الناس .

وفى لسان العرب : الهدف المشرف من الأرض . واليه يلجأ .. قال كعب :

عظيم رماد القدر رحب فناؤه ... إلى هدف لم يحتجبه غيوب

الغيوب : جمع غيب وهو المطمئن من الأرض ..

وقال الزفيان السعدى يذكر ناقته :

ترجو اجتياز عظمها إذْ أزحفت ... فأمرعت لما اليك أهدفت

أى قربت ودنت .. وهدف الى الشيء أسرع .. وأهدف اليه : لجأ

قال أبو تراب : فقول كثير من الكتاب : فلان يهدف الى كذا لايخدم مرادهم لأنهم أرادوا : انه يرمى الى كذا .. ولكن معنى ماقالوه : انه يسرع الى كذا واستهدف بمعنى انتصب .. حتى سموا حالب الناقة مستهدفا لقيامه وانتصابه على قدميه قال الشاعر يصف صوت الرغوة تتساقط على قدميه عند احتلابه :

وحتى سمعنا خَشْفَ بيضاء جعدة ... على قدمى مستهدف متقاصر

وفى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا مر بهدف مائل أسرع المشى وهو كثيب رمل ونحوه ..

* * *

عرض له وتعرّض له

قال أبو تراب : قل : عرض فلان للتعذيب والعقوبة والأذى وجُعِلَ عُرْضَةً لها .. ولاتقل تعرض لها . قال أسعد داغر : ويعدون الفعل تعرض بالى : فيقولون (لم يفكروا أن يتعرضوا الى احد) وهو بهذا المعنى انما يتعدى باللام ؛ تقول تعرض له اذا تصدّى وطلبه .

وقال مصطفى جواد : والسبب فى غلط الاستعمال ان (تعرض) يدل على رغبة الفاعل فى الفعل والمفعول به ان وجد .. والمعذب او المعاقب او المؤذى كائنا ماكان الأذى لم يرغب فى العذاب والعقوبة والأذى .. وانما قهر وأجبر على مكابدتها .. ولو صح ان الذى عرض لهذه البلايا راغب فيها وتائق اليها لم يكن معذبه أو معاقبه أو مؤذيه ملوما .

قال ابن فارس فى مقاييس اللغة : وتعرض لى فلان بما أكره .. ورجل عريض أو متعرض ..

وورد فى الصحاح ومختاره : وتعرض لفلان تصدى له : يقال : تعرضت لهم أسألهم . وجاء فى المصباح المنير : وتعرض للمعروف وتعرضه يتعدى بنفسه وبالحرف اذا تصدى له .. وطلبه .. ذكره الأزهرى وغيره .. ومنه قولهم : تعرض فى شهادته لكذا اى تصدى لذكره .. وقال : وماعرضت له بسوء أى ماتعرضت ..

وفى لسان العرب : ويقال : تعرض أى أقم فى السوق للبيع وأنشد ابن الاعرابى :

وقوما آخرين تعرضوا لى ... ولا أجنى من الناس اعتراضا

واعترض بمعنى واحد . ورجل عريض مثل فسيق يتعرض الناس .. وتعرض معروفه وله : طلبه وقال الليث : يقال : تعرض لى فلان بما أكره .

فهذه النصوص اللغوية للتعرض بمعنى الاعتراض .. وهى تدل على ان الفعل « تعرض » ومصدره التعرض يفيدان رغبة الفاعل فى الفعل والمفعول به.

قال مصطفى جواد :

وقد تركنا نصا واحدا ورد فى الصحاح .. ومختاره يخالف واقع اللغة وانى ذاكره بعد ايرادى شواهد واقع اللغة .. اى استعمال « تعرض » فى كتب الأدب وكتب التاريخ .

ففى الأغانى لأبى الفرج ج ٩ ص ١١٣ : قال رجل من قيس عيلان : كان الأعشى يوافى سوق عكاظ ، وكان المحلق الكلابى مئناثا مملقا فقالت امرأته : ياأبا كلاب مايمنعك من التعرض لهذا الشاعر ؟

وفى شرح البلاغة ج ٤ ص ٢١٧ لابن ابى الحديد نقلا من كتاب الواقدى . فى خبر هبار بن الأسود : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وهبار يعتذر اليه ـ ان الاسلام محا ذلك ونهى عن التعرض له .

وقال الجاحظ فى الحيوان : ج ١ ص ٢١٨ : وسأضرب لك مثلا قد استوجبت أغلظ منه ، وتعرضت لأشد منه ولكنا نستأنى بك وننتظر أوبتك .

وفى أخبار صفين ص ٢٩ لنصر بن مزاحم المنقرى من اهل القرن الثالث للهجرة : الا ان تتعرض للبلاء .. وجاء فى الاكليل ج ٨ ص ٣٥ : عن ابى الحسن الشامى عن عكرمة عن ابن عباس عن ابن اخى النجاشى قال : قال عمربن الخطاب : وفدت على النعمان ـ وأنا غلام شاب ـ فى فتية من قريش من أهل مكة نتعرض لمعروفه . وفى شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ١٠ فى خبر نصر بن حجاج الذى نفاه عمر بن الخطاب : وأتته يوما أم نصر حين اشتد عليها يوما غيبة ابنها فتعرضت لعمر بين الاذان والاقامة فقعدت على الطريق .

وفى وفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٩٧ فى ترجمة الوزير يحى بن هبيرة قول سبط ابن الجوزى : وقال جدى الشيخ ابوالفرج فى كتاب المنتظم : وكان الوزير يسأل الله تعالى الشهادة ويتعرض لأسبابها . فهذه شواهد الواقع اللغوى للفعل تعرض ومصدره التعرض تؤكد ان التاء تفيد رغبة الفاعل فى الفعل : اما الشاهد المخالف للواقع اللغوى فهو ماورد فى الصحاح ومختاره وهو : (وعرضه لكذا فتعرض له) ونقله منه صاحب اللسان وهو من دعوى وجود المطاوعة التى أصبحت حديث خرافة . ولم نجد عربيا فصيحا قال : عرضت فلانا للعقوبة فتعرض لها . لأن تعرضه لها يدل على رغبته فيها وتعريضه لها دليل على

الاجبار فى ايقاعها عليه وهذا تناقض ظاهر. وقد يقع فى كلام المولدين الذين يتكلمون بلغة العامة التى لاباعث عليها .. ولا ملجىء اليها لأنها مخالفة لجميع أقوال الفصحاء. والفرق بينها وبين اللغة الفصيحة حذف قليل كما رأيت. وأما قول ابى حيان التوحيدى فى الامتاع والمؤانسة ج ٢ ص١١ : واذا حفظ الصحة فقد أفاده كسب الفضائل وفرغه لها .. وعرضه لاقتنائها فهو على سبيل الاستعارة .. اراد وأعانه على اقتنائها ..

ومن شواهد الواقع اللغوى للفعل : عرّضه تعريضا. أى جعله عرضة وهدفا قول ناس من بنى عجل لعتيبة بن النهاس العجلى لما صرف الحطيئة ولم يعطه شيئا : لقد عرضتنا ونفسك للشر قال وكيف ؟ قالوا : هذا الحطيئة وهو هاجينا أخبث هجاء، ذكره أبو الفرج فى الأغانى ج ٢ ص ١٦٨ فلم يقولوا : تعرضنا بك للشر لأنهم لم تكن لهم رغبة فيه. وقال ابراهيم الموصلى للخليفة موسى الهادى :

ياابـن خـير الملـوك لاتتركنى غرضـا للعـدو يرمـى حيالى
فلقـد فى هواك فارقـت اهلى ثم عرضـت مهجتـى للزوال

ذكره فى الأغانى ايضا ج ٥ ص ١٦٣ .. ونقل كل ذلك مصطفى جواد.

وفى الشعر : (لقد عرض الحمام لنا الخ ..)

وفى حديث سراقة : انه عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر الفرس اى اعترض به الطريق يمنعهما من المسير .. وفى الحديث ايضا : مَنْ عرَّضَ عرَّضْنا له .. اى من عرض بالقذف عرضنا له بتأديب لايبلغ الحدّ .. ومن صرَّحَ بالقذف حددناه.

وفى حديث ذى البجادين يخاطب ناقة النبىﷺ :

تعـرضى مدارجـا وسومى تعـرض الجـوزاء للنجوم

أى خذى يمنة ويسرة، وتنكبى الثنايا الغلاظ. وشبهها بالجوزاء لأنها تمر معترضة فى السماء .. لأنها غير مستقيمة الكواكب فى الصورة.

قال ابن الأثير : يقال عرض لى الشىء وأعرض وتعرض واعترض بمعنى واحد.

وفى الحديث أن ركبا من تجار المسلمين عرّضوا رسول الله ﷺ وأبابكر ثيابا بيضا .. اى اهدوا لهما .. يقال : عرضت الرجل اذا اهديت له .. ومنه العُراضة .. وهى هدية القادم من سفره.

ومن فروع هذا الباب ماذكره الزمخشرى فى الأساس قال : عُرِض لفلان اذا جُنَّ .. وأعرض لك الشىء اذا أمكنك من عُرضه . وأعرض لك الصيد فارمه .. وهو معرض لك .. وتعرضت الابل المدارج: أخذت فيها يمينا وشمالا . ومن محاورات العرب : مافعلت مُعَرِّضتكم : يريدون الجارية يعرضونها على الخاطب عرضة ثم يحجبونها ليرغب فيها .. قال الكميت :

ليالينا اذ لاتزال تروعنا مُعَرَّضةٌ منهن بكر وثيب

وعرَّض قومه : أهدى لهم عند مقدمه .. وفلان عَريض : يعرض بالشر : قال :

واحمق عريض عليه غضاضة تمرَّس بى من حَيْنه وانا الرَّقِمْ

وعرضت الجيش عرض عين : اذا أمررته على بصرك لتعرف من غاب ومَنْ حضر .

وفى اللسان : عرَّضت الشىء جعلته عريضا .. والعريض يجعل موضع الكثير ..

قال الله تعالى : « فذو دعاء عريض » لأن الدعاء ليس بجسم - ويقال : أعرض لك الشىء من بعيد اذا بدا وظهر .. وعرض له أمر كذا : اى ظهر .. وعرضت له الشىء اى اظهرته له وابرزته اليه فأعرض اى فظهر كقولهم كببته فأكب وهو من النوادر . والشىء معرض لك موجود ظاهر قال عمرو بن كلثوم :

وأعرضت اليمامة واشمخرت كأسياف بأيدى مصلتينا

وقال ابو ذؤيب الهذلى :

بأحسن منها حين قامت فأعرضت توارى الدموع حين جَدَّ انحدارها

وتعرض الشىء دَخَلَه فسادٌ قال لبيد :

فاقطع لبانة من تعرض وصله ولشرّ واصل خلة صرَّامها ..

وقيل : تعرض وصله أى تعوج وزاغ ولم يستقم لما يتعرض الرجل فى عروض الجبل يمينا وشمالا .. قال امرؤ القيس :

اذا ما الثريا فى السماء تعرضت تعرض اثناء الوشاح المفصل

أى لم تستقم فى سيرها ومالت كالوشاح المعوج أثناؤه . قال ابن السكيت : يقال : مايعرضك لفلان .. بفتح الياء وضم الراء . ولا تقل : مايُعَرِّضك بالتشديد .. وقال الفراء .. يقال : مربى فلان فما عرضنا له .. ولاتعرِض له ولا تعرِّض له لغتان جيدتان . وقال اللحيانى : تعرضت معروفهم ولمعروفهم تصديت . وقالت الأعراب : لحم معرض للذى لم يبالغ فى نضجه .. قال السليك بن السلكة السعدى :

سيكفيك ضرب القوم لحم معرض ومـاء قدور فى الجفـان مشيب

* * *

الشيء الآنف الذكر وذكرته آنفا

قال أبو تراب :

ومن الأخطاء الشائعة قولهم : « الشيء الآنف الذكر »

والصواب ان يقال : الشيء الذى ذكرته آنفا أو سالفا .. أو المذكور آنفا .. جاء فى مختار الصحاح : وقال كذا آنفا وسالفا وهو اسلوب القرآن الكريم قال تعالى : « ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا » ..

فالصواب المذكور آنفا والمذكور سالفا وهو أدل على المعنى اذا اريد زمن مضى الشيء .

قال الراغب الاصبهانى فى مفردات القرآن ص ٢٨ . واستأنفت الشيء : أخذت أنفه أى مبدأه .. ومنه قوله عز وجل : « ماذا قال آنفا » .. أى مبتدأ ..

وجاء فى كليلة ودمنة ص ٩٢ : وعجّزت رأيى فى سيرتي – مما تكلمت به آنفا .. وذكر أبوالفرج فى الأغانى (جزء ٣ ص ٣٦٧) فى ذكر زيدبن عمروبن عثمان زوج سكينة بنت الحسين

انه قال لأشعب : غننى ويحك غير هذا . فان اصبت مافى نفسى فلك حلتى هذه .. وقد اشتريتها آنفا بثلاثمئة دينار .

وقال ابن فارس فى مقاييس اللغة : الهمزة والنون والفاء اصلان منهما تتفرع مسائل الباب كلها . أحدهما : أخذ الشيء من أوله . والثانى : أنف كل ذى أنف وقياسه التحديد . فأما الأصل الأول فقال الخليل : استأنفت كذا : اى رجعت الى اوله . وائتنفت ائتنافا ، ومؤتنف الأمر .. ما يبتدأ فيه . ومن هذا الباب قولهم : فعل كذا آنفا . كأنه ابتداؤه ..

قال أبو تراب : فى الحديث : انزلت على سورة آنفا . أى الآن .. وقد تكررت هذه اللفظة فى الأحاديث . وفى الحديث لكل شيء أنفة . وأنفة الصلاة التكبيرة الأولى ..

قال ابن الأثير فى غريب الحديث : أنفة الشيء ابتداؤه .. وهكذا روى بضم الهمزة وقال الهروى : الصحيح بالفتح .

وفى حديث ابن عمر : انما الأمر أُنُف .. أى مستأنف استئنافا من غير أن يكون سبق به سابق قضاء وتقدير .. وإنما هو على اختيارك ودخولك فيه ..

قال الأزهرى : استأنفت الشيء اذا ابتدأته . وفعلت الشيء آنفا اى فى أول وقت يقرب منى ..

قال أبو تراب : ومن هذا المعنى قولهم من المجاز : فلان أنف قومه .. وهم أنف الناس قال الحطيئة : (قوم هم الأنف والأذناب غيرهمو) .

وأنف الجبل وأنف اللحية . وهذا أنف عمله .. وسار فى أنف النهار .. وكان ذلك على أنف الدهر .. وخرجت فى أنف الخيل .. كل ذلك بمعنى المقدمة والابتداء ..

قال فى الأساس : أتيته آنفا ، ومضت آنفة الشباب .. وهو يتأنف الاخوان اى يطلبهم آنفين لم يعاشروا احدا .. ويقال استأنف الشيء وائتنفه ..

وقال فى اللسان : اضاع مطلب انفه اى الرحم التى خرج منها .. وأنشد ثعلب :

واذا الكريم اضاع موضع أنفه أو عرضه لكريهة لم يغضب

وأنف كل شيء طرفه وأوله .. وأنشد ابن برى للحطيئة :

ويحرم سرُّ جارتهم عليهم ويأكل جارهم انف القصاع

قال ابن سيدة .. ويكون فى الأزمنة .. واستعمله ابوخراش فى اللحية سمى مقدمها أنفا فقال :

تخاصم قوما لاتلقى جوابهم وقد أخذت من أنف لحيتك اليد

وأنف الناب : طرفه حين يطلع .. وأنف البرد : أوله وأشده وأنف المطر .. أول ما أنبت : قال امرؤ القيس :

(قد عدا يحملنى فى أنفه)

وهذا أنف عمل فلان أى أول ما أخذ فيه . واستأنف الشيء وائتنفه أخذ أوله وابتدأه .. وقيل : استقبله .. وأنا آتنفه ائتنافا وهو من باب الافتعال .. واستأنفه بوعد : ابتدأه به من غير ان يسأله اياه .. أنشد ثعلب :

وأنت المنى لو كنت تستأنفيننا بوعد ولكن معتفاك جديب

والمؤنفة من النساء : التى استؤنفت بالنكاح ..

وحكى الأزهرى عن ابى تراب اللغوى المتوفى سنة ٢٤٥ هـ :

وجاءوا آنفا أى قبيلا .. وقال الليث : أتيت فلانا آنفا .. كما تقول : من ذى قُبُلٍ .. وفعله بآنفةٍ وآنفا .. وأما قوله تعالى : « ماذا قال آنفا » .. فقال الزجاج : معناه .. ماذا قال الساعة .. فى أول وقت يقرب منا .. وقال ابن الاعرابى : اى مذ ساعة .. وقد نزلت فى المنافقين كانوا يستمعون خطبة الرسول ﷺ فاذا خرجوا سألوا استهزاءً واعلاما انهم لم يلتفتوا الى ماقال .

* * *

الطَّغَام والطُّغمة

قال مصطفى جواد : قل هؤلاء الطَغام .. وهؤلاء الطَغامة .. ولاتقل الطغمة .. ويقولون : للعصبة الشريرة او الرديئة : هذه الطغمة ويؤكدون رداءتها أحياناً فيقولون : هذه الطغمة الرديئة او الفاسدة .. والصواب : الطغام والطغامة .. وهما مستعاران من اراذل الطير والسباع .. كالرعاع وأصله النعام والهمج .. وأصله الذباب الصغار يقع على وجه الحمير وعيونها .. أو الغنم المهزولة ..

قال ابن منظور فى لسان العرب : الطغام والطغامة : اراذل الطير والسباع .. الواحدة طغامة للذكر والانثى .. مثل نعامة ونعام .. ولاينطق منه بفعل .. ولايعرف له اشتقاق .. وهما ايضا اراذل الناس وأوغادهم انشد ابوالعباس :

اذا كان اللبيب كذا جهولا فما فضل اللبيب على الطغام

الواحد والجمع فى ذلك سواء .. ويقال : هذا طغامة من الناس الطغام الواحد والجمع سواء قال الشاعر:

وكنت اذا هممت بفعل امر يخالفنى الطغامة والطغام

وقول على رضى الله عنه لأهل العراق : ياطغام الأحلام .. انما هو من باب إشفى المرفق .

وقول الامام الذى اشار اليه ورد فى خطبته بالنخيلة يحث على الجهاد .. ذكرها المبرد فى اول كتابه الكامل ج ١ ص ١٦ ـ ٢٠ .. قال : وقوله : ياطغام الأحلام فمجاز ، الطغام عند العرب : من لاعقل له .. ولا معرفة عنده .. وكانوا يقولون : طغام اهل الشام كما قال : (فما فضل اللبيب على الطَغام) .

ومن رجز ايام صفين قول الحر بن سهم بن طريف :

انـــى لأرجـــو إن لقينـــا العاما جمـــع بنـــى أميـــة الطغاما
أن نقتل العاصى والهماما

نقله الشارح ابن ابى الحديد من اخبـار صفـين لنصر بن مزاحـم انظـر جزء ١ ص ٢٧٧ ..

وقول على رضى الله عنه من القصيدة متمثلا :

فلـو أنـــى أطعـــت عصمـــت قومى إلى ركن اليامـــة أو شـــام
ولكنـــى متـــى أبرمـــت أمرا منيـــت بخلف آراء الطغام

وقال فى شأن الحكمين : جفاة طغام .. عبيد اقزام .. جمعوا من كل أوب .. وتلقطوا من كل شوب .

قال ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة ج ١ ص ١٤١ : جفاة جمع جاف أى هم أعراب أجلاف .. والطغام : أوغاد الناس . الواحد والجمع فيه سواء .. يقـال : اللئـام والأشرار .. عبيد وإن كانوا احرارا .. نقله الشارح ج ٣ ص ٢٨٦ .

قال أبو تراب : فى نهج البلاغة فى خطبة النخيلة : « حلوم الأطفال » وأشار الشارح الى نقل المبرد .. وأما قوله : (فلو أنى أطعت عصمت قومى) فقد نقله الشارح فى ج ١ ص ٣٤٣ . والنخيلة موضع قرب الكوفة على سمت الشام .. وهو الموضع الذى خرج اليه على رضى الله عنه لما بلغه ما فعل بالأنبار من قتل عامله عليها .. وخطب بها خطبة مشهورة قتل بعدها بأيام .. رضى الله عنه .. وقد قال فيها .. « اللهم إنى لقد مللتهم وملونى فأرحنى منهم » .. وبهذا الموضع قتلت الخوارج ..

وأما قول صاحب اللسان إن قول على بن أبى طالب : « ياطغام الاحلام » من باب اشفى المرفق فيعنى أنه لما كان الطغام ضعيفا استجاز أن يصفهم به كأنه قال : ياضعاف الأحلام .. ويا طاشة العقول .. واشفى المرفق : يعنى : دقيق المرفق .. والاشفى : هو المثقب والمخرز .. ولما كان دقيقا حاداً .. استجازوا الوصف به .. قال الشاعر : (مئبرة العرقوب إشفى المرفق) .. أنشده أبو على .. كأنه قال : دقيقة المرفق أو حادة المرفق .. وكذلك كل جوهر فيه معنى الفعل يجوز فيه مثل هذا .. ذكره فى اللسان .

قال أبو تراب : وغلط صاحب المنجد فشكل الأشفى بالفتح .. وهو الاشفى بالكسر كما فى القاموس واللسان .. وضبطه الشرتونى فى اقرب الموارد فقال : الاشفى بالكسر : المثقب والسراد يخرز به مذكر ويؤنث . قال ابـن السكيـت : الاشفـى : ما تخـرز به الأساقى - جمع اسقية وهى جمع سقاء .. والمزادة وأشباهها .. والمخصف للنعـال جمعـه الأشافى .

وفى تكملة الصغانى : فلان فيه طغومة وطغومية أى حمق ودناءة والتطغم التجاهل .. وفى هذارد على صاحب اللسان حيث نفى أن يكون له اشتقاق وهى ليست من أصل كلام العرب كما فى المقاييس .

أما الطغمة فقد ذكر البستانى فى محيط المحيط أنها الزمرة من الناس شأنهم واحد . والظاهر أنها من الألفاظ النصرانية .. الا أنها لا تستعمل الا فى المدح .. وللأخيار .. لأنه ذكر بعد ذلك .. « طغمات الملائكة » أى طبقاتهم وليس فى الملائكة أشرار ولا ارديا‌ء .

قال مصطفى جواد : وهل من سبب وجيه معقول يبعث الكاتب العربى على ترك لفظة عربية فصيحة قديمة خاصة بالأنذال .. واستعمال كلمة نبطية اصطلاحية .. لا أحسبه موجوداً .

* * *

دعس ودهس

ومن الأخطاء الدارجة قولهم : فلان دهسته السيارة دهسا .. وصواب المادة : دعسته لا دهسته .. قال الدكتور مصطفى ـ يقولون : لمن داسته السيارة بعجلاتها : دهسته السيارة بتعدية الفعل .. دهس .. الى مفعول به واحد مع نصب هذا المفعول : واشتقاق مصدر له هو .. دهس ، وفى تذكرة الكاتب يقولون : سقط تحت القطار فدهسه وأماته .. ولم يسمع عن العرب استعمال دهس بهذا المعنى .. فالصواب أن يقال .. داس مستعاراً من الدَّوس بالأقدام ولعل دهسه محرف دعسه أى وطئه وطأ شديدا . قال مصطفى جواد :

وقد مرت عشرات سنين على هذا الفعل الغريب ومصدره فدخلا فى سجلات الحوادث فى دواوين الشرطة .. ودواوين المحاكم .. وذاعا فى صحف الأخبار واستعملا فى القصص والآثار مع أنهما ليس لهما بالدعس ولا بالدوس صلة وثيقة ولا واهية حتى يحتج محتج لهما بضرب من الاستعارة . يضاف الى ذلك الوهم القبيح .. واختلاق ما ليس من لغة العرب ..

ان الفعل دهس .. إنما يستعمل للون .. وهو لازم لا متعد .. كسائر أفعال الألوان .. لاستقرار الفعل فى الفاعل .. فما يدرى الناقد اللغوى ماذا يذكر من المعايب ..

قال ابن فارس فى كتابه المقاييس : الدال والهاء والسين أصل واحد يدل على لين فى المكان . فالدهس المكان اللين وكذلك الدَّهاس . والدُّهسةُ لون كلون الرمل .

وورد فى لسان العرب عن الأصمعى : الدهاس : كل لين جدا .. وقيل الدهس : الأرض السهلة يثقل فيها المشى : وقيل هى الأرض التى لا يغلب عليها لون الأرض ، ولا لون النبات . وأدهس القوم : ساروا فى الدهس كما يقال : أوعثوا ساروا فى الوعث .. والدهس والدهاس .. المكان السهل اللين ؛ لا يبلغ أن يكون رملا وليس هو بتراب ولا طين .. ورمال دُهس ..

وفى الحديث : أقبل من الحديبية فنزل دهاسا من الأرض . ومنه حديث دريد بن

الصمة : لاحزن ضرس .. ولا سهل دهس ..

وفى النصوص اللغوية بيان لما ذكرناه .. فلا وجود للفعل دهس الا للّون الذى يشبه لون الرمل . ومثله : إدهاسَّ ادهيساسا .. وأما أدهس إدهاسا فمعناه سار فى الدهس .. وهى الأرض اللينة السهلة .. التى تسوخ فيها الأقدام بعض السوخ ..

فمن أين أتى المتحذلق المختلق بدهسه بمعنى دعسه وداسه ؟ ولماذا ترك الفعل الشائع بين العامة والخاصة : داسه يدوسه دوسا ألأن العامة تستعمله .. وهو فصيح مليح . ومع هذا يتهمون اللغويين بالتحذلق ، والاغراب وهم يتحذلقون فيما لا وجود لمعناه فى لغة العرب ...

فيجب أن يقال فى الأقل : دعسته السيارة دعساً ، جاء فى لسان العرب: والدعس شدة الوطء .. ودعست الابل الطريق تدعسه دعسا .. وطئته وطأً شديداً .. وطريق دعس .. دعسته القوائم ووطئته ، وكثرت فيه الآثار .. وإذا وطئت السيارة الانسان وطأً شديدا قتلته أو كسرت بعض أعضائه فصار عائها أى ذاعاهة .

ومما يضحك فى استعمالهم .. « دهسه » بمعنى داسه ودعسه أنه لو حسبنا أن دهس موجود . وأنه متعد .. أو أنه موجود وعديناه بالهمزة وقلنا : دهستْه السيارة او أدهستْه ادهاسا لكان ذلك يعنى : لينته وأزالت خشونته . فانظر بعد ذلك كيف يكون تليين الانسان وإزالة خشونته .

قال أبو تراب : وفى جوامع السيرة للحافظ ابن حزم ص ١١١ فى ذكر غزوة بدر : فسبق رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا الى ماء بدر .. ومنع قريشا من السبق الى الماء مطر عظيم أرسله الله تعالى مما يليهم ولم يصب منه المسلمين الا مالبَّد لهم الأرض يعنى : دَهْسَ الوادى .. وأعانهم على السير .. ـ الدهس الأرض السهلة يثقل فيها المشى .

وقال الزمخشرى فى أساس البلاغة : مشينا فى دهاس : وهو رملٌ لا تغيب فيه القوائم .. وعَنْزٌ دهساء .. بينة الدهسة : وهو لون الرمل يعلوه أدنى سواد .. ويقال : بينهم مداعسةٌ أى مطاعنةٌ بالرماح ورجل مِدْعسٌ ورَمحٌ مِدْعس ورماح مداعس .. وفى غريب الحديث لابن الاثير : فاذا دنا العدو .. كانت المداعسة بالرماح حتى تقصَّدَ أى تتكسر .. والمداعسة : المطاعنة .. قال : والدهس : ما سهل ولان من الأرض ولم يبلغ أن يكون رملا .

قال أبو تراب : ومن ذلك جاء اشتقاق الدهاسة فى الاخلاق وهى الدماثة .. قال ابن منظور فى اللسان : الدهاسة بالفتح : سهولة الخلق .. يقال : ما فى خلقه دهاسة .

قال أبو تراب : وكأن احلال الدهس محل الدعس تشبيه له بالمكان الذى لا يتماسك وفى هذا نصرة لردِّ العامى إلى الفصيح فليتأمل .

* * *

إعراب ضدّ

وفى كتاب الدكتور مصطفى جواد : قل : ضدٌ .. وضداً .. وضدٍ .. ولا تقل ضِدَّ دائما .. وقل : فلان يكافح الاستعمار ويحاربه . ولا تقل : يكافح ضد الاستعمار ويحارب ضده .

ويستعملون الضد منصوبا دائما كأنه ظرف منصوب على الظرفية .. ويقولون ذلك اتباعا للافرنج .. (كذا) كقول الانكليز « أكينست » والفرنسيين (كذا) « كونتر » . والضدُّ فى العربية صفة حشرها التطور مع الاسماء .. وهى مشتقة من ضادَّه يُضَادُّه ومضادة وضدادا .. أى خالفه . ثم اشتق منه صفة أخرى انتقلت الى الاسمية أيضا وهى ضديد .. وهاتان الصفتان المنتقلتان إلى الاسماء قياسيتان عندى من كل : فاعل يفاعل ..بحسب الحاجة اليهما .. وعدم الالتباس فى استعمالها .. وثبوت الوصف فيهما كالشبه والشبيه .. والمثل والمثيل .. والند والنديد .. وما لا يأتى عليه الاحصاء .. فكيف يكون الاسم المعرب كسائر الاسماء مَقصورا على الظرفيَّة منصوبا أبدا ؟ فالصواب اعرابه بأنواع الاعراب الثلاثة للاسماء .. وتثنيته وجمعه .. فيقال : هذا تلقيح ضد الجدرى .. برفع ضد أى ضم الدال .. وبدأوا تلقيحا ضد الجدرى بنصب ضدَّ .. وابتدأوا بتلقيح ضدٍّ الجدرى - بجر الضد .. وهذان تلقيحان ضدا المرضين .. وهذه تلقيحات اضداد الأمراض المتوطنة ..

وأقبح مما ذكرنا قولهم : فلان يحارب ضد الاستعمار وأمثاله .. فينعكس المعنى عليهم .. وينطقون بضد ما يريدون .. لان معنى يحارب ضد الاستعمار . هو يحارب مخالف الاستعمار .. فهو مؤيد إذن للاستعمار .. فتأمل الجهل .. كيف يجعل الانسان ينطق بخلاف ما يريد من المعانى لسوء الترجمة من اللغات الافرنجية ويقولون : لفق ضده كذا وكذا أى اختلق وزوَّر .. وهو تعبير فاسد منظور فيه الى اللغتين الانكليزية والفرنسية .. (كذا) المقدم ذكرهما .. والصواب عند العرب : لفق عليه .. مثل زور عليه .. واختلق عليه وولَّد عليه .. فالصواب وضع (عليه) موضع (ضده) فى هذا التعبير وأمثاله ..

ونحن إنما ذكرنا مثالا .. فالنبيه يقيس على المثال .. فلا يقول : فلان يدافع ضد المتألبين عليه .. لأنه بمعنى ينصرهم ويؤيدهم .. بل يقول : يدافع المتألّبين ومن الوكلاء : أى المحامين عند أهل النظر .. من اقتبس التعبير الفرنسى (كذا) ويقول : أنا أدافع فلانا فى المحكمة .. وهو يريد أدافع عن فلان .. والعبارة الأولى تفيد ضد ما يريد .. فانه اذا دافع موكله .. فقد نصر خصمه عليه .. وأصل العبارة المختصرة الصحيحة : « دافع عن فلان » هو : دافع عن فلانٍ خصمه .. » ولكون الخصم معلوما فى هذه العبارة استغنى عن ذكره .. كما يقال : حافظ عليه . واصله : حافظ المعتدى عليه .. أى غالبه فى الحفظ .

قال أبو تراب : الضد هو النقيض .. والضد : هو الملء .. قال ابـن فارس : هما اصلان متباينان فى القياس . فالأولى الضدُّ .. ضد الشيء .. والمتضادان الشيئان لا يجوز اجتماعهما فى وقت واحد كالليل والنهار .. والكلمة الأخرى الضَدُّ وهو المَلْء بفتح الضاد .. يقال ضدَّ القربة ملأها ضَداً .

وقال الليث : الضد : كل شيء ضادّ شيئا ليغلبه .. السواد : ضد البياض والموت ضد الحياة . والليل ضد النهار .. إذا جاء هذا ذهب ذلك ..

وقال ابن سيدة : ضدُّ الشيء وضديده .. وضديدته خلافه .. وقال ثعلب : ضده أيضا مثله والجمع اضداد .. وقد يكون الضد جماعة .. ـ أى يعبر به عن الجمع ـ والقوم على ضد واحد إذا اجتمعوا عليه فى الخصومة وفى القرآن : « ويكونون عليهـم ضدا » قال الفراء : أى يكونون عليهم عونا .. وقال أبو منصور : يعنى الأصنام التى عبدها الكفار تكون أعوانا على عابديها يوم القيامة .. وقال عكرمة : يعنى يكونون عليهم اعداء .. وقال الاخفش : الضد يكون واحداً وجماعة واستشهد بهذه الآية .

* * *

شجب وجدب

قال أبو تراب : ويقولون : شجب فلان المعاهدة الفلانية او قول فلان او رأى فلان أى عابها وليس ذلك بصواب .. فقل : جدب المعاهدة .. وجدب القول .. وجدب الرأى واستقبحها وذمها .. ولا تقل شجبها ..

وقال ابن فارس فى المقاييس : الشين والجيم والباء كلمتان تدل إحداهما على تداخل .. والأخرى تدل على ذهاب وبطلان ..

الأولى قول العرب : تشاجب الامر اذا اختلط .. ودخل بعضه فى بعض . قالوا : ومنه اشتقاق المشجب وهو خشبات متداخلة موثقة تنصب وتنشر على الثياب .. والشجوب : أعمدة من عمد البيت ؛ ويقال ـ وهو ذلك المعنى ـ أن الشِجاب السداد .. يقال : شجبه بشجاب : أى سده . وأما الأصل الآخر فالشجِبُ وهو الهالك ويقال : قد شجب .. وقال :

فمن يك فى قتله يمترى فان أبا نوفل قد شجب

وربما سمَّوا المحزون شجبا .. ويقولون شجبه اذا احزنه .. وشجبه الله : أى أهلكه الله ..

وقال ابن السكيت : شجبه شجبا إذا شغله .. وأصل الشجب ما ذكرناه وكل ما بعده فمحمول عليه ..

وورد فى لسان العرب : شجب بالفتح يشجب بالضم شجوبا .. وشجب بالكسر يشجب بالفتح شِجبا فهو شاجب وشجب حزن أو هلك .. وشجبه الله يشجبه شجبا أى أهلكه .. يتعدى ولا يتعدى يقال : ما له شجبه الله : أى أهلكه .. وشجبه أيضا يشجبه شجبا أحزنه وشجبه : شغله .

وفى الحديث : الناس ثلاثة : شاجب وغانم وسالم .. فالشاجب الذى يتكلم بالردىء .. وقيل : الناطق بالخنا .. المعين على الظلم .. والغانم الذى يتكلم بالخير ينهى عن المنكر .. ويغنم .. والسالم الساكت .

وفى تهذيب اللغة للازهرى : الشاجب : الهالك الآثم .. قال : وشجب يشجب شجوبا .. إذا عطب وهلك فى دين أو دنيا .

وعن الاصعى : قال : يقال : إنك لتشجبنى عن حاجتى : أى تجذبنى عنها يقال : هو يشجب اللجام أى يجذبه .. وشجب الشىء يشجب شجبا .. وشجوبا ذهب ..

قال مصطفى جواد : فجميع معانى هذه المادة لا تفيد معنى (العيب) والاستقباح ..

فقولهم شجب المعاهدة لا يخرج عن أن يعنى « سدَّها أو أحزنها أو أهلكها .. أو شغلها » فضلا عن أن الشاجب هو المتكلم بالردىء المعين على الظلم .. مع أن عيب الانسان معاهدة .. قد يدل على إصلاح وإرشاد وإحقاق حق .. كما قد يدل على خطأ .. فهو بحسب مقصد القائل .. وليس ذلك بالمراد .. وإنما المراد العيب وحده .. ولذلك وجب أن يقال : جدب المعاهدة يجدبها جدبا او ما ذكرناه ..

قال ابن فارس فى المقاييس : الجيم والدال والباء أصل واحد يدل على قلة الشىء .. ومن قياسه الجدب وهو العيب والتنقص .. يقال : جدبته إذاعبته .. وفى الحديث جدب لهم السمر بعد العشاء .. أى عابه .. قال ذو الرمة .

فيالك من خد أسيل ومنطق رخيم ومن خلق تعلل جادبه

أى أنه تعلل بالباطل لما لم يجد الى الحق سبيلا .

وورد فى لسان العرب : وجدب الشىء يجدبه جدبا .. عابه وذمه وفى الحديث : جدب لنا عمر السمر بعد عتمة : أى عابه وذمه . وكل عائب فهو جادب .. وأنشد بيت ذى الرمة المذكور آنفا ، يقول : لا يجد فيه مقالا ... ولا يجد فيه عيبا يعيبه به فيتعلل بالباطل وبالشىء يقوله وليس بعيب .

وفى كتاب : مجالس ثعلب ج ١ ص ١٣٧ : الجدب العيب قال : جدب لنا عمر السمر بعد الصلاة : أى ذمه وعابه ..

قال مصطفى جواد : وليت شعرى أى صاحب ذوق فاسد دلَّ المترجمين والكتاب ورجال السياسة على (شجب) المتنافرة الأحرف العاجزة عن اداء المعنى المراد .. فتركوا (جدب) الفصيحة السهلة المنسجمة الأحرف ؟ ولو كان أحد النقاد اللغويين اختار

شجب .. لقالوا ما افسد ذوقه .. وما أقل طوقه ..

قال أبو تراب : ولناصر ردٌ العامى إلى الفصيح أن يقول إن المشجوب بمعنى المعيب والمستقبح والمنتقد هو بمنزلة الهالك الذاهب .. فبين المعنيين ملاءمة فليتأمل ..

* * *

يرئس ويرأس

قال أبو تراب :

وكثر استعمال : « يرئس » على ألسنة الكتاب .. وجرت به اقلام وهو خطأ والصواب يرأس بفتح الهمزة .

قال الدكتور مصطفى جواد : قل يرأس اللجنة والقوم ولا تقل يرئسها .. ولا يرئسهم .. وفى تذكرة الكاتب : يقولون : دعى لكى يرئس الحفلة .. وافتتحت برئاسة فلان .. فيكسرون عين الفعل فى المضارع .. ويأتون بمصدره على فعِالة والصواب أن يكون المضارع مفتوح العين والمصدر فعَالة بفتح العين ..

قال أبو تراب : وأوقعهم فى الوهم ضبط المنجد هذه الكلمة ورسمها فيه .. فقد وضعت الهمزة فيه على كرسى الياء وهو رسم خطأ .. وقد رد على ذلك وأصلح هذا الغلط قال : يقولون : رأس فلان اللجنة أو القوم يرئسها ويرئسهم بكسر الهمزة أى صار رئيسها أو رئيسهم .. وإنما اقتدوا فى ذلك بالضبط الوارد فى المنجد .. تأليف لويس معلوف اليسوعى .. والرجل لم يكن لغويا .. بل اختار كلم معجمه من المحيط للبستانى وزينه بصور .. بله أن المنجد لا يعتمد عليه فى ضبط الكلم .. وبخاصة الأفعال الثلاثية .. فأمرها عسير .. ولم أعلم أنىّ له كسر عين المضارع من الفعل (رأس) فالمسموع المدون والمقيس فيه فتحها .. أما المدون .. فقد جاء فى مختار الصحاح : رأس فلان القوم يرأسهم بالفتح رئاسة فهو رئيسهم .. ويقال أيضا : رَيِّس بوزن قيم .

وورد فى المصباح المنير .. ورأس الشخص يرأس مهموز بفتحتين رآسة : شرف قدره فهو رئيس والجمع رؤساء مثل شريف وشرفاء .

وفى لسان العرب : ورأس القوم يرأسهم بالفتح رئاسة وهو رئيسهم رأس عليهم فرأسهم وفضلهم ..

قال ابن الأعرابى : رأس الرجل يرأس رآسة : إذا زاحم عليها وأرادها . وفى حديث

القيامة : ألم اذرك ترأس وتربع ؟ رأس القوم صار رئيسهم ومقدمهم ..

قال أبو تراب : معنى : تربع أى تأخذ ربع الغنيمة .. يقال : ربعت القوم أربعهم إذ أخذت ربع أموالهم .. مثل عشرتهم أعشرهم .. ومعنى الحديث : ألم اجعلك رئيسا مطاعا .. لأن الملك كان يأخذ ربع الغنيمة فى الجاهلية دون أصحابه .. ويسمى ذلك الربع : المرباع .. ومنه قوله لعدىٍّ بن حاتم : إنك تأكل المرباع وهو لا يحل لك فى دينك ومنه شعر وفد تميم : (نحن الرؤوس وفينا يقسم الربع) يقال : رُبْع .. ورُبُع .. يريد ربع الغنيمة انتهى .

فالنصوص المسموعة المدونة مجمعة على أن عين مضارع الفعل رأس أى يرأس مفتوحة .

قال : وأما القياس فهو فتح عين المضارع الثلاثى إذا كانت العين أو اللام من أحرف الحلق وهى : الهاء والحاء والخاء والعين والغين والهمزة مثل : نهج ينهج ونده ينده . وقحل يقحل .. ومنح يمنح .. وفعل يفعل . ونفع ينفع وشغل يشغل ودفع يدفع وسأل يسأل .. ودرأ يدرأ .. إلا ما نص اللغويون على خلافه .

والمكسور العين من غير المثال قليل أو نادر مثل : رجع يرجع .. ونزع ينزع وحطأ يَحْطِئ.. على إحدى لغتين .. ودمغ يدمغ .. على إحدى ثلاث لغات .

ومما ذكروا من الوارد بلغتين ـ فتح العين وضمها ـ برأ يبرأ .. ويبرؤ .. وجنح يجنح .. ورعدت السماء ترعد .. ورعف يرعف وسلخ يسلخ وشجب يشجب كذا فى كتاب مصطفى جواد .. وليس هو من الأفعال التى تتضمن احرف الحلق .. فهذا إيراده إقحام الآن ان يكون تصحيفا لـ شحب يشحب .. ومنها : صلح يصلح .. وفرغ يفرغ ومخض يمخض .. ومضغ يمضغ .. وهنأ الابل يهنؤها ويهنأها .. وقيل : ورد فيه أيضا الكسر ومعناه طلاها بالقطران .. وزأر الاسد يزأر ويزئر .. وشحج البغل يشحج .. وشهق الرجل يشهق . ورضع الطفل يرضع .. ونطح ينطح ومنح يمنح .. ونبح ينبح وزادت لغة ثالثة : نحت ينحت .. ونبغ ينبغ .. ونهق ينهق ورجح يرجح ونحل ينحل وسحاه يسحوه ويسحيه .. وشح يشح .. ولغى يلغى ويلغى ويلغو .. ولم يكن (يرأس) من هذا النادر المنصوص

عليه .. فالمنجد هو الذى افشى هذا الغلط .. فينبغى للأديب أن لا يعتمد عليه عند الالتباس ، واختيار الصحيح من الضبط والتصريف ..

قال أبو تراب : أما كون (رأس يرئس) خطأ من حيث القياس فذلك لأن مضارع ما كان آخره او وسطه حرفا من حروف الحلق يأتى مفتوح الوسط وهو عين الكلمة فى الوزن ، كما ان آخره لام الكلمة فيه .. فكان الصواب (يرأس) .

قال الزنجانى : إن كان ماضى الثلاثى المجرد على وزن فعل مفتوح العين فمضارعه يفعُل أو يفعِل : بضم العين أو كسرها نحو نصر ينصر أو ضرب يضرب .. ويجىء على يفعَل مفتوح العين إذا كان عين فعله أو لامه أحد حروف الحلق ـ وهى الهمزة والهاء والعين والحاء الغين والخاء .. نحو سأل يسأل ومنع يمنع (وأبى يأبى) شاذ وإن كان ماضيه على فَعِلَ مكسور العين فمضارعه يفعَل بفتح العين نحو علم يعلم . وقد يجىء على وزن يفعِل بكسر العين إذا كان مثالا نحو ورث يرث .. الا ماشذ نحو حسِب يحسِب وأخواته .. وإن كان ماضيه على فَعُل مضموم العين فمضارعه يفعُل بضم العين نحو حسن يحسن وأخواته ..

قال أبو تراب : شذوذ (أبى يأبى) له نظائر حكاها سيبويه .. ويرى بعض اللغويين ان الوجه فيه هو أنهم شبهوا الألف بالهمزة يعنى أن فتح العين فى الماضى ليس للإعلال ولكن لاقتضاء ما أشبه حرف الحلق إياها .. ويرى آخرون أنه من باب تداخل اللغتين يعنى أنه جاء (أبى) من باب علم كما حكاه ابن سيدة وجاء أيضا من باب ضرب كما حكاه ابن جنى .. وهذا المذهب رجحه الرضى فى شرح الشافية لابن الحاجب ..

قال : ذكر أهل التصريف أن (فعَل يفعل) بفتح العين فيهما فرع فعل يفعُل أو يفعِل بضمها أو كسرها فى المضارع .. وذلك لأنهم لما رأوا أن هذا الفتح لا يجىء الا مع حرف الحلق .. ووجدوا فى حرف الحلق معنى مقتضيا لفتح عين مضارع الماضى المفتوح عينه .. غلب على ظنهم أنها علة له .. ولما لم يثبت هذا الفتح الا مع حرف الحلق غلب على ظنهم أنه لا مقتضى له غيرها .. إذ لو كان لثبت الفتح بدون حرف الحلق .. فغلب على ظنهم أن الفتح ليس شيئا مطلقا غير معلل بشىء كالكسر والضم .. إذ لو كان كذلك لجاء مطلقا بلا حرف حلق أيضا كما يجىء الضم والكسر ..

وقوّى هذا الظن نحو قولهم : وهب يهب .. ووضع يضع .. ووقع يقع .. لأنه تمهَّدَ لهم أن الواو لا تحذف الا فى المضارع المكسور العين فحكموا أن كلّ فتح فى عين مضارع (فعل) المفتوح العين لاجل حرف الحلق .. ولولاها لكانت إما مكسورة أو (كذا) مضمومة . فقالوا : قياس مضارع فعل المفتوح عينه إما الضم (أو) الكسر .. وتعدى أبو زيد هذا وقال : كلاهما قياس ، وليس أحدهما أولى به من الآخر . الا أنه ربما يكثر احدهما فى عادة الفاظ الناس حتى يطرح الآخر ويقبح استعماله . فان عرف الاستعمال فذاك .. وإلا استعملا معا . وليس على المستعمل شيء . وقال بعضهم : بل القياس الكسر لأنه أكثر وأيضا هو أخف من الضم .

واستعملوا اللغتين فى الفاظ كثيرة كعرش يعرُش .. ونفر ينفر وشتم يشتم . ونسل ينسل وعلف يعلف . ونسق ينسق وحسد يحسد ويلمز ويعقل ويطمث ويقتر بضم عين المضارع وكسْرها .. وغير ذلك مما يطول ذكره .

وفى الافعال ما يلزم مضارعه فى الاستعمال إما الضم وإما الكسر وذلك إما سماعى (أو) قياسى .. فالسماعى الضم فى قتل يقتل ونصر ينصر . وخرج يخرج مما يكثر . والكسر فى ضرب يضرب ويعتب .. وغير ذلك مما لا يحُصى .. والقياسى كلزوم الضم فى الأجوف والناقص الواويين . والكسر فيهما يائيين .. وفى المثال اليائى ومن القياسى الضم فى باب الغلبة ..

قال أبو تراب : وفعل العتاب جاء من باب ضرب يضرب كما اشار اليه الرضى .. وجاء من باب قتل يقتل كما نص عليه فى المصباح المنير .. ومثله فى القاموس واللسان قال الرضى : وإنما ناسب حرفَ الحلق ـ عينا كان أو لاما ـ أن يكون عين المضارع معها مفتوحا لأن الحركة فى الحقيقة بعض حروف المد بعد الحرف المتحرك بلا فصل . فمعنى فتح الحرف الاتيان ببعض الألف عقيبها . وضمها الاتيان ببعض الواو عقيبها . وكسرها : الاتيان ببعض الياء بعدها .. ومن شدة تعقب أبعاض هذه الحروف .. الحرف المتحرك التبس الأمر على بعض الناس فظنوا أن الحركة على الحرف .. وبعضهم تجاوز ذلك وقال : هى قبل الحرف وكلاهما وهم .. وإذاً تأملت أحسست بكونها بعده .. ألا ترى أنك لا تجد

فرقا فى المسموع بين قولك الغزْوْ . ياسكان الزاى والواو . وبين قولك الغزُ ـ بحذف الواو وضم الزاى ـ وكذا قولك الرَّمْىْ ـ ياسكان الميم والياء ـ والرَّمِ ـ بحذف الياء وكسر الميم ـ وذلك لأنك إذا اسكنت حرف العلة بلا مد ولا اعتماد عليه صار بعض ذلك الحرف .. فيكون عين الحركة إذ هى أيضا بعض الحرف كما قلنا ..

قال أبو تراب : (هذا خلاف ما عليه علماء الاصوات المحدثون) .

ثم إن حروف الحلق سافلة فى الحلق يتعسر النطق بها .. فأرادوا أن يكون قبلها إن كانت لاما الفتحة التى هى جزء الألف التى هى أخف الحروف . فتعدل خفتها ثقلها وأيضا فالألف من حروف الحلق أيضا فيكون قبلها جزء من حرف من حيزها .

وكذا أرادوا أن يكون بعد حرف الحلق بلافصل إن كانت عينا الفتحة الجامعة للوصفين . فجعلوا الفتحة قبل الحلقى إن كان لاما . وبعده إن كان عينا ليسهل النطق بحروف الحلق الصعبة . ولم يفعلوا ذلك إذا كان الفاء حلقيا : إما لأن الفاء فى المضارع ساكنة فهى ضعيفة بالسكون ميتة .. وإما لأن فتحة العين إذن تبعد من الفاء لأن الفتحة تكون بعد العين التى بعد الفاء .

وليس تغيير حرف الحلق من الضم أو الكسر إلى الفتح بضربة لازب بل هو أمر استحسانى .. فلذلك جاء برأ يبرؤ .. وهنأ يهنىء وغير ذلك .. وهى لا تؤثر فى فتح ما يلزمه وزن واحد مطرد .

فلذلك لا تفتح عين مضارع فعل يفعل ـ بضم العين ـ نحو وضؤ يوضؤ . ولا فى ذوات الزوائد مبنية للفاعل أو للمفعول نحو أبرأ يبرىء واستبـرأ يستبـرىء . وأبـرىء واستبرىء . وذلك لكراهتهم خرم قاعدة ممهدة .. وإنما جاز فى مضارع فعل لانه لم يلزم هذا المضارع ضم أو كسر بل كان يجىء تارة مضموم العين وتارة مكسورها . فلم يستنكر أيضا ان يجىء شىء منه يخالفها وهو الفتح ..

ولما جاء فى مضارع فَعِلَ بالكسر مع يفعِل بالكسر يفعَل وهو الأكثر جوَّزوا تغيير بعض المكسور إلى الفتح لأجل حرف الحلق . وذلك فى حرفين : وسع يسع ووطىء يطأ دون : ورع يرع وله يله وهل يهل وغر يغر وحر يحر .

وإنما لم يغير فى ماضى فعل يفعل نحو وضؤ يوضؤ لأنه لو فتح لم يعرف بضم المضارع أن ماضيه كان فى الأصل مضموم العين .. لأن ماضى مضموم العين يكون مضموم العين ومفتوحها .. وكلاهما أصل . بخلاف مضارع فعل فان الفتح فى عين الماضى يرشد إلى أن عين المضارع إما مكسورة (أو) مضمومة .. فيعلم بفتح عين الماضى فرعية فتح عين المضارع وأما فتحة عين يسع ويطأ فلا يلتبس بالأصلية فى نحو يحمد ويرهب .. وإن كان فتح عين مضارع فعِل ـ بكسرها ـ اكثر من الكسر .. لأن سقوط الواو فيهما يرشد الى كونهما فرعا للكسرة . وإنما لم تغير لحرف الحلق عين فعِل المكسور العين الى الفتح نحو سئم لأن يفعل فى مضارع فعل المفتوح العين فرع ..

وفعُل المضموم العين لا يجىء مضارعه مفتوحها . فماضى يفعَل المفتوح العين إذن يكون مكسورها مطردا . وكل ما اطرد فيه غير الفتح لا يغير ذلك كراهة لخرم القاعدة .. وأيضا كان يلتبس بفعل يفعَل المفتوح الماضى المغير مضارعه لحرف الحلق ..

قال أبو تراب : وفى بعض هذه الأمثله التى ذكرها الرضى لغات مذكورة فى المعاجم لسنا بسبيل بسطها .

قال الرضى : ثم إن الحروف التى من مخرج الواو كالباء والميم من ضرب يضرب وصبر يصبر ونسم ينسم وحمل يحمل لا تغير كسر العين الى الضم الذى هو من مخرج الواو .. وكذا الحروف التى من مخرج الياء كالجيم والشين فى شجب يشجب ومجن يمجن ومشق يمشق لا تحول ضم العين إلى الكسر الذى هو من مخرج الياء . كما فعل حرف الحلق بالضمة والكسرة .. لأن موضعى الواو والياء بمنزلة حيز واحد .. لتقارب ما بينهما واجتماعهما فى الارتفاع عن الحلق فكأن الحروف المرتفعة عن الحلق كلها من حيز واحد بخلاف المستفلة أى الحلقية .. وأيضا فتحنا هناك لتعديل ثقل الحلقية بخفة الفتحة ..

ولا يجىء فعل يفعل المفتوح عينهما بكون العين الفا نحو قال يقال مثلا أو بكون اللام الفا نحو رمى يرمى لأن الألف لا يكون فى موضع عين يفعل ولا لامه إلا بعد كون العين مفتوحة كما فى يهاب ويرضى .. فاذا كانت الفتحة ثابتة قبل الألف وهى سبب حصول الألف فكيف يكون الألف سبب حصول الفتحة ..

وشذ (أبى يأبى) قال بعضهم : إنما ذلكَ لأن الألف حلقية وليس بشيء لأن الفتحة سبب الألف فكيف يكون الألف سببها.. ؟ قال سيبويه : ولا نعلم الا هذا الحرف .

قال محيى الدين عبد الحميد : لعلك تقول : كيف يذكر عن سيبويه أنه لا يعلم كلمة قد جاءت على فعل يفعل كنفع ينفع ولامها الف وليست عينها حرفا من حروف الحلق الا (أبى يأبى) ثم يذكر عنه بعد ذلك أفعالا أخرى من هذه البابة ؟ فنقول لك : إنه لا تنافى لان سيبويه قد ذكر كل هذه الافعال التى نقلها عنه الرضى الا أنه احتج لأبى يأبى وخرجه .. ولم يحتج لسائر الافعال . لأن الأول روى كذلك عن العرب كافة . أما غيره فلم يثبت عنه الا من وجيه ضعيف فلهذا أمسك عن الاحتجاج له .. (انظر كتاب سيبويه ج ٢ ص ٢٥٤) .

قال أبو سعيد السيرافى : يدل كلام سيبويه على أنه ذهب فى أبى يأبى إلى أنهم فتحوا من أجل تشبيه ما الهمزة فيه أولى بما الهمزة فيه اخيرة . قال ابن سيدة .. إن قوما قالوا : فى الماضى ابِىَ بكسر العين فيأبى بفتحها على لغتهم جاء على القياس كنسى ينسى ..

وقال ابن جنى : وقد قالوا : (أبى يأبى) كضرب يضرب وأنت خبير أنه على ما حكاه ابن سيدة من مجىء أبى من باب علم .. وما حكاه ابن جنى من مجيئه من باب ضرب يجوز أن يكون قولهم أبى يأبى بالفتح فيهما من باب تداخل اللغتين . وذكر أبو عبيدة : جبوت الخراج أجْبَى ؛ وأجبو هو المشهور .

قال أبو تراب : أكثر كتب اللغة عارمنه .. وإنما ذكره ابن سيدة فى المخصص ج ١٤ ص ٢١١ .

وحكى سيبويه : قلى يَقْلَىَ والمشهور يقلِى بالكسر .. وحكى هو وأبو عبيدة : عضضت تعَضُّ والمشهور : عَضِضْتُ : بالكسر .. وحكى غير سيبويه : ركن يركن وزكن يزكَن .. وزكن بالكسر أشهر . وحكى أيضا غسا الليل أى أظلم يَغْسَى وشجا يشجَى وعثا يعثى وسلا يَسْلَىَ .. وقنط يقنَط .. ويجوز أن يكون غسا وشجا وعثا وسلا (لغة) طائية .. كما فى قوله :

نستوقدُ النبل بالحضيض ونصطا دُنفوسا بُنَتْ على الكرم

قال أبو تراب : يعنى نرمى بالنبل رميا شديدا فتخرج النار لشدة رمينا وقوة سواعدنا .. وأصل بُنَتْ .. بُنِيَتْ .

لأنه جاء عَثِىَ يَعْثَى .. وغَسِى يَغْسَى وشَجِىَ يَشْجَى .. وسَلِىَ يَسْلَى وأما قلى يقلَى فلغة ضعيفة عامرية .. والمشهور كسر مضارعه .. وحكى بعضهم : قَلِىَ يَقْلَى كتَعِبَ يَتْعَبُ .. فيمكنُ أن يكون متداخلا .. وأن يكون طائيا ـ لأنهم يجُوِّزون قلب الياء ألفا فى كلٍّ ما آخره ياء مفتوحة فتحة غير اعرابية مكسور ما قبلها نحو بَقَى فى بَقِىَ ودُعَى فى دُعِىَ .. وناصاة فى ناصية .. وأما زكن يزكن إن ثبت فشاذ .. وكذا ما قرأ الحسن (ويَهْلَكَ الحرث) بفتح اللام .. وركن يركن كما حكاه أبو عمرو من التداخل وذلك لأن يركُن بالضم فى المضارع وفتح الماضى لغة مشهورة .. وقد حكى ابوزيد ركن بالكسر يركَن بالفتح فركب من اللغتين رَكَن يركَن بفتحهما وكذا قال الا خفش فى قنط يقنط لأن يقنُطِ كيقعد ويجلس مشهوران وحكى قنِط كتعب يتعب ..

وإنما لزموا الضم فى الأجوف بالواو والمنقوص بها حرصا على بيان كون الفعل واويا لا يائيا إذ لو قالوا : فى قال وغزا يقوِل ويغزِو لوجب قلب واو المضارعين ياءً لأن بيان البنية عندهم أهم من الفرق بين الواوى واليائى .. فكان يلتبس إذن الواوى باليائى فى الماضى والمضارع .. ولهذا بعينه التزموا الكسر فى الأجوف والناقص اليائيين إذ لو قالوا فى باع ورمى يَبْيُع ويرمُى لوجب قلب الياءين واوا لبيان البنية فكان يلتبس الواوى باليائى فى الماضى والمضارع ..

فان قلت : أليست الضمة فى قلتُ والواو فى غزوت وغزوا والكسرة فى بعت والياء فى رميت ورميا تفرقان فى الماضى بين الواوى واليائى ؟

قلت : ذلك فى حال التركيب ونحن نريد الفرق بينهما حال الافراد

فان قلت : اليس يلتبسان فى الماضى والمضارع فى خاف يخاف من الخوف وهاب يهاب من الهيبة وشقى يشقى من الشقاوة .. وروى يروى ؟

قلت : بلى ولكنهم لم يضموا واوى هذا الباب ولم يكسروا فى يائيه لان فعل المكسور العين اطرد فى الأغلب فتح عين مضارعه . ولم ينكسر إلا فى لغات قليلة .. فلم يقلبه

حرف العلة عن حال بخلاف فعل بالفتح فان مضارعه يجيء مضموم العين ومكسورها . فأثر فيه حرف العلة بالزام عينه حركة يناسبها ذلك الحرف . وهذا كما تقدم من أن حرف الحلق لم يغير كسرة ينبيء ويستنبيء لما اطرد فيهما الكسر ..

وأما إن كان لام الأجوف اليائى أو عين الناقص اليائى حلقيا نحو شاء يشاء وشاخ يشيخ وسعى يسعى وبغى يبغى فلم يلزم كسر عين المضارع فيه كما لزم فى الصحيح كما رأيت . وكذا إن كان عين الناقص الواوى حلقيا نحو: شأى يشأى - أى سبق - ورغا يرغو - .. لم يلزم ضم عين مضارعه كما لزم فى الصحيح على ما رأيت ..

وذلك لأن مراعاة التناسب فى (نفس) الكلمة بفتح العين للحلقى مساوية للاحتراز من التباس الواوى باليائى .. وما عرفت اجوف واويا حلقى اللام من باب فعل يفعَل بفتحهما .. بل الضم فى عين المضارع لازم نحو: ناء ينوء وناح ينوح .

ولنا أن نعلل لزوم الضم فى عين مضارع نحو قال وغزا . ولزوم الكسر فى عين مضارع نحو باع ورمى بأنه لما ثبت الفرق بين الواوى واليائى فى مواضى هذه الأفعال أتبعوا المضارعات إياها فى ذلك .. وذلك أن ضم فاء قلت وكسر فاء بعت للتنبيه على الواو والياء . ونحو: دعوت ودَعَوا يدل على كون اللام واوا .. ونحو رميت رميا يدل على كونها ياء .. وأما نحو خفت تخاف وهبت تهاب وشقى يشقى وروى يروى وطاح يطيح عند الخليل فان اصله عنده طَوِح يطوِح كحسب يحسب فلما لم يثبت فى مواضى هذه الأفعال فرق بين الواوى واليائى فى موضع من المواضع لم يفرق فى مضارعاتها ..

وقد قالو: طوحت أى أذهبت وحيَّرت .. وطيحت بمعناه .. وكذا توهت وتيهت بمعناهما وهو أطوح منك وأطيح .. وأتوه منك وأتيه .. فمن قال : طيّح وتيَّه فطاح يطيح .. وتاه يتيه عنده قياس كباع يبيع .. ومن قال : طوّح وأطوح منك .. وتوَّه وأتوه منك فالصحيح كما حكى سيبويه عن الخليل انهما من باب حسب يحسب فلا يكونان أيضا شاذين .. ومثله آن يئين من الأوان : أى حان يحين .. ولو كان طاح فَعَل واويا كقال لوجب أن يقال : طُحت - بضم الطاء - ويطوح . ولم يسمعا .. وكذا لم يسمع تهت أتوه . أما قول ابن الحاجب فى الشافية : (من قال طوح وتوه .. فطاح يطيح وتاه يتيه شاذان) فهو على أن الماضى فعل

بفتح العين .. ووجه الشذوذ فيه أن الأجوف الواوى من باب فعل مفتوح العين لا يكون مضارعه إلا مضمومها ..وفى بعض نسخ الشافية : أنهما من التداخل .. وكأن هذه العبارة ليست من المصنف .. وإنما وهم من ألحقه نظرا إلى ما فى الصحاح .. أنه قال طاح يطوح فيكون أخذه من طاح يطوح الواوى الماضى .. ومن طاح يطيح اليائى المضارع فصار طاح يطيح .. والذى ذكره الجوهرى من يطوح ليس بمسموع . ولو ثبت طاح يطوح لم يكن طاح يطيح مركبا بل كان طاح يطوح كقال يقول وطاح يطيح كباع يبيع ... وليس ما قال من الشذوذ بشىء إذ لو كان طاح كقال لقيل طُحت كقلت بضم الفاء . والأولى أن لا تحمل الكلمة على الشذوذ ما أمكن

قال سيبويه فى كتابه ج ٢ صـ ٣٦١ : وأما طاح يطيح وتاه يتيه فزعم الخليل أنهما فعل يفعل بمنزلة حسب يحسب وهى من الواو.. يدلك على ذلك طوحت وتوهت .. وهو أطوح منه وأتوه منه .. فانما هى فَعِل يفعِل من الواو كما كانت منه فَعِلَ يفعَل . ومن فَعِلَ يفعِل اعتلّتا .. ومن قال طيحت وتيهت فقد جاء بها على باع يبيع مستقيمة .. وإنما دعاهم إلى هذا الاعتلال ما ذكرت لك من كثرة هذين الحرفين فلو لم يفعلوا ذلك وجاء على الأصل ادخلت الضمة على الياء والواو.. والكسرة عليهما فى (فَعُلْتُ) و (فَعِلْت) و (يفعُلُ) و (يفعِلُ) ففروا من أن يكثر هذا فى كلامهم مع كثرة الياء والواو فكان الحذف والاسكان أخف عليهم . ومن العرب من يقول من ذلك : ما أتيهه .. وتيهت وطيحت وقال : آن يئين فهو فَعِلَ يفعِل من الأوان وهو الحين .. وأنظر صـ ٨١ وصـ ١١٥ من ج ٢ من كتاب سيبويه ولم يضموا فى المثال ـ يعنى معتل الفاء الواوى واليائى ـ فلم يقولوا : وعد يَوْعُد .. ويسر يَيْسُر .. لأن قياس عين مضارع فَعَل المفتوح العين ـ إما الكسر (أو) الضم فتركوا الضم استثقالا لياء يليها ياء أو واوبعدها ضمة .. إذ فيه اجتماع الثقلاء .. ألا ترى إلى تخفيف بعضهم واو يوجل وياء ييأس بقلبهما ألفا نحو يَاْجل ويَاءَسَ وإن كان بعدهما فتحة وهى أخف الحركات فكيف إذا كانت بعدهما ضمة ؟ فان قلت : أو ليس ما فروا اليه ثقيلا .. بدليل حذف واو نحو (يعد) وجوبا .. وحذف ياء نحو (ييسر) عند بعضهم ؟ قلت : بلى ولكن هذا الويل أهون من وَيْلَيْنْ .

فان قلت : فاذا كان منتهى أمرهم إلى الحذف للاستخفاف فهلا بنوا بعضه على يفعُل أيضا بالضم وحذفوا حرف العلة حتى تخف الكلمة كما فعلوا ذلك بالمكسور العين ؟ ..

قلت : الحكمة تقتضى إذا لم يكن بد من الثقيل أو أثقل منه أن تختار الثقيل على الأثقل ثم تخفف الثقيل .. لا أن تأخذ الأثقل أولا وتخضعه .. فان قلت : أو ليس قد قالوا : يَسُر ييسُرُ من اليسر .. ووسم يوسُمُ : قلت : إنما بنوهما على هذا الأثقل إذ لم يكن لفَعُل المضموم العين مضارع إلا مضموم العين .. فكرهوا مخالفة المعتل الفاء لغيره بكسر عين مضارعه بخلاف فعل المفتوح العين فان قياس مضارعه إما كسر العين أو ضمها فأثر فيه حرف العلة بالزام عين مضارعه الكسر .

فان قلت : فلما أُلجئوا فى فَعُل المضموم العين إلى هذا الاثقل .. فهلا خففوه بحذف الفاء ؟ ..

قلت : تطبيقا للفظه بالمعنى وذلك أن معنى فعل الغريزة الثابتة والطبيعة اللازمة فلم يغيروا اللفظ أيضا عن حاله لما كان مستحق التغيير بالحذف فاء الكلمة وهى بعيدة من موضع التغيير . إذ حق التغيير أن يكون فى آخر الكلمة .. أو فيما يجاور الآخر .. فلذلك غير فى طال يطول .. وسَرُو يسرو .. وإن كانا من باب فعل ايضاً وأمّا وهب يهب ووضع يضع ووقع يقع ولغ يلغ .. فالأصل فيهما كسر عين المضارع ، وكذا وسع يسع .. ووطىء يطأ .. فحذف الواو .. ثم فتح العين لحرف الحلق وكذا وَدَعَ ـ أى ترك ـ يدع .. والماضى لا يستعمل إلا ضرورة .. قال أبو الأسود أو أنس الليثى :

ليت شعرى عن خليلى ما الذى غالـه فى الحـب حتـى ودعه

قال أبو تراب : الشاهد فيه مجىء ودع ماضيا مخففا .. ومعه قوله :

لا يكن برقـك برقـا خلبا إن خـير البـرق ما البـرق معه ..

ومثله قول سويد بن أبى كاهل اليشكرى :

سل خليلى ما الـذى غيره عن وصـالى اليوم حتـى ودعه

وقول الآخر :

فسعى مسعاته في قومه ثم لم يدرك ولا عجزاً ودع

وأجاب الرضى عن هذا الاختلاط بحمل (يذر) على (يدع) لكونه بمعناه ولم يستعمل ماضيه لا في السعة ولا في الضرورة ..

فان قيل : فهلا حذفت الواو من يُوعِد .. مضارع أوعد مع أن الضمة أثقل : قلت : بل الضمة قبل الواو أخف من الفتحة قبلها للمجانسة التي بينهما .. وإنما لم تحذف الياء من نحو ييئس وييسرِ .. إذ هي أخف من الواو على أن بعض العرب يجرى الياء مجرى الواو في الحذف وهو قليل فيقول : يسَر يسِر .. ويئس يَئِسُ .

وأما قول لبيد :

لو شئت قد نقع الفؤاد بغلة تدع الصوادى لا يجدن غليلا

فيجوز أن يكون في الأصل عندهم مكسور العين كأخواته ثم ضم بعد حذف الواو .. ويجوز أن يكون ضمها أصليا حذف منه الواو لكون الكلمة بالضمة بعد الواو أثقل منها بعد الكسرة ..

ولزموا الضمة في المضاعف المتعدى نحو مد يمد ورد يرد إلا أحرفا جاءت على يفعِل أيضا .. قال المبرد : علَّه يَعِلُه .. وهرَّه يهِرُه أي كرهه وروى غيره : نم الحديث يَنِمُّه وبتَّه يبِتَّه وشدَّه يشِدُّه .. وجاء في بعض اللغات حبَّه يحَبُّه .. ولم يجيء في مضارعه الضم .

وما كان لازما يأتى على يفعِل بالكسر نحو : عف يعفُّ .. وكلَّ يكل وتكَعُ بالفتح وتكِعُّ بالكسرِ أشهر .. فمن فتح فلأجل حرف الحلق ..

قال سيبويه : لما كان العين في الأغلب ساكنا بالادغام .. لم يؤثر فيه حرف الحلق كما أثر في صنع يصنع .. ومن فتح .. فلأنها قد تتحرك في لغة أهل الحجاز نحو : لم يَكْعَعْ وفي : يكْعَعْن اتفاقا كيصنع ويَصْنَعْن

* * *

نذيع عليكم وفيكم

قال أبو تراب :

ومن الأخطاء الشائعة قولهم : (نذيع عليكم كذا وكذا) والاذاعة هى الافشاء والاظهار والنشر والنداء .. وهى كلمة قرآنية قال الله تعالى : « وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به » ومعنى أذاعوا به أى أظهروه ونادوا به فى الناس .

وذلك أن النبى ﷺ كان يبعث البعوث والسرايا .. فاذا غلبوا أو غلبوا بادر المنافقون يستخبرون عن حالهم .. ثم يشيعونه ويتحدثون به قبل أن يحدث به الرسول .. فيضعفون به قلوب المؤمنين فأنزل الله هذه الآية : وإذا جاءهم : يعنى المنافقين أمر من الأمن .. يعنى جاءهم خبر بفتح وغنيمة .. أو الخوف .. يعنى القتل والهزيمة أذاعوا به .. أى أفشوا ذلك الخبر وأشاعوه بين الناس .. يقال : أذاع السر وأذاع به اذا أشاعه وأظهره ..

قال الزمخشرى فى الكشاف : ويجوز ان يكون المعنى .. فعلوا به الاذاعة .. وهو أبلغ من أذاعوه .. قال الشاعر :

أذاع به فى الناس حتى كأنه بعلياء نار أوقدت بثقوب

قال أبو تراب : أراد الزمخشرى ان يخرج الاذاعة عن الباء المعاقبة للهمزة لأن فى اجتماعهما على التعدية نظرا .. فلذلك قال : معناه : فعلوا به الاذاعة وقد نبه مصطفى جواد على الخطأ فى قولهم : نذيع عليكم .. بمعنى نذيع بينكم وفيكم لأن على فى العربية تفيد الاستعلاء والتسلط والأذى فى الأعم الأغلب .. فمعنى نذيع عليكم هو : ننشر أخبارا سيئة .. وأوصافا قبيحة لكم أو ماتكرهون نشره من أحوالكم كما يقال : قال عليهم .. وتقوّل عليهم ونشر عليهم .. ونادى عليهم ورفع عليهم ..

قال الجوهرى فى الصحاح : ذاع الخبر يذيع ذيعا وذيعوعة وذيعانا اى انتشر .. واذاعه غيره اى افشاه والمذياع : الذى لايكتم السر . وفى أساس البلاغة للزمخشرى : ذاع سره ذيوعا .. وأذاع الخبر والسر وأذاع به .. وهو مذيع مذياع ..

وفى المصباح المنير للفيومى : ذاع الخبر ذيعا وذيوعا انتشر فظهر وأذعته : أظهرته .

وفى القاموس للفيروزابادى : ذاع الخبر يذيع ذيعا وذيوعا وذيوعة وذيعانا ـ محركة ـ انتشر وأذاع سراً .. وبه أفشاه وأظهره أو نادى به فى الناس .

وفى لسان العرب لابن منظور : الذيع ان يشيع الأمر ... يقال : أذعناه فذاع .. وأذعت الأمر .. وأذعت به .. وأذعت السر اذاعة اذا افشيته وأظهرته .. ذاع الشىء والخبر .. وأذاعه وأذاع به أى أفشاه .. وأذاع بالشىء

وفى المقاييس لابن فارس : الذال والياء والعين أصل يدل على إظهار الشىء وظهوره وانتشاره .. يقال : ذاع الخبر وغيره .. يذيع ذيوعا ورجل مذياع لايكتم سرا .. والجمع المذاييع .. وهاهنا كلمة من هذا فى المعنى من طريقة الانتشار ..

يقولون : أذاع الناس مافى الحوض .. إذا شربوه كلَّه .

قال أبو تراب : وفى حديث على بن أبى طالب فى وصف الصالحين : ليسوا بالمساييح ولا المذاييع البُذْر .. ومعناه : ليسوا بالذين يشيعون الفاحشة .. ذكره ابن الأثير فى النهاية .

ولم يذكر اللغويون حرف (الاذاعة) ولا الظرف المتمم لجملها سوى ماورد فى بيت الشعر .. فمن البدهى أن يكون الحرف (فى) والظرف (بين) ويجوز (عند) إذا اقتضاه المعنى كما يقال : نشر فيهم وبينهم .. أما أذاع عليه فيفيد النشر السىء .. والوصف القبيح .. ونشر مايكره نشره . جاء فى مادة (رفع) من أساس البلاغة : « رفع فلان على العامل أذاع عليه خبره » .. يعنى نشر بين الناس اختيانه او احتجانه .

ومن شواهد نصوص اللغويين ماجاء فى أخبار نصيب فى الأغانى ج ٦ ص ١٢٢

فرأيت السوداء تخبط الأسود وتقول له شهرتنى .. من قول قائلة : أذعت فى الناس ذكرى .. فاذا هو نصيب وزوجته

وأنشد أبوالأسود الدؤلى فى بعض الرجال البيت المذكور آنفا .. وذكره فى الأغانى ج ١٢ ص ٣٠٥ .

أما كون أذاع عليه يفيد النشر السىء فشاهده ماجاء فى أخبار ديك الجن الشاعر فى

الأغانى ج ١٤ ص ٥٥ . « وحمل ابن عمه بغضه إياه بعد مودته له وإشفاقه عليه بسبب هجائه له على ان أذاع على تلك المرأة التى تزوجها أنها تهوى غلاما له »

وفى إعتاب الكتاب لابن الأبّار ص ١١٢ :

وقال عمرو بن مسعدة الكاتب للمأمون : وإنما كنت غبيا لو أذعت سرا على السلطان فيه ندم او نقض تدبير .. وفى مصارع العشاق للسراج القارىء ص ٣٢٨ : وقال موسى بن علقمة المكى فى قصة فتى من النساك مغرم بجارية أشد الغرام وهائم بحبها أشد الهيام .. فدخلت عليه يوما ولم أزل به أُلحُّ عليه إلى أن حدثنى بحديثه .. وسأل أن لا أذيع عليه ذلك .. لايسمع به أحد فرحمته لما يقاسى وما صار اليه .. وقدمنا قول الزمخشرى : (ورفع فلان على العامل الخ)

قال مصطفى جواد :

ولقائل أن يقول : إن باب الاستعارة مفتوح فى العربية وباب التضمين غير مغلق : أَوَلاَ يجوز أن يستعمل : أذاع عليهم بمعنى قرأ عليهم .. قلنا : لولم يستعملْه الفصحاء بذلك المعنى الذى ذكرناه آنفا .. ولو لم يذع على النحو الذى ذكرنا شواهده لجاز ذلك .. فلماذا لايقال : نقرأ عليكم بدل نذيع عليكم .

ولماذا هذا العبث بأسلوب العرب الفصيح فى خطابهم وكتابهم .. فالصواب : يذيع فيكم وبينكم ..

* * *

الاستعارة فى العربية

قال أبو تراب :

وقد قدمنا تفسير التضمين عند كلامنا عنه ..

فأما الاستعارة فهى أن تذكر أحد طرفى التشبيه .. إما المشبه .. وإما المشبه به .. وتريد الطرف الآخر مدعيا دخول المشبه فى جنس المشبه به وهى على ثلاثة أقسام :

الاستعارة التحقيقية : وهى أن يكون المشبه به مذكورا والمشبه متروكا لكنه متحقق حسا او عقلا بأن يكون أمرا معلوما يمكن ان ينص عليه ويشار اليه اشارة حسية او عقلية كما بسط ذلك علماء البيان .

فمن المتحقق عقلا .. قوله تعالى : « فأذاقها الله لباس الجوع » فقد استعير اللباس للضرر الحاصل من الجوع . وليس المشبه هو الجوع . بل الأمر الحادث عنده وهو عقلى ..

قال التفتازانى : غلط من توهَم كونه تشبيها لا استعارة

ومن المتحقق حسا قول زهير بن ابى سلمى :

لدى أسد شاكى السلاح مقذف ... له لبد أظفاره لم تقلم

فالأسد ههنا مستعار للرجل الشجاع المتروك من الكلام الذى هو أمر متحقق حسا ..

والاستعارة بالكناية والاستعارة التخييلية وذلك ان تضمر التشبيه فى النفس فلا تصرح بشىء من أركانه سوى المشبه . وتدل على ذلك التشبيه المضمر فى النفس بأن تثبت للمشبه أمرا يختص بالمشبه به .. فيسمى التشبيه المضمر فى النفس استعارة بالكناية .. أو مكنيا عنها .. ويسمى اثبات ذلك الأمر المختص بالمشبه به للمشبه .. استعارة تخييلية .. وإنما قرن بينها لأن كلا منها لايتحقق بدون الآخر .. مثال ذلك قول أبى ذؤيب الهذلى :

وإذا المنية أنشبت أظفارها ... ألفيت كل تميمة لاتنفع

فإنه شبه فى نفسه المنية بالسبع فى اغتيال النفوس فأثبت لها الأظفار التى لايكمل ذلك الاغتيال فى السبع بدونها تحقيقا للمبالغة فى التشبيه ، فتشبيه المنية بالسبع استعارة بالكناية .. واثبات الأظفار للمنية استعارة تخييلية ..

ومن لطائف الاستعارات قول محى الدين ابن قرناص فى وصف الرياض :

أيـا حسنهـا من ريـاض غدا ... جنونـى فنونـا بأفنانها
مشى الماء فيهـا على رأسه ... لتقبيـل أقـدام أغصانها

وقال أيضا :

قد أتينـا الريـاض حيـث تجلت ... وتحلـت من الربـا بجمان
ورأينـا خواتـم الزهـر لمّا ... سقطـت من أنامـل الأغصان

ولأبى فراس :

عدتنـى عن زيارتـه عواد ... أقـل مخوفهـا سمـر الرماح
ولـو أنـى أطعـت رسـيس شوقى ... ركبـت اليـه أعنـاق الرياح

وقال الشريف العقيلى وأجاد :

ألـذ مودات الرجـال مذاقة ... مودة من إن ضيـق الدهـر وسعا
فلا تلبس الـود الـذى هو ساذج ... إذا لم يكن بالمكرمـات مرصعا

وقال الشاعر صرًّ در :

قوم إذا حيَّ الضيـوف جفانهم ... ردت عليهـم ألسـن النيران

ولابن سناء الملك :

لنيرانـه فى الحـىِّ أى تحرق ... على الضـيف إن أبطـى وأى تلهب

ومن لطائف الوداعى :

ويـوم لنـا فى النيريـن رقيقة ... حواشيـه خال من رقيـب يشينه
وقفنـا وسلمنـا على الـدوح بكرة ... فردت علينـا بالـرءوس غصونه

ومن نثر ابن ظافر الأزدى فى كتاب بدائع البدائه :

مررنا فى بعض العشايا على بعض البساتين المجاورة لبحر النيل فرأينا بئرا عليها

دولابان متحاذيان .. قد دارت أفلاكهما بنجوم القواديس .. ولعبت بقلوب ناظرهما لعب الأماني بالمفاليس وهما يئنان أنين أهل الأشواق .. ويفيضان دمعا أغزر من دمع العشاق .. والروض قد جلا للأعين زبرجده .. والأصيل قد راق حسنه فنثر عليه عسجده . والزهر قد نظم جواهره فى أجياد الغصون .. والسواقى قد أذلت من سلاسل فضتها كلّ مصون .. والنبت قد اخضر شاربه وعارضه .. وطرف النسيم قد ركض به فى ميادين الزهر راكضه .. ورضاب الماء قد علاهُ من الظل لمى .. وحيات المجارى حائرة تخاف ان يدركها من زمرد النبات عمى والبحر قد صقل صيقل النسيم درعه .. وزعفران العشى قد ألقى فى ذيل السماء ردعه .. فاستحوذ علينا ذلك الموضع استحواذا وملأ أسماعنا وقلوبنا التذاذا .. وملنا إلى الدولابين .. فلم ندر أزمرا حين ضجت قيان الأطيار بألحانها .. وشدت على عيدانها .. أم ذكرا أيام نعمى وطابا .. وكانا أغصانا رطابا .. فنفينا لذيذ الهجوع .. ورجعنا النوح .. وأفضنا الدموع .. طلبا للرجوع ..

وقال الرمانى فى النكت فى إعجاز القرآن : الاستعارة : هى تعليق العبارة على غير ماوضعت له فى أصل اللغة على سبيل النقل .

وقال ابن المعتز فى البديع : هى استعارة الكلمة لشىء لم يعرف بها من شىء قد عرف بها :

وقال ابن الخطيب فى نهاية الايجاز : الاستعارة : ذكر الشىء باسم غيره .. وإثبات مالغيره له .. للمبالغة فى التشبيه .. وهى جعلُ الشىءِ الشىءَ .. أو جعل الشىءَ للشىءَ .

وقال ابن ابى الأصبع فى تحرير التحبير : هى تسمية المرجوح الخفى باسم الراجح الجلى للمبالغة فى التشبيه كقول الله تعالى : « وإنه فى أم الكتاب » وكقوله سبحانه « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة » وكقوله عزّ وجل : « واشتعل الرأس شيبا » .

ولابد فى الاستعارة من اعتبار ثلاثة أشياء أصول :

مستعار .. ومستعار منه .. ومستعار له .. فالمستعار فى الآية الأخيرة : الاشتعال : والمستعار منه : النار .. والمستعار له : الشيب والجامع بين المستعار منه والمستعار له .. مشابهة ضوء النار لبياض الشيب وفائدة ذلك وحكمته : وصف ماهو أخفى بالتشبيه لما هو أظهر ..

ووجه الكلام فى الآية فى الاستعارة أن يقال : واشتعل شيب الرأس ـ وإنما قلب لما يحصل فى قلبه من المبالغة لكونه فى حالة القلب يستفاد منه عموم الشيب لجميع الرأس .. ولو كان على وجهه لم يفد ذلك العموم .

ومثال ذلك أنك لو قلت : اشتعلت النار فى البيت لصدق هذا القول على اشتعال النار فى جانب واحد من البيت دون بقية جوانبه .. وإذا قلت اشتعل البيت نارا أفاد هذا القول أن النار قد شملت جميع نواحى البيت وجهاته ..

وعلى هذا كانت الاستعارة على قسمين : قسم يجيء الكلام فيه على وجهه فلا يفيد سوى إظهار الخفى فقط أو المبالغة فحسب .. وقسم يأتى الكلام فيه على غير وجهه فيفيد المعنيين معا ..

وأحسنها .. ماقرب منها دون مابعد .. ولم يسمع سامع فى الاستعارة كقوله تعالى : « والصبح إذا تنفس » .. فان ظهور الأنوار فى المشرق من أشعة الشمس قليلا قليلا .. بينه وبين إخراج النفس مشابهة شديدة وأجل الاستعارات : الاستعارة المرشحة كقوله تعالى : « أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى .. فما ربحت تجارتهم » .. فان الاستعارة الأولى وهى لفظة الشراء رشحت الاستعارة الثانية وهى لفظتا الربح والتجارة .

ومن أمثلة الاستعارة فى السنة النبوية قوله عليه الصلاة والسلام : ضموا مواشيكم حتى تذهب فحمة العشاء .. فاستعار ﷺ للعشاء الفحمة لقصد حسن البيان .. لأن الفحمة هاهنا أظهر للحسن من الظلمة .. فان الظلمة تدرك بحاسة البصر .. والفحمة تدرك بحاستى البصر واللمس .. لأنها جسم .. والظلمة عرض .. فكان ذكرها أحسن بيانا من ذكر الظلمة ..

والاستعارة منها كثيفة وهى استعارة الأسماء للأسماء .. ومنها لطيفة وهى استعارة الأفعال للأسماء كقوله تعالى : « فما بكت عليهم السماء والأرض » .. ومن أمثلتها قول امرىء القيس :

وليل كموج البحر أرخى سدوله ... علىَّ بأنواع الهموم ليبتلى
فقلت له لما تمطى بصلبه ... وأردف اعجازا وناء بكلكل

فقد استعار لظلمة الليل السدول المرخاة لما بين الاستعارة والمستعار له من اجتماعهما فى منع الأبصار من الأبصار .. وفائدة هذه الاستعارة نقل الأخفى إلى الأظهر .. لأن السدول يدرك بحاستى البصر .. واللمس والظلمة تدرك باحداهما دون الأخرى .. ثم تمم بكونه جعل السدول مرخاة لأن ذكرها بدون هذا القيد لايوفى بالمعنى الذى قصده من منع رؤية ما وراءها لاحتمال أن تكون مرفوعة .. وكذلك قصد فى البيت الثانى بقولـه : (تمطـى بصلبه) فانه اراد وصف الليل بالطول فاستعار له صلبا يتمطى به .. اذ كان كل ذى صلب يزيد فى طوله عند تمطيه شىء .. وبالغ فى طوله بأن جعل له اعجازا يردف بعضها بعضا فهو كلما نفد عجز ردفه عجز فلا تفنى أعجازه ولا تنتهى الى طرف . ثم أراد أن يصفه بالثقل على قلب الساهر .. فاستعار له كلكلا ينوء به .. ولأجل هذه المعانى كانت الاستعارة أبلغ من الحقيقة .



صمد له وثبت

قال أبو تراب :

ومن الأخطاء الشائعة قولهم : فلان صمد له صمودا .. وكلمة الثبات خير من الصمود .. والصواب صمد له صمداً .. وقد نبه عليه مصطفى جواد قال : وذلك لأن الصمد هو القصد .. وهو تحرك وسير ومشى إلى أمام .. ولا يجوز إطلاق فعل من أفعال الحركة ولا اسم من اسمائها على السكون والوقوف واللبث والمكث .. لأن ذلك ضد المعنى المراد .. فاذا أريد الوقوف فى الحرب على سبيل المقاومة والمواقفة والمناهضة قيل . ثبت فى الحرب والقتال والمقاومة ثباتا قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » .

والشاهد على أن صمد صمدا معناه تقدم فى جميع كلام العرب قول على بن أبى طالب وهو يحث أصحابه على التقدم والقتال : وعليكم بهذا السواد الأعظم ـ والرواق المطنب فاضربوا ثبجه .. فان الشيطان كامن فى كسره .. وقد قدم للوثبة يدا .. وأخر للنكوص رجلا .. فصمداً صمداً حتى ينجلى لكم عمود الحق وأنتم الأعلون .. والله معكم .. ولن يتركم أعمالكم .

قال ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة : وقوله .. فَصَمْداً صَمْداً أى ٱصمُدُوا صمداً صمداً .. ويقال صمدت لفلان أى قصدت له .. فالصمد حركة وسير وتقدم .

قال الجوهرى فى الصحاح : وصمده يصمده صمدا أى قصده والصمد بالتحريك لأنه يصمد اليه فى الحوائج .

وجاء فى مختار الصحاح : الصمد السيد لأنه يصمد اليه فى الحوائج أى يقصد يقال : صمده من باب نصر أى قصده ..

وقال ابن فارس فى المقاييس : الصاد والميم والدال أصلان أحدهما القصد والآخر الصلابة فى الشىء .. فالأول الصمد .. القصد .. يقال صمدته صمدا .. وفلان مصمّد إذا

كان سيدا يقصد اليه فى الامور .. وصمد أيضا والله جل ثناؤه الصمد لأنه يصمد اليه عباده بالدعاء والطلب ..

وقال الزمخشرى فى « الفائق » فى قصة بدر عن معاذ بن عمرو بن الجموح أنه قال : فنظرت إلى أبى جهل فى مثل الحرجة .. فصمدت له حتى إذا أمكنتنى منه غرة حملت عليه .. قال الزمخشرى : الصمد : القصد ..

قال أبو تراب : وورد الخبر فى لباب الآداب صـ ١٧٥ وغيره من كتب السيرة وفى أساس البلاغة : صمده قصده .. وصَمَدَ صَمَدَ هذا الأمر : اعتمده وسيد صمد ومصمود .. والله الصمد ..

وقال المطرزى فى المغرب : الصمد : القصد من باب طلب .. يعنى باب نصر ينصر .. ومن ذلك حديث المقداد :

ما رأيت رسول الله ﷺ صلىّ إلى عود أو عمود إلا جعله على حاجبه الأيمن أو الأيسر .. ولا يصمد له صمدا .. أى لا يقابله مستويا مستقيما بل كان يميل منه .. وقوله : صمد لجُبَّة خَزٍ .. أى قصد بالاشارة اليها . وقال الفيروز ابادى فى القاموس : الصمد القصد : والمصمد المعظم المقصود . وقال ابن الأثير فى النهاية : وفى حديث معاذ بن الجموح فى قتل أبى جهل .. فصمدت له حتى أمكنتنى منه غرة .. أى ثبت له وقصدته وانتظرت غفلته .. ومنه حديث على بن أبى طالب .. فصمداً صمدا حتى ينجلى لكم عمود الحق ..

قال مصطفى جواد :

والمبارك بن الأثير هو العالم الوحيد الذى أضاف « ثبت » إلى تفسير حديث معاذ بن الجموح .. وقد ناقض نفسه بهذه الاضافة وخالف واقع اللغة العربية فكيف يثبت له ويقصده بفعل واحد .. وكيف تجتمع الحركة والسكون أو السكون والحركة فى فعل واحد .. وقد روى الزمخشرى قبله الحديث فى « الفائق » ولم يزد فى شرحه على قوله : الصمد : القصد .. فابن الأثير فى هذه الاضافة كان واهما وكذلك كل من نقل من كتابه .

قال البلاذرى فى حصار مسلم بن عقبة المدينة : فأمر مسلم بفسطاط عظيم فضرب

له .. ثم زحف الى أهل المدينة .. وصمد بمن معه ابن الغسيل فحمل بالرجال حتى كشف الخيل .. ورد هذا الخبر فى كتاب أنساب الأشراف للبلاذرى ج ٢ ص ٣٥ .

وفى صبح الأعشى للقلقشندى ج ١ ص ٢٠٩ فى كتاب عبد الحميد الكاتب إلى بعض قادة مروان : متوكلا على الله فيما صمدت له .. واثقا بنصره .. ثم اصمد لعدوك المتسمى بالاسلام ..

ومن الشواهد التى تدل على أن الصمد هو القصد قول الواقدى فى أخبار غزوة بدر : فاجتمعت بنو مخزوم فأحدقوا بأبى جهل فجعلوه مثل الحرجة - هى مجتمع الشجر - وأجمعوا أن يلبسوا لَأْمَةَ أبى جهل رجلا منهم .. فألبسوها عبد الله بن المنذر بن أبى رفاعة فصمد له على بن أبى طالب فقتله وهو يراه أبا جهل .. ومضى عنه وهو يقول : أنا ابن عبد المطلب ..

انظر شرح نهج البلاغة ج ٣ صـ ٣٣٧ .

وفى كتاب صفين لنصر بن مزاحم المنقرى صـ ١١/٩٧/٢٤٥/٣٣١/ وبعث على ابن أبى طالب خليدا إلى خراسان فسار خليد حتى إذا دنا من نيسابور بلغه أن أهل خراسان قد كفروا ونزعوا يدهم من الطاعة وقدم عليهم عمال كسرى .. فقاتل أهل نيسابور فهزمهم .. وحصر أهلها .. وبعث إلى على بن أبى طالب بالفتح والسبى .. ثم صمد لبنات كسرى .. فنزلن على أمان ..

وجاء فيه أيضا : ثم بعث على بن أبى طالب إلى حنظلة بن الربيع المعروف بحنظلة الكاتب وهو من الصحابة فقال ياحنظلة : أعلىَّ أم لى .. قال : لا عليك ولا لك .. قال : فما تريد ؟ قال : اشخص إلى الرُّها .. اسم موضع - فانه فرج من الفروج اصمد له حتى ينقضى هذا الأمر ..

وجاء فيه أيضا : ولم يبق مع ابن بديل الا نحو مئة انسان من القراء .. فاستند بعضهم إلى بعض يحمون أنفسهم .. ولجج ابن بديل فى الناس .. وصمم على قتل معاوية وجعل يطلب موقفه ويصمد نحوه حتى انتهى الى عبد الله بن عامر واقفا ..

وجاء فيه أيضا : عبأ معاوية تلك الليلة أربعة آلاف وثلاثمائة من فارس وراجل

معلمين بالخضرة .. أن يأتوا عليا من ورائه .. ففطنت لهم همدان فواجهوهم وصمدوا اليهم فباتوا تلك الليلة يتحارسون .

وفى شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد فى كتاب معقل بن قيس الرياحى إلى على بن أبى طالب : ورفعنا لهم راية أمان فمالت الينا طائفة منهم وثبتت طائفة أخرى فقبلنا أمر التى أقبلت .. وصمدنا إلى التى أدبرت .. فضرب الله وجوههم ونصرنا عليهم (انظر ج ١ص ٢٦٧ ، ٢٧٠ ، ٨٤٦) .

وفيه فى كتاب لزياد بن خصفة اليه : ثم زين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فقصدونا .. وصمدنا صمدهم فاقتتلنا قتالا شديداً ج ٢ صـ ٢٧٨)

وفى اقوال هاشم بن عتبة بن أبى وقاص المرقال يحث على القتال : وامشوا بنا إلى عدونا على تؤدة رويدا .. واذكروا الله .. ولا يسلمن رجل أخاه .. ولا تكثروا الالتفات واصمدوا صمدهم وجالدوهم محتسبين .. انظر شرح ابن الحديد وقال عمرو بن كلثوم :

إذا صمدت حمياها أريبا من الفتيان خلت به جنونا

قال أبو خطاب القرشى فى جمهرة أشعار العرب صـ ١٥٨ : معنى صمدت فى هذا البيت : قصدت .

وفى أنساب الأشراف للبلاذرى ج ١ ص ١٥١ فى أخبار يوم الزبدة وقدم حبيش بن دلجة فعسكر بالجرف .. وكان مروان أمره أن لا يعرض لأهل المدينة .. وأن لايكون صمده وقصده إلا لمن يوجهه ابن الزبير للمحاربة .

وفى كتاب الكامل للمبرد ج ٣ صـ ١٢٩ : وروى عن النبى ﷺ أنه نظر إلى رجل ساجد إلى أن صلى النبى ﷺ فقال : ألا رجل يقتله فحسر أبو بكر عن ذراعه وانتضى السيف وصمد نحوه . ثم رجع إلى النبى ﷺ فقال : أ أقتل رجلا يقول : لا إله إلا الله ..

وفى تاريخ الطبرى ج ٤ ص ١٥٧ فى أخبار الفتوح ناقلا : ولما توجه علقمة إلى غزة .. وتوجه معاوية إلى قيسارية صمد عمرو بن العاص إلى الأرطبون ومرَّ بإزائه ..

قال مصطفى جواد :

فهذه شواهد ليست بقليلة تدل على أن الصمد هو القصد لا الثبات والصمود ليس مصدرا .. والصمد هو حركة على خط مستقيم نحو : المصمود أى المقصود والمصادر التى تعنى هذا المعنى تكون قصيرة لتمثل السير فى أقصر الخطوط وهو الخط المستقيم .. ولذلك قالت العرب : قصد قصدا .. ونحا ينحو نحواً ورام يروم روما .. وعمد يعمد عمدا .. وهدف يهدف هدفا .. وسبق سبقا وأم أما .. وصمد صمدا وسار سيرا .. وهذا من أسرار العربية ومن دقائقها وعجائبها التى لا تحصى .

ولقائل أن يقول : ولماذا لم يقولوا : ذهب ذهبا .. فنقول له : لأنه لا يشترط فى الذهاب ولا الاياب أن يسير الذاهب والآئب على أقصر الخطوط .. وهو الخط المستقيم .. ولذلك طال المصدر .

وفى كتاب « قل ولا تقل » الظاهر أن الذى ابتدع (الصمود) حسبه بمعنى الثبات فأطال مصدره كالجلوس والقعود والوقوف والثبوت والثبات .. وفى قصر مصدر الفعل صمد .. ومشابهته للمصادر التى تدل على الحركة على خط مستقيم دليل على أنه يعنى الحركة لا السكون والتقدم لا الوقوف والاقدام لا الاحجام .

والعجيب فى إصرار كثير من العرب والكتاب العصريين المعتزين بلغة العرب هو تركهم ما أمر الله تعالى به فى القتال وهو قوله : « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا اللّه كثيراً لعلكم تفلحون » .. ولم يقل (فاصمدوا) وقال تعالى : « ولولا أن ثبتناك لقد كِدْتَ تَرْكَنُ اليهم شيئا قليلا » .. ولم يَقُلْ : (صَمَّدْناك)

وقال : « يثبت اللّهُ الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة » ولم يقل : (يصمدهم بالقول الصامد) وقال : « قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا » ولم يقل : (لِيُصَمِّدَهم) وقال تعالى : « وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام » .. ولم يقل (ويصمد به الأقدام) وقال : « يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .. ولم يقل (ويُصَمِّدْ أقدامكم) وقال : « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك » وقال : « كذلك لنثبت به فؤادك .. ورتلناه ترتيلا » وقال : « ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفْرِغْ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على

القوم الكافرين » .. ولم يقل .. (صَمِّدْ أقدامنا) وقال : « وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين » .. ولم يقل : وصمد أقدامنا .. وقال « وما كان قولهم الاّ أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين » .. وقال : « إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا » .. فما معنى الرغبة عن لغة القرآن .. فهل هو تجديد فى العروبة ؟..

قال الزبيدى فى تاج العروس : الصمد بفتح فسكون : القصد .. صمده .. وصمد اليه قصده .. وصمد صمد الأمر .. أى قصد قصده واعتمده ..

وعن أبى زيد : يقال : صمده بالعصا أى ضربه بها .. والصمد : النصب .. ويقال لما أشرف من الأرض : الصَّمْد .. وهو المكان المرتفع الغليظ من الأرض الذى لا يبلغ أن يكون جبلا .. وجمعه أصماد .. وصماد .. قال أبو النجم :

يغادر الصَّمْدَ كظهر الأجزل

وقيل : هو ما دق من غلظ الجبل وتواضع واطمأن ونبت فيه الشجر .. والصمد تأثير لفح الشمس فى الوجه .. يقال : صمدته الشمس أى صقلته بلفحها والصَّمَد .. بتحريك الميم المطاع أصمدت اليه الأمور قال :

علوتــه بحســام ثم قلــت له خذهــا حذيف فأنــت السيد الصمد

وهو من صفات البارىء عز وجل ومعناه الذى خلق الخلق ولا يستغنى عنه شيء وهو الباقى الدائم بعد الفناء ..

قال أبو تراب : أما ما أنشده المؤرج :

وســارية فوقهــا أسود بكف سبنتــى ذفيف صمد

فالسارية الجبل المرتفع الذاهب فى السماء كأنه عمود .. والأسود العلم والسبنتى .. من كان رأسه كالكوخ .. والذفيف : السريع .. والصمد : الرجل الـذى لا يعـطش

ولا يجوع فى الحرب .. والصمد أيضا القوم لا حرفة لهم .. ولا شىء يعيشون به .. والصماد سداد القارورة .

وجاء صمد يصمد كمنع يمنع وهو من الغرائب التى لا نظير لها .. لأن الفعل ليس بحلقى العين ولا اللام .. فلا موجب لفتحه فى المضارع ..

قال أبو تراب : المعروف أنه من باب نصر ينصر .. وقد رآه الزبيدى فى التكملة للصاغانى بخطه مضبوطا مجودا هكذا .. فالحق فى هذا التوقُّف والصِّمادُ ما يلفه الانسان على رأسه من خرقة أو منديل أو ثوب دون العمامة .. والصمدة : صخرة راسية فى الأرض مستوية بها .. قال :

مخــالف صمــدة وقــرين أخرى تجــر عليه حاصبهــا الشمال

والمصمد : الشىء الصلب . وناقة مصماد : باقية على القرو الجدب دائمة الرسل قال الأغلب :

بــين طرى سمــك ومالح ولقــح مصامــد مجالح

قال أبو تراب : ولعل ما درج على ألسنة الناس وجرت به الاقلام من اشتقاق : صمد له هو من باب الصلابة والشدة والغلظة .. ويؤيده قول ابن الأثير فى هذه المادة فى شرح حديث معاذ .. وثبت له ، وتَصَمَّدَ له بالعصا بمعنى قصد . وأصمد اليه الأمر أسنده .. وبناء مصمد معلى .. وفى الشعر القديم (وبالجمرة الكبرى إذا صمدوا لها) أى أمُّوها لرمى الجمار . وصمود : اسم صنم كان لقوم عاد ويروى ليزيد بن سعد المؤمن بهود عليه السلام :

عصــت عاد رسولهــم فأمسوا عطــاشى لا تمسهــم السماء
لهــم صنــم يقــال له صمود يقابلــه صداء والبغاء

وهو مذكور فى السيرة .. ولم يذكره ابن الكلبى فى الأصنام .. وذكره المسعودى فى المروج .. ج ٣ صـ ٣٩٥ .. باسم صمودا .

* * *

تبرر وتسوغ

قال أبو تراب : وشاع فى الناس قولهم : الغاية تبرر الوسيلة تبريراً .. وهو خطأ .. والصواب أن يقال : الغاية تسوغ الواسطة تسويغاً وتبرها ؛ ابرارا . قال ابن فارس فى كتاب مقاييس اللغة : الباء والراء فى المضاعف أربعة أصول : الصدق .. وحكاية صوت وخلاف البحر .. ونبت .. فأما الصدقُ فقولهم : صدق فلان وبر .. وبَّرت يمينه صدقت .. وأبرها أمضاها على الصدق .. وتقول .. بَّر اللَّهُ حجَّك وأبرَّه .. وحجة مبرورة أى قبلت قبول العمل الصادق ..

ومن ذلك قولهم : يبر ربه أى يعطيه .. وهو من الصدق .. قال :

لا هـــم لولا أن بكرا دونكا يبـــرك النـــاس ويفجرونكا

وقولهم للجواد السابق (المبر) هو من هذا لأنه إذا جرى صدق وإذا حمل صدق

قال ابن الاعرابى : سألت أعرابيا هل تعرف الجواد المبر من البطىء المقرف ، قال نعم .. وأصل الابرار ما ذكرناه من القهر والغلبة .. ومرجعه إلى الصدق .. قال طرفة :

يكشفـــون الضر عن ذى ضرهم ويبـــرون على الآبـــى المبّر

أى يغلبون .. والمبر : الغالب .

ومن هذا الباب قولهم : يبر ذا قرابة .. وأصله الصدق فى المحبة يقال : رجل بار وبر .. وبررت والدى . وبررت فى يمينى .. وأبر الرجل : ولد أولادا ابراراً ..

وفى كل ما ذكر ابن فارس لم نر إلا برَّ الثلاثى .. وأبر إبـراراً الرباعـى وفتشنـا الصحاح للجوهرى فلم نجد فيه (برره تبريرا) .. وذكر الراغب الأصبهانى فى غريب القرآن الفعل الثلاثى فحسب .. وقوله تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم » . وقال : حج مبرور أى مقبول ..

ولم يذكر الزمخشرى فى أساس البلاغة من الافعال إلا الثلاثى والرباعى أبر إبراراً .. وكذلك فعل المطرزى فى « المغرب » والفيومى فى المصباح المنير وابن الأثير فى النهاية ..

والفيروز ابادى فى القاموس والطريحى فى مجمع البحرين .. وأحمد فارس الشدياق فى كتابه .. « سر الليال فى القلب والابدال » ص ١٣٦

وأنا أُجيز (بره يبره تبريراً) لغير ذلك المعنى : أجيزه للبشر . فنقل الفعل الثلاثى اللازم إلى الرباعى المضعف العين لافادة نسبة المفعول إلى أصل معنى قياسى عندى .. تقول : بخَّله أى نسبه إلى البُخْل وبدَّعه .. أى نسبه إلى البدعة .. وبَرَّأه أى نسبه إلى البراءة .. وجرَّمه أى نسبه إلى الجُرْم .. وجوَّره أى نسبه إلى الجَوْر .. وحمَّقه أى نسبه إلى الحمق .. وخطَّأه : نسبه إلى الخطأ .. وحوَّكه أى نسبه إلى الحياكة وخوَّره : أى نسبه إلى الخور .. وزكاه : أى نسبه إلى الزكاة .. وزناه أى نسبه إلى الزنا . وسفهه : أى نسبه إلى السفاهة .. وصدقه أى نسبه إلى الصدق . وضلَّله : أى نسبه إلى الضلال . وظلَّمه أى نسبه إلى الظلم .. وعدّله .. أى نسبه إلى العدل .. وعقّله أى عَدّه عاقلا .. وغلطه أى نسبه إلى الغلط .. وفجره أى نسبه إلى الفجور .. وقدسه أى نسبه إلى القدس .. وكفَّره أى نسبه إلى الكفر ..

فهذه واحد وعشرون فعلا من الضرب المذكور وليست العربية خليَّةً من أفعال غيرها جاءت لهذا المعنى العام الخاص بالبشر فالصواب أن يقال : أبَّر الشيء يبُّره إبرارا أو سوغه يسوغه تسويغا ..

جاء فى مختار الصحاح : وساغ له ما فعل : أى جاز .. وسوغه له غيره تسويغا أى جوزه .. وفى لسان العرب : وساغ له ما فعل أى جاز له ذلك .. وأنا سوغته أى جوزته ..

وفى المصباح المنير : ساغ يسوغ سوغا من باب قال : أى سهل . مدخله فى الحلق .. ومن هنا قيل ساغ فعل الشيء بمعنى الاباحة .. ويتعدى بالتضعيف فقال : سوغته أى أبحته ..

قال أبو تراب : واستعمل من هذه المادة التبُّرر : وهو إطاعة الخالق والبرير ثمر الأراك وهو حلو .. والبربرة : كثرة الكلام والجلبة .. ومنه سمى الأسد بر بارا لنفوره وغضبه .. وفى كلام سلمان الفارسى : من أصلح جُوَّانيَّه أصلح الله بَرَّانيَّهُ .. وهذه نسبة على غير قياس .. وليس هو من كلام الفصحاء والبرابير : طعام يتخذ من فريك السنبل والحليب .

الجَوّاني والبَرّاني

قال أبو تراب :

(والجوانىّ والبرانىً) كلمتان تستعملان فى اللغة الدارجة .. الجوانى : نسبة إلى الجو .. والبرانى نسبة إلى البر .. والجو : داخل البيت .. والبر : ظاهره ومن ثم قالوا للخارجى .. برانى .. وللداخلى جوانى ..

وقرأنا فى روض الرياحين لليافعى : إن لله عبادا جوانيينً .. وفى حديث سلمان الفارسى : إن لكل امرىء جوانيا وبرانيا .. فمن يصلح جوانيه يصلح الله برانيه .. ومن يفسد جوانيه .. يفسد الله برانيه ..

قال المبارك بن الأثير فى النهاية فى غريب الحديث : يعنى أن لكل امرىء ظاهرا وباطنا وسراً وعلانية .. وهو منسوب إلى جو البيت .. وهو داخله وزيادة الألف والنون للتأكيد .. ومنه حديث على بن أبى طالب : ثم فتق الأجواء وشق الأرجاء .. الأجواء جمع جو .. وهو ما بين السماء والأرض ..

وفى تاج العروس للزبيدى فى تفسير كلام سلمان الفارسى : من أصلح جوانيه أصلح الله برانيه بالفتح فيهما .. قالوا : البرانى : العلانية .. نسبة على غير قياس .. كما قالوا فى صنعاء .. صنعانى .. وأصله من قولهم : خرج فلان برا .. إذا خرج إلى البر والصحراء .. وليس من قديم الكلام وفصيحه كما فى التهذيب للأزهرى .. وفى اللسان لابن منظور .. والبر نقيض الكنّ قال الليث : والعرب تستعمله فى النكرة .. تقول العرب : جلست برا .. وخرجت برا قال أبو منصور .. هذا من كلام المولدين .. وما سمعته من فصحاء عرب البادية .

والمعنى : من أصلح سريرته أصلح الله علانيته .. أخذ من الجو والبر فالجو .. كل بطن غامض . والبر : المتن الظاهر .. فهاتان الكلمتان على النسبة إليهما بالألف والنون .. من زيادات النسب .. وليس من قديم الكلام وفصيحه وفى الأساس للزمخشرى : افتتح الباب البرانى .. ويقال : تريد جوا ويريد برا .. أى تريد خفية ويريد علانية .. وجلست برا وخرجت برا إذا جلس خارج الدار .. أو خرج إلى ظاهر البلد ..

والجو : داخل البيت .. وبطنه لغة شامية .. وكذا كل شيء وهى الجوّة .. كجوّانيّه .. والألف والنون زائدتان للتأكيد .. والجوة بالضم الرقعة فى السقاء .. والنقرة فى الجبل .. والجوانية بالضم والتشديد محلة بمصر .. واليمامة فى القديم كانت تدعى جوا .. والجوانية بالفتح قرية قرب المدينة

قال أبو تراب :

ولم يذكر ياقوت القرية المصرية ولا اسم اليمامة جوا .. وإنما ذكر الجواء : وهى قرية ناحية قرقرى .. ذكرها الشيخ عبد الله بن خميس فى كتاب المجازبين اليمامة والحجاز ..

قال أبو تراب : وكانت بالجواء وقعة بين المسلمين وأهل الردة أيام أبى بكر فقتلهم خالد بن الوليد ـ وهم من أهل غطفان وهوازن .. وقال أبو شجرة :

ولو سألت جُمْلُ غداة لقائنا ... كما كنت عنها سائلا لو نأيتها
نصبت لها صدرى وقدمت مهرتى ... على القوم حتى عاد وردا كميتها
إذا هى حالت عن كمى أريده ... عدلت اليه صدرها فهديتها
لقيت بنى فهر لغب لقائنا ... غداة الجواء حاجة فقضيتها

وأما الجواء الذى ذكره عنترة فى شعره فهو واد فى ديار عبس أو أسد فى أسافل عدنة ـ قال :

وتحل عبلة بالجواء وأهلها ... بعُنَيْزَتين وأهلنا بالديلم

وهو الذى ذكره امرؤ القيس فى معلقته .. ومن مياه الضباب بالحمى .. حمى ضريّة الجواء الذى ذكره زهير فقال :

عفا من آل فاطمة الجواء ... فيمن فالقوادم فالحساء

أما الجوانى والبرانى الواردان فى كلام سلمان .. فهو كما ذكرنا وجاء فى اللسان فى الموضعين (وفى حديث سليمان) وهو خطأ .. بل هو سلمان الفارسى وفى رواية جوانيته وبرانيته .. وعنى بجوانيةً سره .. وببرانيةً علانيته . وجو كل شيء بطنه وداخله .. وكذلك الجوَّة أيضا .. قال أبو ذؤيب :

يجــرى بِجَوَّتــهِ موج الفــرات كأنـ   ضاحِ الخُزَاعِـىً حازت رنقَــه الريح

وفى المقاييس : الجيم والواو شىء واحد يحتوى على شىء من جوانبـه فالجـو : جو السماء .. وهو ماحنا على الأرض باقطاره .. وجوُّ البيت من هذا وأما الجؤجؤ فهو الصدر وهو مهموز .. ويجوز أن يكون محمولا على هذا ..

وقال الشرتونى : الجوانى نسبة شاذة إلى الجو وهو نقيض البرانى ..

قال أبو تراب : الجوّانى أى الداخلى .. استعمله ابن خلدون فى محادثته مع تيمور لنك وانظر خبره فى كتاب التعريف له ..

* * *

أسف للأمر وعليه

قال أبو تراب : انتقد أنيس المقدسى فى « العربى » الكويتية .. الجزء ١٢١ رمضان ٨٨ ص ٤٣ ـ كتاب اللغة الصحيحة .. ومن مآخذه عليه قوله : اسف للأمر ؛

قال : والواقع أن أسف للأمر أى ندم عليه وهو المقصود .. لا أسف عليه أى حزن .

وقد رد عليه مصطفى جواد بأنه لم يذكر شاهدا للندم من كلام الفصحاء ولا كتاب لغة فيه نص على أسف بمعنى ندم ..

ودونك تفصيل الكلام على أسف عليه .. وأسف له ..

قال الراغب الأصفهانى فى غريب القرآن .. : الأسف الحزن والغضب معا وقد يقال لكل واحد منهما على الانفراد .. وحقيقته ثوران دم القلب شهوة الانتقام .. فمتى كان ذلك على من دونه انتشر فصار غضبا .. ومتى كان على من فوقه انقبض فصار حزنا ..

وقال الله تعالى فى سورة يوسف « وتولى عنهم وقال ياأسفا على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم .. » فالأسف فى الآية بمعنى الحزن وصحبه حرف (على) ومعنى هذا اننا نستطيع ان نقول : ان يعقوب أسف على يوسف عليهما السلام ..

وقال ابن فارس فى المقاييس .. الهمزة والسين والفاء أصل واحد يدل على الفوت والتلهف وما أشبه ذلك .. يقال : أسف على الشىء يأسف أسفا مثل تلهف ..

وورد فى لسان العرب : الأسف : المبالغة فى الحزن والغضب .. وأسف أسفا ، وأسفان وأسف وأسوف وأسيف والجمع أسفاء .. وقد أسف على مافاته .. وتأسف أى تلهف .. وأسف عليه أسفا أى غضب وقال ابن الانبارى : أسف فلان على كذا وكذا .. وتأسف وهو متأسف على مافاته .. فيه قولان : أحدهما أن يكون المعنى : حزن على مافاته لأن الأسف عند العرب الحزن وقيل : أشد الحزن وقال الضحاك فى قوله تعالى : « إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا » معناه حزنا .. والقول الآخر أن يكون معنى أسف على كذا وكذا أى جزع على مافاته .. وقال مجاهد : أسفا أى جزعا .. وقال قتادة : أسفا : غضبا وقوله عز

وجل : ياأسفا على يوسف : أى ياجزعاه ومنه حديث معاوية بن الحكم .. فأسفت عليها .. وقد آسفه وتأسف عليه .

وفى أمالى المرتضى ج ٤ ص ٧٤ انه قال : وأنا رجل من بنى آدم آسف كما يأسفون ولكنى غضبت .. والخبر فيه بتمامه .. قال معناه : أغضب كما يغضبون .

قال مصطفى جواد .. لو أراد بالأسف الغضب ما قال بعد ذلك غضبت : ولبطل الاستدراك ..

فجميع هذه النصوص اللغوية لم يرد فيها الأسف بمعنى الندم كما ادعى انيس المقدسى .. ولم يستعمل مع الأسف حرف جر غير على .. وفى ميدان الاستعمال ورد فى شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٦٨ :

قال ابن عباس بعد سماعه كلاما تكلم به على بن أبى طالب ولم يتمه : فوالله ما أسفت على كلامٍ كأسفى على هذا الكلام أن لايكون أمير المؤمنين بلغ منه حيث أراد ..

وفى الكامل للمبرد من خطبته له : مات من دون هذا أسفا .. قال المبرد : يقول تحسرا .. فهذا موضع ذا ..

وفى شرح ابن أبى الحديد ج ٣ ص ١٣٠ من كتاب لعلى إلى ابن عباس : فليكن سرورك بما نلت من آخرتك .. وليكن أسفك على مافاتك منها ..

وفيه من وصيته للحسن والحسين لما ضربه ابن ملجم ج ٤ ص ١١١ : ولا تبغيا الدنيا وإن بغتكما ولا تأسفا على شيء منها يزوى عنكما .. وقال عفان بن شرحبيل التيمى ج ١ ص ٢٠١ :

وأحببت أهل الشام من بين الملا — وبكيت من أسف على عثمان

وفى الكامل ج ٢ ص ١٥٢ قال أبومريم السلولى .. وقيل الحنفى : إنما يأسف على الحب النساء

وفى جمهرة أشعار العرب ص ٣٥ : قال عبدالله الزرودى :

أسف على عُسٍّ الهبيد وشربه — لقد حرمتنيه صروف المقادر

ولو أننى إذ ذاك كنت شربته — لأصبحت فى قومى لهم خير شاعر

الهبيد الحنظل والعس القدح .. وفى أمالى المرتضى ج ٤ ص ٧٤ قال محمد بن حبيب .. وأنشد للراعى :

فما لحقتنــى العيس حتــى وجدتنى أسيفــا على حاديهــم المتجرد

والأسف أيضا الحزن .. قال ابن الاعرابى : الأسف الغضب والحزن .. قال كعب :

فى كل يوم أرى فيــه منيته يكاد يسقــط منــى منــة أسفا

قال البحترى :

كلف يكفــكف عبــرة مهراقة أسفا على عهد الشبـاب ومـا انقضى

وأورد المرتضى قول بعضهم :

ولابــد من موت فامــا شبيبة وإمــا مشيــب والشبيبــة أصلح

قال : فمعنى قوله : (والشبيبة أصلح) ان الانسان اذا مات شابا كان اكثر للحزن عليه والأسف على مفارقته . فاذا أسنَّ برم به أهله وهان عندهم فقده (أنظر ج ٢ ص ١٧٠) .

قال مصطفى جواد :

فهذه عدة شواهد للواقع اللغوى للفعل أسف ومصدره من النظم والنثر لم نجد فيها معنى الندم الذى زعمه المقدسى .. ولا حرفا مصاحبا لها غير (على) فضلا عن أن الندم نفسه وفعله يستصحبان حرف الجر (على) لا اللام وبذلك يسقط وجه التضمين ..

وقد يحتج المعترض بأن (أسف) انما يأتى بمعنى الندم إذا صحبته اللام لا (على) ونحن نأتى بشاهدين للام أحدهما :

عن أبى عبيدة فى قصة أبى دهبل الجمحى فى النوادر للقالى ص ١٨٨ .. فى آخرها فوجد زوجته الثانية قد ماتت حزنا عليه وأسفا لفراقه .. والآخر قول بعض الشعراء :

فيـا عجبـا من آسف لامـرىء ثوى ومـــا هو للمقتــول ظلما بآسف

ذكره ابن حزم فى طوق الحمامة ص ١١٠ .. وكلا الشاهدين يفيد الحزن لا الندم مع وجود اللام .. وفى تذكرة الكاتب يقولون : هذا مما يؤسف له .. وهو شائع كل الشيوع فيما يكتبه كثيرون .. فيعدون الفعل أسف باللام .. ولم يسمع تعديته عن العرب إلا بعلى قال الشاعر

غــير مأســوف على زمن ينقضى بالهــم والحزن

فالصواب أن يقال : هذا مما يؤسف عليه ..

بؤساء وبُؤّس

قال أبو تراب :

ورجح صاحب كتاب اللغة الصحيحة استعمال بؤَّس ٍ على بؤساء .. وقال الناقد : قولهم بؤساء جمع بائس .. وانتقده المقدسى قائلا : هل يمكن أن يغرى الكتاب باستعمال بؤس بدلا من بؤساء ؟ وعلق عليه الدكتور مصطفى جواد بقوله : له الحق فى استغرابه الدعوة الى استعمال جمع مكسر غريب .. ولكن الذى خطأ من استعمل البؤساء إنما خطأه لأن البؤساء جمع بئيس لا جمع بائس .. والبئيس : الأيد الشجاع .. كما ورد فى كتب اللغة .. وفى التذكرة : يخطئون فى جمع بائس أى فقير سيء الحال فيقولون بؤساء كأنهم يقيسونه على عقلاء وفضلاء وجهلاء .. ولكن مجىء فعلاء جمعا لفاعل مما يسمع ولايقاس ولكنه يطرد جمعا لفعيل بمعنى الفاعل لما دل على سجية نحو كرماء وبخلاء وبؤساء جمع بئيس بمعنى شجاع ..

وجاء فى لسان العرب : رجل بئيس شجاع .. بئس بأسا .. وبؤس بآسة

قال أبوزيد : بؤس الرجل يبؤس بأسا اذا كان شديد البأس شجاعا حكاه أبوزيد فى كتاب الهمز فهو بئيس على فعيل أى شجاع .. ويأتى البئيس بمعنى الشديد الذى لايطاق من غير الانسان .. ومن الأمور الصرفية المسلمة أن بئيسا يجمع على بؤساء لأنه فعيل بمعنى فاعل .. فأنَّى لمترجم قصة البائسين التى لفيكتور هوجو الى العربية جمع البائس على بؤساء فانه لم يرد فى كلام العرب المسموع .. ولم يجز فى القياس .

وقد شذ جمع الفاضل على فضلاء .. والشاعر على شعراء والباسل على بسلاء .. والحقيقة أن الفضلاء جمع الفضيل .. فاستعير للفاضل .. وأن الشعراء جمع الشعير .. ولكن العرب لم تستعمل هذه الصفة لأنها تلتبس بالشعير من الحبوب المعروفة .. وأكره ماتكره العرب فى لغتها الالتباس .. فالسبب فى شيوع هذا الخطأ .. أعنى استعمال البؤساء .. هو استعمال مترجم قصة فيكتور هوجو المقدم ذكرها لهذا الجمع الذى بعثه وهمه الصرفىُّ على اتخاذه .

وربما قال محتج بأن البئيس وان ورد فى النصوص اللغوية فليس له واقع لغوى أى استعمال فى أدب العرب فهو كالميت .. فلذلك أخذ المترجم المذكور جمعه .. أو استعاره للبائس .. فنقول له .. لا بل له واقع لغوى .. وليس من التطور فى شىء قتل لفظ مفرد حى يشاركه فى وزنه عشرات ألوف من الألفاظ وسلب جمعه .

وشواهد الواقع اللغوى التى قرأناها هى ماورد فى حديث أهل الكوفة المؤيدين للمختار فى أنساب الأشراف للبلاذرى ص ٢٢٢ وتاريخ ابى جعفر الطبرى ج ٧ ص ٩٨ قالوا : فان جاء معنا ابراهيم بن الأشتر على أمرنا رجونا القوة باذن الله فانه فتى (بئيس) وابن رجل شريف وله عشيرة ذات عز وعدد .

وفى تاريخ الطبرى أيضا ج ٧ ص ١٤٢ .. وقال ابوسعيد الصيقل : وقد كان ابن الأشتر جعل على مقدمته الطفيل بن لقيط وكان شجاعا بئيسا .. وفى الأمالى للقالى ج ١ ص ١٢٦ : وقال أشياخ من علماء قضاعة : اجتمع بنو رئلم ذات يوم فى عرس لهم وهم سبعون رجلا .. كلهم شجاع بئيس : وفى الأغانى لأبى الفرج .. ج ٣ ص ١٠٢ . قال ذو الأصبع العدوانى :

إنى رأيت بنى أبيك يجمحون إلى شوسا
حنقا على ولن ترى لى فيهمو أثرا بئيسا

وقال أبوالطيب المتنبى :

فى خميس من الأسود بئيس يفترسن النفوس والأموالا

والبئيس الوارد صفة للانسان الواحد فى هذه الشواهد من الواقع اللغوى يجمع على بؤساء (وهو بمعنى القوى ذى البأس)

أما البائس فله جمعه المذكر السالم : البائسون .. ويجمع أيضا مكسرا على بُؤَّس .. كركَّع وسُجَّدْ .. جاء فى لسان العرب فى مادة أسف ، أنشد ابن برى :

ترى صواه قُيماً وجُلَّسا كما رأيت الأسفاء البؤّسا

وفى الكامل للمبرد ج ٣ ص ٦٨ : قال رجل من قضاعة مرتجزا :

ياصاحبَّى ارتحلا ثم املسا لا تحبسا لدى الحضين محبسا
إن لدى الأركان بأسا بؤّسا

قال الأخفش : حفظى « بأسا أبأسا » وكذلك فى أنساب الأشراف ج ١ ص ٥٠

ومع هذا ففيه شاهد لجمع بائس على بؤس على احدى الروايتين . فان كان هذا الجمع ثقيلا غريبا فالجمع السالم أحق بالاستعمال . أعنى البائسين على اختلاف إعرابه وإن خالفوا « فلا تبتئس بما كانوا يعملون »

فقد قال الله تعالى فى كتابه : « وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس » .

قال أبو تراب :

البئيس من البأس وهو القوة والشدة ، والبائس من البؤس وهو ضد النُّعْم ، ومن شواهد المعنى :

ان سلمى من بعد يأسى همّتْ بوصال لو صحّ لم يُبق بؤسا
عيّنت ليلة فمازلت حتى نصفها راجيا فعدت يؤوسا

* * *

النسبة الى الجمع

قال أبو تراب :

ورد علينا سؤال عن النسبة الى الجمع هل يرد المنسوب الى المفرد أم لا ؟ وهل قولهم : هذا شيء دُوَلى صحيح أم الصواب دَوْلى ؟

وقلنا : هذا مبحث أثير قديما واختلف فيه علماء اللغة .. وفى مقالة أنيس المقدسى المنشورة فى « العربى » الكويتية التى كتب فيها نقد « اللغة الصحيحة » (عدد رمضان سنة ٨٨ هـ) اشارة الى هذا حيث قال فى آخرها وتجريحهم على النسبة الى الدول (دُولى) مع أنهم ينسبون الى أمم وعقائد وعمال الخ .. فيقولون : أممى وعقائدى وعمالى .. ورجح النسبة الى الجمع لأنها أدل على المعنى وقال : وما التقيد بالرجوع الى المفرد إلا تزمت مناقض لناموس بقاء الأنسب .

وعلق عليه مصطفى جواد فى كتاب « قل ولاتقل » ص ١٨ بقوله : أما بالنسبة الى « الدول » جمعا فلا وجه للاعتراض عليها لأن النحاة الكوفيين أجازوها بغير قيد ولا شرط . وأما البصريون فقد أجازوها اذا كان الجمع موازنا لمفرد من المفردات .. فالدول على وزن (عمر وصرد وزفر وخُزَز ..) وهو ذكر الأرانب .. وما يطول اثباته ..

فيصوب الدكتور مصطفى جواد قولهم : القانون الدُّولى لا الدولى .. قال فى ص ٦١ : « لأنه منسوب الى عدة دول .. ويراد بنسبته الدلالة على اشتراك الدول فيه .. وذلك كقول العرب : «رجل شعوبى» للقائل بمقالة الشعوبية .. ورجل أصولى .. للعالم بالأصول ، وأخبارى للعالم بالأخبار كالمسعودى .. فهم لم يقولوا .. رجل شعبى .. بمعنى شعوبى .. ولا أصلى بمعنى أصولى .. ولا خبرى بمعنى اخبارى .. فالنسبة الى الجمع واجبة إذا أريدت الدلالة على الاشتراك الجمعى .. أفلا ترى أن الأمير عبيدالله بن عبدالله الظاهرى صاحب ابن المعتز سمى رسالة له « السياسة الملوكية » ولم يقل الملكية .. وقد قبله شيخ الكتاب الفصحاء أبوعثمان الجاحظ فى كتاب الحيوان « إن سهره بالليل ونومه

بالنهار خصلة ملوكية » وقال شيخ الاخباريين ابوالفرج الاصفهانى فى وصف العباس بن الأحنف : « كان ظاهر النعمة ملوكى المذهب » وأنت تقول : دراسة حقوقية .. لا حقية .. وسمّى عثمان بن جنى العلامة كتابه « التصريف الملوكى » وهو مطبوع ..

فالدولى بضم الدال أو كسرها وفتح الواو يوازى « انترناشنل » فى الانكليزية و« انترناسيونال » فى الفرنسية .

أما الدولى بسكون الواو فانه يستعمل للتمييز عن « الشعبى » و« العرفى » وقانون العشائر و« الأهلى » وما إلى ذلك .

ثم ان العرب أجازت النسبة الى الجمع اذا كان للحرفة والصنعة كالابرى والامشاطى والمحاملى .. إذا كان يوازنه فى ظاهر اللفظ مفرد من المفاريد .. فالدول يوازن (الصُرَد) وهو طائر .. والعرب جعلت النسبة للتمييز .. واتخذت القواعد ذرائع واسبابا لاغايات ولانهايات .

قال أبوتراب :

وقد نص ابن الحاجب فى كتابه « الشافية » على أن الجمع يرد الى الواحد فى النسبة فيقال فى كتب وصحف ومساجد وفرائض .. كتابى وصحفى ومسجدى وفرضى .. فاذا كان لفظ (مساجد) علما لشىء قيل : مساجدى .. وهذا مثل انصارى وكلابى فان النسبة وقعت فيها الى لفظ الجمع لأنهما علمان .. وقد ذكر الرضى فى شرحه (ج ٢ ص ٧٨) : إنك اذا نسبت الى مايدل على الجمع فان كان اللفظ جنسا مثل (تمر) أو اسم جمع مثل : (نفر) و(رهط) و(إبل) نسبت إلى لفظه نحو : تمرى وإبلى سواء كان اسم الجمع مما جاء من لفظه مايطلق على واحده كراكب فى ركب أو لم يجىء كغنم وإبل .. وكذلك ان كان الاسم جمعا فى اللفظ والمعنى لكنه لم يستعمل واحده لاقياسيا ولا غير قياسى مثل (عباديد) تقول : عباديدى .. قال سيبويه : وهذا أقوى من إحداث شىء لم تتكلم به العرب .. وكذلك قولهم : أعرابى .. لأن أعرابا جمع لا واحد له من لفظه .. وأما العرب فليس بواحد الأعراب الآن .. لأن الأعراب ساكنة البدو .. والعرب يقع على أهل البدو والحضر .

والظاهر أن الأَعْرَاب كان جمعاً للعرب فى الأصل ثم اختُصَّ وإن كان الاسم جمعا له واحد لكنه غير قياسى فهو ينسب الى لفظه مثل محاسنى وبعضهم ينسبه الى واحده الذى هو غير قياسى نحو : حسنى ..

قال أبوتراب :

وفى شرح الشافية للرضى : انه يجوز ان تنسب الى لفظ الجمع اذا كان بلفظ الواحد وزنا .. فان كان الجمع له واحد قياسى نسبت الى ذلك الواحد فتقول : كتابى : نسبة الى الكتب .. ومثال النسبة الى لفظ الجمع بوزن الواحد لفظا ربابى : فرباب خمس قبائل من العرب متحالفة هى : ضبة وثور وعكل وتيم وعدى .. واحدها رُبَّة .. والجمع رباب كقُبَّة وقباب .. والرُّبة : الفرقة من الناس فكأنه صار كالعلم نحو : مدائنى . وأنصارى ..

وبعضهم يرى أن الياء فى أنصارى للوحدة لا للنسبة كما فى رومى وروم وزنجى وزنج فلذا جاز الحاقها بالجمع .. فلو قلت : ثوب أنصارى كان منسوبا بحذف ياء الوحدة كما ينسب الى كرسى بحذف الياء فيكون لفظ المنسوب والمنسوب اليه واحداً .

ولقائل أن يقول : إن ياء الوحدة أيضا فى الأصل للنسبة لأن معنى زنجى شخص منسوب الى هذه الجماعة بكونه واحدا منهم .. فهو غير خارج عن حقيقة النسبة .. إلا أنه طرأ عليه معنى الوحدة . فعلى هذا يكون العذر فى لحاق الياء بهذه الاسماء ما تقدم ..

وقالوا فى النسبة إلى أبناء فارس وهم الذين استصحبهم سيف بن ذى يزن الى اليمن : بنوى على القياس مع أنهم جماعة مخصوصة كبنى سعد بن زيد مناة . وقالوا فى النسبة إلى العبلات : عَبْلِى بسكون الباء وهم من بنى عبد شمس : أمية الأصغر . وعبد أمية ونوفل .. لأن كل واحد منهم سمى باسم أمه ثم جمع .. وأمهم عبلة بنت عبيد من بنى تميم .. وإنما قالوا فى المهالبة : المهلبى ، لانك رددت الى الواحد وحذفت الياء التى كانت فيه للنسبة ثم نسبت اليه .. ويجوز أن كلَّ واحد منهم سمى مهلبا باسم الاب ثم جمع .. كما سمى كل واحد فى العبلات باسم الام ثم جمع .. فيكون مهلبى منسوبا إلى الواحد الذى هو مهلب لا الى مهلبى ..

وإن كان اللفظ جمعا واحده اسم جمع نسبت أيضا إلى ذلك الواحد كما تقول فى النسبة إلى نساء .. نسوى لأن واحده نسوة وهو اسم جمع وكذلك تقول فى انفار نفرى .. وتقول فى انباط : نَبَطى . وإن كان اللفظ جمعا واحده جمع .. له واحد .. نسبت إلى واحد واحده كما تقول فى النسبة إلى (أكالب) كلبى .. وإنما يرد الجمع إلى الواحد لأنه أصل المنسوب اليه والأغلب فيه أن يكون واحداً .. وهو الوالد أو المولد أو الصنعة فحمل على الأغلب .. وقيل : إنما رد إلى الواحد ليعلم أن لفظ الجمع ليس علما لشيء .. إذ لفظ الجمع المسمى به ينسب اليه نحو : مدائنى .. نسبة الى مدائن ـ وكلابى ـ نسبة إلى كلاب ـ ولو سميت بالجمع فان كان جمع تكسير نسبت إلى ذلك اللفظ نحو : مدائنى وأنمارى وكلابى وضبابى .. وأنمار وضباب وكلاب اسماء رجال ..

وإن كان جمع السلامة فقد ذكرنا أن جمع المؤنث بالألف والتاء يحذف منه الألف والتاء .. تقول فى رجل اسمه .. ضربات .. ضربى بفتح العين لأنك لم ترده إلى واحده .. بل حذفت منه الألف والتاء فقط . وهذا بخلاف عبلى فى المنسوب إلى العبلات فانه بسكون الباء لأنه نسب إلى الواحد كما ذكرنا .

وكذلك يحذف من المجموع بالواو والنون علما الحرفان . إن لم يجعل النون معتقب الاعراب .. ولا يرد إلى الواحد .. فلهذا قيل فى المسمى بأرضين : أرضى بفتح الراء .. وإن جعل النون معتقب الاعراب لم يحذف منه شيء

أقول فى ختام هذا : إن استعمال الدَّولى ليس مطردا .. فهو دَولىّ إذا أردت تمييزه بين « الشعبى » الدارج وبين « النظامى الرائج » وهو دُولى إذا أردت اشتراك الدول فى أمرمّا .

* * *

ماجاء على لفظ المنسوب

قال أبو تراب :

وفى العربية ما جاء على لفظ المنسوب وليس الياء فيه للنسبة .. وأورد من هذا النوع صاحب ديوان الأدب جملة كلمات ونقلها السيوطى فى المزهر والقنوجى فى كتاب « البلغة فى أصول اللغة » .

ومنها البَرْدىُّ بالفتح وهو نبات يعمل منه الحصر وكان قدماء المصريين يكتبون على ورقه و (البُرْدى) بالضم ضرب من أجود التمر .. ومنها (الخطمى) وهو نبات معروف ينفع الأمراض الصدرية .. وكان القدامى يستعملونه فى ماء الغسل للتنقية ومنها (القَلْعِىُّ) وهو الرصاص شديد البياض يقال : إنه منسوب إلى معدن القَلْع .. ومنها (البُخْتِىُّ) وهو واحد البُخْت وهى الابل الخراسانية .. ومنها (الخَرِثىُّ) أردأ المتاع وسَقَطُه وخُرْثِىُّ الكلام ما لاخير فيه . ومنها (الحُرْدِىُّ) مفرد الحرادى وهى حياصة الحظيرة التى تُشَدُّ على حائط القصب عرضا .. وقال المطرزى فى « المغرب » هى ما يلقى على خشب السقف من أطنان القصب .. ومنها (دُرْدِىُّ) الزيت وغيره ...وهو ما يبقى راسبا فى أسفله من الكدر .. ومنها (الجلذىُّ) وهو الشديد من الابل .

و (السِّخْرِىُّ) من الهزء والسخرية و (السُّخرِىُّ) من العمل قهرا بلا أجره من السُّخرةِ .

و (الغُتْمِىُّ) الثقيل الروح ولم يذكره السيوطى . وهو فى لسان العرب .. ومنها (القُمْرِىُّ) وهو من الفواخت .. قالَ الفيومى : منسوب الى قُمْرٍ .. إما جمع أقمر مثل أحمر وحمر .. وإما جمع قمرى مثل رمٍ ورومى .

قال أبو تراب : ومن هذه الكلمات ما لايجعلون الياء فيه للوحدة . وإنما يرجعونه الى النسبة المعنوية ..

ومنها : (الكُدْرِىُّ) ضرب من القطا غُبْرُ الألوان رُقْشُ الظهور صفْرُ الحلوق .. ولم يذكر السيوطى (الجُونِى) من القطا سود البطون والأجنحة وهو أكبر من الكُدْرِىّ .. وإنما

ذكر (الدُّبْيِّى) وهو طائر أدكن يقرقر ومن هذه الالفاظ التى جاءت على وزن المنسوب (الكرسى) وهو معروف و (الجُنْثِىُّ) وهو الحديد الجيد والسيف والزراد .. جمعه جُنثية .. قال الشاعر :

ولكنهـــا سوق يكون بياعُها بُجِنْثيَّـــةٍ قد اخلصتْهـــا الصَّياقل

و (الظهرىُّ) البعير المُعدُّ للحاجة و (القِصرِىُّ) ما يبقى فى السنبل من الحب بعد أن يُدَاسَ و (الراعبىُّ) الحمام الذى يرعِّب فى صوته ترعيبا وذلك لقوته . و (الزَّاعبى) الرمح يقال إنه منسوب الى رجل من الخزرج كان يعمل الأسنة إذا هزت كانت كالسيل الزاعب يزعب بعضه بعضا اى يدفع .

و (الصُّهابىُّ) بعير ليس بشديد البياض . و (المُلاَحِىُّ) : عنب أبيض طويل ونوع من التين : ومن الأراك ما فيه بياض وحمرة وشُهْبَه .. و (الخُدَارىُّ) الاسود من السحاب وغيره .. ولم يذكر السيوطى (الأَخْدَرِىَّ) وهو الحمار الوحشى و (الخُضَارىُّ) طير خُضْرٌ يقال له القارية .. و (الزُّخارىُّ) زهر النبات إذا التف . وفى المزهر المطبوع بالسعادة بمصر .. زهر البيت .. وهو غلط .

و (الحُذَاقىّ) الفصيح اللسان البينُ اللهجة .. قال طَرَفَة :

إنـى كفانـــى من أمـــر هممـــت به جار كجـار الحذاقــى الـــذى اتَّصَفَا

و (القطامىُّ) الصقر . و (الغُدانى) : الشاب الممتلىء .. و (العَصْلَبىُّ) الشديد من الرجال و (الجعظرىُّ) الفظ الغليظ و (العبقرى) الرجل الذى ليس فوقه أحد فى الشدة ونحوها .. و (الصَّمعرىُّ) الرجـل الشديـد و (البختـرى) الجسيم الحسـن و (الدَّغْفَلِىُّ) المخصب قال العجاج :

وإذ زمان الناس دَغْفَلِىُّ ..

و (اللَّوْذَعِىُّ) الحديد الفؤاد . ومنها ايضا بحر (لُجِّىُّ) وكوكب (دُرِّىٌّ) وما بالدار (دُبِّىٌّ) قال الكسائى : هو من دببَتَ .. أى ليس فيهـا من يدب والنُمِـىُّ الفلـوس أو الدراهم التى فيها رصاص وقيل نحاس والكلمة رومية معربة .. و (النُّمِىُّ) الخيانة والعيب والعداوة وصنجة الميزان والطبيعة وجوهر الانسان ويقال : ما بها نُمِّىٌ أى أحد ..

والزُّبَىُّ : واحد الزَّبِّيين وهم الألوف . و (الاحوذىُّ) الراعى المشمر ومثله (الأحوزى) و (الأحورىُّ) الأبيض الناعم .. و (الأريحىّ) الذى يرتاح للندى .

وفى صحاح الجوهرى : يقال : مشرك ومشركى مثل : دوٌ ودوًى ..وسَكُ وسَكًى وقَعْسَرٌ و قَعْسَرَى بمعنى واحد .

قال ابو تراب : الدَّوُّ والدَّوِىُّ : المفازة والسَّكُّ والسَّكِّىُّ : المسمار والقَعْسَرُ والقعسرىُّ : الجمل الضخم الشديد والرجل الباقى على الهرم .. وخشبة تدار بها الرحى الصغيرة التى يطحن بها باليد .. أما دوىُّ الريح فهو بتخفيف الواو بمعنى حفيفها .. وكذلك دوىُّ النحل والطائر قال السيد الشريف : هو الصوت الذى لا يفهم منه شىء من الذباب والنحل

* * *

أمل يأمل

قال أبو تراب :

أَمَلَ فلان النجاح يأمُله .. ولا تقل : أَمِلَ النجاحَ يأمِله لأنه من باب نصر ينصر .. فالشيء مأمول ومنه قول كعب بن زهير من قصيدته الشهيرة : (بانت سعاد) ..

أنبئت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول

قال مصطفى جواد : فلا تقل أمل يأمل لأنه لم يرد فى السماع ولا أجازه القياس .

وتقول أيضا : أملت الشيء أؤمله تأميلا بمعنى رجوت الحصول عليه (كذا) وفيه ضرب من المبالغة وهو شدة توقان النفس إلى إدراكه والاحتواء عليه .

قال أبو تراب : فى المحاورات العربية من كلام الفصحاء : فلان بحر المؤمَّل بدر المتأمل . ومادة التأمل أيضا هى الأمل .. وهى تدل على التثبت والانتظار .. وعلى الحبل من الرمل .. كما فى المقاييس . فمن المعنى الأول قال الخليل : الأمل الرجاء . فتقول : أملته أؤمله تأميلا .. وأملته آمله أملاً وإمْلَة على بناء جِلْسَة وهذا فيه بعض الانتظار

وقال أيضا : التأمل : التثبت فى النظر قال زهير فى معلقته :

تأمل خليلى هل ترى من ظعائن تحملن بالعلياء من فوق جرثم

ـ جرثم اسم موضع ماء ـ وقال المرار :

تأمل ما تقول وكنت قدما قُطاميا تأمله قليل

القُطاميُّ : الصقر وهو مكتف بنظرة واحدة

ومن المعنى الثانى قال الخليل : والأميل حبل من الرمل معتزل معظم الرمل : وهو على تقدير فعيل .. وجمعه : أُمل . أنشد ابن الاعرابى : (وقد تجشمت أميل الأُمْل) .

سكن ميم الأمْل للشعر وضرورته .. وتجشمت بمعنى تعسفت .. وأميل الأُمُل : أعظمها وقال :

فانصاع مذعورا وما تصدفا كالبرق يجتاز أُميلا أعرفا

قال الأصمعي : فى المثل (قد كان بين الأميلين محل) يراد : قد كان فى الأرض متسع .

قال أبو تراب : وفى الأمل ثلاث لغات بالفتح كجبل .. وبسكون الميم كنجم وبالكسر كشبر .. والأخيرة عن ابن جنى .. والأولى من اللغات هى المعروفة وظاهر كلام عامة اللغويين أن الأمل والرجاء شىء واحد .. وقد فرق بينهما فقهاء اللغة .

قال المناوى : الأمل توقع حصول الشىء وأكثر ما يستعمل فيما يستبعد حصوله .. فمن عزم على سفر الى بلد بعيد يقول : أملت . ولا يقول : طمعت الا إن قرب منها . فان الطمع ليس الا فى القريب . والرجاء بين الأمل والطمع . فان الراجى قد يخاف أن لا يحصل مأموله فليس يستعمل بمعنى الخوف . ويقال : لما فى القلب مما ينال من الخير أمل ومن الخوف : إيحاش .. ولما لا يكون لصاحبه وعليه خطر . ومن الشَّرِّ وما لا خير فيه وسواس ..

وقال الحرَّانى : الرجاء : ترتب الانتفاع بما تقدم له سببٌ مّا .. وقال غيره : هو لغة الأمل . وعرفا .. تعلُّقُ القلب بحصول المحبوب مستقبلا قاله ابن الكمال . وقال الراغب : هو ظن يقتضى حصول ما فيه مسرة .. وجمعه آمال ..

قال أبو تراب : أما المثل (قد كان بين الأميلين محل) فلم يذكره ابو هلال العسكرى فى جمهرة الأمثال ولا الميدانى فى مجمع الأمثال .. وإنما ذكره ابن فارس . والأميل اسم الحبل من الرمل مسيرة يوم أو أيام طولا .. ومسيرة ميل أو نحوه عرضا .. قال ذو الرمة :

وقد مالت الجوزاء حتى كأنها صوارٌ تدلىً من أميل مقابل

قال أبو تراب :

الصوار : القطيع من البقر . وفى قصيدة كعب بن زهير ايضا :

وقال كل خليل كنت آمله لا أُلفينَّك إنى عنك مشغول

لا ألفينك : أى لا أكون معك فى كل شىء .. وقيل معناه : لا أنفعنك فاعمل لنفسك .

وقد استعمل القرآن المجيد هذه المادة فى موضعين : احدهما فى سورة الحجر .. قال تعالى : (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويُلْههم الأمل) وثانيهما فى سورة الكهف قال تعالى : « والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا ...»

وعن على بن ابى طالب رضى الله عنه : إنما اخشى عليكم اثنتين : طول الأمل واتباع الهوى .. فان طول الأمل ينسى الآخرة واتباع الهوى يصدُّ عن الحق ..

* * *

الأفعال المبنية للمجهول

قال أبو تراب :

ويقولون : استَشْهَد فلان فى القتال أو الحرب وهو خطأ .. والصواب أن يقال : فلان استُشْهد على صيغة المجهول أى قتل شهيدا .. ورُزق فى الحرب الشهادة .. وهذا من الأفعال التى تبنى على بناء المجهول .. والغلط فى مثل هذه الأفعال كثير شائع كقولهم : احتَضرَ فلان .. والصواب ٱحتُضرِ فلان إذا حضره الموت .

ويقولون : استهتر فلان بالشىء .. وهو أيضا خطأ .. والصواب أن يقال : استهتر بالشىء إذا أولع به .. لايتحدث بغيره .. ولايفعل غيره .

والأفعال المبنية للمجهول فى العربية كثيرة كقولك : أُستُلْحِمَ .. إذا نشب فى الحرب فلم يجد مخلصا .. وكقولك : ارتُثَّ فلان إذا حمل من المعركة رثيثا أى جريحا وبه رمق .

ويقولون :

استغرق فلان فى الضحك .. وهو أيضا خطأ .. والصواب : استغرق فى الضحك إذا بالغ فيه وهذا مثل قولك : استطير فلان إذا ذعر ورعب

وفى حديث يزيد بن الأسود : فجىء بهما ترعد فرائصهما : أى ترجف وتضطرب من الخوف .. والفرائص جمع فريصة وهى اللحمة بين الجنب والكتف أو بين الثدى والكتف ترعد عند الفزع ..

وفى صحيح البخارى فى حديث بدء الوحى أنه ﷺ قال : بينا أنا أمشى إذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصرى فاذا المَلَك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى بين السماء والأرض فرعبت منه فرجعت فقلت : زملونى زملونى فأنزل الله تعالى : « ياأيها المدثر قم فأنذر ».. والشاهد فيه قوله : « رُعِبْتُ منه » وهو مبنى للمجهول ..

أما مادة « الاشتهار » .. فجاءت على وجهين فتقول : فلان اشتهر به واشتُهر . كما تقول : شُهر بكذا ..

قال فى اللسان : استشهد فلان فهو شهيد .. قتل فى سبيل الله .. وذكر أبو داود أنه سأل النضر بن شميل عن تفسير الشهيد الذى يستشهد فقال : هو الحىُّ عند ربه .. وهذا كما فى قوله تعالى :

« ولا تحسبنَّ الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا .. بل أحياء عند ربهم يرزقون » وقال ابن الانبارى : سمى الشهيد شهيدا لأن الله وملائكته شهود له بالجنة . وقيل : سُمُّوا شهداء لأنهم ممَّن يستشهد يوم القيامة مع النبى ﷺ على الأمم الخالية .. قال الله عز وجل : « لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » ..

وأما « استشهد » فهو بمعنى سأل الشهادة وهو الخبر القاطع قال تعالى : « واستشهدوا شهيدين من رجالكم » أى اطلبوا شاهدين .. والشهادة الاخبار بما شاهده .. فمعنى استشهد غير معنى استُشهد فيجب التفريق بينهما فى الاستعمال .. ومن الباب الأول قوله عليه السلام : يأتى قوم يشهدون ولا يُستَشهَدون .. فى الذين يؤدون الشهادة قبل أن يطلبها صاحب الحق . ولا تقبل شهادتهم ولا يعمل بها .. وقيل معناه : هم الذين يشهدون بالباطل الذى لم يحملوا الشهادة عليه ولا كانت عندهم .. أما قوله ﷺ : خير الشهداء الذى يأتى بشهادته قبل أن يُسأَلَهَا .. فهو الذى لايعلم صاحب الحق أن له معه شهادة وقيل : هى فى الأمانة والوديعة .. ومالايعلمه غيره .. وقيل : هو مثل فى سرعة الاجابة اذا استشهد بأن لايؤخر ويمنعها .. فهذا الحديث خاص .. وذلك علم .. وفى سبب تسمية الشهداء فى سبيل الله فى القتال قال الزّجاج « إن أمم الأنبياء تكذب فى الآخرة من أرسل إليهم فيجحدون أنبياءهم فتشهد أمة محمد ﷺ بصدق الأنبياء وتشهد عليهم بالكذب ويشهد النبى ﷺ لأمته بصدقها ..

قال أبومنصور : وهذه الشهادة تكون للأفضل فالأفضل فالأفضل من الأمة فأفضلهم من قتل فى سبيل الله .. ميزوا عن الخلق بالفضل .. وبين الله أنهم أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله .. ثم يتلوهم فى الفضل من عده النبى ﷺ شهيدا كالمبطون والمطعون ـ المبطون من مات بداء الهيضة وهى الكوليرا . والمطعون من مات بالطاعون ـ وكذلك الغرق والحرق وصاحب الهدم وذات الجنب ـ وقيل سمى شهيدا

لأنه يشهد ما أعد الله من الكرامة : وقيل لأنه قام بشهادة الحق حتى قتل .. وقيل غير ذلك .

قال أبوتراب :

ولا تقل : استهتر فلان .. ولا فلان مستهتر .. لأنه من الأفعال المبنية للمجهول .. المجهول فاعلوها . بل قل : استُهتر فلان بالشيء .. ومعنى استُهتر به أنه أولع به ايلاعا كثيرا وأحبه حبا جما تجاوز المعقول المقبول .

وفى الحديث : سبق المفردون .. قال صاحب اللسان .. يجوز ان يكون عُنى بهم المفردون المتخلون لذكر الله .. والمستهترون المولعون بالتسبيح . وجاء فى حديث آخر : هم الذين استُهتروا بذكر الله أى أولعوا به

يقال : استهتر فلان بأمر كذا أى أولع به لايتحدث بغيره ولايفعل غيره ..

وفى اللسان : أما الاستهتار فهو الولوع بالشيء والافراط فيه حتى كأنه ـ أى الانسان ـ المستهتر .. أُهْتِرَ أى خرف ، وفلان مستهتَرٌ بالشراب : أى مولع به .. لايبالى ماقيل فيه .. واستُهتِر فلان بشيء فهومستهتَرٌ اذا ذهب عقله فيه .. وانصرفت همه اليه .. حتى اكثر القول فيه بالباطل ..

قال ابو تراب : فاستعمال (استهتر) المتعدى بحرف الجر للذم المطلق غير صحيح .

فانه يقال : فلان استهتر بذكر الله : أى أولع به فلا يشتغل بغيره ..

كما يقال : فلان استهتر بالمعابة : أى لايبالى بما قيل فيها .. فاذا قيل : فلان مستهتَر بدون تعدية .. انصرف القول الى الذم فقط ..

ففى كتاب الفائق للزمخشرى : قال ابن عمر : أعوذ بك أن أكون من المستهترين ..

قال الزمخشرى : هم السقاط الذين لايبالون ماقيل لهم وما شتموا به ..

يقال : استهتر فلان اذا ذهب عقله بالشيء وانصرفت همته اليه حتى اكثر القول فيه .. وأولع به .. أراد ابن عمر : المستهتَرين بالدنيا ..

وفى كتاب النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير : جاء فى الحديث : سبق المُفْرِدون ..

قالوا : وما المُفْرِدون ؟ قال : الذين اهتِرُوا فى ذكر الله عز وجل ؛ وفى رواية : المُسْتَهْتَرون بذكر الله .. يعنى الذين أولعوا به .. يقال أُهْتِرَ فلان بكذا .. واستهتِر .. فهو مُهْتَر به ومستهتر : أى مولع به لايتحدث بغيره .. ولايقول غيره .. وقيل : أراد بقوله : اهتِرُوا فى ذكر الله : كبروا فى طاعته .. وهلكت أقرانهم من قولهم : اهتر الرجل فهو مهتَر : اذا سقط فى كلامه من الكبر ..

ومنه الحديث : المُسْتَبَّان شيطانان يتهاتران ويتكاذبان اى يتقاولان ويتقابحان فى القول من الهِتْرِ بالكسر وهو الباطل والسقط من الكلام ..

ومنه حديث ابن عمر : أعوذ بك أن أكون من المستهتَرين : أى المبطلين فى القول المسقطين فى الكلام .. وقيل : الذين لايبادلون ماقيل لهم وما شتموا به .. وقيل : أراد المستهتَرين بالدنيا ..

وفى أساس البلاغة للزمخشرى قولهم : (إنه لَهَتْرُ اهتارٍ) أى داهية من الدواهى .. وجاء بهتر من القول أى بسَقَطٍ .. وتهاترت الشهادات .. كذب بعضها بعضا .. وتهاتر الرجلان .. ادعى كل واحد على الآخر باطلا : ومن المجاز : هو مُهْتَرٌ به .. مستهترٌ به مفتون به ذاهب العقل .

وفى المقاييس لابن فارس : الهاء والتاء والراء أصيل يدل على باطل وسيىء من القول ؛ وأهِتر الرجل : خرف من الكبر .. ومعنى هذا أنه يتكلم بالهِتْرِ وهو السِقطُ القول .. وهذا هو الأصل فيه .. ثم يقال : رجل مستهتَر : لايبالى ماقيل له .. أى كل كلام عنده ساقط .. وهتره أى مزق عرضه بباطل .. وهتَّره تهتيراً أيضا .. وقولهم للداهية والأمر العجب : هِتْرٌ هو من الابدال والأصل : هِكْرٌ

قال ابو تراب : هذا اللفظ فى الابدال لم يذكره الزجاجى فى كتاب المعاقبة والنظائر .. ولا ذكره عبدالواحد اللغوى فى كتاب الابدال .. وانما ذكر من ابدال التاء والكاف قولهم : انه لمن محتد صدق .. ومحكد صدق .. أى من أصل صدق .. والافك والافت بمعنى الكذب .. واللكز .. واللتز بمعنى الدفع باليد ونحو ذلك .. وزعموا ان من العرب من يبدل التاء فى جميع الكلام كافا اذا لم تكن من نفس الكلمة ..

أفعال لم يسم فاعلوها

قال أبو تراب :

والأفعال التى جاءت فى العربية على لفظ مالم يسم فاعله كثيرة .. وقد عقد لها ابن قتيبة بابا فى كتابه « أدب الكاتب » ونحن ذاكروها هنا مع تفسيرها الذى أضفناه اليها وما وقعنا عليه فى صحاح الجوهرى وكتاب الفصيح لثعلب .. مما لم يذكره ابن قتيبة وبالله نتأيد .

يقال : وثئت يده اى اصابها وهن ووصم لايبلغ ان يكون كسرا .. لأن الوثء : (كسر) اللحم لا كسر العظم .. ويقال لليد المصابة به موثوءة ووثيئة .. قال ابن قتيبة : ولايقال : وَثِئت : قلت : ورد فى اللسان عن أبى زيد : وَثَأَتْ وَوَثِئت يده فهى وَثِئة ..

ويقال : زُهِيَ فلان فهو مزهو .. ولا يقال : زها .. ولاهو زاه .. قلت : زها فلان زهوا يؤدى معنى كذب .. وأما زُهيَ فلان بكذا فمعناه تاه وتكبر .. ويقال : زها فلان بكذا ايضا .. وهو قليل .. وقد استعمله البحترى فى شعره ..

وكذلك نُخِيَ من النخوة فهو مَنْخُو .. وورد أيضا نخا الرجل بمعنى افتخر وتنظَّم .. ويقال : عُنِيتُ بالشىء فأنا أُعْنَى به .. ولا يقال عنيت .. قال الحارث ابن حِلِّزة :

وأتانا عن الأراقم أنبا ءٌ وخطبٌ نُعنى به ونُسَاءُ

قال أبو تراب :

الأراقم حى من تغلب وكانوا فى عداء مع قومه بكر .. ويقال اذا أردت الأمر بهذا الفعل : لتعن بالأمر .. ولْيُعْنَ بفلان .. وورد على القلة : عَنِيَ فلان بكذا ومضارعه يَعْنَى أى اشتغل بكذا وأهمَّه ذلك الأمر وأصابه بسببه مشقة .. فاذا قلت : لتعن بحاجتى فمعناه : لتكن حاجتى شاغلة لسرك كما فى المصباح المنير .. وهو غير عَنَى يَعْنِى .. أى أراد يريد

ويقال : نُتِجت الناقة .. ولا يُقالُ : نَتَجتْ .. ويقال أُنتجت أيضا إذا وضعت .. وورد : أنتجت الفرس وذات الحافر أى استبان حملها وحان نِتَاجُها فهى نتوج على خلاف

القياس .. ويقال مُنتج . وانتج القوم أى كانت عندهم ابل حوامل تنتج . وورد فى اساس البلاغة : منتج وناتج والزمخشرى جحة .

ويقال : أولعت بالأمر أى علقت به شديدا فأنا مولع .. وورد أيضا : فلان وَلِعَ بكذا بمعناه .. وَوُلِع به أى أُغرى به .. أما وَلَعَ فمعناه كذب أو استخف عدوا ..

وكذلك أُوزعتُ به أو أغريت به . أما قوله تعالى : « وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون » فمعناه : تحبس أوائلهم وتمنع من السير حتى يلحقهم أواخرهم فيكونوا مجتمعين لايتخلف منهم أحد .. وذلك للكثرة العظيمة . وهو من الوَزْع بمعنى الكف والمنع

يقال : وزعه عن الظلم أى كفّه فاتَّزَعَ أى فانكفَّ ومنه قولهم : لابد للناس من وازع أى سلطان يكفهم .

ويقال : أُرعدت فأنا أُرعد أى أخذتنى الرعدة .. ويقال : وضعت فى البيع أى خسرت فيها ولم أربح .. وكذلك وكست وأوكست بمعناه .. وورد : أوكس مال فلان أى ذهب .. ووكس بمعنى نقص ويقال : شُدهت عند المصيبة أى دُهشت وشغلت وحُيِّرتُ

ومن هذا الباب قولهم : بهُت الرجل .. قال الله تعالى : « فبهت الذى كفر »

قال الكسائى : ويقال : بهَتَ وبَهُتَ .

ويُقال : سُقِط فى يده .. وأسقط فى يده .. أى زل وأخطأ وندم وتحيرّ .. وهو من باب الكناية .. وعن الرازى قال : يقال لكل من ندم أو حزن وتحسر على فائت من فعل أو ترك أو عجز قد سُقط فى يده فهو مسقوط فى يده .

وفى أقرب الموارد : أسقطه من يده أى أوقعه .. وساقطه أى أسقطه ..

ويقال : أُهْرِعَ الرجل فهو مهرع اذا كان يرعد من غضب أو غيره .. قال تعالى : « وجاءه قومه يهرعون اليه » أى يسوق بعضهم بعضاً اليه من شدة فرحهم يقال : هرع الرجل وأهرع اذا أُعجل كما فى قوله تعالى : « فهم على آثارهم يهرعون » أي يزعجون ويحثون على الاسراع فى السعى على آثار آبائهم من غير تدبر . مع ظهور كونهم على الباطل بأدنى تأمل .. والاهراع : الاسراع الشديد .. أو اسراع فيه رعدة .. وأهرع اذا استحث وازعج .. واقبل يهرع اى يرعد في غضب أو ضعف أو خوف .

ويقال : أُهِلَّ الهلال واستُهل .. وورد أيضا أَهَلَّ واستهلَّ .. ويقال : أُغمى على المريض وغُمِىَ عليه أى عرض له ما وقف به حسَّه .. ويقال : غُمَّ الهلال على الناس اى حال دونه غيمٌ رقيق فستره عنهم فلم يره وغم علينا الخبر أى استعجم وخفى ..

قال أبو تراب

ومن الأفعال التى جاءت على صيغة مالم يُسَمَّ فاعله ماذكره ثعلب فى كتاب الفصيح ونورد ذلك هنا مع ما أضفنا اليه من الشرح . يقال : شُغِلت عنك .. وفلان شغل عنه بكذا أى التهى به عنه .. ومنه قولهم : ما أشغله على التعجب وهو شاذ .. لأنه لا يتعجب من المفعول .. وإنما يتعجب من فعل الفاعل . وكذلك التفضيل لأنه شريك التعجب فى جميع أحكامه .. يقال : شُهِرَ فى الناس .. وورد أيضا اشتَهر به واشتُهر به .. ويقال : طُلَّ دمُه وأُهدر وورد أيضاً طلَّ دمه ولكنه قليل . والمبنى على المجهول هو الأفصح ومعناه : لم يثأر بذلك الدم .

ويقال : وُقص الرجل : أى سقط عن دابته فاندقت عنقه .. وكذلك غُبِنَ الرجلُ فى بيعه فهو مغبون .. والغبن الخديعة فى البيع .. وفى ذيل أقرب الموارد : غَبَن الرجل .. وغبن أشد الغبنان .. ولا يقال فى الربح أشد الربح والرباحة ..

ويقال : هُزِلَ الرجل .. وورد هَزِلَ أيضا أى صار مهزولا .. وكذلك : نُكِبَ الرجل أى أصابته نكبة .. أما نكب فمعناه : اشتكى منْكِبهَ .. ونَكَبَ عنه مال وكذلك : حُلبت شاتك لبنا كثيرا .. ولم أجد هذا فى أكثر المعاجم اللغوية . ويُقَال : رُهصت الدابة أى أصابتها رهصة وهى وقرة تصيب باطن الحافر كالكسر .. وكذلك : عُقِمت المرأة .. وورد أيضا عَقِمَتْ . وفُلِجَ الرجلُ من داء الفالج .. وحكى ابن القطاع فى كتاب الأفعال أنه يقال أيضا : فلج : أى أصيب بالفالج .. ومن هذا الباب .. لُقِى فلان أى أصيب بداء اللَّقوة وهو الذى يَمِيلُ الشِّدق إلى أحد جانبى العنق فيخرج البلغم والبصاق من جانب واحد .. ولا يحسن التقاء الشفتين ولا تنطبق إحدى العينين .. ويقال للمصاب باللقوة .. ملقو ..

ومن المبنى للمجهول قولهم : ديربى .. وأُدير بى وقولهم : غُشِّى على المريض .. ورُكضت الدابة فركضت أى عدت .. وكذلك قولهم : بُرَّ حجُّك أى قُبل : ويقال أيضا .. بَرَّ من المبنى للمعلوم .. ومن ذلك ثُلِجَ فؤاد الرجل أى بلد وذهب .. وأما ثلجت نفسى

بالشىء فمعناه بردت وسرت به .. يقال : ثلجت بما خبرتنى أى اشتفيت به وسكن قلبى اليه .. ومن قولهم : أعطيك ما تثلج اليه . وما أثلجنى بهذا الأمر أى ما أسرَّنى ..

ويقال : امتقع لون فلان أى تغير من حزن أو فزع .. أو ريبة . وكذلك انتُقِع وابتُقع وبالميم أجود .. ومُقِعَ بسوأة أى رمى بها .. ذكره ابن فارس فى المجمل .

ويقال : انقُطع بالرجل يعنى عطبت دابته .. وقيل معناه : نفد زاده فانقطع به السفر دون طيَّته .. فهو منقطع به .. وكذلك نُفِست المرأة وورد نَفِسَت أيضا وزُكِمَ الرجل إذا أصابه الزكام وأُرِضَتْ الخشبة أى أكلتها الأَرَضة ..

وورد أيضا : أَرِضَتْ وكذلك ضُنِكَ فهو مضنوك أى مزكوم ويقالُ : وُقرت أذن الرجل من الوقر وهو الصمم وورد أيضا وَقِرَت . ومن باب المجهول أيضا : سُرت وشُغفت بالشىء ..

وفى صحاح الجوهرى : نُسِئت المرأة على بناء ما لم يُسمَّ فاعلُه إذا تأخر حيضُها فيرجى أنها حُبْلَى .. قال الأصمعى : يقال للمرأة أول ما تحمل : قد نُسِئَتْ وأُسهب الرجلُ : إذا ذهب عقلُه من لدغ الحية .

ومن المبنى للمجهول أيضا : أُغرب المريض أى اشتد وجعه . وأُغْرِبَ الفرس : فشت غرته وأخذت عينيه .. وأُغْرِبَ على فلان صنع به صنيع قبيح .. ومنه أيضا : سوس الرجل أمور الناس أذا ملك أمرهم ويروى قول الحطيئة :

لقد سُوِّست أمر بنيك حتى تركتهمو أدق من الطحين

قال الفراء : قولهم سُوِّست خطأ .. قلت : وسوس أى وقع فيه السوس .وقال الأصمعى : لا يقال : عنَّسَتِ الجارية ؛ لكن عُنِّست على وزن ما لم يُسَمَّ فاعله .. وعنَّسها أهلُها حبسوها عن التزوج كذا فى الصحاح للجوهرى .. وفى اللسان : عَنَست .. وعنَّست ..

قال الأصمعى : لا يقال : عنست ولاعنست .. لكن يقال : عُنِّست .. وقيل : يقال : عَنَست بالتخفيف .. وعُنِّست .. ولا يقال : عنَّست . قال ابن برى : الذى ذكره الأصمعى فى «خلق الانسان» أنه يقال : عنَّست المرأة بالفتح مع التشديد وعنست بالتخفيف بخلاف ما حكاه الجوهرى .

قال أبو تراب :

وفى صحاح الجوهرى : لا يقال : دَفق الماء .. والصواب عنده .. دُفق الماء : لأنه من الأفعال التى جاءت على بناء ما لم يسم فاعله .. قلت جاء عن الليث وحده : دفق الماء ودفق الدمع دفقا ودفوقا أى انصب بمرة .. والجمهور على أنه لا يستعمل إلا متعديا .. يقال : دفق الماء أى صبه فهو ماء دافق أى مدفوق .. كما قالوا : سر كاتم أى مكتوم .. ومن هذه الأفعال التى جاءت على صيغة المجهول قولهم : نُقِش العنق .. إذا ظهرت به نكت من الأرطاب .. وأما نقش على بناء المعلوم فله معان منها استخراج الشوكة .. ومن أمثالهم : لا تنقش الشوكة فان ضلعها معها .. وكذلك قولهم : لطمه لطمةَ المنتقش .. وفى الحديث من نوقش الحساب عذب يعنى من استقصى فيه .. وبالبناء للمفعول قولهم : طُلِّق السليم : إذا رجعت اليه نفسه وسكن وجعه فهو مطلق .. قال الشاعر :

تبيت الهموم الطارقات يَعُدْنَنى كما تعترى الأهوال رأس المطلق

وقال النابغة :

تناذرها الراقون من سوء سهمها تطلقه طورا وطوراً تراجع

ومن ذلك : طلقت المرأة فى المخاض : أى أصابها وجع الولادة .. وأُطلقت الكلمة على كذا استعملت له ودلت عليه .. وأُطلق القوم انكشف عنهم الضيم .. وانطُلق به أى ذُهب به .

وقولهم : افتُلِتَ فلان : يعنى مات فجاءة .. ويقال : افتلتت نفسه أيضا .. وافتُلت عليه إذا قضى عليه الأمر دونه .. وافتُلت بأمر كذا أى فوجىء به قبل أن يستعدَّ له .. ويقول الناس : أُفلت من يد فلان وهو غلط والصواب أنه لازم متعد .. بصيغة الماضى المعلوم فتقول : أُفلت الشيء فأفلت .. وهو أكثر استعمالا من فلت الشيء ففلت ..

وقولهم . ارْتُثَّ فلان يعنى حمل من المعركة جريحا وبه رمق .. وقولهم أُرتج على القارىء إذا لم يقدر على القراءة .

وكذلك ارتُتِج .. واستُرتج بصيغة المجهول فى الجميع بمعنى استغلق عليه الكلام كأنه أُطبق عليه .

ويقال : ريح الغدير على المجهول أى أصابته الريح .. وكذلك ريح القوم يعنى دخلوا فى الريح .. وقيل : اصابتهم فجاحتهم .. ومن ذلك قولهم : حُصِرَ الرجل .. وأحصر اعتقل بطنه .. واحتبس .. ودُبر القوم أصابتهم ريح الدبور ..

وقولهم : قُنيت الجارية أى منعت من اللعب مع الصبيان وسترت فى البيت رواه الجوهرى عن ابن السكيت

ويقال : ثُطع الرجل إذا زكم ذكره الجوهرى والفيروزابادى وابن منظور والثطاع : الزكام .. والعجب أن صاحب أقرب الموارد أغفل هذه المادة فلم يوردْها لا فى الأصل ولا فى الذيل ولم أَرَمَنْ نبَّه على ذلك فجَلَّ مَنْ لا يسهو ..

ومما يذكر فى هذا الباب قولهم : نُطع لونهُ إذا تغير .. وكذلك انتُطع واستنطع وهذا لم يذكره الجوهرى .. وإنما وجدته فى القاموس وللاستدراك والالحاق باب واسع ..

* * *

سقط فى يده

وفى شرح المقامات للمطرزى قال الزجاجى : سُقِطَ فى أيديهم نظم لم يسمع قبل القرآن ولا عرفته العرب ولم يوجد ذلك فى أشعارهم والذى يدل على ذلك أن شعراء الاسلام لما سمعوه واستعملوه فى كلامهم خفى عليهم وجه الاستعمال .. لأن عادتهم لم تجربه قال أبو نواس الحسنُ بن هانىء ـ (ونشوة سُقِطْتُ منها فى يدى) وهو العالم النحرير . فأخطأ فى استعماله .. وكان ينبغى أن يقول .. (سُقط) .. وذكر أبو حاتم .. سُقط فلان فى يده .. وهذا مثل قول ابن هانىء .. وكذا قول الحريرى : سُقط الفتى فى يده ، قلت أشار إلى قوله تعالى : « ولمّا سُقِطَ فى أيديهم ورأوا أنهم قد ضلُّوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين .. »

قال الزمخشرى فى الكشاف : يعنى لما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل .. لأن من شأن من اشتد ندمه وحسرته أن يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها لأن فاه قد وقع فيها و(سُقِطَ) مسند إلى (فى أيديهم) وهو من باب الكناية .. وقرأ (أبو السميفع) سَقَطَ فى أيديهم .. على تسميته الفاعل .. أى وقع العضُّ فيها . وقال الزجاج : معناه : سقط الندم فى أيديهم أى قلوبهم وأنفسهم كما يقال : حصل فى يده مكروه .. وإن كان محالا أن يكون فى اليد ، تشبيها لما يحصل فى القلب وفى النفس بما يحصل فى اليد ويرى فى العين ..

قال أبو تراب :

أما ما وقع فى مقامات الحريرى من قوله : (فسقط الفتى فى يده ولاذ بحقو والده) فهو فى المقامة الصعدية ـ السابعة والثلاثين وهى منسوبة إلى صَعْدَة .. من بلاد اليمن بينها وبين صنعاء ستون فرسخا .. وهى تتضمن مخاصمة أبى زيد عند القاضى مع ابنه ينسبه إلى العقوق وفيها يقول له ..

يا أيها القاضى الذى علمه وحلمه أرسخ من رضوى

ـ رضوى جبل قرب المدينة ـ

قد ادّعى هذا على جهله   أن ليس فى الدنيا أخو جدوى

ـ الجدوى : العطية والكرم ـ

وما درى أنك من معشر   عطاؤهم كالمن والسلوى

ـ المنُّ : طلٌ يسقط على بعض الأشجار كالعسل .. والسلوى طير و السلوى العسل أيضا واللحم

فَجُدْ بما يثنيه مستخزيا   مما افترى من كذب الدعوى

وأنثنى جذلان أثنى بما   أوليت من جدوى ومن عدوى

العدوى هنا بمعنى الاعانة بازالة إحدى المظالم ـ فلما هشَّ القاضى لقوله .. واجزل له من طوله أنشد :

من ضامه أو ضاره دهره   فليقصد القاضى فى صعده

سماحُهُ أزرى بمن قبله   وعدلُه أتعب مَنْ بعده

قال ابن الخشاب فى كتاب الاعتراض : أخطأ فى قوله : (سُقِطَ الفتى فى يده) ولم يعلم حقيقة هذا الكلام كيف تستعمله العرب .. وبيانه : يقال : سُقط فى يد فلان إذا ندم .. ولا يقال سُقِطَ فلان فى يده قال الله تعالى : « ولما سُقِطَ فى أيديهم » .. ولم يقل سُقطوا فى ايديهم .. وهذا كلام جار مجرى المثل .. وفاعل سُقِطَ مضمرٌ لا يظهر معناه الندم فكأنه والله اعلم .. سقط الندم فى يد فلان .. وليس المعنى : سقط فلان فى يد نفسه .. هذا محال لا يجوز عليه .. ولا يعطيه لفظ هذا الكلام ولا معناه .. وهذا الغلط من فاحش غلط الحريرى فى مقاماته ويدل عليه دلالة قاطعة قوله تعالى : « ورأوا أنهم قد ضلوا » أى فى الثانى وهو« ضلوا » وهو ضمير المذكورين فى أول الآيات .. ولم يأت به فى الأول وهو (سُقِطَ) لأن فاعله غيرهم .. وهو ضمير الندم على ما بين أهل اللغة العربية وهو الصواب ..

وقال ابن بّرى فى كتاب الانتصار : قول ابن الخشاب ان فى (سُقِطَ فى يده) ضميرا لا يظهر معناه الندم .. غلط فيه .. لأن سُقط فعل غير متعد .. إنما ذلك فى قراءة من قرأ قوله تعالى : « سَقَط فى أيديهم » وهى قراءة حكاها الأخفش وقال تقديره : ولما سقط الندم فى أيديهم وإذا ثبت أن الندم فاعل لسقط . لم يجز أن يكون مرفوعا بسُقِطَ .. لأن الفاعل لا يكون مفعولا لم يُسمَّ فاعله .. وانما يكون غيره .. وهو قوله : « فى ايديهم » وكذلك سُقِطَ فى يده .. الجار والمجرور فى موضع المفعول الذى لم يُسمَّ فاعله .

وظاهر كلام ابن الخشاب يقتضى أن القراءة المشهورة . ولما سَقَطَ فى ايديهم .. بفتح السين وذلك غلط .. على أن القراء كلهم مجمعون على (سُقِطَ) بضم السين وكسر القاف .. وهو من الأفعال المبنية لما لم يُسَمَّ فاعله .. مثل : جُنَّ وزُكم .. ولم يقرأ أحد .. سَقَطَ فى أيديهم .. الا أبو السمَيْفَع فى الشّواذ من القراءات .. وذلك غير معروف عند أهل اللغة .. وكذلك ذكره ابن الحريرى .. فَسُقِطَ الفتى فى يده .. ولم يرو أحدٌ عنه .. فَسَقَطَ الفتى » بفتح السين .. ولا يصح كلام ابن الخشاب الاعلى سقط بفتح السين .. وهو خلاف ماروى عن ابن الحريرى فى مقاماته .. الا ان ابن الحريرى غلط بذكر الفتى .. وصوابه : فَسُقط فى يده من غير ذكر الفتى .. أو يقول : فاذا الفتى ساقط فى يده .. ولا يكون فى سُقط ضمير الفتى .. لأنه فعل غير متعد والجار والمجرور فى موضع رفع به ..

فان قال قائل : فلعل هذا من غلط الكاتب على ابن الخشاب ان مثل هذا لا يخفى عليه .. أعنى ان القراءة المجمع عليها .. ولما سُقط فى ايديهم .. على ما لم يُسَمَّ فاعله ..

قيل له : كلام ابن الخشاب يقتضى أنه إنما قال : سقط بفتح السين ألا تراه قال : وفاعل سقط المضمر لا يظهر ومعناه الندم .. ثم قال بعد هذا .. ويدل عليه دلالة قاطعة .. أى على أن الندم مضمر فى « سقط » قوله تعالى : و « رأوا أنهم قد ضلوا » وهو ضمير المذكورين فى أول الآيات الخ .. وقد اثبت ان القراءة سقط بالفتح فظهر غلطه .. لأنه يرى ان الفاعل لم يظهر فى سقط كما ظهر فى ضلوا . ولكن فاعل سقط عين فاعل ضلوا .. وهو الندم .. اللهم الا ان يكون الناقل عنه قد غير الكلام عليه وأن الذى قاله .. أن سُقط فى يده فعل مبنى على المفعول .. وكان الفعل قبل أن يبنى عليه سقط فى يده

بالفتح .. أى سقط الندم فى يده .. ثم حذف الفاعل .. وأقيم الجار والمجرور مقامه .. والدليل على صحة ذلك سُقط فى ايديهم فحينئذ يكون الكلام مستقيما صحيحا ..

قال أبو تراب :

وفى لسان العرب : سُقط فى يد الرجل : زل وأخطأ .. وقيل ندم .. قال الزجاج : يقال للرجل النادم على ما فعل : تحسراً على ما فرط منه .. قد سُقط فى يده وأُسقط .. وقال ابو عمرو : لا يقال : أُسقط بالألف على ما لم يُسَمَّ فاعله وفى التنزيل : « ولما سُقِطَ فى ايديهم ».. قال الفارسى .. ضربوا بأكفهم على اكفهم من الندم .. فان صح ذلك فهو اذا من السقوط .. وقد قرىء : سقط فى ايديهم .. كأنه اضمر الندم .. أى سقط الندم فى أيديهم كما تقول لمن يحصل على شىء (كذا) وان كان مما لا يكون فى اليد : قد حصل فى يده من هذا مكروه .. فشبه ما يحصل فى القلب وفى النفس بما يحصل فى اليد ويرى بالعين .. وقال الفراء فى قوله تعالى .. « ولما سقط فى أيديهم » يقال سُقط فى يده وأسقط من الندامة .. وسُقِطَ أكثر وأجود .. وخبّر فلان خبرا فَسُقِط فى يده وأسقط .. قال ابو منصور : وانما حَسَّن قولَهم : سقط فى يده بضم السين غير مسمى فاعله .. الصفة التى هى فى يده .. ومثله قول امرىء القيس .

فدع عنك نهبا صيح فى حَجَراته ولكن حديثا ما حديث الرواحل

أى صاح المُنْتَهِبُ فى حجراته .. وكذلك المراد سقط الندم فى يده

وفى أساس البلاغة : سُقط فى يده وأُسقط .. وسقط على المبنى للفاعل : ندم .. وهو مسقوط فى يده وساقط فى يده : نادم

وفى تاج العروس : ومن المجاز : سُقط فى يده .. وأُسقط فى يده مضمومتين .. أى زل وأخطأ .. وقيل ندم كما فى الصحاح .. وزاد فى العباب : وتحيرّ .. قال الزجاج : يقال للنادم على ما فعل .. الحَسِرِ على ما فرط منه قد سُقِطَ فى يده وأسُقط . وقال ابو عمرو : لا يقال : أسُقط بالألف على ما لم يُسَمَّ فاعله .. واحمد بن يحى مثله .. وجوزه الاخفش كما فى الصحاح . وفى العباب فى قوله تعالى : ولما سقط فى أيديهم . هذا نظم لم يسمع قبل القرآن .. ولا عرفته العرب .. والأصل فيه نزول الشىء من أعلى إلى أسفل .. ووقوعه على

الأرض .. ثم اتسع فيه فقيل للخطأ من الكلام : سقط : لأنهم شبهوه بما لا يحتاج اليه فيسقط .. وذكر اليد لأن الندم يحدث فى القلب .. وأثره يظهر فى اليد كقوله تعالى : « فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها ».. لأن اليد هى الجارحة العظمى .. فربما يسند اليها ما لم تباشره كقوله تعالى « ذلك بما قدمت يداك » .

قال أبو تراب :

ومما يذكر فى هذه المادة : سقط المتاع .. وهو الردىء قال الشاعر :

وما للمرء خير فى حياة اذا ما عُدَّ من سَقَطِ المتاع

والسقيط : ما سقط من الندى على الأرض . قال أبو بكر ابن اللُّبانة :

بكت عند توديعى فما علم الرَّكب أذاك سقيط الطلّ أم لؤلؤ رطب

والسقاط : العثرة والزلة .. قال سويد بن أبى كاهل اليشكرى :

كيف يرجون سقاطى بعدما جلَّل الرأس مشيب وصلع

وسقط الزند : بتثليث السين : هو ما يسقط عند القدح قال ذو الرمة :

فلما تمشى السقط فى العود لم يدع ذوابل مما يجمعون ولا خضرا

وسقاط الحديث : بأن يتحدث الواحد وينصت له الآخر فاذا سكت تحدث الساكت .. قال ذو الرمة .

ونلنا سقاطا من حديث كأنه جنى النحل ممزوجا بماء الوقائع

والوقائع مستنقعات الماء العذب .. ووُقع فى يده مثل : سقط فى يده ومنه أخذ الفرزدق حيث قال :

اذا هن ساقطن الحديث كأنه جنى النحل أو ابكار كرم تقطف

وكذلك البحترى حيث يقول :

ولما التقينا والنقا موعد لنا تعجب رائى الدر منا ولاقطه

فمـــن لؤلـــؤ تجلـــوه عنـــد ابتسامها   ومـــن لؤلـــؤ عنـــد الحديـــث تُساقطه

وسقط النجم والقمر أى غابا .. قال عمر بن أبى ربيعة :

هلاّ دسســـت رســـولاً منـــك يُعلمنى   ولـــم يعجـــل إلى أن يسقـــط القمر

ومعنى قولهم : تسقطته : تتبعت عثرته وأن يندر منه ما يؤخذعليه .. قال جرير :

ولقـــد تسقَّطنـــى الوشـــاة فصادفوا   حَصراً بسرِّك يا أميـــم ضنينا

وفى رواية : حجئا بسرك : أى خليقا .. والحَصرُ : هو الكتوم وفى الأمثال : على الخبير سقطت .. ولكل ساقطة لاقطة .. وسقط العشاء به على سرحان .

* * *

خرج عن كذا وعلى كذا !

قال أبو تراب :

ويقولون : خرج فلان على القانون أو النظام وهو خطأ والصواب أن يقال : خرج فلان عن القانون أو حاد عنه أو عدل عنه أو نكب عنه نكوبا . أو نكَّب تنكيبا أو تنكبّه تنكبّاً .

وذلك لأن الخروج يستلزم استعمال حرف المجاوزة والمجانبة والابتعاد وهو (عن) أما (على) فتستعمل فى مثل خرج فلان على القوم أو الجماعة أى ثار عليهم وأبى الانخراط فى سلكهم وألقى ربقة الطاعة .

ومن ذلك اسم الخوارج وهم الذين خرجوا على الجماعة فى خلافة على بن أبى طالب وفى المغنى ج ٢ ص ١٢٧ قال ابن هشام فى ذكر الجهات التى يدخل الاعتراض على المعرب منها : الجهة الثالثة أن يخرج على عالم يثبت فى العربية وذلك إنما يقع عن جهل أو غفلة .

ومن شواهد استعمال : خرج عنه بمعنى حاد ما جاء فى كليلة ودمنة من أقوال ابن المقفع الكاتب البليغ المشهور كقوله :

« وما عليه من الخروج عن العدل » فقد أتى بـ « عن » صلة للخروج حين أراد به العدول والمجاوزة .

وكذلك ما ورد فى كتاب « تجارب الامم » للفيلسوف المؤرخ الأديب ابن مسكويه وهو قوله : تقدم الجيش البختيارى زحفا بغير أمر ، وفارق المصافَّ وخرج عن النظام .

وفى العقد الفريد لابن عبد ربه : فطرب القوم حتى خرجوا عن عقولهم » .

وفى كتاب النهاية لابن الأثير : التخارج تفاعل من الخروج .. كأن يخرج كل واحد منهم عن ملكه الى صاحبه بالبيع . وهذا فى تفسير حديث ابن عباس : يتخارج الشريكان وأهل الميراث . أى إذا كان المتاع بين ورثة لم يقتسموه أو بين شركاء وهو فى يد بعضهم دون بعض فلا بأس أن يتبايعوه بينهم . وإن لم يعرف كل واحد منهم نصيبه بعينه ولم يقبضه .. ولو أراد أجنبى أن يشترى نصيب أحدهم لم يجز حتى يقبضه صاحبه قبل البيع وقد رواه عنه مفسرا قال : لا بأس ان يتخارج القوم فى الشركة تكون بينهم فيأخذ هذا عشرة نقدا وهذا عشرة دنانير دينا ..

والشاهد فيه هو قوله : « يخرج كل واحد منهم عن ملكه » ..

وفى السيرة : ان ابا بكر خرج عن جميع ماله فى سبيل الله ..

ولا يقتصر الخطأ فى قولهم : خرج فلانٌ على القانون على مخالفة التعبير الصحيح .. بل يفيد عكس المراد .. لأن معنى خرج فلان على القانون : هو سيره على حسب ما يوجبه القانون ..

قال الشريف الرضى فى الكلام على الحديث النبوى الشريف فى الخيل ومنافعها : « ظهورها حرز وبطونها كنز » وهذا القول خارج على طريق المجاز .. يعنى انه سائر فى طريق المجاز وظاهر على طريق المجاز .

وقال ابن جنى فى الخصائص (ج ١ ص ١٥٦) فى كلمة (ضَيْوَنٍ) وهو السنور : إنما صح لأنه خرج على الصحة فقل : خرج فلان على القانون أو حاد عنه أو عدل عنه أو نكب عنه أو نكّب عنه أو تنكّب عنه .. وقد نبه على ذلك الدكتور مصطفى جواد .

قال ابو تراب : وأما خرج فلان فى العلم والصناعة خروجا فهو إذا نبغ فيهما وخرَّجه فلان فتخرج وهو خريجه قال زهير بن أبى سلمى يصف الخيل :

وخرّجها صوارخ كل يوم فقد جعلت عرائكها تلين

أراد وأدّبها .. كما يخرج المتعلم ..

ومن شواهد كون « خرج على الشىء » بمعنى ضاهاه وجاء على منواله قول الزمخشرى فى أساس البلاغة « ناقة مخترجة » خرجت على خلقة الجمل يعنى أنها شابهته وجبلت على خلقته ..

ويذكر فى هذه المادة قولهم : النجوم تخرج لون الليل فيتلون بلونين من سواده وبياضها .. قال الشاعر :

إذا الليل غشاها وخرج لونه نجوم كأمثال المصابيح تخفق

والأخرج من نعت النعامة فى لونها .. إذا كان السواد أكثر من البياض كلون الرماد واستعاره العجاج للثوب فقال :

إنا إذا مذكى الحروب أرّجا ولبست للموت ثوبا أخرجا

أى لبست الحروب ثوبا فيه بياض وحمرة من لطخ الدم .. يعنى انها شُهِّرت وعرفت كشهرة الأبلق .. لذلك قيل عام أخرج أى فيه جدب وخصب ..

ثُكنة بالضم لا بالفتح

قال ابو تراب :

ويقولون : ثَكنة الجند والجيش وهو خطأ والصواب ثُكنة الجند والجيش . وذلك لأن العرب نطقت بها مضمومة الثاء ساكنة الكاف قال الفيروز آبادى فى القاموس : الثكنة بالضم : القلادة ومركز الأجناد .. ومجتمعهم على لواء صاحبهم .. وإن لم يكن هناك لواء ولا علم جمعها (ثُكَن) .. كَصُرَد .

وقال ابن منظور فى لسان العرب : وثُكَنُ الجند مراكزهم . واحدتها ثكنة : وهى فارسية ..

وقال الليث : الثكنُ مراكز الأجناد على راياتهم ومجتمعهم على لواء صاحبهم وعلمهم وإن لم يكن هناك علم ولا لواء .. وواحدتها ثكنة وأصل الثكنة العلامة والراية والعلم .. ومنها استعيرت لمركز الجند لاجتماعهم تحت الراية .

قال الدكتور مصطفى جواد : وقد أحسن الذى خص الجيش بالثكنة وخص الشركة بالمركز للتمييز بينهما .

قال ابو تراب : فى اللسان انها فارسية . ولم أجدها فى المعرب للجواليقى ولا المغرب للمطرزى .. وفى المقاييس لابن فارس : التاء والكاف والنون كلمة واحدة تدل على مجتمع الشىء ، يقال : تَنَحَّ عن ثَكَنِ الطريق .. أى معظمه وواضحه .. والثُكنة السرب والجماعة والجمع ثكن قال الأعشى :

يُسافعُ ورقاءَ جونيَّةً ليدركها فى حمامٍ ثُكَنْ

وفى المجمل لابن فارس : انه من الابدال يقولون : ثكم وثكن ..

قال ابو تراب : لم يذكر هذا اللفظ من الابدال أبو الطيب عبد الواحد اللغوى فى كتاب الابدال .. ولا أبو القاسم الزجاجى فى كتاب : المعاقبة والنظائر ..

ومن معانى الثكنة أيضا القبر وبئر النار وهى : الإِرَة وحفرة قدرَما يوارى الشىء .. والنية من إيمان وكفر وبه فسر الحديث الآتى ، وعهن يعلق فى عنق الابل ذكرها فى القاموس . والاثُكون العرجون أو الشمراخ .

وفى اللسان : الثكنة الجماعة من الناس والبهائم . وخص بعضهم به الجماعة من الطير قال : الثكنة : السرب من الحمام وغيره .. وأنشد قول الأعشى المتقدم الذى وصف فيه صقرا .. والثكنة أيضا المحجة . وثكنة الذنب أيضا جمعها ثكن قال أمية بن أبى عائذ :

عاقــدين النــار فى ثكن الأذ ناب منهــا كى تيهيج البحورا

وثكن الطريق سننه ومحجته .. ويقال : خلّ عن ثكن الطريق أى عن سُجُحِه .

وفى الحديث : يحشر الناس يوم القيامة على ثُكَنِهم .. فسره ابن الأعرابى فقال : على راياتهم ومجتمعهم على لواء صاحبهم حكاه الهروى فى الغريبين .. وقيل : على راياتهم فى الخير والشر .. وقيل : على ما ماتوا عليه .. فأدخلوا قبورهم من الخير والشر ..

وفى حديث على بن أبى طالب : يدخل البيت المعمور كل يوم سبعون ألف ملك على ثُكَنِهم أى بالرايات والعلامات ..

وقال طرفة :

ناطت سخابا وناطت فوقه ثكنا ..

قال ابو تراب : السخاب : قلادة من قرنفل وسك ومحلب ليس فيها لؤلؤ ولا جوهر .. وثكن جبل ذكره ابن أخت سطيح فقال :

تلُفُّــه فى الــريح بوغــاء الدمن كأنمــا حثحثــت من حِضْنَــىْ ثَكَنْ

قال أبو تراب : البوغاء ما يثور من الغبار ودقاق التراب ومنه قول الشاعر :

لعمــرك لولا هاشــم ما تعفرت ببغــدان فى بوغائهــا القدمان

وفى لسان العرب : الأُثكون للعذق بشماريخه لغة فى الأثكول وعسى ان يكون بدلا ..

قال ابو تراب : هذا قول ابـن سيـده . ولم أجـده فى كتـاب الابـدال للحلبـى والزجاجى . وهذه المادة أغفلها الزمخشرى فى أساس البلاغة . وهى من صحاح العربية وفصيح الكلام .. ذكرها الجوهرى فى كتابه وقال الشيخ احمد رضا الشبيبى فى معجم متن اللغة : انها فارسية وإخاله قلد صاحب اللسان والمحكم ولم يقطع فيها المعجم الوسيط بشىء ولم أجدها فى منتخب اللغات .. ولا فى غياث اللغات .. وهما من المعاجم الفارسية ولم يشر البستانى فى محيط المحيط ولا فى قطر المحيط الى كونها فارسية الأصل ولم يقل بفارسيتها إلا ابن سيده فى المحكم وابن منظور فى اللسان .

* * *

السكة الحديد لا الحديدية

قال أبو تراب :

وفى تذكرة الكاتب لأسعد داغر : يقولون : « سافر فلان فى السكة الحديد » فكأنهم يضيفون السكة الى الحديد أو يجعلون الحديد وصفا للسكة .. وكلاهما خطأ .. والصواب أن يقال : « سكة الحديد » و « السكة الحديدية » .

وقد رد عليه الدكتور مصطفى جواد فقال : قل : (السكك الحديد) ولا تقل (السكك الحديدية) وذلك لأن السِّكك المذكورة كلها مصنوعة من الحديد . ولم يضف اليه شيء آخر من الفلزات والمعدنيات وكان الناس يقولون : سافر فلان فى قطار السكة الحديد وكذلك كانوا يكتبون حتى ظهر مؤلف « تذكرة الكاتب أسعد خليل داغر فدعا الناس الى ترك هذه العبارة مع أنها صحيحة » .

وهذا القول من الأوهام لأن المقرر فى كتب النحو ان الشيء إذا وصف بالجوهر اى المادة وكان جميعه من تلك المادة فيؤتى بالمادة بعينها من غير إضافة تقول : الخاتم الذهب . لأنه كله من الذهب وتقول : الكأس الفضة لأنها كلها من الفضة وكذلك : (السكة الحديد) لأنها من الحديد وتقول : الكرسى الخشب إذا كان جميعه من الخشب .

أما إذا أضفت الى ذهب الخاتم قليلا من فضة أو غيرها مثلا .. فحينئذ تقول : الخاتم الذهبى للدلالة على أن أكثره ذهب .

وفى أول تاريخ بغداد للحافظ الخطيب البغدادى : عن جرير يرفعه قال : تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل والصراة ، لأَهلُها أسرعُ هلاكا فى الأرض من السِّكةِ الحديد فى الأرض الرخوة .

قال ابو تراب :

ولسنا بصدد البحث فى تعليل هذا الحديث . وإنما نقول : انه قديم جرى على ألسنة الناس قبل أكثر من ألف سنة وهو يؤكد القاعدة التى ذكرناها آنفا من كتب النحو ..

قال مصطفى جواد : فقل السكة الحديد والسكك الحديد ولا تقل السكة الحديدية .. ولا السكك الحديدية .. ولزيادة البيان أقول : إذا كان عندك ـ مشوش ـ وهو ما تمسح به اليد ـ أو منديل مصنوع من الحرير الخالص قلت : المنديل الحرير .. وإذا كان مع الحرير قطن أو غير ذلك من مواد الغزل جاز لك ان تقول : المنديل الحريرى فالنسبة إذن لا تفيد

ان المنسوب هو من ذات المنسوب اليه . بل تفيد ان له صلة به ومجانسة وما جرى مجرى ذلك أعنى ان النسبة تفيد الجزئية لا الكلية .

قال أبو تراب : ويجوز عندى (سكة الحديد) من باب إضافة الموصوف الى الصفة كقولهم : مسجد الجامع تأويلا .. وصلاة الأولى .. وهم يريدون مسجد الحيِّ الجامع وصلاة الساعة الأولى فكأنه لم يضف الموصوف الى صفة مباشرة بل الى صفة غيره .. وقد لجأوا الى هذا خروجا من إضافة الشىء الى نفسه وعلى هذا يؤول ما أشبهه من إضافة المترادفين كيوم الخميس وغيره على ما هو مقرر فى كتب النحو .

وفى شرح الكافية للرضى ج ١ ص ٢٨٢ : يوصف الشىء بالجنس المصنوع منه نحو : هذا خاتم حديد . قال سيبويه : يستكره نحو خاتم طين .. وصُفَّةُ خَزٍّ .. قلت : الصُّفَّةُ : ما يغشى به الرحل . والسَّرْجُ وكذلك خاتم حديد .. وباب ساجٍ فى الشعر أيضا .

وقال السيرافى : إذا قلت : مررت بِسَرْجٍ خزٍ صُفَّتُه .. وبصحيفةٍ طينٍ خاتَمُها .. وبرجلٍ فضةٍ حليةُ سيفه .. وبدارٍ ساجٍ بابُها وأردت حقيقة هذه الأشياء لم يَجُزْ فيها غير الرفع . يعنى ان تقول مررت بدارٍ ساجٌ بابُها بدل (ساجٍ) لأن هذه جواهر فلا يجوز ان ينعت بها . وان أردت المماثلة والحمل على المعنى جاز .

قال الرضى : وما ذكر خلاف الظاهر لأن معنى « فضةٍ حليةُ سيفه » انها فضةٌ حقيقية .. وكذا فى طين خاتمُها .. لكنه جوّز على القبح الوصف بالجواهر على المعنى بتأويل : معمول من طين .. ومعمول من فضة .. وقريب منه قولهم : مررتُ بقاع عرفجٍ كله .. اى كائن من عرفج وهو شجر . وان أريد التشبيه كان معنى (بِسَرْجٍ خزٍ صفته) اى بسرجٍ لين صُفَّتهُ كالخزِّ وليس بخزٍ وأما طين خاتمها فالتشبيه فيه بعيد .

قال أبو تراب :

وعلى هذا التأويل فسروا قول الشاعر :

وليـــلٍ يقـــول النـــاسُ من ظلماته	سواء صحيحــات العيـــون وعورها
كأنَ لنـــا منـــه بيوتـــا حصينةً	مسوحـــا أعاليهـــا وساجـــاً ستورها

وجمهور النحاةِ يشترطون فى الوصف الاشتقاق لذلك استضعف الوصف بالجوامد .. ذكره ابن عصفور فى شرح الجمل .

* * *

قلب الهمزة الثانية الساكنة

قال ابو تراب :

قال ابن الحاجب فى الشافية فى علم التصريف :

الهمزتان فى كلمة ان سكنت الثانية وجب قلبها (كآدم) و (إيْت) و (أُوْتمن) قال الرضى فى شرحها : ان تحركت الهمزة الأولى فقط دُبِّرَتْ الثانية بحركة الأولى اى قلبت واوا ان انضمت الأولى (كأُوتُمن) وقلبت ياءً إن انكسرت (كإيت) وقلبت الفا ان انفتحت (كآمَنَ) وإنما قلبت الثانية لأن الثقل منها حصل . وإنما دبرت بحركة ما قبلها لتناسب الحركة الحرف الذى بعدها فتخف الكلمة .

لذلك خطأ مصطفى جواد قولهم : أأُسف على فلان وأنا أُؤْمِنُ بالله قال : قل : انا آسف عليه وأومن بالله .. وذلك لأن العرب إذا توالت فى لغتها همزتان هكذا وكانت الثانية ساكنة قلبت الثانية مَدَّةً مجانسة لحركة الهمزة الأولى فتقول : (آسف عليه) لا أأسف عليه وآجر الدار لا أأجر الدار وآمن بالله لا أأمن بالله ..وأنا أومن بالله لا وأُؤْمن بالله .. وأُوخَذُ الى الدار . لا أُؤخذ الى الدار .. وأوجر الدار لا أؤجر الدار وما أحلى الايمان لا الائمان ، وإيت فلانا .. لا إئت فلانا فقل : إيسَفْ على صديقك المتوفى المخلص لا إإسف .

وإذا كانت الهمزة وصليةً ودخلت الكلمة فى أثناء الكلام سقطت فبطلت القاعدة تقول : أطعنى وَأْتِ فلانا وتقول : كن وفيا وأْسَفْ على صديقك المتوفى .

قال أبو تراب : ضرب مصطفى جواد المثل بلفظ : آجر ويوجر . وهذا المضارع لا يستقيم عند ابن الحاجب فقد قال : إن آجر على وزن فاعل لا على وزن أفعل وذلك لثبوت (يؤاجر) يعنى فى المضارع فلم تجتمع عنده الهمزتان فى آجر حتى يقال إن الثانية قلبت الفا .

وقد رد عليه الرضى فقال : استدلاله بأن مضارعه يؤاجر ليس فيه دليل على مدعاه . وكذلك قوله إن مصدره إجارة على وزن فعالة .. وهو مصدر فاعل ككاتب كتابا وقاتل قتالا والتاء فى إجارة للوحدة والايجار على وزن إفعال نادر .

ذلك لأن المرة إنما تبنى فى ذوات الزيادة على المصدر المشهور المطرد فيقال : قاتلت مقاتلة واحدة ولا يقال : قاتلت قتالة : لأن فعالا ليس بمطرد فى فاعل . ثم إن إجارة لو كان مصدر فاعل للمرة لجاز آجر إجاراً لغير المرة . ولم يستعمل (إجارٌ) أصلا وأيضا لم يكن استعمال إجارة إلا للمرة . كما لا يستعمل نحو تسبيحة وتقديسة إلالها .

وفى كتاب العين : آجرت أوجره إيجاراً فهو مؤجر .

وفى أساس البلاغة : آجرنى داره إيجارا فهو مؤجر ولا تقل : مؤاجر فانه خطأ قبيح . وليس آجر هذا فاعل . بل هو أفعل . وإنما الذى هو فاعل آجر الأجير مُؤاجرة . كقولك شاهره وعاومه . وكما يقال عامله وعاقده وفى باب أفعل من جامع الغورى . آجره الله لغة فى أجَره مقصوراً وفى باب فاعل منه : آجره الدار . وهكذا فى ديوان الأدب .

قال أبو تراب : فآجره الدار من باب فاعل ممنوع عند صاحب الأساس جائز عند الغورى والحق ما فى الأساس لأن فاعل لا يعدى الى مفعولين إلا إذا كان الذى يعدى فى الثلاثى الى مفعول كنزعتُ الحديث ونارعته الحديث . فآجر المتعدى الى مفعولين إذن من باب الافعال . فآجرتك الدار إيجاراً مثل أكريتك الدار . وآجرت الأجير مؤاجرة .. أى عقدت معه عقد الاجارة يتعدى الى مفعول واحد . وكأن الاجارة مصدر أجر يأجر إجارة نحو كتب يكتب كتابة اى كان أجيراً قال تعالى : « على أن تأجرنى ثمانـى حجـج » فالاجارة كالزراعة والكتابة .. كأنها صنعة إلا أنها تستعمل فى الأغلب فى مصدر آجر على وزن أفعل كما يقام بعض المصادر مقام بعض نحو « تبتل إليه تبتيلا » ولم يقل تبتلا . والأجير من أجر يأجر .

ولا يلزم من عدم بناء فاعل من أفعل أن لا يكون أفعل ثابتا . وهل يجوز أن يقال : أكرم غير ثابت لأن كارم غير مبنى منه بل من كَرم . فاذا تقرر ما ذكرنا ثبت أن أفعل وفاعل من تركيب أجَرَ ثابتان وكل واحد منهما بمعنى آخر . فأفعل بمعنى أكرى وفاعل بمعنى عقد الاجارة .

* * *

الهُويّة بالضم لا بالفتح

قال ابو تراب : غالب الناس اليوم يقولون (الهَوِيَّة) بفتح الهاء وهو غلط ما أكثر شيوعه . والصواب (الهُوِيَّة) بضم الهاء .

وفى كتاب قل ولا تقل .. قال : الهُوية مأخـوذة من هو .. والهـاء فيهـا مضمومـة لا مفتوحة .. انهم اشتقوا الهُوِيَّةَ من « هو » كما اشتقوا الماهيَّة من ماهو والكمية من كم والكيفية من كيف والمعية من (مع) والإِنِّيَّةَ من (إنَّ) والاَنويَّةَ والأنانية من (أنا) فقل الهُوِيَّةَ ولا تقل الهَوِيَّة .

قال ابو تراب : المستفاد من شرح الشافية للرضى : أن النسب الى ما جـاء على حرفين قسمان : الأول : ما لم يكن له ثالث والثانى ما كان له ذلك فحذف . فالقسم الأول لابد أن يكون فى أصل الوضع مبنيا . لأن المعرب لا يكون على أقل من ثلاثة فى أصل الوضع . فاذا نسبت اليه فاما أن تنسب اليه بعد جعله علما للفظه أو تنسب اليه بعد جعله علما لغير لفظه كما تسمى شخصا بـ (مَنْ) أو (كم) ففـى الأول لابـد من تضعيف ثانيه سواء كان الثانى حرفا صحيحا أم لا . فتقول فى الصحيح « الكمية » و (الَّلمِّية) بتشديد الميمين وفى غيره « المائيَّة » وهو منسوب الى (مـا) و (لـوِّى) و (لوئىُ) فيمن يكثر لفظة (لو) وكذا تقول فى (لا) لائى لأنك إذا أضفت الألف واحتجت الى تحريك الثانى فجعلُه همزة أولى . كما فى الصحراء وكساء . وكذا تقول فى : اللات .. لائىُ لأن التاء للتأنيث لأن بعض العرب يقف عليها بالهاء وهو اللاّهِ . وتقول فى (كى) و(فى) (كَيَوِىُ) و (فِيَوِىُ) لأنك تجعلها (كياً) و (فياً) كحىّ .. ثم تنسب اليهما كما تنسب الى حىّ وطىّ .. ومبنى ذلك كله على ان ياء النسبة فى حكم الكلمة المنفصلة .

وفى الثانى أى المجعول علما لغير لفظه ، لا تضعف ثانى حرفيه الصحيح نحو : جاءنى مَنِىٌّ ، وكَمِىُ بتخفيف الميم والنون . وإذا كان الثانى حرف علةٍ .. ضعفته عند جعله علماً قبل النسبة ..

والقسم الثانى : الذى كان له ثالث فحذف : إن قصدت تكميله ثلاثة ثم نسبت اليه رُدَّ اليه ذلك الثالث فى النسبة .. لأن ما كان من أصل الكلمة أولى بالرد من المجىء بالأجنبى .

ولا يخلو المحذوف من أن يكون فاء أو عينا أو لاما . فان كان لاما وكان الحذف للساكنين كما فى (عصاً) و (عمٍ) فلا كلام فى ردّه فى النسبة لزوال التنوين قبل الياء النسبية فيزول التقاء الساكنين وإن كان نَسْياً لا لعلة مطردة نظر : إن كان العين حرف علة لم يبدل منها قبل النسب حرف صحيح وجب رد اللام كما فى (شاة) و (ذو مال) تقول : شاهى وذووى . وإن ابدل منها ذلك لم يرد اللام نحو (فمى) فى (فوزيد) .

وإن لم يكن العين حرف علة قال النحاة : نظر فان كان اللام ثبت رده من غير ياء النسبة فى موضع من المواضع - وذلك إما فى المثنى (أو) فى المجموع بالألف والتاء أو فى حال الاضافة وذلك فى الأسماء الستة - ردّ فى النسبة وجوبا - لأن النسبة يزاد لها فى موضع اللام ما لم يكن فى الأصل كما قلنا فى (كمية) و (لائى) فكيف بلام كان فى الأصل وثبت عوده فى الاستعمال بعد الحذف ؟ ..

وقد ذكر فى باب المثنى ضابط ما يرد لامه فى التثنية من هذا النوع كأب وأخ ..

قالوا : فان لم يثبت رد اللام فى موضع فأنت فى النسب مخير بين الرد وتركه نحو : (غدى وغدوى) و (ابنى وبنوى) و(دمى ودموى) وفى حاشية بعض الأفاضل : وجه الفرق بين ما جعل علما للفظه وما جعل علما لغير لفظه أن الأول لم يبعد عن أصله لأنه إنما نقل من المعنى إلى اللفظ فلا بأس بتغيير لفظه بتضعيف ثانيه ليصير على أقل أوزان المعربات . وأما الثانى وهو ما جعل علما لغير لفظه فقد انتقل من معنىً إلى معنى آخر أجنبى فلو غير لفظه بالتضعيف لكان تغييراً فى اللفظ والمعنى جميعا فيبعد جداً ..

قال الرضى فى شرح الشافية ج ٢ ص ٣٧ فى النسبة إلى ذا وما ولا : والألف الثانية التى لا لام لها وضعا يزاد عليها مثلها لأن الملحق به ياء النسب يجب ان يمكن كونه اسماً معربا من دون الياء فاذا زدت عليها الفاً اجتمع الفان فتجعل ثانيتهما همزة لأن الهمزة من مخرج الألف ومخرج الفتحة التى قبلها ولم تقلب الألف واواً .. وإن كان إبدال حروف العلة بعضها من بعض أكثر من إبدالها بغيرها .. لأن وقوع الهمزة طرفا بعد الألف أكثر من وقوع الواو بعدها فتقول : ذائى فى ذا للاشارة ولائى ومائى .. فقولهم : مائية الأشياء منسوب الى « ما » المستفهم بها عن حقيقة الشىء .. ومن قال ماهية فقد قلب الهمزة لتقاربهما ..

قال ابو تراب : وهذا خلاف ما قال الدكتور مصطفى جواد من أن الماهية من ماهو ؟

قال الرضى : وحال الواو والياء ثانيتين لا ثالث لهما كحال الألف سواء فتقول فى المنسوب الى (لو) لوّىٌ وفى المنسوب الى (فى) فِيَوِىٌ وأصله فييىٌ فعمل به ما عُمل بالمنسوب الى حىّ ..

قال ابو تراب : فالنسبة الى (هو) هُوِّيّة بالادغام أو هُوَوية بالفك وليست هُوِيّة مخففة الواو كما ظن الدكتور المذكور لأن الياء إذن ليست ثالثة للنسبة بل هى أصلية من هوى يهوى هويا وهذا خلاف المقصود فليتنبَّه .

وفى أقرب الموارد للشرتونى . ان بعض العرب يسكن الواو من هو والياء من هى فيقولون : هُوْ قام وهِىْ قامت وتشددهما همدان كقوله :

وهوَّ على مَنْ صبَّه الله علقم

قال ابو تراب : تشديدها يدل على أن الثالث هو الواو أيضا فيجب تشديدهـا فى النسبة .

* * *

أزمة بسكون الزاى

قال ابو تراب :

وكثير من الناس ينطقون كلمة (أزِمَة) بكسر الزاى وهو غلط والصواب (أزْمة) لأنها ساكنة الزاى فى لغة العرب لم يرد لها وجه آخر وإذا جمعتها جمع مؤنث سالما قلت (أزمات) بفتح الزاى بعد ان كانت فى المفرد ساكنة . وذلك لأنها من الأسماء وليست من الصفات . وكذلك أشباهها كالمصدر . فكل اسم على وزن (فَعْلة) وكل مصدر على وزن (فَعْلَة) مثل أزمة وتمرة وحملة وثروة . وليس كل منهما بمضعف مثل بطة ومدة . ولا معتل العين مثل دورة فيجمع على فعلات بفتح العين تقول : أزمات وتمرات وحملات وثروات .

أما المُضعف مثل بطة ومدّة والمعتل العين مثل دورة وزورة فيبقيان على أحوالها تقول : بطات ومدّات ودورات وزورات .

أما الصفة على وزن فعلة فتبقى على حالها فى الجمع تقول : حفلة ضخمة وحَفَلات ضَخْمات فالحفلة أجريتها على سبيلها وفتحت الفاء لأنها اسم منقول من المصدر . وأما ضخمات فقد أبقيت المفرد (ضخمة) على حاله ساكن الخاء وحذفت التاء .. وتقول على هذا القياس : حفلة فخمة ، وحَفَلَات فَخْمات وامرأة بَرْزَة ونساء بَرْزَات وسَفْرَةٌ سهلة وسَفَراتٌ سهلات . وفتاة شَهْمَةٌ .. وفتياتٌ شهمات .

قال ابو تراب : استعمل الدكتور مصطفى جواد كلمة حفلة وبعضهم يخطّىء استعمالها .. والصواب حفل . وقرأت فى القاموس وغيره : رجل ذو حفلة .. أى مبالغ فيما أخذ . وجاء فى القاموس فى جمع رَبْعَة .. صفة لامرأة رَبْعَات وَرَبَعَاتُ شاذ .. لأن فعلة صفة لا تحرك عينُها فى الجمع . إنّما تحرك إذا كانت اسما ولم تكن العين واوا أو ياء .

وفى شرح الألفية لابن عقيل : إذا جمع الاسم الثلاثى الصحيح العين الساكنها المؤنث المختوم بالتاء أو المجرد عنها بألف وتاء اتبعت عينه فاءه فى الحركة مطلقا فتقول فى دعد دعدات وفى جفنة جفنات وفى جُمْل جُمُلات . وفى بُسْرَة بُسرُات بضمّ الفاء والعين .. وفى هِنْدٍ وكسرْة هِنِدات وكسرِات بكسر الفاء والعين . ويجوز فى العين بعد الضمة والكسرة

التسكين والفتح فتقول : بُسْرات وبُسرَات .. وهِنْدات .. وهِنِدات ولا يجوز ذلك بعد الفتحة بل يجب الاتباع .

وإذا كان مكسور الفاء وكانت لامه واوا فانه يمتنع فيه اتباع العين الفاء فلا يقال فى ذروة ذِرِوات بكسر الفاء والعين استثقالا للكسرة قبل الواو بل يجب فتح العين أو تسكينها فتقول : ذِرَوات أو ذِرْوات . كذلك لا يجوز الاتباع إذا كانت الفاء مضمومة واللام ياء نحو زُبْيَة وهى الرابية ـ فلا تقول : زُبُيات بضم الفاء والعين استثقالا للضمة قبل الياء بل يجب الفتح أو التسكين فتقول : زُبَيات أو زُبْيَات وشذَّ خلاف هذا كجِرِوات بكسرتين جمع جروة .

قال ابو تراب : فى لغة هذيل بَيَضات وجَوَزات جمع بيضة وجوزة والمشهور فى لسان العرب تسكين العين إذا كانت غير صحيحة .

وقرأت فى ذيل الأمالى لأبى على القالى من قصيدة لعروة بن حزام أحد بنى عذرة قوله :

وحملت زفْرات الضحى فأطقتُها ... ومالى بزفْرات العَشِى يدان

فسكن عين زفرات ضرورة والقياس فتحها إتباعا لأنها اسم وأما الصفة فتجمع ساكنة العين .

وقرأت فى كتاب المخصص لابن سيدة (ج ١٤ ص ١١٩) فى باب ما يجمع من المذكر بالتاء لأنه يصير الى التأنيث إذا جمع فمنه شيء لم يكسر على بناء من أبنية الجمع فجمع بالتاء إذ منع ذلك . وذلك قولك : سرادق وسرادقات . وحمّام وحمّامات . وإيوان وإيوانات وقالوا : سجل وسجلات .

قال ابو على : إنما يجمع بالألف والتاء مالم يكسر ليكون ذلك كالعوض من التكسير . فأما ما كُسرِّ فلا حاجة الى جمعه بالألف والتاء .

وقال غيره : قد يكسر الشيء ويجمع بالألف والتاء كقولهم : شمال وشمالات .

قال ابو تراب : وأما رجالات وصواحبات وبيوتات فهى من قبيل جمع الجمع للمبالغة ..

* * *

مصاير ومكايد

قال أبو تراب :

قل : مصاير الأمم ومكايد الشيطان .. ومكاين ومصايد ولا تقل : مصائر ولا مكائد ولا مكائن ولا مصائد ومن هذا القبيل مشايخ .

قال مصطفى جواد : وذلك لأن الياء فى المصير والمكيدة والمكينة والمصيدة أصلية لا مجتلبة اى انها من أصول أحرف الكلمة لا زائدة . ولا مزيدة فالمصير مأخوذ من الفعل (صار يصير) وفيه الياء أصلية .. والمكيدة مشتقة من الفعل (كاد يكيد) والمكينة ياؤها أصلية لأنها أعجمية .. والمصيدة من (صاد يصيد) ومثلها المضيق من ضاق يضيق وياؤه أصلية فجمعه مضايق ومثله مشيخة فالياء الأصلية تبقى ياء فى الجمع ولا تقلب همزة فيقال : مصير مصاير ومكيدة مكايد ومشيخة مشايخ . ومسيل ومسايل .

وكذلك الأمر فى الألف المنقلبة عن الواو نحو : المجاز والمدار والمعاد والمَرَاض فانها تجمع على المجاوز والمداور . والمعاود والمراوض بالمحافظة على الواو الأصلية التى قلبت فى المفرد ألفا .

فالمجاوز من جاز يجوز والمداور من (دار يدور) والمعاود من (عاد يعود) والمراوض من (راض يروض) .

ولم يشذ من كلمات الواو وهى ألوف إلا (مصائب) لأنها من (أصاب يصيب) والثلاثى (صاب يصوب) وإعلال الواو فى الرباعى وإبدالها ياء هو الذى سهل ان يقال (مصائب) .

ومنهم من يقول أيضا : (مصاوب) على القياس . وإلا (منائر) جمع منارة . ومنهم من يقول (المناور) على الأصل .

واختلفوا فى المدائن . والصحيح انها مشتقة من الفعل (مدن) بالمكان اى اقام به . فالمدينة ياؤها على هذا القول زائدة . والياء الزائدة تقلب همزة . كصحيفة وصحائف وكذلك الألف الزائدة كحمالة وحمائل . وكذلك الواو الزائدة كركوبة وركائب وعجوز وعجائز .

فقل إذن مصاير الأمم ومشايخ العرب ومكاين الزراعة ومكايد إبليس بالياء واترك الهمزة فانه غلط .

قال ابن منظور : أجمعت العرب على همز (المصائب) وأصله الواو كأنهم شبهوا الأصلى بالزائد والصابة والمصيبة والمصابة والمصوبة والتاء للداهية أو المبالغة والجمع مصاوب ومصائب على غير قياس توهموا : مَفْعِلةً فعيلةً التى ليس لها فى الياء ولا الواو أصل .

وفى تهذيب الأزهرى : قال الزجاج : أجمع النحويون على ان حكوا (مصائب) فى جمع مصيبة بالهمز . وأجمعوا على ان الاختيار مصاوب وانما مصائب عندهم بالهمز من الشاذ . وهذا عندى إنما هو بدل من الواو المكسورة كما قالوا : وسادة وإسادة . وزعم الأخفش : ان مصائب انما وقعت الهمزة فيها بدلا من الواو لأنها أعلت فى مصيبة .

قال الزجاج وهذا ردىء لأنه يلزم ان يقال فى مقام مقائم وفى معونة معائن .

وقال أحمد بن يحيى : مصيبة كانت فى الأصل مُصْوِبة ومثله : أقيموا الصلاة : أصله أقوموا . فألقوا حركة الواو على القاف فانكسرت وقلبوا الواو ياء لكسرة القاف .

وقال الفراء : يجمع الفُواق : أفيقة وأفوقة .

وأما المنار والمنارة فالجمع مناور على القياس ومنائر مهموز على غير قياس . قال ثعلب : إنما ذلك لأن العرب تشبه الحرف بالحرف فشبهوا منارة وهى مفعلة من النور بفتح الميم بفعالة فكسروها تكسيرها كما قالوا أمكنة فيمن جعل مكانا من الكون فعامل الحرف الزائد معاملة الأصلى فصارت الميم عندهم فى مكان كالقاف من قذال ومثله فى كلام العرب كثير وأما سيبويه فحمل ما هو من هذا على الغلط . وقال الجوهرى : مناور بالواو ومن قال منائر وهمز فقد شبه الأصلى بالزائد كما قالوا : مصائب وأصله مصاوب .

* * *

توغل وتسلل

قال أبو تراب :

قل توغل فى البلاد ووغل وأوغل وتخلل ولا تقل تسلل فيها واليها . قال مصطفى جواد :

وذلك لأن التسلل هو خروج وتفص وتخلص من زحام أو غمار أو جمع وليس هو بدخول ولا وغول ولا اندساس فأقرب الكلمات معنى من المراد اليوم بالدخول سراً هو التوغل والوغول والايغال والتخلل .. فهذه كلمات أربع تؤدى المعنى المراد . يقال : وغل فى الشيء يغل وغولا أى دخل فيه وتوارى به وأوغل القوم أى أمعنوا فى سيرهم داخلين فى أرض العدو أو بين الجبال . وتوغل فى البلاد دخل فيها وأبعد . وتخلل القوم دخل فيهم وبينهم وتخلل الشيء الشيء نفذ فيه .

ولو كان فى معنى التسلل ما يفيد الدخول والتخلل والوغول ولو مجازا لصح التعبير به عن المعنى المقصود . ولكن حركة التسلل معاكسة للدخول فهى خروج باستخفاء .

وفى مقاييس اللغة لابن فارس : السين واللام أصل واحد وهو مدُّ الشيء فى رفق وخفاء ثم يحمل عليه .. فمن ذلك سللت الشيء أَسُلُّه سلا . والسَّلَّةُ والاسلال السرقة وفى حديث رسول الله ﷺ حين كتب « لا إغلال ولا إسلال » فالاغلال الخيانة والاسلال السرقة .

قال أبو تراب :

هذا من كتاب الحديبية حين وادع اهل مكة . ومن الباب : السليل الولد .. كأنه سُلَّ من أمه سلا .. قالت امرأة من العرب فى ابنها :

سُلَّ من قلبى ومن كبدى قمراً من دونه القمر

ومما حمل عليه السلسلة سميت بذلك لأنها ممتدة فى اتصال ومن ذلك تسلسل الماء فى الحلق إذا جرى .. وماء سلسل وسلسال وسلاسل .. قال الأخطل التغلبى :

إذا خاف من نجم عليها ظماءة أمال اليها جدولاً يتسلسل

قال بعض أهل اللغة : السلسلة اتصال الشيء بالشيء وبذلك سميت سلسلة الحديد وسلسلة البرق المستطيلة فى عرض السحاب والسالُّ : مسيل فى مضيق الوادى وجمعه سُلاَّن

كأن الماء ينسل منه او فيه انسلالا ويقال : فرس شديد السَّلة وهي دفعته في سباقه ويقال : خرجت سَلَّتُه على جميع الخيل .. والمِسَلَّةُ معروفة لأنها تسل الخيط سلا .. والسُلاّءة من الشوك من هذا ايضا لأن فيها امتدادا .. ومنه السُّلال من المرض كأن لحمه قد سُلَّ سلاً منه . وأسَلَّه الله ..

قال أبو تراب :

فالتسلل فى الأماكن هو من انسلال الماء فى المضايق فاذا أريد به الدخول بايغال فيمكن حمله على هذا كأنه ينسل من مكان إلى آخر .. والعبرة بحرف التعدية فان كان (فى) أفاد هذا المعنى وإن كان (من) لم يجز .

قال الزمخشرى فى الأساس : سلَّ السيف من غمده واستلَّه . وانسلّ منه وسيف مسلول . وسَلَّ الشعرة من العجين فانسلت انسلالا . وانسلَّ من المضيق والزحام وتسلَّل واسلَّ من المغنم .. و« رمتنى بدائها وانسلت » « ولقد خلقنا الانسان من سلالة طين » .

وتقول : أهديت لك من مال حلال من غير إسلال ولا إغلال وفى بنى فلان سلة اى سرقة قال :

فلسنا كمن كنتم تصيبون سلَّةً ... فنقبل ضيماً أو نحكم قاضيا

واستلَّ بكذا اى ذهب به فى خفية . أنشد ابن الاعرابى :

إذ بيتوا الحىَّ فاستلوا بحاملهم ... ونحن يسعى صريخانا الى الداعى

وجاء فلان انسلال السيل اى لا يؤبه له .

ومن المجاز : سلَّ السَّخيمة مُن قلبه . والهدايا تسلّ السخائم وتحل الشكائم واستل النهر جدول إذا انشقَّ منه . قال ذو الرمة :

يستلُّها جدول كالسيف منصلت

وبرق ذو سلاسل . وبدت سلاسل البرق . وقد تسلسل البرق اى استطال فى خفقانه . وتسلسل فرند السيف . وسيف مسلسلٌ .. ورملٌ ذو سلاسل وما أقوم سلاسل كتابه وهى سطوره . قال البَعِيث : (**كتاب زبور وَحْيُه وسلا سلُهْ**) ، وثوب مسلسل : رق من البلى . ولبسته حتى تسلسل قال ذو الرمة :

(رسوما كأخلاق الرداء المسلسل)

* * *

تذكير الباب والرأس

قال الدكتور مصطفى جواد : قل الباب مفتوح . وهو باب واحد ولا تقل : الباب مفتوحة . والباب واحدة .

وذلك لأن الباب مذكر فى اللغة العربية الفصيحة ولم يرد تأنيثه إلا فى العصور الأخيرة . فى لغة أهل بغداد وما حولها .. أما أهل الموصل وعدة قبائل عربية عراقية فيذكرون « الباب » على الوجه الصحيح الفصيح .

والباب مذكر فى أقدم النصوص العربية المصرية المكتوبة قال الله تعالى : « فضرب بينهم بسور له باب .. باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب » على اعتبار ان الباطن من الباب . وقال تعالى : « وقال يا بنى لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة » .

وقال عز وجل : « ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون » .. وقال تعالى : « حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد إذا هم فيه مبلسون » ولم نجد تأنيث الباب فى كتاب من كتب اللغة الخاصة . فتأنيثه عاميٌ لا يجوز الأخذ به ولا القياس عليه ولا الاستناد اليه .

قال أبو تراب :

وهذا كتأنيث الرأس عند العامة يقولون : رأس فلان كبيرة . وهذه رأسى ولا يسوغ تأنيث الباب اعتبار مصراعيه وهما درفتاه . والدرفة مولدة . لم يذكرها الخفاجى فى كتاب شفاء الغليل فى العامى والدخيل ولا صاحب أقرب الموارد .. ولا المعجم الوسيط . وإنما وجدتها فى قطر المحيط للبستانى .

والباب فى الأصل المدخل . وما يغلق به ذلك المدخل من الخشب وغيره . جمعه أبواب وبيبان وأما جمعه أبوبة فى قول القلاخ بن حبابة أو ابن مقبل :

هتاك أخبية ولاَّج أبوبةٍ يخلط بالبر منه الجد واللينا

فانما قال أبوبة للازدواج لمكان أخبية . ولو أفرده لم يجز .

وزعم ابن الأعرابى واللحيانى ان أبوبة جمع باب من غير ان يكون إتباعا .. وهذا نادر لأن بابا على وزن فَعَل وهو لا يكسر على أفعلة . وقد كان ابن المغربى يسأل عن هذه

اللفظة على سبيل الامتحان فيقول : هل تعرف لفظة تجمع على أفعلة على غير قياس جمعها المشهور طلبا للازدواج . وهذا فى صناعة الشعر ضرب من البديع يسمى الترصيع .

وبابات الكتاب سطوره . ولم يسمع لها بواحد وقيل هى وجوهه وطرقه قال تميم بن مقبل :

بنى عامر ما تأمرون بشاعر تخير بابات الكتاب هجائيا

ويقال : هذا ليس من بابتك أى مما يصلح لك ذكره الزمخشرى وغيره . والبابة هى الغاية والوجه والشرط ..

قال ابو تراب : فلماذا لا تكون هى مفرد البابات ؟

واختار الأبواب للقوافى على سبيل الاستعارة سويد بن كراع فقال :

أتيت بأبواب القوافى كأنما أذود بها سربا من الوحش نزعا

والبابية الأعجوبة قال النابغة الجعدى :

ولكن بابية فاعجبوا وعيد قشير وأقوالها

وقال بشر بن أبى خازم :

فمن يك سائلا عن بيت بشر فان له بجنب الرده بابا

إنما عنى بالبيت القبر ، ولما جعله بيتا وكانت البيوت ذوات ابواب استجاز ان يجعل له بابا .

والفعل من هذه المادة التبويب وهو التقسيم والبواب : الحاجب .. ولو اشتق منه فعل على وزن فعالة لقيل بوابة ، باظهار الواو ولا تقلب ياء لانه ليس بمصدر محض انما هو اسم . وأهل البصرة فى اسواقهم يسمون الساقى الذى يطوف عليه بالماء بيَّابا . ورجل بواب لازم للباب وحرفته البوابة . وباب يبوب صار بوابا وتبوب بوابا أى اتخَّذ بوابا .

وأبواب مبوبة كما يقال : أصناف مصنفة . وصحف صاحب اللسان قول الليث : البابية هدير الفحل فى ترجيعه . والصواب البأبية بثلاث باءات قال رؤبة بن العجاج :

إن المصاعيب ارتجسن قبقبا بَخْبَخَة مرّاً ومرّاً بأببا

وصححنا هذا من التكملة للصاغانى . والمصاعيب فحول الابل والارتجاس شدة هديرها والقبقبة صوت أنيابها والبخبخة شقشقتها . والبأبية دونها .

* * *

غُصَّ وغَصَّ به

قال ابو تراب :

يقولون : غُص المكان بالزوار ويُغَصُّ بهم وهذا غلط والصواب : غصّ المكان بهم ويَغَصُّ بهم غَصَصاً لأن (غصّ) من الأفعال اللازمة التى تحتاج الى فاعل ولا تحتاج الى مفعول به . فلذلك يمتنع بناؤها للمجهول إلا مع الظرف أو الجار والمجرور والمصدر . وهو من التعابير النادرة .

وهذا الفعل من باب (فرح) على اللغة المشهورة الفصيحة قال الجوهرى فى الصحاح : الغَصَص مصدر قولك : غصصت يا رجل تَغَصُّ فأنت غاصٌ بالطعام وغصان . والمنزل غاص بالقوم أى ممتلىء بهم .

وفى مختار الصحاح : الغصص بفتحتين مصدر قولك : غَصِصْت بالطعام أغص غصصا فأنا غاصٌ به وغَصّانُ . والمنزل غاص بالقوم ممتلىء بهم .

وفى هذا لغة غير فصيحة وهى (غصّ يغِصُّ)

قال فى لسان العرب : والغصص مصدر قولك : غصِصت يا رجل تغصُّ فأنت غاص بالطعام وغصّان . وَغَصَصْتُ وغَصِصْتُ أغَص وأغُصُّ بها غصا وغَصَصاً شجيت .. وخص بعضهم به الماء يقال : غصصت بالماء أَغَصُّ غصصا إذا شرقت به . أو وقف فى حلقك فلم تكد تسيغه .

قال أبو عبيد : غصَصت لغة الرِّباب .

يعنى أنها لغة قبيلة واحدة . ويؤيد اختصاصه بالشراب قول الشاعر :

وساغ لى الشراب وكنت قبلا أكاد أَغَصُّ بالماء الفرات

ومن أسرار العربية انه جاء على وزن فَعِلَ يفعَل لأنه من أفعال التغير الظاهر نحو : عطش يعطش فهو عَطِشٌ وعطشان .. ووسن يوسَنُ فهو وَسِنٌ ووسنان والغُصَّة : الشّجا . قال الليث : الغُصَّة شجاً يُغَصُّ به فى الحرقدة .

قال ابو تراب : الحرقدة عقدة الحُنْجور . والحرُقُوة : أعلى اللهاة من الحلق . ويقال : غصِصت باللقمة كما يقال غَصِصْت بالماء كلاهما مسموع والجمع الغُصص .

وفى غريب الحديث لابن الأثير : فى قوله تعالى : « لبنا خالصا سائغا للشاربين » .

قيل انه من بين المشروبات لا يَغَصُّ به شاربه . يقال : غصصتُ بالماء أغَصُّ غصصا فأنا غاصٌ وغصّانُ : إذا شرقت به أو وقف فى حلقك فلم تكد تسيغه . ورجل غصان غاصٌ .. قال عدىُّ بن زيد :

لو بغير الماء حلقى شرق كنت كالغصان بالماء اعتصارى

ويقال : أغصصتُه أنا . والغُصَّةُ : ماغصِصْتَ به . ومنه غُصَصُ الموت . وغَصَّ المكانُ بأهله ضاق . والمنزل غاصٌ بالقوم أى ممتلىءٌ بهم . وأغصَّ فلانُ الأرضَ أى ضيَّقها فَغَصَّتْ بنا أى ضاقت .. قال الطرمّاح :

أغصَّتْ عليك الأرض قحطان بالقنا وبالهُنْدوانيّات والقُرَّح الجُرْدِ

قال أبو تراب :

القنا جمع قناة وهى الرمح . ويقال قنوات وقُنِيٌ وقَنَياتٌ والهُنْدُوانيّاتُ هى السيوف . وقد تكسر الهاء . وهى نسبة شاذة على غير قياس الى الهند . والقرح : هى الأفراس فى جبهتها بياض بقدر الدرهم أو دونه . وفى الحديث : خير الخيل الأقرح المحجل . ومنه قولهم : صبح أقرح : لأنه ذو بياض وسواد وكذلك قولهم : تعرى الليل عن وجهٍ أقرح : أى عن الصباح والجُرْدُ : نعت للخيل محمود .. وهو قصر شعر الجلد فى الفرس .. قال أبو المناصف :

والفرس القصير شعر الجلد برقّةٍ أجردُ نُجْلُ جُرْدِ

وفى أساس البلاغة من قولهم : المسجد غاص بأهله ومُغْتَصٌ وفلان أغَصّ الأرض علينا فغصّتْ بنا . وأغصّه بريقه أى أضجره .. قال الأخطل :

ولقد أُغِصُ أخا الشقاق بريقه فَيَصُدُّ وهو من الحفاظ سؤوم

قال ابن فارس : الغين والصاد ليس فيه إلا الغصص بالطعام ويقال : رجل غصّان وأنشد بيت عدى بن زيد العبادى .

قال ابو تراب : أما بيت الأخطل المذكور فهو من قصيدة مطلعها :

(صرمت حبالك زينب ورعوم وبدا المجمجم منهما المكتوم)

قال صاحب الأغانى انها فى مدح الحجاج . والصواب ما قال البغدادى فى خزانة الأدب : انها فى رجلْ اسمه جُمَيْع ولعل أبا الفرج توهم قصيدته :

صرمت حبالك زينب وقذور

فتلك هى التى مدح بها الحجاج الثقفى .

وِفق ووَفق

قال ابو تراب :

شاع فى الاستعمال قولهم : جاء هذا العملُ وِفْقَ الشروط المطلوبة والخطأ فيه كسر الواو لأن كسرها يجعل اللفظة اسم المصدر بمعنى التوفيق والصواب فتح الواو . والوَفْقُ مصدر من الموافقة بين الشيئين كالالتحام .

ولكن الدكتور مصطفى جواد : يخطىء هذه العبارة من جهة أخرى فالوَفْقُ لا يستعمل عنده إلا مجرورا : فصواب العبارة جاء هذا العمل على وَفْقِ الشروط .. وتعقبته بأن الوفق : كل شيء يكون متفقا على تَيْفَاقٍ واحد فهو وفق كما ورد عن الليث كقوله :

يَهْوِيْن شتَّى ويَقَعْنَ وَفْقَا .

وقالت العرب : جاء القوم وفقاً أى متوافقين كما نقله الزمخشرى فحرف الجر الذى دخل عليه فى الاستعمال البيانى إنما جاء صلة للكلام الذى قبله . فاذا جرد الوفق منه كان منصوبا على نزع الخافض فلا أرى مانعا من استعماله بدون حرف الجر .. ويقع حالا لما قبله .. وشاهدى على ذلك قول ابن سيدة : وَفْقُ الشيء مالاءمه . وفى اللسان : تقول : هذا وفق هذا وقال عويفُ القوافى :

يا عمرَ الخير المُلَقَّى وَفْقَهْ   سُمِّيتَ بالفاروق فافْرُقْ فَرْقَهْ

واحتج مصطفى جواد على تصويب قولهم (على وفق شروط) اى على حسب شروط وبحسبها .. بقول عمر بن أبى ربيعة :

فما جئتنا إلا على وفق موعد   على ملأ منا خرجنا له معا

قال أبو تراب : وهذا معناه ان مجيئه كان متوافقا للموعد كما يقال : جاء فلان على موعد فعلى لا علاقة لها بالوفق لأنه قد ورد من قول العرب فى المعاجم : جاء القوم وفقا . ولم يقولوا : جاءوا على وفق . وكذلك الجواب عن قول العماد الأصفهانى الذى احتج به إذ يقول فى (الفتح القدسى ص ١٣٩) وجاء على وفق الآمال اقتراحه . وختم باليمن والاقبال رواحه ..

وقول ابن المنير الاسكندرى فى الانتصاف (حاشية الكشاف) ج ١ ص ٢٨٥ : « فان أجيبوا على وفق مقترحهم فلم ينجع فيهم كانوا حينئذ على غاية من الرسوخ فى العناد المناسب لعدم النظرة » .

وفى فوات الوفيات لابن شاكر الكتبى ج ١ ص ١٩٩ فى أخبار شعر الزنج الشاعر « فأومأنا اليه بالقيام على الوَفْقِ الذى كان بيننا فوثب وهو يبكى » .

وفى شرح الكافية لابن الحاجب ج ١ ص ٣٤٥ : ويجوز أن يأتى قبل المخصوص أو بعده مميز أو حال على وفق مخصوصه . وفى زبدة النصر ص ١٢٠ : فى أخبار الوزير كمال الملك السميرمى .. قال أنوشروان : فشرع الوزير فى المصادرات وسمى ديوانها ديوان المفردات ، قال عماد الدين : ولم يكن كما ذكر . ولا على وفق ما أنكر .. »

وفى المصباح المنير للفيومى : « وقد استعمل الفقهاء الشك فى الحالين على وفق اللغة نحو قولهم : من شك فى الطلاق ومن شك فى الصلاة .

قال : أما استعمال الوفق بغير حرف جر فله موضع آخر ومعنى آخر . يقال : كسب فلان وفق عياله .. أى قدر كفايتهم لا فضل فيه و« هذا المقدار من المال وفق لكثرة حاجاتهم ..

وفى معجم البلدان فى مادة (عطالة) قال سويد بن كراع العكلى :

وإن كان نارا فهى نار بملتقى   من الريح تشبيها وتصفقها صفقا
لأم على أوقدتها طماعة   لأوبة سفر ان تكون لهم وفقا

قال : ويقع هذا الغلط فى عبارات أخرى كقولهم : ألف هذا الكتاب وفقا لمنهج الوزارة .. والصواب على وفق منهجها .. ومصداق الصحة فى استعمال (الوفق) المجرور بعلى هو ان يجىء بمعنى (على حسب كذا وبحسب كذا) واستعمال غير المجرور ان يأتى بمعنى (قدر ومقدار) .

قال ابو تراب : وأى مانع من ان يقال : كسب فلان على وفق عياله . بمعنى على قدر حاجتهم ما دام الوفق على هذا الوفق . والعبرة بالاستعمال . ولا علاقة لحرف الصلة بالمعنى . وقد جاء (الوفق) بمعنى المطابقة بين الشيئين غير مدخول الجار كما قال : (يهوين شتّى ويقعن وفقا) أى متوافقة .. وكما قال : (يا عمر الخير الملقّى وفقه) أى موافقته .

وكما قالوا : (جاء القوم وفقا) اى متوافقين . والوفق فى كل ذلك بمعنى التوافق والتطابق والملاءمة وليس بمعنى القدر والمقدار ومع ذلك جاء مجردا من حرف (على) لذلك أجزنا قولهم : جاء هذا العمل وفقا للشروط اى متوافقا وملائما لها .

وقالوا : أتانا وفق الهلال أى لطلوعه . وجئت لوفق الأمر أى لحين حدوثه .

كابد وتكبد

قال أبو تراب :

قل : كابد العدو خسارة كذا وكذا ولا تقل : تكبد العدو الخسارة نبه على ذلك مصطفى جواد فى كتابه قال : وذلك لأن (تكبد) على وزن (تفعَّل) وأن تاءه وتاء أمثاله تدل على رغبة الفاعل فى الفعل والمفعول به . والعدو لم يرغب فى الخسارة كما هو (بديهى) يضاف الى ذلك ان (تكبد) له عدة معان ليس فيها ما يقابل (كابد) أى قاسى وتحمل بمشقة أو ما يقاربه .

وقال ابن فارس فى المقاييس : الكاف والباء والدال أصل صحيح يدل على شدة فى شيء وقوة . من ذلك الكَبَد وهو المشقة . يقال : لقى فلان من هذا الأمر كبدا اى مشقة .

قال تعالى : « لقد خلقنا الانسان فى كبد » .. ومن الاستعارة كَبِدُ السماء : أى وسطها ويقال : تكبدت الشمس إذا صارت فى كبد السماء . وتكبد اللبن إذا غلظ وخَثُر وفى لسان العرب : تكبدت الشمس السماء : صارت فى كبدها وكبد السماء وسطها الذى تقوم فيه الشمس عند الزوال .. ويقال : تكبدت الأمر أى قصدته ومنه قوله :

(يروم البلاد ايها يتكبد)

وتكبد الفلاة اى قصد وسطها ومعظمها .. وتكبد اللبن وغيره من الشراب غلظ وخثر .

فتكبُّد الشيء المائع لا مطمع فيه لتوجيه الخطأ فى قولهم : تكبد خسارة .. لأنه مشتق من الكبد .. وبمعنى صار مثل الكبد وتكبدت الشمس السّماء .. وتكبد فلان الفلاة والأمر يدل على إرادة الفاعل للفعل كما ذكرنا فلا وجه لاستعارة جديدة كأن يقال : أراد العدو الدخول فى وسط الخسارة فانه لا يريدها بل يريد الفوز والفَلْج والظفر والغلبة والاخسار فالصواب ما ذكرناه وهو : « كابد العدو الخسارة » .

قال ابن فارس : وكابدت الأمر اى قاسيته فى مشقة . وفى لسان العرب فى تفسير الآية المذكورة آنفا : « لقد خلقنا الانسان فى كبد » أى أنه خلق يعالج ويكابد أمر الدنيا والآخرة فى شدة ومشقة .. ومكابدة الأمر معاناة مشقته وكابدت الأمر إذا قاسيت شدته .

وعن الليث قال : الرجل يكابد الليل إذا ركب هوله وصعوبته ، ويقال : كابدت ظلمة الليل مكابدة شديدة . وكابد الأمر مكابدة وكبادا قاساه .. قال العجاج :

وليلةٍ من الليالى مرَّتْ بكابدٍ كابدتها وضرت

أى طالت .

هذا معظم النصوص اللغوية المعجمية لاستعمال كابد . ومن شواهد الواقع اللغوى لها ما ورد من كلام العباس بن عبد المطلب فى شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد ج ١ ص ٧٤ وهو قوله : تَرِبَتْ أيديكم إلى آخر الدهر أما إنى قد أمرتكم فعصيتمونى فمكثت أكابد ما فى نفسى .. الخ ..

وتأتى المكابدة للمقاومة عامة والمنازلة والمنازعة مع مقاساة مشقة فمن ذلك ما ورد فى أبيات عُزيت الى معاوية بن ابى سفيان فى الكامل للمبرد ج ١ ص ٢٢٩ فى قوله :

أكابـده والسـيف بينـى وبينه ... ولسـت لأثـواب الدنـىء بلابس

وإنـى لأرجـو خـير ما نـال نائل ... وما أنـا من ملك العـراق بيائس

وفى كتاب الأذكياء لابن الجوزى ص ٤ عن وهب بن منبه قال : إنـى وجـدت فيما أنزل الله على أنبيائه أن الشيطان لم يكابد شيئا أشد عليه من مؤمن عاقل .. وإنه يكابد مائة جاهل فيستجرهم حتى يركب رقابهم .. (فينقادون) له حيث شاء . ويكابد المؤمن العاقل فيتصعب عليه حتى لا ينال منه شيئا من حاجته .

وفى المحاسن والأضداد للجاحظ (ص ٧٩) قال جحدر سجين الحجاج :

وتقدمـى لليـث أرسف نحوه ... حتـى أكابـده على الاحراج

وفى مروج الذهب للمسعودى (ج ١ ص ٣١٧) فى أخبار قبيلة جريس قول عفيرة بنت الأسود الجدسى لأخيها الأسود : لا تفعل هذا فان الغدر فيه ذلة وعار . ولكن كابدوا القوم فى ديارهم تظفروا أو تموتوا كراما .

قال مصطفى جواد : وبما نقلنا من نصوص واقع اللغة العربية فى استعمال (كابد) يظهر للقارىء تقصير اللغويين القدامى فى ذكر معانى هذا الفعل المجازية الاستعارية التى هى جناحا كل لغة محلقة فى سماء الحضارة والجدارة بالازدهار والتقلب فى جميل الأطوار .

وباب الاستعارة مفتوح فى اللغة العربية على شرط ان تكون سائغة عذبة فى أذواق العرب .

وقال أسعد داغر فى التذكرة ص ٣٥ يقولون كبدَّه عناء جزيلا وتكبد فى عمله تعبا لا يوصف فيستعملون كبد بمعنى جشم وكلف . وتكبد بمعنى عانى وقاسى وفى اللغة تكبدت الشمس وكبّدت صارت فى الكبيداء أى وسط السماء وتكبد الشىء قصده فالصواب ان يقال فى الأول جشم أو حمّله عناء جزيلا وفى الثانى كابد فى عمله .

أثر عليه وفيه

قال أبو تراب :

ويقولون : « فلان أثر على ذلك أو استطاع التأثير عليه » وهذا تعبير خاطىء والصواب تعدية هذا الفعل بـ « فى » بدل « على » والدليل على ذلك قول الجوهرى فى صحاح العربية : التأثير إبقاء الأثر فى الشيء فاستعماله « فى » فى شرحه دليل على لزومه له وقال فى مادة (وسم) : وسمه وسما وسمة إذا أثر فيه بسمة وكى .. فقد قال : أثّر فيه ولم يقل أثّر عليه .

وفى المصباح المنير : وأثرت فيه تأثيرا جعلت فيه أثرا وعلامة فتأثر اى قبل وانفعل .

وأورد صاحب اللسان قول زهير بن أبى سلمى :

والمرء ما عاش ممدود له أمل　　　لا ينتهى العمر حتى ينتهى الأثر

قال : وأصله من أثر مشيه فى الأرض .. وقال : وأثَّر بوجهه وبجبينه السجود وأثر فيه السيف والضربة .

وفى القاموس « وأثر فيه تأثيرا ترك فيه أثرا » . وفى تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٧١ وشرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد ج ٤ ص ١٦٦ فى حديث أبى بكر « فاجتنبونى لا أؤثر فى أشعاركم وأبشاركم . وفى نهج البلاغة وشرحه ج ٣ ص ٢٠٦ . وخرج بسلطان الامتناع من أن يؤثر فيه ما يؤثر فى غيره .

وفى جمهرة أشعار العرب قال الأعشى فى معلقته :

أثرت فى جآجىءٍ كإران المَيْتِ　　　عُولِينَ فوق عوجٍ رِسَالِ

يعنى أنساع ناقته أثرت فى (الجآجىء) وهى عظام الصدر جمع جؤجؤ و (الإرانُ) : النعش و (عولين) أى جعل بعضها فوق بعض و (عوج) يعنى عطافها و (رسال) أى مسترسلة طوال .

وفى الأغانى (ج ١٠ ص ٢٤٣) : وقال أبو دلامة لروح بن حاتم المهلبى : أما والله لو أن تحتى فرسك ومعى سلاحك لأثرت فى عدوك اليوم أثرا ترتضيه .

وفى الكامل للمبرد ج ٣ ص ١٩١ فى أخبار الخوارج « كان المغيرة بن المهلب بن أبى صفرة الأزدى إذا نظر إلى الرماح قد تشاجرت فى وجهه نكس على قَرَبوسِ السرج وحمل من تحتها فردَّها بسيفه وأثر فى أصحابها .

قال ابو تراب : القربوس حِنْو السرج ولا تسكن راؤه إلا لضرورة الشعر ..

وفى الأغانى (ج ٣ ص ١٨٣) وقال أبو عبيدة « وأىُّ حرَّة حصان تسمع قول بشار فلا يؤثر فى قلبها ..

وفى مروج الذهب للمسعودى ج ١ ص ٢٧١ فى وصف الأرض وسكانها من قول عمر « فصف لى المدن وأهويتها ومساكنها وما تؤثره التُّرَبُ والأهوية فى سكانها .

وقال المسعودى فى التنبيه والأشراف (ص ٢) :

« والأخبار على شكل الأرض وهيأتها وما قالته حكماء الأمم وتنازع الناس فى كيفية ثباتها وتأثيرات الكواكب فى سكانها ومجارى الأفلاك ووجوه تأثيراتها فى عالم الكون والفساد . »

وفى شرح نهج البلاغة (ج ٤ ص ١٦٦) : خبر عن نفسه ان الشيطان يعتريه حتى يؤثر فى الأشعار والأبشار ويأتى ما يستحق به التقويم وقال : « لأنه لا يؤثر فى أحوال فاعله وحط رتبته » .

وفى أمالى المرتضى ج ١ ص ٢٨٨ : وقد يكون الشيء فى نفسه مطعونا عليه ، وإن لم يطعن عليه طاعن كما قد يكون بريئا من الطعن وان طعن فيه بما لم يؤثر فيه .

وقال الشريف الرضى :

دهــر تؤثــر فى جسمــى نوائبه فما اهتمامــى إن أودى بسربالى

وقال ابن أبى الحديد فى شرح النهج (ج ١ ص ٢٢٢) : ولهذا متى توالت منه الأفعال القبيحة الظاهرة وتكررت قدحت فى حاله وأثرت فى ولايته وقال أيضا : وإن لم يكن مقطوعا يؤثر فى هذا الباب ويكون أقوى مما تقدم .

وفى كتاب المنتظم لابن الجوزى ج ٦ ص ٢٥٩ فى خبر البزاز الذى تزوج جارية السيدة شغب أم الخليفة المقتدر بالله قوله :

« فلما جاء الليل أثَّر فىَّ الجوع »

وفى كتاب الفرج بعد الشدة ج ٢ ص ١٧١ : فلما جاء الليل أثر الجوع بى » .. قال الدكتور مصطفى جواد ولعله تصحيف مع قربه من الفصيح .. قلت : قد وردت تعدية التأثير بالباء فلا تصحيف ثمة . قال : ولم أجد استعمال (على) مع التأثير إلا فى شعر

الأعسر بن مهارش الكلابى وكان معاصر سيف الدولة الحمدانى وقد اضطرته ضرورة الوزن لأن يضع (على) موضع (فى)

فخلت البُكا من رقة الخدِّ أنه يؤثر من حَذْرٍ على صفحة الخد

ذكره ابن العديم فى تاريخ حلب (ص ١٣٨ ، ١٧١) والأثر فى الشىء من جهة العمق لا من جهة العلو و (على) لا تفيد الوغول والاندماج . وأثَّر عليه ترجمةٌ من الفرنسية (انفلوسى سور) فالفرنسيون يستعملون (على) ونحن قلدناهم . وقال أسعد داغر فى التذكرة ص ٥٩ يعدون الفعل أثر بعلى فيقولون أثر عليه وفى كتب اللغة أثر فيه أى جعل فيه أثراً و علامة . فالصواب أن يعدى بحرف الجر (فى) .

وقال الدكتور مصطفى جواد : وقد يحتج محتج بأن حروف الجر يقوم بعضها مقام بعض كثيراً وهو قول لم يعتمد على إدراك أسرار العربية بل أنه ليس بقياس فما يُدَّعَ فى ذلك يبق على سماعه ولا يجوز القياس فى غيره . ولم يسمع من الفصحاء الذين دون كلامهم أثّر عليه ولا التأثير عليه ..

وأشهر ما يحتج القائلون بالنيابة قوله تعالى « ولأصلبنكم فى جذوع النخل » .. وحرف الجر فيه للظرفية الخالصة . واستعماله (فى) بدلا من (على) منظور فيه الى ان الصلب فى ذلك العصر هو سمر اليدين والرجلين فى الخشب لا تعليق الجسد . وهى الحال التى يصور فيها عيسى عليه السلام المعتقدون لصلب اليهود له ، وهى شائعة فى التصاوير النصرانية الدينية فلذلك استعملت (فى) فى الآية الكريمة .. انتهى كلامه .

* * *

ينبغي لك وعليك

قال ابو تراب :

قل : ينبغي لك ان تعمل ولا ينبغي لك أن تكسل .. وينبغي لك العمل ولا ينبغي لك هذا الشيء وما ينبغي لك .

ولا تقل : ينبغي عليك أن تعمل . ولا تقل : ينبغي عليك أن تكسل وذلك لأن الفعل (ينبغي) هو بمعنى يراد ويُطلب ويستحب . وما جرى مجراهن من الأفعال كيُنْشَدُ الشيء أي يبحث عنه ويُفحصُ عنه وبمعنى يصلح .

جاء في لسان العرب : قولهم ينبغي لك أن تفعل كذا .. فهو من أفعال المطاوعة . تقول : بغيت فانبغى كما تقول : كسرته فانكسر قال الزجاج : يقال : انبغى لفلان ان يفعل كذا أي صلح له ان يفعل كذا . وكأنه قال : طلب فعل كذا فانطلب أي طاوعه .. ولكنهم اجتزأوا بقولهم انبغى .. ويقال : انبغى الشيء (أي) تيسر وتسهل وقوله تعالى : « وما علمناه الشعر وما ينبغي له » أي ما يتسهل له ذلك . لأنّا لم نعلمه الشعر . وقال ابن الأعرابي : وما ينبغي له « أي » وما يصلح له .

وقال الفيومي في المصباح المنير : وينبغي ان يكون كذا ، معناه : يندب ندبا مؤكدا لا يحسن تركه . واستعمال ماضيه مهجور . وقد عدُّوا (ينبغي) من الأفعال التي لا تتصرف فلا يقال : انبغى وقيل في توجيهه : إن (انبغى) مطاوع بغى ولا يستعمل (انفعل) في المطاوعة إلا إذا كان فيه علاج وانفعال مثل : كسرته فانكسر . وكما لا يقال طلبته فانطلب . ولا قصدته فانقصد ، لا يقال بغيته فانبغى لأنه لا علاج فيه وأجازه بعضهم .

وحكي عن الكسائي انه سمع من العرب : وما ينبغي ان يكون كذا أي ما يستقيم أو ما يحسن . وهذا يؤيد ما ذهبنا إليه من أن المطاوعة خيالية (فانبغى ينبغى) لا مطاوعة فيه . وهو أقدم الأفعال بدلالة وروده في الكتاب العزيز . احتوى استعمال اللام مع الفعل (ينبغي) كما ورد في الآية الكريمة .

ولا حجة في استعمال بعض المتأخرين من اللغويين للحرف (على) مع الفعل (ينبغِي) وهو صاحب كتاب تاج العروس بشرح القاموس فقد قال في مادة (نبأ) من

كتابه هذا : « كان ينبغي على المؤلف » وهذا خطأ والصواب ان يقـول : كان ينبغـي للمؤلف .

قال مصطفى جواد : وقد ذكرنا غير مرة أن (على) تفيد الأذى والتعدى فضلا عن الاستعلاء . فمعنى « ينبغي عليك » هو : يراد على الرغم منك وبغـير موافقـة منـك . كما يقال : افتات عليه أو يفتات عليه . وانتقد عليه أو ينتقد عليه . وباع عليه أو يبيع عليه .

قال الفيومى فى المصباح المنير : وباع عليه القاضى أى من غير رضاه . وفى الحديث لا يخطب الرجل على خطبة أخيه ولا يبيع على بيع أخيه .. أى لا يشترى . لأن النهى فى هذا الحديث إنما هو على المشترى لا على البائع بدليل رواية البخارى .. ولا يبتاع الرجل على بيع أخيه .. ويؤيده الحديث « يحرم سَوْمُ الرجل على سَوْمِ أخيه » ومعنى الحديث فى الخطبة انه لا يجوز للخاطب أن يخطب أمرأة سبقت اليها خطبة رجل آخر . ولم تزل الخطبة فى المداولة والمفاوضة .

قال أبو تراب :

لا ينبغي لك مضارع ماضيه (انبغى) أى تيسر وتسهل ولا ينبغى أى لا يتسهل ولا يتيسر ولا ينبغى بمعنى لا يصلح أيضا .. ولا يكاد يستعمل ماضيـه لكونـه غريبـا وحشيا . لذلك قال اللغويون : إن هذا الفعـل لا يتصرف . ومرادهـم الاقتصـار على استعمال مضارعه بصيغة الافراد والتذكير للغائب المعلوم وهى كلمة قرآنية يجب أن تكون صلتها باللام كما فى القرآن . والكتاب يغلطون فى استعمال (على) بعدهـا . ودعـوى التضمين لا دليل عليها أى ينبغى عليك بمعنى يجب عليك . وتعدية (باع) تأتـى بـ (من) يقال : باعه من فلان .

* * *

اعتذر من وعن

قال ابو تراب

قل : اعتذر فلان من التقصير . ولا تقل : اعتذر فلان عن التقصير لأنه يقال فى الفصيح : اعتذر من التقصير والذنب . لا اعتذر عنهما . جاء فى مختار الصحاح « اعتذر من الذنب » وجاء فى لسان العرب « اعتذر من ذنبه تنصل » . ثم جاء فيه فى الاعتذار بمعنى الدروس وأخذ الاعتذار من الذنب من هذا الأن من اعتذر شاب اعتذاره بكذب يعفى ذنبه ..

وجاء فى وصف عبد الملك بن مروان على لسان عمرو بن العاص « آخذ بثلاث تارك لثلاث : آخذ بقلوب الرجال إذا حدّث وبحسن الاستماع إذا حُدِّث . وبأيسر الأمرين عليه إذا خولف .. تارك للمراء . وتارك لمقاربة اللئيم .. وتارك لما يُعتذر منه » .

وفى شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد (ج ٤ ص ٥٢) فى كتاب لعلى بن أبى طالب بعث به الى قثم بن العباس « فأقم على ما فى يديك قيام الحازم الطبيب والناصح اللبيب ، التابع لسلطانه المطيع لامامه . وإياك وما يعتذر منه ..

وفى الأغانى (ج ١ ص ٢٢٣) وأمالى المرتضى (ج ٢ ص ٢٢) : قال ابن ابى عتيق للثريا : « هذا عمر قد جشمنى السفر من المدينة اليك .. فجئتك معترفا بذنب لم يجنه معتذر اليك من اساءته اليك .

وفى الأغانى (ج ٤ ص ٢٩٨) غنّى الدلال أبو زيد ناقد المدنى مولى عائشة بنت سعيد بن العاص :

طربت وهاجك من تَذَّكر ومن لست من حبه تعتذر

قال ابو تراب :

اذَّكره وادَّكره واذْدكره بمعنى ذكره . « وادَّكر بعد امة » اى نسيان . وفى القرآن : « فهل من مُدَّكر ».. وهو من باب الافتعال من الذكر فلما اجتمعت الذال والتاء أبدلت التاء دالا ثم لما اجتمعت الذال والدال أبدلت الذال دالا فاجتمعت دالان فأدغمت احداهما فى الأخرى فصار ادَّكر وأصله أذتكر على وزن افتعل .

ونعود الى ما كنا بصدده فنقول : جاء فى أنساب الأشراف للبلاذرى (ج ٢ ص ٧٦) : وقال ابن عرادة السعدى فى مدح سلم بن زياد ابن أبيه :

يقولون اعتذر من حب سَلْمٍ إذن لا يقبل الله اعتذارى

وفيه ايضا (ج ١ ص ١٣٢) : مدح الراعى عبيد بن الحصين سعيد بن العاص

بن سعيد بن العاص قال المفضل الضبيّ : قال لوكيله كم عندكم ؟ قال : ثلاثة آلاف دينار .. قال : ادفعها اليه واعتذر من قلتها .

وجاء فى كليلة ودمنة (ص ٣٧٧) فدعا الأسد بابن آوى واعتذر اليه مما كان منه .

وفى مجالس العلماء للزجاجي (ص٢١٥) : وقال عبد الله بن محمد بن البواب خليفة الفضل بن الربيع فى حجبة الهادى بن المهدى فى أمر وقع له مع الأسود بن عمارة النوفلى :

« فدنوت منه وأخبرته خبر الهادى واعتذرت من مراجعتى إياه » .

وفى تاريخ الوزراء لابن الصابى (ص ٢٤٠) : وقال ابو على الحسن بن حمدون : وكتب يوسف بن ديواداذ الى الوزير ابى الحسن على بن الفرات يعرف الخبر ويعتذر اليه من تأخير المال الذى واقفه عليه .

وفى الأغانى (ج ٣ ص ٣٨٣) : وقال بشار بن برد :

قلت إذ شاع ما اعتذارك ممّا ليس لى فيه عندهم عذر

وفى إعتاب الكتاب لابن الأبار (ص ٧٥) وكتاب الوزراء والكتاب (ص ١٦٩) قال ابن عبدوس الجهشيارى :

حكى لنا أن موسى الهادى سخط على بعض كتابه فجعل يقرعه بذنوبه ويتهدده فقال له : يا أمير المؤمنين إن اعتذارى مما تُقَرِّعنى به ردٌ عليك .

وفى كتاب « عصر المأمون » (ص ٣٤٢) قال بعض الفضلاء فى خبر له : « وجعلت اعتذر اليه منه بعذر »

قال مصطفى جواد :

وقد تصحفت (من) الى (عن) فى المصباح المنير مع ان مصحح الطبعة هو الشيخ حمزة فتح الله .. الأديب الكبير المشهور وإنما تستعمل (عن) مع (اعتذر) ومصدره لافادة معنى النيابة .

يقال : اعتذر زيد عن عمرو من الذنب الذى جناه أو من تقصيره ..

ومنه ما ورد فى مستدرك المعجمات لدوزى (ج ١ ص ١٠٧) « ألا اعتذرت لهم عنى .. لأنه لم يرد لقاءهم » ..

وفى (ن س ل) من لسان العرب : « ذكره ابو منصور واعتذر عنه انه أغفله فى بابه فأثبته فى هذا المكان .

وفى الحماسة لأبى عبادة البحترى .. باب معقود فى الاعتذار من الجزع .

وقفت تجاهه وأمامه

قال ابو تراب :

قل : وقفت تجاه فلان .. وقمت بازائه ووقفت قبالته ولا تقل : وقفت أمامه لأن معنى قولك :: وقفت أمامه انك وليته ظهرك وجعلت وجهك فى ضد وجهته كما تقول : سرت أمامه .

قال مصطفى جواد : ومن يرد ان يعرف معنى (أمام) فليتذكر وقوف الامام فى الصلاة .. فالاسمان من أصل واحد ويدلان على وجهة واحدة . فالامام يقف (أمام) المصلين المؤتمين به ويؤمهم أى يوليهم ظهره ولا يستقبلهم . ولذلك ولغيره سمى (إماما) وفى شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد (ج ٤ ص ٥٣٧) فى ذكر آداب المتعلم وما يجب عليه للمعلم مما نسب الى امير المؤمنين على بن أبى طالب :

« وان تعظمه وتوقره ما حفظ أمر الله وعظّمه . وأن لا تجلس أمامه » أى أن لا تولّيه ظهرك .

وفى الشرح المذكور (ج ٢ ص ٥٠٩) قال على بن أبى طالب : فكونوا كالسابقين قبلكم والماضين أمامكم . قوِّضوا من الدنيا تقويض الراحل . واطووها طيَّ المنازل .

وفى تاريخ الطبرى (ج ٤ ص ١٥٦) قال ابن علقمة سنة ١٥ هـ

ارَّق عينى أخوا جذام كيف أنام وهما أمامى
إذ يرحلان والهجير طامى أخو جُشنيم وأخو حرام

قال أبو تراب :

الأمام نقيض الوراء كقدَّام يكون اسما وظرفا وهو من الأسماء الملازمة للاضافة . قال الكسائى : أمام مؤنثة وإن ذكرت جاز قال سيبويه : وقالوا أمامك إذا كنت تحذره أو تبصره شيئا .. وتقول : أنت أمامه أى قدامه .

قال ابو تراب : ومن ذلك قوله ﷺ : الصلاة أمامك .. فيما رواه البخارى وغيره . وذلك فى حجة الوداع حين سأله أسامة بن زيد وكان ردف رسول الله ﷺ من عرفات . فلما بلغ الشعب الأيسر الذى دون المزدلفة أناخ . وتوضأ وضوءا خفيفا وكان أسامة يصب

الماء فقال : يا رسول الله أتصلى ؟ قال : المصلى أمامك .. يعرفه بالجمع بين الصلاتين المغرب والعشاء بالمزدلفة .

والأمام بمعنى القدام . وفلان يؤم القوم يقدمهم .. ويقال : صدرك أمامُك (بالرفع) إذا جعلته اسما .. وتقول : أخوك أمامَك بالنصب لأنه (صفة) وقال لبيد فجعله اسما يصف بقرة وحشية ذعرها الصائد .. ويصف خوفها من فرجة الأرض التى أمامها ومن فُرْجتِها خلفها .. والفَرْجْ : الواسع من الأرض .. فقال :

فعــدت كلا الفرجَــينْ تحســب أنه مولى المخافــة خلفُهــا وأمامُها

ومولى مخافتها أى وَلىُّ مخافتها وفى شرح ديوان لبيد (ص ٣١١) عن ثعلب قال : المولى فى هذا البيت معناه أولى . كأنها تحسب أن كلَّ فرج من الأرض أولى بالمخافة من الثانى لحيرتها وهذا من معلقته المشهورة :

عفت الديار محلُّها فَمُقَامُها

وقبل البيت المذكور :

وتوجَّســـتْ ركز الأنيس وراعها عن ظهــر غيــب والأنيس سقامها

والامام أخذ من الأمام وهو المتقدم القوم . وفلان يؤمهم اى يتقدمهم .

قال الدامغانى فى كتاب الوجوه والنظائر (ص ٤٤) :

والامام فى القرآن جاء على خمسة وجوه : الأول : بمعنى القائد وذلك كقوله تعـالى لابراهيم عليه السلام : « إنى جاعلك للناس إماما » يعنى قائداً فى الخير يقتدى بمثالك وسنتك .

والثانى : بمعنى الكتاب كقوله تعالى : « يوم ندعو كل أناس بإمامهم » اى بكتابهم الذى عملوا فى الدنيا .

والثالث : بمعنى اللوح المحفوظ كقوله تعالى : « وكل شىء أحصيناه فى إمام مبين » يعنى فى كتاب هو اللوح المحفوظ .

والرابع : بمعنى التوراة كقوله تعالى : « ومن قبله كتاب موسى إماما » يعنى التوراة .

والخامس : بمعنى الطريق الواضح كقوله تعالى : « وإنهما لبإمام مبـين » .. يعنـى بالطريق الواضح .

قال ابو تراب : والامام المثال فى شعر النابغة حيث قال :

أبــوه قبلــه وأبــو أبيه بنــوا مجــد الحياة على إمام

وقوّمت البناء على الأمام وهو الزِّيْقُ وانشد التوَّزى يصف سهما :

وخلّقتــه حتــى إذا تم واستوى ... كمخَّــة ساق أو كمتــن إمام

وفى شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ج ١ ص ٨٧ : قال أبو مخنف فى بعض أخبار حرب الجمل : « وبلغنا أن عبد الرحمن بن طود البكرى قال لقومه : أنا والله قتلت عمرواً وأن الأشتر كان بعدى وأنا أمامه فى الصعاليك فطعنت عمرواً طعنةً لم أحسب أنها تجعل للأشتر دونى وإنما الأشتر ذو حظ فى الحرب وإنه ليعلم أنه كان خلفى ولكن أبى الناس إلا أنه صاحبه .

وفى الأغانى (ج ١٤ ص ٣٥٠) : وقال حماد عجرد فى منيعة جارية أبى عمرو بن العلاء وكانت رسحاء عظيمة البطن :

لو تأتــى لك التحــول حتى ... تجعلى خلفــك اللــطيف أماما

ويــكون القــدام ذو الخلقة الجزلة ... خلفــا مؤثــلا مستطاما

لأذن كنــت يا منيعــة خير ... النــاس خلفــا وخيرهــم قداما

وفى مجمع الزوائد (ج ٨ ص ١٣٧) عن عائشة : أتى رجل ومعه شيخ فقال له رسول الله ﷺ : يا فلان : من هذا معك ؛ قال أبى .. قال : فلا تمش أمامه ولا تجلس قبله ولا تدعه باسمه ولا تستب له .. أخرجه الطبرانى فى الأوسط .

* * *

وزع فيهم وعليهم

قال ابو تراب :

قل : وزع بينهم الجوائز .. ووزعها فيهم إذا أعطاهم إياهم مفرقة ولا تقل : وزع عليهم الجوائز إذا أعطاهم إياها مفرقة .. نبه على ذلك مصطفى جواد فى كتابه .

وذلك لأن وزع بمعنى فضَّ وفرق وقسَّم فاذا استعملت حرف الجر (على) معه وهى للأذى والتسلط والتكليف والاستعلاء كان معنى وزع عليهم : جعل عليهم ضريبةً وإتاوة وتكليفا . ومن المعلوم ان الجائزة ليست ضريبة ، أعنى أنها يعطيها المجيز غيره من مستحقيها ولا يأخذها . يضاف الى ذلك أن مراد القائل : وزع عليهم الجوائز : هو أنه أعطاهموها . لا أخذها منهم ولا ضربها عليهم .

ثم إن المسموع من فصحاء العرب . والمذكور فى كتب اللغة هو أن يقال : وزع الأشياء بينهم أو فيهم إذا أريد أنه فرقها فيهم . وأعطاهم إياها مفضوضة .

جاء فى لسان العرب : التوزيع القسمة والتفريق . ووزع الشىء قسمه وفرَّقه . يقال : وزعنا الجزور فيما بيننا .

وفى الحديث انه ﷺ حلق شعره فى الحج ووزعه بين الناس . أى فرقه وقسمه بينهم . وزعه يوزعه توزيعا .

وقد نقل ابن منظور من أقوال العرب « وزعه بينهم » ووزعه فيما بينهم .. لأن المراد الاعطاء .

وقال جار الله العلامة محمود الزمخشرى فى أساس البلاغة وزع المال والخراج توزيعا قسمه .

وقال ايضا : خُيِّف المال بينهم وُزِّع .

أمّا شاهد وزعه فيهم بمعنى أعطاهم إياه مفرقا فما رواه الواقدى فى مغازيه قال : قال خفاف بن إيماء بن رحضة : كان أبى ليس شىء أحب إليه من إصلاح بين الناس وكان موكلا بذلك فلما مرت به قريش أرسلنى بجزائر عشر (يعنى الابل جمع جزور) هدية لها .. فأقبلت أسوقها وتبعنى أبى فدفعتها الى قريش فقبلوها ووزعوها فى القبائل .

قال : وزعوها فى القبائل لا عليها . وإذا قال قائل : وزع فلان عليهم مالا ..

فمعنى ذلك وضعه عليهم ضريبة أو عقوبة أو إتاوة أو خراجا وأوجب عليهم دفعه اليه .. وذلك كما يقال : وظف عليهم وظيفة .. وضرب عليهم مالا . وأوجب عليهم مالا . وشاهده ما ورد فى مغازى الواقدى أيضا : قال : قال خفاف بن إيماء : مر أبى على عتبة بن ربيعة وهو سيد الناس يومئذ فقال له : يا أبا الوليد .. ما هذا المسير ، قال : لا أدرى والله (غُلبت) قال أبى : فأنت سيد العشيرة فما يمنعك ان ترجع بالناس وتحمل دم حليفك ؟ وتحمل العير التى أصابوا بنخلة . فتوزعها على قومك . فوالله لا يطلبون قبل محمد إلا هذا .

إنه قال : فتوزعها على قومك . أى (يؤدوها) الى مستحقيها مفرقة عليهم .

قال أبو تراب : خفاف بن إيماء جده رحضة وقد جاء فى كتاب (قل ولا تقل) رخْصَةُ وهو غلط . وكان خفاف إمام بنى غفار وخطيبهم له خمسة أحاديث منها حديث دعائه عليه السلام على رعل وذكوان ولحيان . وهى قبائل كان منها عداء للاسلام .

وأما التوزيع فهو كما ذكرنا بمعنى التقسيم والتفريق ومنه قولهم : بها أوزاع من الناس وأوشاب .. أى ضروب متفرقون وتقول : ذهبت نفسه شعاعا ولحمه أوزاعا .. قال يزيد بن الحكم الثقفى :

فرددت عادية الكتيبة عن فتى قد كاد يترك لحمه أوزاعا

ويقال : مالكم إلا أوزاع من الصرَمِ - جمع صرمة وهى القطعة من الابل - قال :

فاستدبروا كل ضحضاحٍ مُدَفَئةٍ والمحصنات وأوزاعا من الصرَمِ

استدبروا اى استاقوا والضحضاح : الابل الكثيرة .

ومن المجاز قولهم : توزعته الأفكار . وهو متوزع القلب . وهذا كقولهم : فلان شتيت الذهن . ومن هذه المادة قوله :

(إذا لم أزع نفسى عن الجهل والصبا لينفعها علمى فقد ضرها جهلى)

* * *

احاطوها به واحاطوه بها

قال أبو تراب :

يقولون : أحاطوا المحادثات بالكتمان . وهذا خطأ .. والصواب « أحاطوا الكتمان بالمحادثات » كقولك أحاطوا المكان بالحواجز وأحاطوا الحديقة بالأشواك . لأن المحاط به هو المكان فكذلك « المحادثات » هي التي أحيطت بالكتمان . لا الكتمان أحيط بالمحادثات ففي هذا التعبير ينعكس المراد . وإذا أردت ان تعرف هذا فتذكر المثل القائل « حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق » .. فالقلادة هي التي تحيط بالعنق . ولا يتصور إحاطة العنق بالقلادة قط

قال مصطفى جواد في كتابه :

قل : أحاطوا الكتمان بالمحادثات .. وينبغي إحاطتهم الكتمان بالمحادثات ، ولا تقل : أحاطوا المحادثات بالكتمان وينبغي إحاطتهم المحادثات به .

وذلك لأن معنى أحاط الشيء بغيره وإحاطته إياه بغيره هو جعله له كالحائط والحِظار والسور والجدار .

ومن (البديهي) أن (أحاط) الرباعي المستعمل غالبا للأذى مأخوذ من الثلاثي (حاط) المستعمل غالبا للخير . يقال : « حاطه يحوطه » حوطا وحيطة وحياطة .. أي حفظه وصانه وحماه . ومنه الحائط وهو بمعنى الحافظ . وتطور اللغة يشعر بأن أصل حاطه هو حاط به كما أن أصل حفّه يحفّه . هو حفّ به وكلاهما فصيح أي حفّه وحفّ به .

فحذف الباء من حاط به قديما لم يُغْنِ الفعل الرباعي عن استصحاب الباء فقالوا : أحاط به . والمفعول مقدر . والتقدير « أحاط الشيء به » أي جعله له كالحائط . وحذف المفعول من جملة الفعل لا يدل على ان الفعل لازم ولو كان هذا الحذف شبيها بالدائم كمثل صبر وكف ودافع وحامى . فالأصل صبر نفسه وكف نفسه ودافع غريمه وحامى خصمه وعدوه .

وعلى هذا يكون الأصل في الجملة المذكورة آنفا حاط الكتمان بالمحادثات . وحَوْطُ الكتمان بالمحادثات . فاذا أدخلنا همزة التعدية الثانية قلنا : أحاط فلان الكتمان بالمحادثات . وينبغي إحاطتهم الكتمان بالمحادثات . ولا يجوز قلب المعنى بأن يقال : أحاطوا المحادثات بالكتمان . فمعنى ذلك أن المحادثات صارت كالحائط للكتمان وليس ذلك بالمراد . بل هو عكس المراد .

فقل : أحاطوا الكتمان بالمحادثات وينبغى احاطتهم الكتمان بالمحادثات .

جاء فى نهج البلاغة : « أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذى ضرب الأمثال ووقت لكم الآجال وألبسكم الرياش وأرفغ لكم المعاش وأحاط بكم الاحصاء » أى جعل الاحصاء من حولكم .

والاحصاء فى هذه العبارة كالكتمان فى تلك العبارة .. وجاء فى الدعاء المرفوع : اللهم من أراد بنا سوءاً فأحط به ذلك السوء كاحاطة القلائد بترائب الولائد .

قال أبو تراب : وفى الحديث « وتحيط دعوته من ورائهم » أى تحدق بهم من جميع جوانبهم . يقال : حاطه وأحاط به ومنه قولهم : (أحطت به علما) أى أحدق علمى به من جميع جهاته وعرفته . وفى حديث العباس بن عبد المطلب قوله لرسول الله ﷺ : « ما أغنيت عن عمك . فانه كان يحوطك ويغضب لك - يعنى عمه.

قال ابن الأثير فى غريب الحديث « حاطه يحوطه حوطا وحياطة إذا صانه وذبَّ عنه . وتوفَّر على مصالحه » .

قال أبو تراب : وفى القرآن العظيم : « إلا أن يُحاط بكم » أى (تؤخذوا) من جوانبكم . وقوله : « والله من ورائهم محيط » أى لا يعجزه أحد .. قدرته مشتملة عليهم وكذلك قوله : « أحيط بثمره » .. أى أتى عليه من جميع جوانبه .. وقولهم : حاوطه فانه سيلين لك أى داوره كأنك تحوطه وهو يحوطك قال ابن مقبل :

وحاوطته حتى ثنيت عنانه على مدبر العِلْبَاءِ ريان كاهله

العلباء .. عصبة صفراء فى صفحة العنق وهما علباوان وعلباآن بينهما منبت عرف الفرس .
وإذا نزل بالانسان خطب فلم يحطه أخوه وترك معونته .. قيل : حاطك القصا .. وهو تهكم أى حاطك فى الجانب القصا وهو البعيد ومعناه لم يحطك ومنه قولهم : حُطْنى القصا وإلا نكلت بك ، أى تباعد عنّى .

* * *

توفر عليه وله

قال أبو تراب :

قال الفصحاء : توفر الشيء عليه .. لا له .. « وتوفر فلان على فلان » ..

فقل توفر عليه ولا تقل توفر له .. وقال اسعد خليل داغر فى تذكرة الكاتب (ص ٦٦) :

ويستعملون الفعل « توفر » بمعنى وفر او توافر اى كثر .. فيقولون : يجب ان تتوفر فيه الخبرة التامة .. وهذا الأمر لم تتوفر فيه الأسباب الكافية . وفى اللغة توفر عليه رعى حرماته وصرف همته اليه ..

وقد رد عليه مصطفى جواد فقال : لا نقول كقول الداغرى فانه كان متسرعا فان (توفر) ورد فى كلام الفصحاء وانه يختلف عن الفعل (توافر) فهذا بمعنى تكاثر . والقائل (توفر) لم يرد التكاثر بل اراد : تجمع وحصل . ولكنهم يستعملون (على) معه .

ومن أدلة ما ذكرناه ما جاء فى شرح نهج البلاغة (ج ٤ ص ١٢٦) من قول زياد بن سمية : « ما يتوفر على من تهالك غيرهم على العمارة وأمنهم جورى أضعاف ما وضعت عن هؤلاء .

وفى كتاب الفرج بعد الشدة للقاضى التنوخى (ج ٢ ص ٤٣) قال رجل لآخر من اهل الكوفة : وأنا أسألك ان تقوم معى الى رحلى فتكون فى ضيافتى الى الكوفة وتتوفر دنانيرك عليك .

وفى طبقات الشعراء لابن المعتز (ص ٢٤١) قال : أبان بن عبد الحميد لأبى نواس : فان أنت توليته ـ يعنى ترجمة كليلة ودمنة شعرا ـ مع تشاغلك بلهوك ولذتك لم يتوفر عليك فكرك وخاطرك ولم يخرج بالغا فى الجودة والحسن . وان توفرت عليه واهتممت به قطعك ذلك عن لهوك ولذتك ومتعتك .

وفى تجارب الأمم (ج ٥ ص ٣٨١) وكانت الكرامة متوفرة عليه من الأمير أبى عبد الله الحسين من ابى على العارض يعنى البريدى ثم قال فى (ج ٦ ص ٢٧٤) . وأومأ الى مصالحته على مال يحمله يقوم بما أنفق على ذلك العسكر . وتتوفر بعد ذلك بقية على خزانة السلطان ويضمن إصلاح حاله .

وفى ذيل تجارب الأمم (ج ٧ ص ١٩٤) قال الوزير أبو شجاع ناقلا : « فقال له الصوفى : هذا شيء يجب ان يتوفر عليك وقد علمت لأصحابنا ما يصلح لهم »

وفى شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد (ج ٤ ص ٩٢) : « فليت شعرى ما يتوفر على أبى بكر وستة نفر معه »

وفى مختصر مرآة الزمان (ج ٨ ص ٤١٣) قال سبط ابن الجوزى هو الذى أشار بخراب عسقلان لتتوفر العناية على حفظ القدس »

وفى كتاب الحوادث (ص ٤٩٣) الذى سمى غلطا بالحوادث الجامعة « فأمر السلطان باجرائهم على عادتهم منذ فتحت بغداد فتوفر عليهم شيء كثير »

فهذه شواهد الواقع اللغوى لاستعمال « توفر عليه » من عصر زياد بن سمية الى القرن السابع للهجرة .

وجاء فى لسان العرب : توفر عليه اى رعى حرماته .. وتوفر على فلان اى يبرّه » ولم يخرج عن ذلك الحرف . وليست نيابة حروف الجر بعضها عن بعض قياسية . وإن ورد أكثرها فى الشعر وأقلها فى النثر .

ألا تراك لا تقول : غضبت له بمعنى غضبت عليه . ولا تعصبت له بمعنى تعصبت عليه . ولا حكمت له بمعنى حكمت عليه . ولا وظفت له بمعنى وظفت عليه . ولا قلت له بمعنى قلت عليه . ولا وقفت له بمعنى وقفت عليه فالصواب أن نقول : (توفر عليه)

قال أبو تراب : دعوى نيابة حروف الجر بعضها عن بعض باطلة بل ينبغى الاقتصار على المسموع منها المستعمل على ألسنة الفصحاء . ومن قولهم : وفرت عليه حقه فاستوفره . نحو وفيته إياه فاستوفاه . ومن أمثالهم : (تُوفَرو تُحْمَد) أى يصان عرضُك ويُثْنَى عليك . وهذا المثل لم أجده فى مجمع الأمثال للميدانى على سعته وشموله وإنما وجدته فى أساس البلاغة للزمخشرى .

ومما يذكر فى هذا الباب قولهم (الوافرة) للدنيا أو الحياة أنشد ابن الأعرابى فى هذا المعنى :

(وعلمنا الصبر آباؤنا : وخُطَّ لنا الرمى فى الوافرة)

* * *

حال منتقلة وغير منتقلة

قال أبو تراب :

ومن الأخطاء الشائعة بين الكتاب استعمالهم كلمات على أنها (حال) في الاعراب مع أنها غير منتقلة الصفات ولا مشتقة . ومعنى الانتقال : أن لا تكون ملازمة للمتصف بها نحو « جاء زيد راكبا » فراكبا وصف منتقل لجواز انفكاكه عن زيد بأن يجيء ماشيا .. فكذلك الحال .

لذلك كان قولهم : تجمع الناس بمسجد الخيف عربا وتركا وفُرْساً وهنوداً .. خطأ . لان العرب والترك والفرس والأهاند أجيال من الناس لا تتبدل . فالاتيان بها حالا في درج الكلام مناف لذلك . والصواب استعمالها بدلاً كأن تقول : تجمع الناس بالخيف من منى عربهم وتركهم وفرسهم وهنودهم وهلم جرا .

وقال مصطفى جواد : قل احتفل اهل العراق عربهم وأكرادهم وتركمانهم ولا تقل : عربا واكرادا وتركمانا ـ لأن « عربا » في قولهم : عربا وأكرادا حال . والعرب جيل من الاجيال الكبيرة الشهيرة . والحال من اسم الجيل لا تجوز وإنما الحال لمتبدل الأحوال . فان عددت العرب حالا هاهنا جاز أن يكونوا هم أنفسهم غير عرب في موضع آخر ، كما نقول : جاء فلان راكبا فرسا . فانه يجوز أن يكون في موضع آخر ووقت آخر جالسا أو نائما أو ماشيا فهذه صفة الحال .

فالصواب إعراب هذه الاسماء وأمثالها على البدلية نقول : احتفل أهل العراق عربهم وأكرادهم وتركمانهم ولا يجوز أن نقول عربا وأكرادا وتركمانا .. لأن العرب لا يتبدلون بغير العرب والأكراد لا يصيرون قوما آخرين والتركمان لا ينقلبون عربا ولا أكرادا ولا غيرهم . وهذا واضح لكل ذي عقل سليم .

قال أبو تراب : هذا الذي ذكره هو الغالب الأعم كما قال ابن مالك : **وكونه منتقلا مشتقا : يغلب لكن ليس مستحقا .**

يعني الأكثر في الحال أن يكون منتقلة مشتقة . وقد تجيء الحال غير منتقلة أي وصفا لازما نحو « دعوت الله سميعاً » و « خلق الله الزرافة يديها اطول من رجليها » وقال رجل من بني جناب :

فجاءت به سَبْطَ العظام كأنما ... عمامته بين الرجال لواء

« فسميعا وأطول وسبط » أحوال وهى أوصاف لازمة .

قال النحاة : تجيء الحال غير منتقلة فى ثلاث مسائل :

الأولى : أن يكون العامل فيها مشعرا بتجدد صاحبها نحو قوله تعالى « وخلق الانسان ضعيفا » ومثله البيت المتقدم آنفا

الثانية : أن تكون الحال مؤكدة إما لعاملها نحو قوله تعالى : « فتبسم ضاحكا » - وقوله : « ويوم أبعث حيا » وإما مؤكدة لصاحبها نحو قوله تعالى : « لآمن من فى الارض كلهم جميعا . » وإما مؤكدة لمضمون جملة قبلها نحو قولهم : زيد أبوك عطوفا .

الثالثة : فى أمثلة مسموعة لا ضابط لها كقوله تعالى : « أنزل اليكم الكتاب مفصلا » وكقوله : « قائما بالقسط »

واستكمالا للبحث نذكر أن الحال قد تأتى جامدة وهى فى تأويل المشتق . ولها ثمانية مواضع :

الأول : أن تدل على سعر نحو : بعه مداً بدرهم أى بعه مسعراً كل مدّ بدرهم .

والثانى : أن تدل على تفاعل نحو : بعته يداً بيد أى مناجزة .

والثالث : أن تدل على تشبيه نحو : كرّ زيد أسدا أى مشبها الأسد

والرابع : أن تدل على ترتيب كقولك : ادخلوا الدار رجلا رجلا

والخامس : أن تكون الحال موصوفة نحو قوله تعالى « قرآنا عربيا » وقوله : « فتمثل لها بشرا سويا »

والسادس : أن تكون دالة على عدد نحو قوله تعالى : « فتم ميقات ربه أربعين ليلة » .

والسابع : أن تدل على طور فى تفضيل نحو قولهم : هذا بسراً أطيب منه رطبا .

والثامن : أن تكون الحال نوعا من صاحبها كقوله تعالى : « وتنحتون الجبال بيوتا » أو تكون أصلا لصاحبها كقوله تعالى : « أأسجد لم خلقت طينا » ولم يختلف النحاة فى تأويل المواضع الأربعة الأولى بمشتق . وتكلفوا فى الاربعة الباقية . وبهذا عرفت ما فى كلام مصطفى جواد من تحجير الواسع .

* * *

تأسس وأسس

قال أبو تراب : ومن الأخطاء الشائعة أيضا قولهم : تأسست هذه المدرسة فى سنة كذا . وتأسس هذا البناء أو المسجد فى زمن فلان . والصواب أن يقال : أسست هذه المدرسة فى السنة الأولى من حكم فلان ، وأسس هذا المسجد على عهد فلان .

قال الله تعالى : « لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه » وقال أيضا « أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من اسس بنيانه على شفا جرف هار » وذلك لأن مسجد قباء أَسَّسَهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه أيام مقامه بقباء . وفى صحيح مسلم أن أبا سعيد الخدرى قال : سألت رسول الله ﷺ عن المسجد الذى أسس على التقوى . فأخذ حصباء فضرب بها الأرض وقال : هو مسجدكم هذا مسجد المدينة وقرىء : أسّس بنيانه ، وأُسّس بنيانه على البناء للفاعل والمفعول.. وأُسُس بنيانه جمع أساس على الاضافة.. وأساس بنيانه بالفتح والكسر جمع أس ، وآساس بنيانه على وزن أفعال جمع أس أيضا . وأس بنيانه ، والمعنى : أفمن أسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهى الحق الذى هو تقوى الله ورضوانه خير أم من أسسه على قاعدة هى أضعف القواعد وأرخاها وأقلها بقاء . وهو الباطل . والنفاق الذى مثله مثل شفا جرف هار فى قلة الثبات والاستمساك .. ذكره صاحب الكشاف .

وفى لسان العرب : قال الليث : تقول : أسست داراً إذا بنيت حدودها ورفعت من قواعدها . وجاء فى القاموس : والتأسيس بيان حدود الدار ورفع قواعدها . وبناء أصلها . وقال الزمخشرى فى أساس البلاغة : من لم يؤسس ملكه بالعدل فقد هدمه .

قال مصطفى جواد : وهذا الفعل وأمثاله تؤيد دعواى بأن المطاوعة المزعومة فى اللغة حديث خرافة . فإن العربى الفصيح لم تطاوعه نفسه على أن يقول : تأسس المسجد والمدرسة وإنما يقول أسس المسجد والمدرسة .. وعلى ذلك يُقَاس .

وذلك لأن الفعل (تأسس) خاص بما يقوم بنفسه والمدرسة وأشباهها من العمارات والمسجد وأمثاله من البنيان لا تقوم بأنفسها . أعنى أنها لا تكون كونا طبيعيا كالنبات والبشر والحيوان .

وليس من شىء مصنوع يقوم أساسه بنفسه . لأن الأساس بعينه معمول ومصنوع أى ناشىء عن العمل والصناعة .

ولذلك لم تستعمل العرب قط الفعل (تأسس) وإنما هو من اللغة العامية . لأن اللغة العامية فقدت الفعل المبنى للمجهول منذ عصور كثيرة . فلا يقول العوام : أكل الطعام بل يقولون (أنأكل .. أو أنكال . أو انوكل) على اختلاف لهجاتهم .

ولا يقولون : أسست الدار بل يقولون (تأسست) فالصواب : أسست المدرسة ، وأسس المسجد .

وقال ابن فارس : الهمزة والسين يدل على الأصل والشيء الوطيد الثابت . فالأساس أصل البناء . والأس : أصل الرجل والأس : وجه الدهر . ويقولون : كان على أس الدهر

قال الحرمازى الكذاب :

وأس مجد ثابت وطيد نال السماء فرعه المديد

وفى أساس البلاغة : فلان بنى بيته على أساسه الاول وقلعه من أسه . ومن المجاز : مازال فلان مجنونا على أس الدهر استه : أى على وجهه . وفلان أساس أمره الكذب ..

وفى اللسان : الأساس مبتدأ كل شيء . وأصل البناء والأسيس أصل كل شيء . وأس الانسان قلبه . ويقال : هذا تأسيس حسن .

وفى المثل : ألصقوا الحَسَّ بالأَسِّ والحسٌ فى هذا الموضع : الشر . والأس : الأصل . يقول : ألصقوا الشر بأصول من عاديتم أو عاداكم . قال الأزهرى فى التهذيب : والحس والأس بالفتح . وقال الجوهرى بالكسر .

* * *

انصاع للأمر

قال أبو تراب :

يقولون : « فلان انصاع لأمر فلان » وهذا من الأخطاء الدارجة التى لم يسلم منها الكتاب والخطباء . والانصياع لا يدل على الاذعان للأمـر . لأن هذه المادة تدل على التفرق والتصدع.

قال ابن فارس فى مقاييس اللغة : الصاد والواو والعين أصل صحيح وله بابان : أحدهما يدل على تفرق وتصدع . والآخر إناء فالأول قولهم : تصوعوا إن تفوقوا قال ذو الرمة :

عسفت اعتساف الصدع كل مهيبة   تظل بها الآجال عنى تصوع

ويقال : تصوّع شعره إذا تشقق . كذا قال الخليل . وقال أيضا : تصوع النبت : هاج . ويقال : انصاع القوم سراعا .. إذا مروا .

فأما الاناء فالصاع والصواع . وهو إناء يشرب به وقد يكون مكيال من المكاييل صاعا .. وهو من ذوات الواو وسمّى صاعا لأنه يدور بالمكيل ـ ويقال إن الكمىً يصوع بأقرانه صوعا إذا أتاهم من نواحيهم .. والرجل يصوع الأبل ومن الباب : الصاع وهو بطن من الأرض فى قول المسيب بن علس من قصيدة فى المفضليات (ج ١ ص ٦٠) :

مرحت يداها للنجاء كأنما   تكرو بكفّى لاعبٍ فى صاع

ومنه صاع جؤجؤ النعامة وهو موضع صدرها إذا وضعته بالأرض

وقال الجوهرى فى الصحاح : صعت الشىء فانصاع اى فرقته فتفرق .. ومنه قولهم : يصوع الكمىُّ أقر انه إذا أتاهم من نواحيهم وانصاع أى انفتل راجعا . ومرمسرعا . والتَّصوُّع : التفرق .

وقال الزمخشرى فى أساس البلاغة : رأيت التمر يصاع أى يكال بالصاع . ومن المجاز : الراعى يصوع إبله . والكمىُّ يصوع أقرانه يحوذهم كما يصوع الكائل المكيل . ومنه انصاع القوم اذا مروا سراعا . والصبيان يلعبون بالكرة فى صاع من الارض وهو مكان مطمئن . وضربه فى صاع جؤجؤه وفى صاع صدره وهو وسطه . وصوع الطارق موضعا للطرق هيأه وسوّاه ويقال : اتخذ لصوفك صاعة .

قال أبو تراب : هى كالنطع لندف الصوف . والطارق : الندّاف

وقال الأزهرى فى تهذيب اللغة ومعنى الكمى يصوع أقرانه أى يحمل عليهم فيفرق جمعهم .

وقال الفيروز ابادى فى القاموس : انصاع : انفتل راجعا مسرعا .

وفى لسان العرب : صاع الغنم صوعا فرقها ـ قال أوس بن حجر :

يصـــوع عنوقهـــا أحـــوى زنيم   لـــه ظأب كما صخـــب الغريم

قال أبو تراب : الظأب : الصياح والجلبة . وصاع القوم : حمل بعضهم على بعض .. وصاع الشيء ثناه ولواه .. والمنصاع : الناكص قال ذو الرمة :

فانصـــاع جانبـــه الـــوحشى وانكدرت   يلحبـــن لا يأتلى المطلـــوب والطلب

وفى حديث الاعرابى : فانصاع مدبرا .. أى ذهب مسرعا وقول رؤبة : (فظل يكسوها النجاءَ الأصيعا) ويروى بالواو وهو الاصل.وصوع موضعا للقطن هيأه لندفه . وربما اتخذت صاعة من اديم كالنطع لندف القطن او الصوف عليه . والصاعة أيضا : البقعة الجرداء تكسح وتنحّى حجارتها لِيَكْرُو فيها اللاعبون بالكرة .

قال ابو تراب : وهذا معنى قول ابن علس (**تـكرو بكفـى لاعـب فى صاع**)

وصوعته الريح أى صوحته قال ذو الرمة :

وصـــوع البقـــل نأآج تجـــىء به   هيف يمـــانية فى مرّهـــا نكب

قال أبو تراب : النَأْآج الريح الشديدة الهبوب . والهيف الحارة وهى التى تأتى بين الجنوب والدبور . تيبس النبات وتعطش الحيوان وتنشف المياه فيقال : هبت الهيف اى الريح الحارة .

وقال ابو ذؤيب الهذلى يصف الثور الوحشى :

فانصـــاع من حذر فســـدً فروجـــه   غضف ضوار وافيان وأجدع

قال القرشى فى الجمهرة : انصاع أى انحرف .

قال أبو تراب : والغضف : كلاب الصيد . وقال الأخطل التغلبى :

فانصـــاع كالـــكوكب الـــدرى ميعته   غضبـــان يخلـــط من معـــج وإحضار

وقد تبين مما أسلفنا أن الانصياع لا يؤدّى المعنى المراد منه فاستعمال أذعن له أو ائتمر بأمره أو اطاع أمره خير من ذلك والاذعان كلمة قرآنية قال تعالى : « وإن يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين » أى منقادين خاضعين ..

وفى تذكرة الكاتب : وكثيرا ما يبنون انفعل من أفعال لم يسمع فيها بالمعنى الذى أرادوه أو لم يسمع منها قط فيقولون : انصاع لمشورته وانفسد من معاشرته . وانكدر عيشه وانشغل عنه فكل ذلك خطأ لأن معنى انصاع رجع مسرعا .. أما انفسد وانكدر وانشغل فلم تسمع قط .

جموع أسماء الشهور والأيام

قال ابو تراب :

ويغلط الناس فى جمع اسماء الشهور العربية والأيام . فقلَّ مَنْ يعرف ان جمع رجب مثلا : أرجاب وجمع شوال : شواويل وجمع الخميس أخمساء . وقد ورد علينا سؤال فى هذا المعنى ووقعت فيه مسابقة فى اذاعة لندن . ولا نعرف ما الذى أجاب به المشاركون ..

وجوابنا وبالله التوفيق : أن المحرم يجمع على المحرمات وصفر يجمع على أصفار والربيعان يجمعان على اربعة وأربعاء .. والجماديان على جماديات وكذلك رمضانات وشعبانات وشوالات أو شواويل وذوات القعدة وذوات الحجة .

وقد قرأت للفقيه الأصولى المفتى الشيخ علاء الدين محمد بن على الحصفكى الدمشقى النحوى المتوفى سنة ١٠٨٨ هـ وهو صاحب إفاضة الأنوار على أصول المنار فى الفقه وشرح قطر الندى فى النحو ابياتا فى هذا المطلب ونقلها محمد العنانى فى الروضة الأدبية (ص ٢٢١) حيث قال رحمه الله :

ومستفيد أتانى كى أعرِّفَه جمع الشهور مع الايام فانتفعا
وسامنى ذكرها نثرا فقلت له خذ ذاك نظما فان الحقَّ قد نصعا
محرمات واصفار واربعة واربعاء تجوز اللفظتان معا

قال أبو تراب : الفصيح : استعمال المحرم بالالف واللام . وصفر هو بعد المحرم . وقد يمنع من الصرف باعتبار وزن الفعل مع العلمية وهو ضعيف . والربيع عند العرب ربيعان : ربيع شهور وربيع زمان فربيع الشهور اثنان . قالوا : لا يقال فيها الاشهر ربيع الأول وشهر ربيع الآخر على الوصف وقد يضاف شهر الى ربيع . والتزمت العرب لفظ شهر قبل ربيع تمييزا له عن ربيع الفصل - ثم قال الحصفكى :

وقل شهور ربيع ان اردت فما أثبت من ذاك ما أثبتّ مبتدعا
واجمع جمادى اذا شئت او رجبا جماديات وارجابا كما سمعا

قال ابو تراب : جمادى : اسم شهرين من شهور السنة العربية معرفة مؤنثة فان ورد مذكرا فى شعر فانما يذهب به الى معنى الشهر وكان يقال : جمادى خمسة الأولى .. وجمادى ستة الآخرة .. ومنه قول لبيد :

حتى اذا سلخا جمادى ستة جزءا فطال صيامه وصيامها

ورجب يقال له : رجب مضر لأنهم كانوا اشد تعظيا له ويقال له : رجب الفرد لأن الأشهر الحرم ثلاثة سرد : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو رجب . ويقال : رجبان على التغليب لرجب وشعبان كالقمرين للشمس والقمر والجمع ارجاب ورجوب ورجاب ورجبات على صيغة جمع المؤنث باعتبار الليالى التي هو موضع لها يقال : أجلتك الى سبعة أرجاب . ثم قال الحصفكى :

وجمع شعبان شعبانات نعرفها ومثلها رمضانات لمن جمعا

قال أبو تراب : ويجمع شعبان على شعابين ورمضان على رماضين ايضا وأرمضة وأرمُض عن بعض اللغويين وليس بثبت ثم قال الحصفكى :

وقل شواويل ياهذا وربتما وعى اخو العلم شوالات حين وعى

قال أبو تراب : شوال ربما دخلته الألف واللام للمح الصفة فقيل : الشوال والشواويل . ثم قال الحصفكى :

واعلم بان ذوات القعدة اشتبهت فحيرت وذوات الحجة اللُّكعا

قال أبو تراب : نصّ اللغويون على ذوات الحجة وذوات القعدة لأنهم كانوا يقعدون فيه عن الأسفار . وقالوا : ذوات القعدات والتثنية :ذَوَا القعدة وذُوا القعدتين فثنوا الاسمين وجمعوهما وهو عزيز لأن الكلمتين بمنزلة كلمة واحدة وذو القعِدة لغة . وقال فى جمع الايام :

وقل سبوت وآحاد وبعدهما هى الأثانين واجمع جمعة جمعا
أو لا فقل أسبت فيا تقلله ومثلها جمعات واتل ما شرعا
وقبلهن الثلاثاوات يعرفها والاربعاوات من نحو الصواب سعى
واجمع خميسا اذا ما شئت اخمسة واخمساء وكن للعلم متبعا

قال أبو تراب : الثلاثاء بالمد وقد يضم . واشار الى ابدال الهمزة واوا بانه هو الصواب لأن صاحب القاموس ذكر (الاربعاآت) وذكر اللغويون أن يوم الأثنين لايثنى ولا يجمع لأنه مثنى فان احببت أن تجمعه كأنه صفة للواحد قلت : أثانين ـ وقد نصوا على أخمساء وأخمسة وجُمع وجُمُعات وأسبت وسبوت ويوم الأحد يذكر فى الواحد لأن الهمزة مبدلة . وفى اشتقاق كل هذه الأسماء كلام طويل ـ رما ألممنا به فيا يأتى :ـ

* * *

أسماء الأشهر

وقرأت فى كتاب لقطة العجلان للنواب محمد صديق حسن القنوجى (ص ١٩) قال :
أما تاريخ العرب فانه لم يزل فى الجاهلية والاسلام يعمل بشهور الأهلة . وعدة شهور السنة عندهم اثنا عشر شهرا إلا أنهم اختلفوا فى أسمائهم فكانت العرب تسميها :

ناتق . ونقيل (ثقيل) . وطليق وناجر . وأسخ (أسنح ، أسلخ ، سماح) وأمنح (أنخ ، أميح) . وأحلك وكسع (كسح) . وزاهر . وبرط (توط ، برك) . وحرف . ونعس . فناتق هو المحرم ونقيل هو صفر وهكذا مابعده على سرد الشهور وكانت ثمود تسميها : موجب وموجر . ومورد وملزم . ومصدر وهوبر وهوبل وموها . وديمر ودابر . وحيقل ومسبل فموجب هو المحرم وموجر صفر . إلا أنهم كانوا يبدأون بالشهور من ديمر وهو رمضان فيكون أول شهور السنة عندهم .

ثم كانت العرب تسميها بأسماء أخر وهى : مؤتمر وناجر وخوان وصوان (بصان) (يصان) وحنتم (خنتم) وزبا (ربى) والأصم وعادل (عاذل) وبايق (نافق) . وواغل وهواع وبرك ...

ومعنى المؤتمر أنه يأتمر بكل شىء مما تأتى به السنة من أقضيتها وناجر من النجر وهو شدة الحر .. وخوان .. فعال من الخيانة . وصوان بكسر الصاد وضمها فعال من الصيانة . والزبا : الداهية العظيمة المتكاثفة سمى بذلك لكثرة القتال فيه ومنهم من يقول : بعد صوان الزبا وبعد الزبا البائدة . وبعد البائدة الأصم . ثم واغل وباطل وعادل ورنة وبرك . فالبائد من القتال إذ كان فيه يبيد كثير من الناس . وجرى المثل بذلك فقيل : العجب كلُّ العجب بين جمادى ورجب .. وكانوا يستعجلون فيه ويتوخّون بلوغ الثأر والغارات قبل رجب فانه شهر حرام ويقولون له : الأصم لأنهم كانوا يكفون فيه عن القتال فلا يسمع فيه صوت سلاح . والواغل الداخل على شرب ولم يدعوه . وذلك لانه يهجم على شهر رمضان . وكان يكثر فى رمضان شربهم الخمر لأن الذى يتلوه هو شهور الحج . وباطل هو مكيال الخمر لكثرة استعمالهم ذلك فيه .. سمى به لافراطهم فى الشراب . والعادل من العدل لأنه من أشهر الحج وكانوا يشتغلون فيه عن الباطل . وأما الزبا فلأن الأنعام كانت تزب فيه لقرب النحر . وأما برك فلبروك الابل إذا حضرت المنحر . وقد روى أنهم كانوا يسمون المحرم مؤتمراً وصفر ناجر وربيع الأول نصار وربيع الآخر خوان وجمادى

الأولى حمتن وجمادى الأخرى الرنة ورجب الأصم وشعبان عادل ورمضان ناتق وشوال واغل وو القعدة هواه وذو الحجة برك ويقال فيه أيضا أبروك وكانوا يسمونه الميمون ..

ثم سمت العرب أشهرها بالاسماء الحاضرة .. وآشتقوا اسماءها من أمور اتفق وقوعها عند تسميتها وأنت إذا تأملت اشتقاق أسماء شهور الجاهلية أولا ثم اشتقاقها ثانيا - تبين لك أن بين التسميتين زمانا طويلا فان صفر فى أحدهما هو صميم الحروب وفى الآخر رمضان ولايمكن ذلك فى وقت واحد أو وقتين متقاربين .

قال أبو تراب : اختلف الرواة كثيرا فى أسماء شهور عاد .. أشار الى هذا الاختلاف البيرونى فى كتاب الآثار الباقية (ص ٦٠) وساقها باختلاف ابن سيدة فى المخصص (ج ٩ ص ٤٣) والمسعودى فى مروج الذهب « ج ١ ص ٢٤٨ » والنويرى فى نهاية الأرب « ج ١ ص ١٥٧ » وروايات فى بعض الأسماء فى لسان العرب ومقاييس اللغة « ج ٢ ص ٢٣١ » « و ج ٣ ص ٢٧٩ » وصحاح الجوهرى وكتاب الوشاح لابن دريد ونقل فى ذلك عن ابن الكلبى وقد شك بعضهم فى صحتها . ولانفعل ذلك لمجرد التصحيف أو تعدد الاسماء واختلافها - فان لذلك مسوغات وإن كانت الرواية فى الأشهر الثمودية مضطربة جدا .

وقد بحث فى ذلك الدكتور أنيس فريحه لكنه أخطأ فى تعليل بعض التسميات وكأنه لم يطلع على كلام القنوجى وفوق كل ذى علم عليم .

* * *

اشتقاق الأشهر العربية

قال أبو تراب : أما اشتقاق الأشهر العربية التى تلت الأسماء الجاهلية فالمحرم سمته العرب بهذا الاسم لأنهم كانوا لايستحلون فيه القتال . وأضيف إلى الله إعظاما له كما قيل : الكعبة بيت الله .

وقيل سمى بذلك لأنه من الأشهر الحرم . هكذا ذكره صاحب اللسان . وينعت هذا الشهر بالحرام فيقال : المحرم الحرام . وكان يعرف فى الجاهلية بصفر الأول . لأنه كان لهم صفران .

وحكى الجوهرى عن ابن دريد : الصفران شهران من السنة سمى أحدهما فى الاسلام المحرم .

قال أبو تراب : ويرى بعض المعاصرين أن التحريم لم يكن تحريم غزو إنما هو لاسباب زراعية ويعلل هذا بأن اسمه السابق صفر وهو لاصفرار السنابل . وهذا عندى بعيد جدا . والظاهر ماقاله النويرى : أنهم أغاروا فيه فلم ينجحوا فحرموا فيه القتال .

وأما صفر فينعت بالخير والمظفر لأنه كان شهر نحس عندهم . واختلفوا فى وجه التسمية فقال البيرونى فى الآثار الباقية (ص ٦٠) : لامتيارهم فى فرقة تسمى صفرية . وقال أيضا : « ص ٣٢٥ » : وسمى صفر لوباء كان يعتريهم فيمرضون وتصفر الوانهم .

وقال المسعودى فى تاريخه « ج ٣ ص ٣١٧» وصفر لأسواق كانت باليمن تسمى الصفرية . وكانوا يمتارون فيها . ومن تخلف عنها هلك جوعا .

وفى لسان العرب : عن رؤبة أنه قال : سمَّوا صفرا لأنهم كانوا يغزون فيه القبائل فيتركون من أغاروا عليه صفرا من المتاع .

وقال النويرى : لصفر بيوتهم فيه منهم عند خروجهم للقتال أو لأنهم كانوا يغيرون على الصفرية وهى بلاد .

وأما ربيعا الأول والآخر . فينعت الأول بالشريف وفى الناس من يسميه الربيع الأول . وقد ذكرنا من قبل أن للعرب ربيعين ربيع شهور وربيع أزمنة ولا علاقة بينهما .

قال أبو الغوث : العرب تجعل السنة ستة أزمنة شهران منها الربيع الأول وشهران صيف وشهران قيظ وشهران الربيع الثانى وشهران خريف وشهران شتاء .

قال أبو تراب : إنما سميا بالربيع لسقوط بعض الأمطار وظهور بعض العشب قال البيرونى : سميا بذلك للزهر والأنوار وتواتر الأندية والأمطار . وهو نسبة الى طبع الفصل

الذى نسميه نحن الخريف . قال النويرى : لأنهم كانوا يخصبون فى الربيع بما أصابوا فى صفر . والربيع الخصب .

أما جماديا الأولى والآخرة فكانوا يقولون : جمادى خمسة وجمادى ستة لأن الأولى هى الخامسة والآخرة تمام ستة أشهر من أول السنة : ويقال فيها جُمْدَى . والظاهر أن التسمية من جمود الماء لأنهما كانا يقعان فى معظم البرد قال أبو حنيفة : جمادى عند العرب الشتاء كله فى جمادى كان الشتاء أو فى غيرها .

وأما رجب فينعت بالمرجب أى المهذب . وينعت بالفرد والوسط . لأن الأشهر الحرم متتابعة إلاّه فهو منفرد بين جمادى وشعبان .

قال البيرونى : ورجب لاعتمادهم على الحركة فيه لا من جهة القتال . والرجبة العماد . ومنه قيل : عنق مرجَّب . وقال أيضا : سمى به لأنه قيل فيه أرجبوا أى كفوا عن القتال والغارات لأنه شهر حرام وقيل : بل لاستعجالهم قبله . كانوا يخافونه ويقال : رجبت الشىء أى خفته . وفى الصحاح : رجبته أى هبته . فهو مرجوب ومنه سمى شهر رجب . ويقول آخرون إنه من الرواجب وهى أصول الأنامل وخطوط مفاصلها . وقيل إن العود رجب النبات فيه أى أخرجه ورجبان مثنى تغليب .

وأما شعبان فينعت بالمعظم والشريف وسمى به لتشعب القبائل إلى المناهل والغارات . وقال ثعلب : لأنه شعب أى ظهر بين رمضان ورجب . وقال بعضهم : لتشعب العود .

أما رمضان فينعت بالمبارك والأصم لعدم صوت السلاح فيه كرجب وهو لقب ألصق به وسمى رمضان للحجارة ترمض فيه لأنه وافق أيام شدة الحر .

وأما شوال فينعت بالمكرم وسمى به لارتفاع الحر وإدباره .. وقال البيرونى : لأنه قيل فيه شوِّلوا أى ارتحلوا . وقيل : لأن الابل كانت تشوّل فيه أذنابها .

وفى اللسان : سمى بتشويل البان الابل وهو إدبارها . وقال الفراء : لشولان الناقة فيه بذنبها .

أما ذو القعدة : فسمى للزومهم منازلهم . أو لما قيل فيه اقعدوا أو كفوا عن القتال وقال فى اللسان : لقعودهم فى رحالهم عن الغزو والميرة وطلب الكلأ .

وفى المصباح « ص ١٤٨ » : ذو القعدة لما ذللوا القعدان « أى الابل القلاص » .

قال أبو تراب : لعله لاستعدادهم للحج وتسمية ذى الحجة به واضحة .

قال النويرى فى النهاية « ج١ ص ١٥٨ » إنما وضعوا هذه الأسماء على هذه الشهور لاتفاق حالات وقعت فى كل شهر فسمى الشهر بها عند ابتداء الوضع ..

رضوخ

قال أبو تراب :

ومن الأخطاء الشائعةاستعمال كلمة «الرضوخ» فى غير موضعها . فهم يقولون : فلان رضخ للأمر ويعنون أنه خضع له . والكلمة لاتؤدى هذا المراد لأنها تدل على الكسر والاعطاء .. وهيهات مابين هذا وذاك .

وقرأت فى كتاب أحمد أبو الخضر منسى « حول الغلط والفصيح على ألسنة الكتاب » « ص ١٢ » قال : سمعنا من يقول من كتابنا .. قد أخذ طريقه نحو الرضوخ لسنن الله ـ بمعنى الخضوع . بل كاد هذا الاستعمال يتغالب على الأقلام وهذا خطأ شنيع . فان الرضوخ فى اللغة لامعنى له إلا العطاء والمنح فالصواب أن يقولوا : خضع أو أذعن أو امتثل مثلا .

وفى تذكرة الكاتب : لاسعد داغر « ص ١١٩ » ويقولون : رضخ لمشيئته ولم يسعْه إلا الرُضوخ لأمره . وفى اللغة : رضخ الشيء رضخا كسره ... ورضخ له من ماله : رضخة : أعطاه يسيرا . ولم يسمع قط استعمال هذا الفعل بمعنى الطاعة أو الاذعان أو الانقياد .

قال أبو تراب : وكأنهم شبهوا المرضوخ وهو المكسور بالخاضع لفعل الراضخ وهو الكاسر . ولكن هذا الاستعمال غير وارد . وفى قول أبى الخضر : إنه لا معنى له إلا المنح تسامح بأنه جاء لغير ذلك أيضا قال الزمخشرى فى أساس البلاغة : رضح رأس الحية ورضخه ورضح النوى . ورضخه . وهم يتراضخون . ويتراضحون بالنشاب : يترامون به . ورأيتهم يترضحون الخبز ويترضخونه : يكسرونه ويأكلونه وأما رضخت لهم من مالى رضخة . وأمر لهم برضخ . والمساكين يرضخ لهم . وعندى رضخ من خبز . ووقعت رضخة من مطر . ورضاخ منه فبالخاء ومنه فلان يرتضخ لكنة أعجمية إذا لم يخل من شيء منها .

وفى لسان العرب : الرضخ مثل الرضح . والرضخ كسر الرأس ويستعمل الرضخ فى كسر النوى والرأس للحيات وغيرها ـ ورضخت رأس الحية بالحجارة . ورضخ النوى والحصى والعظم وغيرها من اليابس يرضخه رضخا كسر والرضخ كسر رأس الحية .

وفى الحديث : فرضخ رأس اليهودى قاتلِها بين حجرين .. وفى حديث بدر .. شبهتها النواة تنزو من تحت المراضخ وهى جمع مرضخة وهى حجر يرضخ به النوى وكذلك المرضاخ .. وظلوا يترضخون أى يكسرون الخبز فيأكلونه ويتناولونه .. وهم يتراضخون

بالسهام أى يترامون وراضخته راميته بالحجارة . والتراضخ ترامى القوم بينهم بالنشاب والحاء فى جميع ذلك جائزة إلا فى الأكل يقال : كنا نترضخ .

وفى حديث العقبة : قال لهم كيف تقاتلون ؟ قالوا : إذا دنا القوم منا كانت المراضخة وهى المراماة بالسهام من الرضخ ـ الشدخ ـ والرضخ أيضا الدق والكسر . وكذلك العطاء يقال فيه الرضخ بالخاء المعجمة . ورضخ له من ماله رضخاً أعطاه . ويقال : رضخت له من مالى رضيخة وهو القليل . والرضيخة والرضاخة : العطية . وقيل : الرضخ والرضيخة العطية المقاربة . وفى الحديث : أمرت له برضخ . وفى حديث عمر : أمرنا لهم برضخ . الرضخ العطية القليلة . وفى حديث على : وترضخ له على ترك الدين رضيخة وهى فعيلة من الرضخ أى عطية . ويقال : راضخ فلان شيئا إذا أعطى وهو كاره وراضخنا منه شيئا أصبنا ونلنا . وقيل : المراضخة : العطاء على كره والرضخ والرضخة الشيء اليسير تسمعه من الخبر من غير أن تستبينه .

قال المبرد : فلان يرتضخ لكنة أعجمية إذا نشأ مع العجم يسيرا ثم صار مع العرب فهو ينزع إلى العجم فى الفاظ من الفاظهم لايستمر لسانه على غيرها ولو اجتهد . وفى حديث صهيب : كان يرتضخ لكنة رومية . وكان سلمان يرتضخ لكنة فارسية أى كان ينزع فى لفظه إلى الروم وهذا إلى الفرس ولايستمر لسانهما على العربية استمراراً وكان صهيب سبى وهو صغير سباه الروم فبقيت لكنة فى لسانه . وكان عبد بن الحسحاس يرتضخ لكنة حبشية مع جودة شعره .

* * *

قفل واقفال

قال أبو تراب

قال أحمد أبو الخضر منسى فى كتاب : « الغلط والفصيح » يقولون مثلا : هل من المصلحة قفل جدول كذا .. والعجب أن القفل كاد شرها يعم ويطم وهم يريدون الاقفال . أما القفل بفتح فسكون فلا نعلم إلا أنها أقل استعمالا فى مادة الثلاثى من هذا الفعل . فلا تقال إلا فى يابس من الشجر. جاء فى القاموس : القفل بالفتح وكأمير أى قفيل مايبس من الشجر. فانظر الى غرابة هذا الاستعمال فى قول من قال : «قفل جدول المحامين» .

وليس الثلاثى من هذا الفعل أعنى قفل على اختلاف معانيه إلا مصدرا يجىء أكثره على فعول بضم الفاء ومن معانيه الرجوع . تقول : قفل الجند من الغزو إلى أوطانهم قفولاً وقفلا . ومن معانيه التيبس تقول : قفل جلده قفولا . ويقال : قفل الفحل هاج للضراب وفى كل هذا هو فعل لازم .

وقد جاء متعديا فى موضعين : قفل الطعام بمعنى احتكره وجمعه وقفل الشىء بمعنى خمنه وحزره .

أما الاغلاق بخلاف الفتح الذى يقصدون فليس من الثلاثى قطعا ولكنه من الرباعى . أعنى الثلاثى المزيد بالهمزة أى أقفل . تقول : أقفلت الباب . وهذا باب مقفل بضم الميم وفتح الفاء . والمصدر منه الاقفال .

فالصحيح وليس غيره أن يقول ذلك الكاتب : «هل من المصلحة إقفال جدول المحامين» .

وقال أسعد داغر فى التذكرة : يقولون «فالمرجو غلق هذا الباب » أى أنهم يستعملون المجرد غلق وهو معدود لثغة أو لُغَيَّة رديئة والمنقول عن العرب أغلق أو غَلّق للمبالغة وهكذا أقفل وقفّل قال أبو الأسود الدؤلى :

ولا أقول لقدر القوم قد غليت ولا أقول لباب القوم مغلوق

ومطاوع أغلق انغلق ومطاوع أقفل انقفل واقتفل .

قال أبو تراب :

وقد جاء تقفل والقَفَل بمعنى القفول فى شعر الراجز :

علبــاءُ أبشر بأبيــك والقَفَل أتــاك إن لم ينقطــع باقــى الأجل

هو لول إذا ونى القوم نزل

والهولول بمعنى الخفيف السريع يقال : رجل هولول

وقد نص الزمخشرى على جواز قفلت الباب . وكأن هؤلاء لم يطلعوا على كلامه .

والقفول : اليبوس أيضا . قال لبيد يصف الصيد :

حتــى إذا يئس الرمــاة وأرسلوا غُضْفــاً دواجــن قافــلا أعصامها

الغضف هى كلاب الصيد والأعصام القلائد التى عليها .

والقَفْلُ مايبس من الشجر . قال أبو ذؤيب الهذلى :

ومفرهــة عَنْس قدرت لساقها فخــرَّت كما تّتابــع الريــح بالقَفْل

المفرهةُ : الناقة والقفيل : السوط يصنع من الجلد اليابس قال أبو محمد الفقعسى :

لما أتــاك يابســاً قِرْشَبًّا قمــت اليــه بالقفيــل ضربا

ضرب بعير السوء إذْ أحبّا

القِرشَبُّ : المُسِنُّ . وأحب هنا بمعنى برك أو حرن وخيل قوافل أى ضوامر . قال امرؤ القيس : « نحن جلبنا القُرَّح القوافلا »

وقال خفاف بن ندبة :

سليــل نجيبــة لنجيــب صدق تصنــدل قافــلا والمخ رار

والرار : الذائب والرقيق من المخ . والقفول أيضا جمع قفل كالأقفال أنشدت أم القرمد :

ترى عينــه مافى الكتــاب وقلبه عن الديــن أعمــى واثــق بقفول

والخيل تعلك الأقفال وهى حدائد اللجام قال مزاحم :

حتــى إذا لبســوا وهــن صوافن ميــلُ اللجــام تلجلــج الأقفالا

ومن المجاز : فلان مقفل ومستقفل أى ممسك . وقد استقفلت يداه وإنه لقفل أى عسر . وإنها لقفلة للمرأة البخيلة قال الزمخشرى : قفل الجند قفلا وقفولا . وهذا وقت القفل ورأيت القَفَل أى القُفّال كما يقال ؟ القعَد للقاعدين عن الغزو . وأقفلت الباب وقفلته .

قال أبو تراب : وهذا النص لم يتنبَّه له من خطّأه . إلا أن يدّعى مُدَّع أنه أراد فى الفعل الثانى المضاعف ولا اعتماد على التشكيل فى النسخ مالم يضبط .

اصطحب واستصحب

قل : استصحب فلان فلانا فى السفر ولاتقل : اصطحب فلانا فى السفر . وذلك لأن المراد بهذه الجملة هو : جعله إياه صاحبا ورفيقا فى السفر كما هو صاحبه فى الحضر . والفعل الذى يؤدى هذا المعنى هو : استصحب مثل استبدل واستعمل واستحجب يعنى اتخذ بدلا وعاملا وحاجبا . وأصل استصحب دعا إلى الصحبة ثم توسع فى استعماله كاستخرج فأصله دعا إلى الخروج . ذكره مصطفى جواد .

وفى لسان العرب : واستصحب الرجل دعاه إلى الصحبة . وكل مالازم شيئا فقد استصحبه قال :

إن لك الفضل على صحبتي والمسك قد يستصحب الرامكا

ويقال : استصحبته الكتاب وغيره .

وفى أساس البلاغة للزمخشرى : يقال : استصحبت كتابا لى.وفى المصباح المنير للفيومى : وكل شىء لازم شيئا فقد استصحبه.وفى مقاييس اللغة لابن فارس : استصحبت الكتاب وغيره : حملته صحبتى . ومن هنا قيل : استصحبت الحال إذا تمسكت بما كان ثابتا كأنك جعلت تلك الحالة مصاحبة غير مفارقة .

وفى نهج البلاغة للشريف الرضى : اللهم أنت الصاحب فى السفر وأنت الخليفة فى الأهل . ولايجمعهما غيرك . لأن المستخلف لايكون مستصحبا . والمستصحب لايكون مستخلفا .

وذكر ابن خلكان فى أخبار بعض السلاجقة : أنه كان معه مارستان مستصحب أى مستشفى سيار . أما اصطحب فهو فعل اشتراك . جاء فى لسان العرب : واصطحب الرجلان وتصاحبا واصطحب القوم : صحب بعضهم بعضا . وأصله : اصتحب بالتاء لأن تاء الافتعال تتغير مع الصاد . وكذلك مع الضاد مثل اصطحب واضطرب وكذلك عند الطاء مثل : اطّلب وعند الظاء مثل اظّلم وعند الدال مثل ادّعى وعند الذال مثل اذّخر وعند الزاى مثل ازدجر لأن التاء لان مخرجها فلم توافق هذه الحروف لشدة مخارجها فأبدل منها مايوافقها لتخف على اللسان ويعذب اللفظ به .

فاصطحب إذن يساوى تصاحب ولايصدر إلا من جهتين أو أكثر منهما مثال ذلك : اصطحب الرجلان واصطحب الرجال أى تصاحب الرجلان وتصاحب الرجال .

وقال الزمخشري في أساس البلاغة : واصطحبوا وتصاحبوا وقال ابن القفطى فى أخبار الحكماء فى ترجمة ثابت بن قرة الحرانى : كان صيرفيا بحرّان اصطحبه محمد بن موسى بن شاكر لما انصرف من بلد الروم . فقوله : اصطحبه يريد به استصحبه فأخطأ وجه الصواب . والظاهر لنا أن هذا الخطأ قديم على حسب مادل عليه هذا الكتاب أعنى أخبار الحكماء للقفطى إن لم يكن تحريف فى النسخ قاله مصطفى جواد .

واصطحب الرجلان واصطحب الرجال من الأفعال اللازمة . وقد ورد اصطحب متعديا لغير الاشتراك . جاء فى لسان العرب : وأصحب الرجلَ واصطحبه : حفظه فاذا قيل : اصطحب فلان أهله فمعنى ذلك حفظهم وصانهم وحماهم . وليس هذا هو المعنى المراد بل المراد الاستصحاب .

وفى تذكرة الكاتب : أنهم يعدُّون الفعل أصْحَبَ إلى مفعوله الثانى بالباء فيقولون : وأصحبنى بالرسالة إلى المحافظ . والصواب : أصحبنى رسالة لأنه من الأفعال التى تنصب مفعولين :

قال أبو تراب :

وفى التنزيل العزيز قوله تعالى : « ولاهم منايُصْحَبُون » أى الكفار لايجُارون منا والعرب تقول : أنا جار لك ومعناه : أجيرك وأمنعك . وقال قتادة : لايصحبون من الله بخير . وقال المازنى : أصحبت الرجل : أى منعته . وقيل : هو من قولهم : صحبك الله أى حفظك وكان لك جاراً وفى الحديث الشريف : اللهم اصحبنا بصحبة . وأقلنا بذمة واحفظنا بحفظك فى سفرنا وأرجعنا بأمانتك وعهدك إلى بلدنا .

* * *

مناوأة

قال أبو تراب : وكثير من الكتاب والخطباء يستعملون كلمة المناوأة فيميلونها عن معناها الذى وضعت له . فالمناوأة هى المفاخرة والمناهضة والمعاداة . وفى الحديث الشريف فى الخيل : « ورجل ربطها فخراً ورياء ونواء لأهل الاسلام أى معاداة لهم » .

وفى حديث آخر : « لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على من ناوأهم أى ناهضهم وعاداهم » . وقال الشاعر :

إذا أنت ناوأت الرجال فلم تنؤ بقرنين غرتك القرون الكوامل
ولايستوى قرن النطاح الذى به تنوء وقرن كلما نؤت مائل

وفى لسان العرب : ناوأت الرجل مناوأة ونواء فاخرته وعاديته يقال يقال إذا ناوأت الرجل فاصبر . وربما لم يهمز . وأصله الهمز لأنه من ناء اليك ونؤت اليه أى نهض اليك ونهضت اليه .

قال الأزهرى فى تهذيب اللغة : وأنشدنى بعض العرب :

حتى إذا ما التأمت مواصله وناء فى شق الشمال كاهله

يعنى الرامى لما أخذ القوس ونزع مال عليها . ونرى أن قول العرب . ماساءك وناءك . من ذلك إلا أنه ألقى الألف لأنه مُتْبَع لساءك . كما قالت العرب : أكلت طعاماً فهنأنى ومرأنى معناه إذا أفرد أمرأنى فحذف منه الألف لما أتبع ماليس فيه الألف . ومعناه ماساءك وأناءك .

وكذلك إنّى لآتيه بالغدايا والعشايا والغداة لاتجمع على غدايا .

وقوله تعالى : « ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة » نوؤها بالعصبة أن تثقلهم . والمعنى أن مفاتحه لتنوء بالعصبة أى تميلهم من ثقلها . فاذا أدخلت الباء قلت : تنوء بهم كما قال تعالى : « آتونى أفرغ عليه قطرا » والمعنى : ائتونى بقطر أفرغ عليه فاذا حذفت الباء زدت على الفعل فى أوله .

قال الفراء : وقد قال رجل من أهل العربية ما إن العصبة لتنوء بمفاتحه فحوّل الفعل إلى المفاتح كما قال الراجز :

إن سراجاً لكريم مفخره تحلى به العين إذا ماتجهره

وهو الذى يحلى بالعين .. فان كان سمع آتوا بهذا فهو وجه .. وإلا فان الرجل جهل المعنى . ولتُنِيءُ بالعصبة : أى تثقلها قال :

إنى وجدك لا أقضى الغريم وإن حان القضاء ومارقت له كبدى

إلا عصا أرزن طارت بُرَايتُها تنوء ضربتها بالكف والعضد

أى تثقل ضربتها الكف والعضد . وقد ناء واستناء ، واستنأى.والأخيرة على القلب قال :

يجر ويستنىء نشاصاً كأنه بغيقة لّما جلجل الصوت جالب

قال أبو حنيفة : استنأوا الوسمىَّ . أى نظروا اليه وأصله من النوء فقدم الهمزة وقول ابن أحمر :

الفاضل العادل الهادى نقيبته والمستناء إذا ما يقحط المطر

المستناء الذى يطلب نوءه . قال أبو منصور معناه : الذى يطلب رفده والنوء السقوط .

قال ذو الرمة :

تنوء بأخراها فلأيا قيامها وتمشى الهوينى عن قريب فتُبهم

معناه أن أخراها تنيئها إلى الأرض لضخمها وهذا تحويل للفعل . والنوء النجم إذا مال للمغيب والجمع أنواء ونوآن حكاه ابن جنى مثل بطن وبطنان قال حسان بن ثابت الأنصارى :

ويشرب تعلم أنّاها إذا قحط الغيث نوآنها .

وإنما سمى نَوْأً لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناء الطالع بالمشرق أى نهض وطلع وذلك النهوض هو النوء فسمى النجم به . وذلك كل ناهض بثقل وإبطاء فانه ينوء عند نهوضه .

وقيل : النوء من أضداد اللغة فهو السقوط والنهوض معا . وليست منازل القمر كلها أنواء وإنما هى بعضها وهى معروفة فى أشعار العرب وناء فى اللغة بمعنى نهض بجهد ومشقة وقيل أثقل فسقط فهو من الأضداد .

* * *

ضحك عليه

قال أبو تراب : وفى محاورات الناس : فلان ضحك على فلان .. وهم لايعنون بذلك السخرية والاستهزاء وإنما يريدون الخداع والتضليل . والضحك معروف فى اللغة وفيه أربع لغات : بفتح الضاد وكسرها وكسر الضاد والحاء وفتح الضاد وكسر الحاء . والضحكة : المرة الواحدة ومنه قول كثير :

غمر الرداء إذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال

وفى الحديث الشريف : يبعث الله السحاب فيضحك أحسن الضحك جعل انجلاءه عن البرق ضحكا . استعارة ومجازا كما يفتر الضاحك عن الثغر . وكقولهم : ضحكت الأرض إذا أخرجت نباتها وزهرتها . وتضحك وتضاحك فهو ضاحك وضحاك وضحوك وضُحَكة كثير الضحك وضُحْكة بالتسكين يضحك منه .

قال الليث : الضُّحْكة : الشيء الذى يضحك منه . والضُّحَكَةُ الرجل الكثير الضحك يعاب عليه . وضحكت به ومنه بمعنى واحد . وتضاحك واستضحك بمعنى واحد والأُضحوكة : ما يُضْحَكُ به . وامرأة مِضْحاك : كثيرة الضحك .

قال ابن الأعرابى : الضاحك من السحاب مثل العارض إلا أنه إذا بَرَقَ قيل ضحك . والضَّحَّاك : مدح . والضُّحْكةُ : ذم . والضُّحَكَةُ : أخف منه ذما . وقد أضحكنى الأمر .

وقالوا : ضحك الزهر على المثل . لأن الزهر لا يضحك حقيقة . والضاحكة : السنّة التى بين الأنياب والأضراس وهى أربع ضواحك .

وفى الحديث : ما أوضحوا بضاحكة : أى ما تبسموا والضواحك الأسنان التى تظهر عند التبسُّم .

قال أبو زيد : وللرجل أربع ثنايا .. وأربع رباعيات وأربع ضواحك وثنتا عشرة رَحًى وهى الطواحين ثم النواجذ وهى أقصى أضراس الرجل . والضحك : ظهور الثنايا من الفرح . والضحك : العجب .. وهو أيضا الثغر الأبيض . والضَّحْك العسل : شبه بالثّغر لشدة بياضه قال أبو ذؤيب :

فجاء بمزج لم ير الناس مثله هو الضحك إلا أنه عمل النحل

قيل : الضحك هنا : الشهد .. وقيل : الزبد . وقيل : الثلج : والضحك أيضا : طلع

النخل حين ينشق .

قال ثعلب : هو ما فى جوف الطلعة . وضحكت النخلة : أى أخرجت طلعها . قال أبو عمرو : الضّحك والضَّحّاك : وليع الطلعة الذى يؤكل .. والضَّحْك : النَّوْر . والضَّحْكُ : المحجة . وقوله :

تضحك الضبع لقتلى هذيل وترى الذئب بها يستهل

قال أبو العباس : تضحك هنا تَكْشِرُ . وذلك أن الذئب ينازعها على القتيل فتكشرُ فى وجهه وعيداً فيتركها مع لحم القتيل ويمر وقوله :

وضحك الأرانب فوق الصفا كمثل دم الجوف يوم اللقا

وقال الكميت :

وأضحكت الضباع سيوف سعد لقتلى ما دُفِنَّ ولا وُدِينا

قيل : معناه أنها تستبشر بالقتلى إذا أكلتهم فيهرُّ بعضها على بعض فجعل هريرها ضحكا . وقيل : إنها تُسَرُّ بهم فجعل السرور ضحكا لأن الضحك يكون منه . ويستهل بمعنى يصيح ويستعوى الذئاب .

وقال الأخطل :

تضحك الضبع من دماء سُلَيْمٍ وإذا رأتْها على الحراب تمور

والضَّحوك من الطرق : ما وضح واستبان قال :

(على ضحوك النَّقْبِ مُجْرَهِدِّ)

أى مستقيم .. والضاحك حجر أبيض يبدو فى الجبل . والضحوك : الطريق الواسع . وطريق ضحّاك : مستبين .. قال الفرزدق :

إذا هى بالركب العجال تردَّفت نحائز ضحّاك المطالع فى نقب

نحائز الطرق : جوَّادها . قال أبو سعيد : وضَحِكاتُ القلوب من الأموالِ والأولاد : خيارها التى تضحك القلوب اليها . ورأى ضاحك ظاهر غير ملتبس . ويقال : إن رأيك ليضاحك المشكلات أى تظهر عنده المشكلات حتى تعرف .

وقوله تعالى : « وامرأته قائمة فضحكت » قال ابن عباس : معناه عجبت من فزع إبراهيم عليه السلام . وقال أبو اسحاق الحربى : ضحكت سروراً لمّا أتى الأمر على ما توهمت . وبعضهم فسرها بالحيض من ضحكت الأرنب اذا حاضت .

* * *

أُلفت ولفت

قال أبو تراب

قال أبو الخضر فى كتاب الغلط والفصيح : (يقولون إلفاتُ نظر المواطنين) ويقولون : (بشكل ظاهر ملفت) وهذا الفعلُ ليس مزيدا بالهمزة . فهو ثلاثى فقط . فعله لفت يلفت والمصدر منه لفت لا إلفات فالصواب أن يقولوا (لَفْتُ نظر المواطنين) .

وقال أسعد داغر : يقولون : استلفت الكاتب نظر القراء بمعنى حوّل نظرهم أو وجَّه التفاتَهم والمحفوظ بهذا المعنى : لفته ولفته فالتفت وتلفَّت . وأما استلفت فلم يسمع .

قال أبو تراب : هذه المادة قرآنية قال تعالى : « ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك » أمر بترك الالتفات لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم من العذاب وفى الحديث فى صفته ﷺ : فاذا التفت التفت جميعا . أراد أنه لا يسارق النظر وقيل : أراد لا يلوى عنقه يمنةً ويَسْرَةً إذا نظر إلى الشىء وإنما يفعل ذلك الطائش الخفيف ولكن كان يقبل جميعا ويدبر جميعا . وفى الحديث أيضا : فكانت منى لفتة ـ هى المرة الواحدة من الالتفات ـ وقال الفراء فى قوله عزّ وجلَّ : « أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا » اللفت : الصرف وفى حديث حذيفة : إن من أقرأ الناس القرآن منافقاً لا يدعُ منه واواً ولا ألفاً يلفتهُ بلسانه كما تلفت البقرة الخلا بلسانها » اللَّفْتُ : اللَّيُّ : ولفت الشىء فتلهُ إذا لواه . وهذا مقلوب يقال : فلان يلفت الكلامَ لفتا أى يرسله ولا يبالى كيف جاء . والمعنى أنه يقرؤه من غير روية ولا تبصرٍ وتعمُّدِ المأمور به غير مبال بمتلو كيف جاء كما تفعل البقرة بالحشيش إذا أكلته . وأصل اللفت : لىُّ الشىء عن الطريقة المستقيمة .

وفى الحديث : إن الله يبغض البليغ من الرجال الذى يلفت الكلام كما تلفت البقرة الخلا بلسانها .

وفى حديث الحجاج أنه قال لامرأة : إنك كتون لفوت : أى كثيرة التلفت الى الأشياء .

وفى الحديث : لا تتزوجنَّ لفوتا . وهى التى لها ولد من زوج آخر فهى لاتزال تلتفت إليه وتشتغل به عن الزوج .

وقال ثعلب : اللفوت : هى التى عينها لا تثبت فى موضع واحد . إنما همُّها أن تغفُلَ عنها فتغمز لغيرك .

وقيل : هى التى فيها التواء وانقباض . وقال عبد الملك بن عمير : اللفوت الّتى إذا سمعت كلام الرجل التفتت اليه ، قال ابن الأعرابى : قال رجل لابنه « إياك والرقوب الغضوب القطوب اللفوت . الرقوب : التى تراقبه أن يموت فترثه .

وفى حديث عمر حين وصف نفسه بالسياسةِ فقال : إنى لأُرْبِعُ وأُشبع ، وأنهزُ اللفوتَ وأضمُّ العَنُودَ وأُلْحَقُ العطوفَ وأزجر العروضَ . قال أبو جميل الكلابى : اللفوت : الناقة الضجور عند الحلب . تلتفت الى الحالب فتعضُّه فينهزها بيده فتَدِرُّ وذلك لتفتدىَ باللبن من النهز وهو الضرب . فضربها مثلا للذى يستعصى ويخرج عن الطاعة .

وفى حديث عمر : أنه ذكر أمره فى الجاهلية وأن أمّه اتخذت لهم لفيتةً من الهبيد . قال أبو عبيد : اللفيتة : العصيدة المغلظة ، وقيل هى ضرب من الطبيخ لا أقف على حدّه .

وقال : أراه الحساء ونحوه . والهبيد : الحنظل .

قال أبو تراب : هلا كان من اللفت المعروف من أنواع الخضروات .

وفى المقاييس : اللفت يدل على اللىِّ وصرف الشىء عن جهته المستقيمة . ومنه : لفت فلانا عن رأيه بمعنى صرفه . وسميت العصيدة لفيتة لأنها تلوى . والالتفات : هو أن تعدل بوجهك وكذا التلفت .

وفى الأساس : التفت إليه وتلفت قال :

تلفَّتُّ نحـو الحـىِّ حتـى وجدتُنى وجعت من الاصغـاء ليتـا وأخدعا

وفى اللسان : تلفت الى الشىء والتفت إليه : صرف وجهه إليه قال :

أرى الموت بين السيف والنطع كامنا يلاحظنـى من حيـث لا أتلفت

وقال آخر :

فلما أعـادت من بعيـد بنظرة إلىّ التفاتـا أسلمتْهـا المحاجر

قال أبو تراب : ومما يتمثل به من شعر الشريف الرضى فى الاستجادة قوله :

ولقـد مررت على ديارهمو وطلولهـم بيـد البلى نهبُ
فوقفـت حتـى ضجَّ من لغب نِضْـوِى ولـجَّ بعـذلى الركبُ
فتلفتـت عينـى فمـذ خفيت عنـى الطُّلـولُ تلفـت القلب

واللِّفْتُ من هذه المادة هو السلجم قال بعض الأعاريب :

إلى طاهـر عسَّفـتُ كلَّ تنوفةٍ فيافٍ كلون السختِ ما تنبت اللِّفْتَا
ولـولا رجائـى جود كفيـك لم أزر سَرَخْسَ ولا طُوسًا ولـم أنـزل الدَّشْتَا

وهذه أسماء مواضع معروفة .

مخجول وخَجِـــل

قال ابو تراب : وفى كتاب الغلط والفصيح : إن من مشنوعِ أخطائهم قولهم : « أنا مخجول من فلان » فما دهاهم ؟ خالفوا القياس وجهلوا أبسـط قواعـد الصرف . فان المخجول على وزن اسم المفعول لا يأتى إلا من فعل متعد لا لازم . فتقول : من فعل ضرب : مضروب ومن أكرم مكرم . ومن استخرج مستخرج .. أما خجل ففعـل لازم لا يتعدى الى مفعول .. تقول : خجلت منه لا خجلته . فالصواب : أن يشتقوا من صفة مشبهة فيقولوا : خَجِلٌ أو خجلان .

قال أبو تراب : الصفة المشبهة لا تصاغ من فعل متعد . فلا تقول : زيد قاتل الأب بكراً . تريد قاتل أبوه بكراً . بل لا تصاغ إلا من فعل لازم نحو طاهر القلب وجميل الظاهر ولا تكون إلا للحال فلا تقول : زيد حسن الوجه غداً . أو أمس . والمراد بالصفة ما دل على معنى وذات وهذا يشمل أسم الفاعل والمفعول وأفعل التفضيل والصفة المشبهة باسم الفاعل .

والخجل فى اشتقاق اللغة يدل على إضطراب وتردد . حكى بعضهم قول العرب : فلان عليه ثوب خجل . إذ لم يكن تقطيعه تقطيعا مستويا بل كان مضطربا عليه عند لبسه.

قال ابن فارس : ومنه الخجل الذى يعترى الانسان وهو أن يبقى باهتا لا يتحدث .

وفى الحديث أنه ﷺ قال للنساء : إنكن إذاً جُعْتُنَّ دَقِعْتُنَّ وإذا شبعتُنَّ خجلتُن . يقال فى تفسيره : بطرتُنَّ وأشرْتُن وهو قياس الباب .

قال الكميت :

ولـم يدقعـوا عندمـا نابهم لوقـع الحـروب ولـم يخجلوا

وفى المقاييس : يقال خجل الوادى إذا كثر صوت ذبابه ويقال : أخجـل الحَمْضُ طال : وهو القياس لأنه إذا طال اضطرب .

قال الزمخشرى : كأنى بك وقد جاء أجلك واجتمع عليك خجلك ووجلك وهو التحيُّرُ والاضطراب من الحياء وأخجله كذا وخَجَّله .

ومن المجاز : خجل فلان بأمره إذا بَعِلَ به لا يدرى كيف يصنع وخجـل البعـير بحمله . وخجل الجمل فى الطين والوَعْث .. ثقل . وارتطم وتحيرً . قال :

قلت بلى إنى إذا الليل شمل ولزم الفتيان أثباج الابل

قد يهتدى بصوتى الحادى الخجل

أى المتحير . وثوب خجل طويل مضطرب . وأخجل ثوبه قال :

عليه ثوب خجل خنيث مَدْرَعَةٌ كساؤها مثلوث

وجلَّل فرسه جُلاً خَجِلاً . أى واسعاً مضطرباً وهو يدنو من الأرض وخجل النبات كثر والتف . وواد خجل مخصب معشب . وفى الحديث أنه أتى على وادٍ خجل مُغِنٍ .

قال الفراء : الخجل : الاسترخاء من الحياء ويكون من الذل . ورجل خَجِلٌ وبه خَجْلَة أى حياء . والخجل التحير والدهش من الاستحياء وخجل الرجل خجلا فعل فعلا فاستحى منه ودهش وتحير والخجل أن يفعل الانسان فعلا يتشور منه فيستحى قاله الليث ، وقال ابن سيدة :

الخجل أن يلتبس الأمر على الرجل فلا يدرى كيف المخرج منه يقال : خَجِلَ فما يدرى كيف يصنع . وخَجِلَ بأمره عيَّ . وثوب خَجِلٌ فضفاض ، الخجل كثرة تشقق الدنادن . والخجل : البطر . والخجل سوء احتمال الغنى كأن يأشر ويبطر عند الغنى . وقيل : هو التخُّرق فيه . وقال أبو عمرو : الخجل : الكسل والتوانى عن طلب الرزق وهو مأخوذ من الانسان الخجل إذا بقى كذلك .

ومعنى قول الكيت المتقدم : أنهم لم يخضعوا للحرب ولم يستكينوا ولم يخجلوا أى لم يبقوا فيها باهتين كالانسان الخجل المتحير الدهش ولكنهم جدُّوا فيها . وأما حديث أبى هريرة : أن رجلا ضلت له أينق فأتى على واد خجلٍ مغن معشب فوجد أينقه فيه . كما سبقت الاشارة اليه . فالخجل فى الأصل : الكثير النبات الملتف المتكاثف .

* * *

مغترض ومغرض

قال أبو تراب : قل : فلان مُغْتَرِضٌ . ولا تقل : مُغْرِضٌ . فالمغرض هو شاد الغرض أى حزام الرحل أو المالىء أو المضجر أو العاجن . وكل هذه المعانى بعيدة من اتخاذ الغرض أى الهدف .

قال مصطفى جواد : ومما يستغرب شيوع المغرض مع أنها لم تقض الغرض . والعزوف عن « المغترض » الذى هو الكلمة الصحيحة الفصيحة.

قال ابو تراب : هذه المادة ليست على قياس واحد فالبعد بين معانيها واضح فالغَرْض والغُرْضة البطان وهو حزام الرحل .

والمَغْرِضُ من البعير كالمَحزِم من الدابة . والإغريض : البرد . ويقال : بل هو الطلع .. ولحم غريضٌ . طرى . وماء مغروض : مثله . والغَرَض : الملالة يقال : غرضت به ومنه .

والغرض : الشوق قال ابن هرمة :

من ذا رسول ناصح فمبلغ — عنى عُلَيَّة غير قيل الكاذب

أنى غَرِضْتُ إلى تناصُفِ وجهها — غرض المحب إلى الحبيب الغائب

ويقال : غرضت المرأة سقاءها أى مخضته . وغرضنا السَّخْل إذا فطمناه قبل أناه .

والغرض : النقصان عن الملءِ ، يقال غَرِّض فى سقائك أى لا تملأه . ويقال : ورد الماء غارضا أى مبكرا والمَغَارضُ : جوانب البطن اسفل الأضلاع . الواحد : مَغْرِض .

قال جار الله : ومن المجاز : اغتُرِض فلان . أى مات شابا نحو ٱحتُضِرَ . وغرضت الضيف غريضا أى اطعمتهم طعاما غير بائت أو سقيتهم لبنا صريفا وغارضت إبلى : أوردتها باكرا .

قال أبو تراب : الابل المنفَّجةُ المغارض يعنون به المحازم . قال أبو محمد الفقعسى :

يشربن حتى تنتأ المغارض — لا عائف منها ولا معارض

ويقال : إبل جائلة الغرض قال جرير :

والعيس جائلة الغروض كأنها — بقر حوافل أو رعيل نعام

وتقول إذا فاته الغرض : فتَّه الغرض وهو الضجر . ومنه غرضت الى لقائك . وعُدِّى بالى لتضمينه معنى اشتقت وحننت قال الكلابى :

فمن يك لم يغرض فانى وناقتى بحجر إلى أهل الحمى غرضان

تحن فتبدى ما بها من صبابة وأخفى الذى لولا الأسى لقضانى

ويقال : هذا بحر لا ينزف ولا يغرض ولا ينكف ولا يغضغض قال أبو الوليد الكلابى :

لا تفرغى سمَّ انياب مذكرة فى عرض من ليس مرفوعا به الرّأسُ

هذا ابن يوسف بحر لا يُغَضغضُه ولا يُغَرِّضُه أن يكثر الناس

ويقال : طويت الثوب على غروضه وغروره . وتقول : كأن ثغرها إغريض . وريقها ريّق غريض . يشفى بترشُفِه المريض . الإغريض وهو ما يتشقق عنه الطلع من الحبيبات البيض . وريِّقُ الغيث : أوله . والغريض : الطرى .

قال أبو تراب : ومن شواهد هذه المادة :

كرام ينال الماء قبل شفاههم لهم واردات الغُرض شمُّ الأرانب

قال أبو عبيدة : فى الأنف غرضان وهما ما انحدر من قصبة الأنف من جانبيه جميعا . وقد قيل فى هذا البيت أنه أراد الغضروف الذى فى قصبة الأنف فحذف الواو والفاء . ورواه بعضهم (لهم عارضات الورد) وكل من ورد الماء باكرا فهو غارض والماء غريض .

وقيل : الغارض من الأنوف الطويل والغرض هو الهدف الذى ينصب فيرمى فيه والجمع أغراض .

واللحم الغريض هو الطرى .. قال أبو زبيد يصف أسدا :

يظل مُغِباً عنده من فرائسٍ رفات عظام أو غريضٌ مشرّش

* * *

مستشفى جديد وجديدة

قال الدكتور مصطفى جواد :

قل هذا مستشفى جديد . ولا تقل هذه مستشفى جديدة وذلك لأن المستشفى أسم مكان مذكر مشتق من الفعل استشفى يستشفى استشفاء أى طلب الشفاء . واسم المكان من الفعل غير الثلاثى يكون على وزن اسم المفعول مستعملا كان كمستعطى أو غير مستعمل كمستلقى وهو مذكر دائما .. ولا يقبل تاء التأنيث مع بقائه اسم مكان . فلا يقال مستشفاة لمكان طلب الشفاء . فهو بخلاف الثلاثى الأصل فانه يقبل تاء التأنيث سماعا تقول : محط ومحطة . ومنزل ومنزلة . ومقام ومقامة ومكان ومكانة . ومحل ومحلة . ومزل ومزلة . وموقع وموقعة ومرحل ومرحلة . وما يصعب استقصاؤه .

والظاهر أن الذى ابتدع تأنيث المستشفى قاسه على (الخستخانة) الفارسية المُتَرَّكة ـ أى المستعملة فى لغة الترك ـ فالخستخانة مؤنثة . فجعل المستشفى مؤنثا قياسا عليها . وهذا غلط فالمستشفى مذكر كما قلنا . ولا يجوز تأنيثه بحال من الأحوال .

فقل : هذا مستشفى جديد . ولا تقل هذه مستشفى جديدة .

قال أبوتراب : قد رددنا على قوله اسم المكان من غير الثلاثى على مفعول وقد قال مقهاة على فاعل فتناقض . والمستشفى مادته معتلة الآخر . وهو فى اصطلاح أهل الصرف ناقص يائى من شفى يشفى وقد توهم ياءه من غلط فى هذا ياء التأنيث كياء غضبى . والفرق بينهما واضح . وهو أن العلامة تكون زائدة . وأما ياء المستشفى فهى من الحروف الأصلية . والهمزة فى الاستشفاء منقلبة من الياء الأصلية . ووزن المستشفى مستفعل كالمستوصف .

يقال : شُفِى مريضهم واستشفى من علته وأشفنى : هب لى ما يشفينى . وأشفى على الهلاك وخرزه بالإشفى وبالأشافى ـ وهى المسارد ـ ومن المجاز : « شفاء العىّ السؤال .. وقال ذو الرمة :

فأدلى غلامى دلوه يبتغى بها ... شفاء الصدى والليل أدهم أبلق

أراد الماء . واستشفى برأيه .. ومواعظه لقلوب الأولياء أشافٍ وفى أكباد الأعداء أشَافٍ . الأول جمع جمع الشفاء . والثانى جمع الإشْفَى . وهو على شفا الهلاك . وما بقى

منه إلا شفا : أى طرف ونبذ . وأشفى إذا أعطى شيئا ما ، قال الشاعر :

ولا تشفى أباها لو أتاها فقيرا فى مباءتها صماما

وفى حديث على : « نازل بشفا جرف هار » .. اى جانبه والجمع أشفاء . وقال رؤبة يصف قوساً شبه عطفها بعطف الهلال :

كأنها فى كفه تحت الدرق وفق هلال بين ليل وأفق
أمسى شَفىً أو خطُّه يوم المَحَقْ

الشفا : حرف كل شيء . أراد أن قوسه كأنها خط هلال يوم المحق . قال ابن السكيت : الشفى مقصور بقية الهلال وبقية البصر وبقية النهار وما أشبهه . وقال العجاج :

ومَرْبَأٍ عالٍ لِمَنْ تَشَرَّفا أشرفتُه بلا شَفَى أو بشَفَى

قوله : بلا شفى أى وقد غابت الشمس أو بشفى أى وقد بقيت منها بقية . فلينظر هذا فى معجم بقايا الأشياء لأبى هلال العسكرى . قال ابن برى . ومثله قول أبى النجم :

(كالشّعريين لاحتا بعد الشفى)

شبه عينى أسد فى حمرتها بالشعريين بعد غروب الشمس لأنهما تحمران فى أول الليل .

* * *

مصرِف ومصرَف

وفى كتاب « قل ولا تقل » قل : المَصرِف ـ ولا تقل : المَصْرَف . فالمصرف اسم مكان من صرفت الذهب بالدراهم أصرفه بكسر الراء صرفا أى بعته بها . وكأن الصرف مأخوذ من الصريف وهى الفضة واسم المكان من صرف يصرف هو المصرف كالمجلس والمنزل . ولا يجوز أن يقال : المصرَف بفتح الراء لأنه غلط بكونه مخالفا للقياس وغير مسموع ولا مدون .

ثم إن العرب بطبيعة لسانها تميل الى كسر العين من اسم المكان وإن خالف القياس . فمن ذلك المسجد والمطلع والمغرب والمشرق والمسكن والمرفق والمنبت والمنسك والمسقط . كمسقط الرأس بكسر الثالث . فان عين المضارع من أفعالها مضمومة .

وقد اختار بعض المعاصرين لنا « المصرف » للبنك الانكليزى والبانك الفرنسى ولا نرى بأسا فى ذلك لأن التسمية كالرمز والاشارة فلا تستوجب الاحاطة والاستيعاب كما يريد البعيدون عن فقه أسرار اللغة .

ومثل المصرف من اسماء المكان المعرض والمحفل فلا يجوز فتح الراء والفاء منهما .

وقد استعمل المصرف بعض القدماء لموضع صرف المياه..

قال المسعودى فى مروج الذهب : فأجمع القوم رأيهم على عمل مصارف إلى (برارى) تقذف الماء الى البحر . وأخبروا الملك أن الماء إذا حفرت المصارف الهابطة طلبها . فحفر الملك المصارف حتى انحدر الماء وانصرف .

وفى تذكرة الكاتب : يقولون : صرف على بناء بيته ألف جنيه . وصرف فى باريس شهرين فيستعملون الفعل صرف فى كليهما فى غير ما وضع له والصواب أن يقال فى الأول : أنفق أو أنفد أو استنفد وفى الثانى قضى .

ومما يكثر استعماله فى اصطلاح كتاب الحكومة قولهم : إيرادات الحكومة ومصروفاتها . والصواب أن يقال : دخل الحكومة وخرجها . أو دخل الحكومة ونفقاتها .

قال أبو تراب : الصرف معظم بابه يدل على رجع الشىء من ذلك انصراف القوم والصريف اللبن ساعة يحلب وينصرف به . والصرف فى القرآن التوبة . لأنه يرجع به عن

رتبة المذنبين قال تعالى : « فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصراً . » .

قال الخليل : الصرف فضل الدرهم على الدرهم فى القيمة . ومعنى الصرف عندنا أنه شيء صرف الى شيء كأن الدينار صرف الى الدراهم أى رُجع إليها إذا أخذت بدله ..ومنه اشتق اسم الصيرفى لتصريفه أحدهما إلى الآخر . وتصريف الدراهم فى البياعات إنفاقها .

وقال أبو عُبيد : صرف الكلام تزيينه لأنه إذا زين صرف الاسماع الى استماعه .. قال ابن فارس .. وأما قول القائل :

بنــي غُدَانــةَ ما إن أنتمــو ذهبا ولا صريفــا ولــكن أنتــم الخزف

فقال قوم أراد بالصريف الفضة . فان كان صحيحا فسميت صريفا من قولهم : صرفت الدينار دراهم ليس له وجه غير هذا وشذ عن هذا الأصل الصرّفان للرصاص أو التمر .. والصرِف ما يصبغ به الأديم . وشاهد المصرف قوله :

(مرَّ الشباب فما له من مَصرِفٍ)

ومن المجاز لهذا على هذا صرف . وفلان لا يحسن صرف الكلام أى فضل بعضه على بعض . وصرف عن عمله : عزل وانه ليتصرف أى يحتال وفلان يصطرف لعياله : يكتسب قال العجاج :

قد يكســب المال الهــدان الجافى بغــير ما عصف ولا اصطراف

والصيرفى المتقلب فى الأمور المجرِّبُ لها قال سويد بن أبى كاهل اليشكرى :

ولسانــا صيرفيــا صارمــا كحســام الســيف ما مس قطع

قال أمية بن أبى عائذ الهذلى : « قد كنت خرّاجاً ولوجا صَيْرَفاً » وقد أنث صخر الغيُّ الصرف لتعليقه بالنوى فقال :

عاودنــى حبهــا وقــد شحطت صرف نواهــا فاننــى كمــد

* * *

عضو وعضوة

قال أبو الخضر فى الغلط والفصيح : من غريب ما سمعناه أنهم قالوا : (هى عضوة فى لجنة كذا الخ) ويجمعونها عضوات .وتلك جرأة على اللغة ، وعدوان على الفصاحة . والعضو مذكر مفرد على الاطلاق وجمعه أعضاء فلا تقول عن العين مثلا أو الرئة هى عضوة من الجسم . إنما هى عضو فقط . حيثما كانت وكيفما وقعت . فعلى الكتاب أن يقولوا : (هى عضو فى لجنة كذا) لا عضوة .

قال أبو تراب : وقد أجاز ذلك مصطفى جواد فى كتابه : قل فلانة عضوة ولا تقل : عضو ـ والسبب فى ذلك أن « العضو » نقل من الأسمية الى الوصفية . كما قيل فى الشلو وهو العضو : شلوة . وفى النبج وهو الوسط : ثبجة .

قال النبى ﷺ لأبى بن كعب وقد أعطاه الطفيل بن عمرو الدوسى قوسا جزاء على اقرائه القرآن : « تقلدها شلوة من جهنم »

قال الشريف الرضى فى كتاب المجازات النبوية : وإنما قال شلوة . ولم يقل شلواً لأنه حمل على معنى القوس وهى مؤنثة . والشلو : العضو . وجاء فى كتاب النبى ﷺ لوائل بن حجر الحضرمى : « وأنطوا الثبجة » .

قال ابن الأثير فى « النهاية » أى أعطوا الوسط فى الصدقة لا من خيار المال ولا من رذالته وألحقها هاء التأنيث لانتقالها من الاسمية الى الوصفية .

ثم إن العرب يتساهلون فى التأنيث .

قال الجوهرى فى الصحاح : الكوكب النجم يقال : كوكب وكوكبة كما قالوا بياض وبياضة وعجوز وعجوزة . ثم ذكر أنهم قالوا : منزل ومنزلة .

وعلى هذا يقال للممثّلة البارعة أى الحاكية الماهرة : كوكبة لا كوكب .

قال أبو تراب : إطلاق العضو على فرد من جماعة .. اصطلاح جديد ليس له متمسك بالاستعمال العربى القديم . فلو أبدل به العضد لكان خيراً فيقال : فلان عضد فى الجماعة . وهؤلاء أعضاد بدل عضو وأعضاء لأن العضو عظم وافر بلحمه ونحو ذلك . وأما العضد فهو المعين الذى لا يفارق . وهى كلمة قرآنية قال الله تعالى : « وما كنت متخذ المضلين عضداً » . وقال : « سنشد عضدك بأخيك » . ويقال هو عضدى وهم أعضادى .

ومن محاورات العرب : وهنت أعضاد بيته . وارفع أعضاد الدَّبْرة وهى جدرها التى تمسك الماء . وحوض مُثَلَّمُ الأعضاد . وهى نواحيه . وفلان عضادة فلان إذا كان لا يفارقه . ويقول الرجل لصاحبيه : كفانى بكما عضادتين أى معينين . وهذه مجازات من قولهم : فلان معضود بتوفيق الله .

قال أبو تراب :

وهم إذ يقولون : فلان عضو فى المجمع يعنون به المعين العامل فالعضد له أليق تسمية وصفية . وأطبق على معناهم ومرادهم . أما قوله عليه السلام : المسلمون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر . فذاك مثال وحدة الكيان ومرادنا بيان عمل الأركان . ومن فهم الفرق بينهما رشد .

وأما دعوى عدم ورود عضوة فى اللغة فاذا أريد بها عدم الاستعمال فهى دعوى صحيحة . وقياسها على شلوة غير سائغ عند من يتقيد بالمسموع وإن انتقلت من الاسمية إلى الوصفية لكونه محدثا . وإذا أريد بها نفى صيغتها فهى دعوى مردودة عندى لأنه ورد لفظها معللا . فالعِضةُ بمعنى القطعة والفرقة هى العِضْوَة فى الأصل . ويقال : عُضو وعِضْوٌ . وبعضهم يجعل أصلها : عِضَهَةٌ فهى إما ناقصة الواو وإما ناقصة الهاء . وفى القرآن المجيد : « جعلوا القرآن عضين » واحدتها عضة وهى من الاسماء الناقصة . قالوا : أصلها عِضْوَةٌ فنقصت الواو . كما قالوا : عزةٌ .. وأصلها عِزْوَةٌ وثُبَةٌ وأصلها ثُبْوَةٌ من ثَبَّيْتُ الشىء إذا جمعته .

وفى حديث ابن عباس فى تفسير : « جعلوا القرآن عضين » أى جزأوه أجزاء .. وقال الليث : أى جعلوا القرآن عضةً عِضَةً فتفرقوا فيه أى آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه وكل قطعة عضة . وقال ابن الأعرابى : معناه فرقوا فيه القول فقالوا : شعر وسحر وكهانة . قال المشركون : أساطير الأولين . وقالوا : سحر . وقالوا : شعر وقالوا : كهانة فقسموه هذه الأقسام . وعضَّوْه أعضاء .

وقيل : إن أهل الكتاب آمنوا ببعض وكفروا ببعض كما فعل المشركون أى فرَّقوه كما تُعَضَّى الشاة . وتعضيتُها : تفريق لحمها . كما فى حديث جابر فى التبكير بصلاة العصر بحيث لو أن رجلا نحر جزوراً بعدها وعضَّاها أى فرَّقها وفصل أعضاءها لوجد الشمس بعدئذ لم تغرب .

* * *

ضبط دلالة ووكالة وولاية

قال أبو تراب :

ومما لم يفرقوا فيه بين الفتح والكسر لفظ الدلالة والوكالة والولاية فهى بكسر الأول باعتبارها صيغ الصنائع . والمصادر فيها تأتى على وزن كتابة كما نص عليه ابن الحاجب فى الشافية . وفتح أولها يخالف هذه القاعدة .

قال الرضى فى شرح الشافية (ج ١ ص ١٥٣) : الغالب فى الحِرَفِ وشبهها من أى باب كانت الفِعالة بالكسر كالصياغةِ والحِياكة والخياطة والتجارة والامارة . وفتحوا الأول جوازاً فى بعض ذلك كالوَكالة والدلالة والولاية .

وفى كتاب الأبنية من أدب الكاتب لابن قتيبة (ص ٥٦) : مما فيه لغتان : « فعالة وفِعالة » : الرَّطانة والرِّطانة والوِقاية والوَقاية والوِكالة والوَكالة ودليل بين الدلالة والدلالة . ومهرت الشيءَ مهارة ومهارة . والوصاية والوصاية . والجراية والجراية والبداوة والبـداوة . والحضارة والحضارة . والولاية والولايـة من الموالاة والـوزارة والـوزارة والـكسر أجـود . والرضاعة والرضاعة . والخلالة والخلالة مصدر خليل ويقال أيضا : الخلولة . وقـد نَوَتِ الناقة تنوى نَواية ونواية إذا سمنت . والجداية والجداية : الرشا . والجنازة والجنازة .

قال أبو تراب : وقال فى تقويم اللسان : ولا يقال لَقاءة بالفتح فى : لقيت فلانا لقاءة واحدة .. ويقال أيضا لَقْيَةً واحدة وهى الجنازة بكسر الجيم .

* * *

مساحة وزراعة وصناعة

وفى كتاب (قل ولا تقل) قال المِساحة والزّراعة والصناعة . ولا تقل : المَساحة والزراعة والصَّناعة .

وذلك لأن المساحة حرفة من الحرف أو مهنة من المهن فهى تحتاج الى مزاولة طويلة ومعاناة غير قليلة . وإذا زاد الفعل زادت أحرف مصدره . فطول المصدر يدل على طول المعاناة والمعالجة ويكون على وزن فعالة بكسر الأول كالتجارة والبقالة والعِمالة والحدادة والزراعة والصناعة والمساحة . وإلى هذا الوزن تقلب الحرف واشباه الحرف كالامارة والنقابة والوزارة والوكالة أى المحاماة .

هذا مع وجود النَّقابة والوَزارة والوَكالة فى اللغة . فاذا أريدت الحرفة والصنعة فهى مكسورة الأول . وإذا أريد مجرد الاسم فهى مفتوحة الأول .

فكثرةُ الخطابة تؤدى الى الخِطابة . وكثرة النَّقابة تؤدى إلى النِّقابة وكثرة الوَكالة تؤدى إلى الوِكالة .

قال أبو تراب : وعلى هذا قاسوا الصِّحافة وهى مولَّدة بمعنى مهنة جمع الأخبار والآراء ونشرها فى صحيفة أو مجلة . وقد أثبتها المعجم الوسيط الذى أخرجه مجمع اللغة العربية بالقاهرة . فمن يقل الصَّحافة فقد رجع بها إلى الاسمية لا الصنعة .

* * *

فِعالة وفُعالة

ومن هذا الباب ما جاء على فِعالة وفُعالة نحو : بِشارة وبُشارة وقال الأصمعى الكسر وحده لا غير . وروى الكسائى : الزيارة والزُّوارة ودِواية اللبن ودُوايتهُ .. الجلدة الرقيقة التى تعلوه . وهى الخِضَارةُ والخُضَارة والفتاحةُ والفُتاحةُ وهى المحاكمة .

ومّا جاء على وزن فَعالة وفُعالة : فى صوتهِ رَفاعة ورُفاعة أى علوٌ . وعليه طلاوة من الحسن وطُلاوة .

وقد ذكر ابن قتيبة فى تقويم اللسان (ص ٣٨٩) أن فتح طُلاوة تحريف وذكر ايضا فى كتاب الابنية ص ٥٦١ ان فى طُلاوة لغتين فتناقض قوله .

ومما جاء على فَعالة وفعولة نحو فَسالة وفسولة ، ورذالة ورُذولة وفَراسة وفُروسة وكثاثة وكثوثة وجلادة وجلودة ووحافة ووحوفة إذا كان الشعر كثيرا . ومن صفات الشعر : جَعْدٌ بينٌ الجعادة والجعودة . وشعر جَثْلٌ بينٌ الجَثَالة والجثولة .

قال أبو تراب :

جثالة الشعر : هى كثرته مع الليونة والنعومة . ولذلك قيل للشجرة الضخمة الكثيرة الورق جثلة . والجُثالةُ : ما تناثر من ورق الشجر . واجثالٌ النبات أى طال والتف . وأما وزن فُعالة فكثير فى العربية عقد له السيوطىُّ بابا فى كتاب المزهر .. نقل فيه عن أئمة اللغة الموثوق بهم فى الأبنية شواذً لا يقاس عليها ..

* * *

حقوق محفوظة له وعليه

يقولون : حقوق الطبع محفوظة للمؤلف . أو الناشر وهو غلط والصواب : حقوق الطبع محفوظة على المؤلف أو على الناشر .. قال مصطفى جواد : يقال : حفظ فلان عليه الشيء حفظا فالشيء محفوظ عليه .

وفى شرح نهج البلاغة (ج ٤ ص ٣٧١) من كلام على بن طالب : فان نسيت مقالتى حفظها غيرك . فان الكلام كالشاردة يثقفها هذا ويخطئها هذا.هذا هو كلام الفصحاء . وكان زين العابدين على بن الحسين يقول فى دعائه اللهم احفظ على سمعى وبصرى إلى انتهاء أجلى كما أورده ابن أبى الحديد (ج ٣ ص ٢٩) .

وفى سيرة ابن هشام والروض الأنف للسهيلى (ج ٢ ص ٢٤١) وتاريخ الطبرى (ج ٣ ص ٩٦) وكتب الحديث : لما انصرف رسول الله ﷺ الى خيبر فكان ببعض الطريق قال من آخر الليل : من رجل يحفظ علينا الفجر لعلنا ننام ؟ قال بلال : أنا يا رسول الله احفظه عليك .

وفى تاريخ اليعقوبى (ج ٣ ص ١٢٧) : قال محمد المهدى ابن أبى جعفر المنصور يعنى أباه : وكان يحفظ عليكم ما لا تحفظون على أنفسكم .

وفى لباب الآداب لاسامة بين منقذ (ص ١٤١) والأغانى لابى الفرج (ج ١٨ ص ١٠) واللفظ له : قال عمرو بن بانة لمحمد بن جعفر بن موسى الهادى : أنا اتحمل هذه الرسالة وكرامة على ما فيها حفظا لروحك عليك فانى لا آمن من أن يتادى بك هذا الأمر .

وفى اللباب ص ٧٠ : قال أبو الحسن على بن محمد الصغانى فى كتاب الفرائد والقلائد : ومما يديم لك نصحهم ووفاءهم ويحفظ عليك ودهم وولاءهم قلة الطمع فيهم وحسن المقابلة لمساعيهم يعنى العمال .

وفى تاريخ الطبرى (ج ٣ ص ٩٧) . قال الحجاج بن علاط السلمى للعباس بن عبد المطلب : احفظ على حديثى يا أبا الفضل فانى اخشى الطلب ثلاثا .

وفى معجم الأدباء لياقوت الحموى (ج ٥ ص ٣٥١) جاء فى رقعة لأبى الفتح ابن العميد : فان لم يحفظ علينا النظام باهداء المدام عدنا كبنات نعش والسلام .

وفى الامتاع والمؤانسة لأبى حيان التوحيدى (ج ٢ ص ١١) قال المقدسى محمد بن معشر : الشريعة طب المرضى والفلسفة طب الاصحاء والأنبياء يطبون للمرضى حتى لا يتزايد مرضهم وحتى يزول المرض بالعافية فقط . فأما الفلاسفة فانهم يحفظون الصحة على أصحابها حتى لا يعتريهم مرض أصلا .

وقال أبو حيان فى « الامتاع » ج ٢ ص ١٨٦ : ولما لم يرد من الانسان أن يكون حمارا حفظ عليه ما هو إنسان ودرج إلى كمال الملك الذى هو شبيه به .

وفى كتاب الأوراق للصولى قول أبى القاسم الأديب الشاعر :

وكم ملك قد خصّنى بكرامة حفظت عليه أمره وهو ضائع

ولا نود أن نطيل بذكر الشواهد أكثر مما فعلنا . وإنما نذكر أن لقولهم : حفظ له كذا معنى آخر . كقولك أحسنت إلى فلان فحفظ لى ذلك . أى ذكر الاحسان ورعى ذكراه فهو كالكفاء والجزاء .

قال أبو تراب :

اختلاف صلات الأفعال يجعل المعنى مختلفا فما كان من هذا القبيل يجب التثبت فيه فالمحافظة مثلا تتعدى بعلى قال الله تعالى : حافظوا على الصلوات . والاستحفاظ جاءت صلته بمن قال تعالى : « بما استحفظوا من كتاب الله » والاحتفاظ بعلى . قال العجير السلولى :

بعيد من الشىء القليل احتفاظه عليك ومنزور الرّضا حين يغضب

ويقال : احتفظ بالشىء وتحفظ به أى عُنِىَ بحفظه . وعليك بالتحفظ من الناس وهو التوقى . وهو حفيظ عليه أى رقيب .

وفى اللسان : الحفيظ من صفات الله عز وجل لا يعزب عن حفظه الأشياء كلها مثقال ذرة فى السموات والأرض . وقد حفظ على خلقه وعباده ما يعملون من خير أو شر .

وقوله تعالى : « وجعلنا السماء سقفا محفوظا » قال الزجاج حفظه الله من الوقوع على الأرض إلا باذنه وقيل محفوظا بالكواكب كما قال تعالى : « إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد » ويقال : احتفظت بالشىء لنفسى واستحفظت فلانا إذا سألته أن يحفظ لك . والحفيظ : المحافظ ومنه قوله تعالى : « وما أنا عليكم بحفيظ » .

* * *

لَجنة ولُجنة

قال أبو تراب :

قالوا : اللُجنة : بضم اللام خطأ . وكذلك اللُجان واللُجْنات بسكون الجيم . والصواب : اللجنة واللِجان . واللَجَنات بفتح الجيم .

قال مجد الدين الفيروز ابادى فى القاموس المحيط : اللجنة : الجماعة يجتمعون فى الأمر ويرضونه . فاللجنة مسموعة مثبتة فى كتب اللغة بفتح اللام . وليس لأحد أن يجعل فتحها ضمة .

قال صاحب (قل ولا تقل) : ولا أحسب كلمة اللجنة عربية الأصل بل أراها معربة من إحدى اللغات الأعجمية . فالجوهرى لم يذكرها فى الصحاح . ولا ذكرها غيره ممن رجع إلى كتبهم اللغوية مؤلف لسان العرب فانه لم يثبتها فى اللسان . فصاحب القاموس نقل من أحد كتب اللغة الأخرى وقد يجوز أن يتكلف لها أصل عربى من الفعل (لجن) أى خلط ومنه قولهم : لجن ورق الشجر ونحوه أى خلط بشعير أو دقيق حتى يثخن فتعلفه الابل .

وجمع اللجنة للكثرة أى ما تجاوزت عدته عشرا وهو لجان كحربة وحراب وظبية وظباء وللقلة : أى من الثلاث الى العشر هو لَجَنات كعرصة وعَرَصات . فلا تقل لُجْنَة . لُجان بل لَجنة لِجانٌ .

قال أبو تراب : ضبط اللجنة بفتح فسكون كما هو مقتضى اطلاق القاموس لكن ضبطت فى التكملة بضم اللام وفيها اللجنة بفتح اللام من طباقات الأرض المكلئة للزرع وهذه فائدة نستدرك بها على مصطفى جواد .

ونص القاموس : اللجْنُ : اللَّحْسُ وخبط الورق وخلطه بدقيق أو شعير كالتلجين . ومحركة : الخبط الملجون وكالكتف الوسخ وتلجَّن : تلزَّج ورأسه غسله فلم يُنَقِّه . ولجن البعير لجانا ولجونا حرن . وفى المشى ثقل : وناقة وجمل لجون واللُّجَيْنْ كزبير : الفضة وكأمير زبد أفواه الابل . ولجن به كفرح علق .

وفى نص القاموس بعض أخطاء صححها الزبيدى فى تاج العروس قال : (اللجن اللحس) والصواب الحيس . وكل ماحيس فى الماء فقد لجن (اللجن محركة الخبط الملجون) والصواب : اللجين كأمير كما ورد فى الصحاح وغيره . (وتلجن رأسه : غسله فلم ينقه) والصواب : تلجن الرأس غُسل فلم يُنَقَّ من وسخه فإنَّ تلجَّنَ غير متعد . وفى المحكم : تلجَّن الرأس : اتسخ وهو من التلزُّج زاد الزمخشرى حتى تلبد وهو مجاز . و (لجَنَ البعير لجانا) ظاهر سياقه بالفتح والصحيح بالكَسر .

ومما يستدرك على صاحب القاموس : تلجن القوم اخذوا الورق ودقوه وخلطوه بالنوى للإبل .

قال أبو تراب :

ولعل اللجنة أخذت من هذا الباب لأن الذين يفعلون هذا يجتمعون فى الأمر فيرضونه . ويستدرك أيضا على صاحب القاموس : اللجينية : وهى الدراهم المنسوبة إلى اللجين . وجاء ذكرها فى حديث العرباض . ولجن المشط فى رأسه فلم ينفذ فيه من وسخه أما قول مصطفى جواد : إن الجوهرى وصاحب اللسان لم يثبتا هذه الكلمة فمعناه أنهما لم يذكرا معناها الذى ذكره صاحب القاموس وهو : الجماعة يجتمعون فى الأمر فيرضونه . لأن المادة مثبتة فى كتب اللغة ومنها الصحاح واللسان . وفى المعجم الوسيط اللجنة : جماعة يوكل اليها فحص أمر أو إنجاز عمل (مولدة)

وفى التاج : يقال : لجن الورق يلجنه لجنا . وقال أبو عبيدة : لجنت الخِطمى ونحوه تلجينا إذا ضربته بيدك ليثخن . قال الليث : واللجين ورق الشجر يخبط ثم يخلط بدقيق أو شعير فيعلف الابل . وكل ورق أو نحوه فهو ملجون أو لجين . وفى الصحاح : اللجين الخبط وهو ما سقط من الورق عند الخبط وأنشد الشماخ :

ومـاء قد وردت لتوصـل أروى ... عليه الطـير كالـورق اللجين

وفى حديث جرير : وإذا أخلف كان لجينا . قال ابن الأثير : وذلك أن ورق الأراك والسلم يخبط فيسقط ويجف ثم يدق حتى يتلجن أى يتلزج وهو فعيل بمعنى مفعول . واللَّجن : الوسخ قال ابن مقبل :

يعلـون بالمرد قوش الـورد ضاحية ... على سعـابيب ماء الضالـة اللَّجن

رواه الجوهرى : اللجز . وهو تصحيف وتلجن ورق السدر إذا لجن مدقوقا .

وقال ابن سيدة : اللجان فى الابل كالحران فى الخيل . وقال بعضهم : لا يقال : جمل لجون : انما تخص به الاناث وناقة لجون أيضاً . ثقيلة المشى وفى الصحاح : ثقيلة فى السير

وقال أوس :

ولقد أربت على الهموم بجسرة عيرانة بالردف غير لجون

واللجين بمعنى الفضة جاء مصغرا كالثريا والكميت لا مكبر له قال ابن جنّى : ينبغى أن يكون إنما الزموا التحقير هذا الاسم لاستصغار معناه مادام فى تراب معدنه . ويقال : رمى الفحل بلجينة قال أبو وجزة :

كأن الناصعات الغر منها إذا صرفت وقطعت اللجينا

شبه لغامها بلجين الخطمى . قال ابن فارس : اللجين : الفضة وحشيش يضرب بالحجارة حتى يتلجَّن كأنه تغضَّن .

وقال أسعد داغر : أنكر بعض المنتقدين جواز جمع لجنة على لجان قائلا : إنه لم يسمع فى شىء من كلامهم . وهذا من أغرب ما لقيته من الغلو فى الانتقاد لأن جمع فعلة على فعالٍ من الجموع المقيسة المطردة كجباه وجفان وصحاف وقصاع ولجان ونحوها .

* * *

جواز وجوازات وأجوزة

قال أبو تراب :

الجواز هو صك المسافر ذكره فى لسان العرب وقال الزمخشرى فى الأساس : خذ جوازك . وخذوا أجوزتكم وهو صك المسافر لئلا يتعرض له ..

وفى كتاب نشوار المحاضرة للقاضى التنوخى : أن الخليفة المعتضد الهمام أمر ذات مرة أن لا يدخل أحد مدينة قزوين ولا يخرج منها إلا بجواز .

وذكر ابن الساعى فى حوادث سنة ٦٠٣ هـ من كتابه الجامع المختصر وفاة يوسف بن القاينى حاجب سور بغداد ومتولى الجواز .

وفى كتاب تجارب الأمم لابن مسكويه : أن فرقة من الجيش أخذوا جوازات ونفقات وانحدروا إلى واسط لاحقين بالأمير بجكم سنة ٣٢٦ هـ

وبهذا عرفنا أن كلمة الجواز عربية قديمة اصطلحوا على استعمالها بمعنى (باسبورت) وجمعها جوازات وأجوزة . فلماذا يعدلون عنها إلى كلمة دخيلة ليست من لغة العرب .

قال مصطفى جواد : قل جواز السفر وأجوزة السفر وجوازاته . ولا تقل : باسبورت .

وذلك لأن العرب تسمى هذا الاذن المكتوب « الجواز» على وزن المتاع . وتجمعه قياسا وسماعا على أجوزة . كأمتعة وتجمعه أيضا قياسا على جوازات .

فإن لم يسمع هذا الجمع عن فصحاء العرب فقد سجل فى كتبهم الأدبية وينبغى لنا أن نستفيد من الجموع القياسية فنقيس عليها لنزيل عن اللغة العربية الجمود الذى صبَّه عليها المتحرجون من القياس الذى هو كالدم الطرى لقلب اللغة العربية النابض .

قال أبو تراب : فى المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية القاهرى : الجواز : الماء الذى يسقاه الزرع أو الماشية . وما يعطاه المسافر من الماء ليجوز به الطريق وما يعطاه المسافر من كتاب يجوز به ولا يمنعه مانع جمعه أجوزة .

وفى محيط المحيط للمعلم بطرس البستانى : الجواز صك المسافر لئلا يعارضه معارض . والماء الذى يسقاه المال من الماشية والحرث واسم من جاز . وقيل : الجواز : يطلق على الامكان الخاص وعلى الامكان العام والجُواز : العطش . وأجازه أى أعطاه الاجازة أى الاذن وسقاه جوازا .

ومن أغلاط العامة : قولهم : جوَّز بمعنى زوج . ومادته جاز يجوز.

قال أبو تراب : والاجازة عند المحدثين الاذن فى الرواية لفظاً أو كتابة وفى الشعر اقتران حرف الرويّ بما يباعده فى المخرج كقول الراجز :

إن بنــى الأبــرد أخــوال أبى   وإن عنــدى إن ركبــت مسحلى

أو أن يتمم الشاعر البيت الذى أنشده غيره مصراعا منه كما وقع للمعتمد بن عباد حين رأى تجعد ماء الغدير فى مرج الفضة فقال : (نسج الريح على الماء زَرَدْ) وكان على شاطىء الغدير إبنة يقال لها الرُّمَيْكة فقالت :

(يا له درعاً منيعاً لو جمد)

وتطلق الاجازة أيضا على أن يزيد الشاعر على كلام غيره بعد فراغه منه كما وقع لمانى الموسوس حين سمع قول الشاعر :

حجبوهــا عن الــرياح لأنى   قلــت يا ريح بلغيهــا السلاما
لو رضــوا بالحجــاب هان ولكن   منعوهــا عنــد الــوداع الكلاما

فقال :

فتنفســت ثم قلــت لطيفى   وَيْكَ إن زرت طيفهــا إلماما
حيّهــا بالســلام سراً وإلا   منعوهــا لكيدهــم أن تناما

والجائزة : أصلها من أجازه ماء يجوز به الطريق أى سقاه واسم ذلك الماء الجواز . ويقال : استجورته ماء لأرضى أو لماشيتى فأجازنى وسقاه جوازاً لأرضه . قال الشاعر :

يا قيِّم الماء فدتــك نفسى   عجّــل جوازى وأقــلَّ حبسى

ومن هذه المادة قولهم : أعانك الله على اجازة الصراط . وعبرنا مجازة النهر وهـى الجسر . وجاز بى العقبة وأجازنيها . وجزت المكان وأجزته وجاورته وتجاوزته قال امـرؤ القيس :

فلما أجزنــا ساحــة الحــيَّ وانتحى   بنـا بطـن خبـت ذى خفــاف عقنقل

واللهم اعف عنا وتجاوز عنا ، وتجوَّز عنا

* * *

سوية ومعاً

وفى تذكرة الكاتب : يقولون : « ذهبوا إليه سويَّة » فيستعملون سوية بمعنى المصاحبة والاجتماع وهى بالحقيقة مؤنث سوىّ بمعنى الاستواء والمستوى والانصاف .

يقال : هم على سويَّة فى هذا الأمر . وقسمت الشىء بينهما بالسوية

وقال الدكتور مصطفى جواد : قل : ذهبا معا وجاءا معا .. ولا تقل : ذهبا سوية . ولا جاءوا سوية .

وذلك لأن السوية تأتى على وجهين : أحدهما : كونها مؤنث السوى وهو الخالى من العيب والميل . والآخر : كونها اسم مصدر كالبليَّة والرزيَّة . والقضيّة والنقيصة . وهى بمعنى المساواة والاستواء والتساوى .

قال الجوهرى فى الصحاح : وقسم الشىء بينهما بالسوية يعنى بالمساواة بينهما فى القسمة .

وقال الزمخشرى فى أساس البلاغة : وهما على سوية من الأمر وسواءٍ وفيه النَّصفة والسويَّة .

وقال ابن فارس فى مقاييس اللغة : السين والواو والياء أصل يدل على استقامة واعتدال بين شيئين .

يقال : هذا لا يساوى كذا أى لا يعادله . وفلان وفلان على سوية من هذا الأمر أى سواء .

وورد فى لسان العرب : يقال : هما على سوية من الأمر أى على سواء أى استواء

ومن الشواهد (على) السوية التى تمثل الواقع اللغوى للكلمة وتظهر قيمتها الاستعمالية بعد قيمتها المعجمية قول أبى جعفر الاسكافى فى نقض بعض كتب الجاحظ .. « كرهوا إعطاء على وقسمه بالسَّويَّة » أى بالمساواة .

وفى كتاب الأغانى لأبى الفرج قول إبراهيم الموصلى : أول شىء أعطيته بالغناء : أنى كنت بالرى أنادم أهلها بالسوية لا أرزؤهم شيئا .. يعنى منادمته إياهم بالمساواة بينهم . وعدم تفضيل بعضهم على بعض .

وجاء فى بعض أحاديث الزكاة : « فإنهما يتراجعان بينهما بالسوية » يعنى العدل .

قال ابن الأثير فى « النهاية فى غريب الحديث » وفى قوله بالسوية دليل على أن الساعى على الزكاة . إذا ظلم أحدهما فأخذ منه زيادة على فرضه فإنه لا يرجع بها على شريكه . وإنما يغرم له قيمة ما يخصه من الواجب عليه . دون الزيادة . والظاهر أن قولهم . ذهبوا سوية .. هو من اللغة العامية . فكثير من الناس يقولون : رحنا سويَّةً وجينا سويَّة

أما قولنا : ذهبا معا . وذهبوا معا فمعناه : ذهبا مصطحبين وذهبوا مصطحبين .

قال الجوهرى فى الصحاح : (مع) كلمة تدل على المصاحبة . والدليل على أنه اسم حركة آخره . مع تحرك ما قبله . وقد يسكن وينون تقول : جاءوا معاً

قال أبو تراب : يقال : ساويت بين هذا وهذا وساويت هذا بهذا وسوَّيت بينهما . وسوَّيتهما قال الراعى :

بجـردٍ عليهـن الأجلَّـةُ سوِّيت　　　بضيف الشتـاء والبنـين الأصاغر

أى يصونها صيانة الضيوف والأطفال .

وضربه على مستوى مفرقه . قال بعض بنى أزنم :

نحـن من خـير معـدّ حسبا　　　ولنـا قِدْمـاً على النـاس المَهَل
إذ ضربنـا الصِّمـةَ الخـير على　　　مستـوى مفرقـه حتـى انْجَدَل

وأما سواسية فالياء فيها منقلبة عن الواو وهم اذا استووا فى اللؤم والخسة والشر . ومن أمثال العرب : سواسية كأسنان الحمار .. قال بعضهم :

سود سواسية كأن أنوفهم　　　بعـر ينظمـه الـوليد بملعب

وقال آخر :

شبابهـم وشيبهـم سواء　　　سواسية كأسنـان الحمار

وقال آخر :

وكيف ترجِّيهـا وقـد حال دونها　　　سواسيـة لا يغفـرون لهـا ذنبا

وقال ذو الرمّة :

لولا بنـو ذهـل لقربـت منكمو　　　إلى السـوط أشياخـاً سواسيـة مردا

* * *

عِمَارِيَّة ومعمار ومعمارية ومعماري

قل : الهندسة العمارية . والمهندس المعمار ولا تقل : الهندسة المعمارية ولا المهندس المعماري .

قال مصطفى جواد : وذلك لأن الأشياء من الفنون والعلوم والآداب ينبغي أن تنسب عند إرادة النسبة إلى الفن نفسه والعلم نفسه والأدب نفسه .

وليس من العلوم والفنون فن أو علم يسمى « المعمار » حتى ينسب إليه . فالمعمار صفة مشتقة من الفعل : عمر يعمر عمرانا وعمارة . وإن أردت الحقيقة فالمعمار اسم آلة ، استعيرت صيغته لتأدية المبالغة كالمفضال والمحواج والمذياع للكثير الفضل والكثير الحاجة والكثير الاذاعة .

فأنت لا تقول : الشؤون التاجرية بل تقول : الشؤون التجارية .

ولا تقول : الأحوال الصانعية . بل تقول : الأحوال الصناعية فكذلك ينبغي أن يقال : الهندسة العمارية نسبة الى العمارة لأن الفن والصناعة هي العمارة .

وإذا كان المعمار يراد به الوصف في الأصل . ثم نقل إلى الاسمية يكون كالتاجر والصانع والمهندس والطابع . فلا يقال لهؤلاء : التاجري والصانعي والمهندسي والطابعي .. حتى يقال : المعماري .

فالصواب : المهندس المعمار أو المعمار وحده .

ومما يحضرني من شواهد استعماله وصفا للمبالغة قول أبي الفوارس سعد بن محمد التميمي يمدح الوزير جمال الدين أبا جعفر محمد بن علي الأصفهاني ثم الموصلي :

وتقر عين محمد بمحمد * محيي دريسي علمه والمنزل**
معمار مرقده وحافظ دينه * ومعين أمته بجود مسبل**

ومن شواهد استعماله اسما من الاسماء ما ذكره ياقوت في معجم الأدباء في أخبار الأمير ابن أبي حصينة الشاعر مع الأمير محمود بن صالح بن مرداس في بناء دار ونصه :

يا مولانا هذا الرجل تولى عمارتها . ولا أدري كم صرف عليها ؟

فسأل المعمار فقال : غرم عليها ألفي دينار مصرية .

ومن ذلك أبو عبدالله محمد بن أبى بكر البغدادى المعروف بابن المعمار مؤلف كتاب الفتوة . وقد نشره الدكتور مصطفى جواد مع جمعية من الفضلاء .

ويجمع المعمار على المعامير كالمسماح والمساميح والمذياع والمذاييع والمفضال والمفاضيل . ولا يجوز معمارون لأنه اسم آلة فى الأصل كما ذكرنا . فلا يجمع جمع مذكر سالما .

قال أبو تراب : هندس وهندز بمعنى واحد يقال : هندز الرجل القُنِى والأبنية والآلات ونحوها قدرها أو أنشأها على أسس علمية . والمهندس من يُلم بعلم من العلوم الهندسية ومن يمارس فنا من الفنون الهندسية . والهندسة العلم الرياضى الذى يبحث فى الخطوط والأبعاد والسطوح والزوايا والكميات أو المقادير المادية من حيث خواصها وقياسها أو تقديمها وعلاقة بعضها ببعض .

والهندسة النظرية : المبادىء والأصول العلمية المتعلقة بخواص المادة . ومصادر القوى الطبيعية وطرق استخدامها لتحقيق اغراض مادية . والهندسة التطبيقية أو العملية فن الافادة من المبادىء والأصول العلمية فى بناء الأشياء وتنظيمها وتقويمها . وللهندسة العلمية أنواع لكل منها غرض معين . والهندسى : المنسوب الى الهندسة والعالم بها وهى كلمة محدثة .

والعمارة تدل على بقاء وامتداد زمان . وعلى شيء يعلو . فالأرض عامرة معمورة . والحى العظيم يسمى عمارة لما يكون ذلك من جلبة وصياح .

قال الأخنس بن شهاب التغلبى :

لكل أناس من معد عمارة ... عروض إليها يلجئون وجانب

ويقال : ما الدنيا إلا عُمْرى ولا خلود إلا فى الأخرى قال لبيد :

وما البر إلا مضمرات من التقى ... وما المال إلا معمرات ودائع

ويقال : كم رفعوا لهم العمار . وكم الفوا لهم الأعمار .

* * *

مهم وهام

قال أبو تراب :

قل : أمر مهم . وقد أهمَّه الأمر . ولا تقل : أمر هام وقد همَّه الأمر . قال الراغب الأصبهانى فى مفردات غريب القرآن :

وأهمنى كذا : أى حملنى على أن أهم به قال الله تعالى : « وطائفة قد أهمتهم أنفسهم » . فالأنفس مهمة إذن لا هامة فالشىء المهم هو الذى يبعث الهمة فى الأنسان ويجعله يهم ويقلقه أحيانا . ونقل اللفظ من الوصفية إلى الاسمية فقيل له : المهم وجمع على المهام تكسيرا . وعلى المهمات تصحيحا . وهو (بالبداية) اسم فاعل من أهمَّه يُهمه . اهماما .

والهام هو المحزن . وهو من همه أى أحزنه حزنا يذيب الجسم ولا محل له فى تلك الجملة .

ذكره الدكتور مصطفى جواد فى كتابه متأيدا بكلام الراغب .

وقال ابن السكيت وهو الدليل الحزيت فى اللغة العربية فى كتابه : إصلاح المنطق : ويقال : قد أهمنى الأمر إذا أقلقك وأحزنك ويقال : قد همَّنى المرض أى أذابنى . ويقال : همك ما أهمّك .

وجاء فى لسان العرب : ويقال : همك ما أهمك . جعل (ما) نفيا فى قوله : ما أهمك . أى لم يهمك همك . ويقال : معنى ما أهمك أى ما أحزنك . أو ما يقلقك أو ما أذابك يريد أن (ما) فى الوجه الثانى تكون اسما مَوصولا . ومرادنا من ايراد هذه الجملة المبهمة هو فعلها الرباعى : أهمك يهمك إهماما . فهو المستعمل عند العرب فى مثل هذا المعنى .

وجاء فى لسان العرب ما يلبس المعنى على القارىء غير الفطن . قال : الهم الحزن . وجمعه هموم . وهمه الأمر هما . ومهمة . وأهمه . فاهتم واهتم به . أراد بقوله : همه الأمر : احزنه لأنه بدأ المادة بتفسير الهم مع أن قولنا : أهمنى الأمر يهمنى يعنى جعلنى أهم به بدلالة ما نقل صاحب اللسان بعد ذلك قال : وفى حديث سطيح : (**شمِّرْ فانك ماضى الهم شمير**) .

أى إذا عزمت على شىء أمضيته . والهم : ما هم به الانسان فى نفسه .. تقـول : أهمنى هذا الأمر .

قال مصطفى جواد : ولو صحت دعوى أن « همَّه الأمر » بمعنى أهمَّه الأمر الذى اشتق منه « المهم » وجمعه « المهام » والمهمات لسَمَّت العرب « المهم » باسم الهام ولجمعته على هوام وهامّات ولكن هذا لم يكن . ولم يُصرّ اليه قط . فالهام لم يرد فى لغة العرب بمعنى المهم .

ثم إن هم بهذا المعنى لو كان فصيحا لاستعمله الفصحـاء فى كلامهـم وخطبهـم ورسائلهم . ولورد فى القرآن الكريم . فالوارد فيـه هو الرباعـى : قال تعـالى فى سورة آل عمران : « وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية . يقولون هل لنا من الأمر من شيء » .

نضيف إلى ذلك أن همَّ لو صحَّ بمعنى « أَهَمَّ » فى المعناة المشار اليها لفضلها الفصحاء على الرباعى . لأن قاعدة الفصاحة العامة فى ذلك تفضيل الثلاثى على الرباعى إذا كانا بمعنى واحد . إلا إذا نُبّه على العكس بالنص والتصريح . فنعشه أفصح من أنعشه ورجعه أفصح من أرجعه .

ووقفه أفصح من أوقفه . ونقصه أفصح من أنقصه . وعاقه أفصح من أعاقه ونتجه أفصح من أنتجه وغاض الماء يغيض أفصح من أغاض الماء .

أما الشواهد على رجحان « أهمَّه يهِمُّه فهو مُهِمٌ » على قولهم : « همَّه يهمُّه فهو هام » بعد شاهد القرآن الكريم فكثيرة كقول ابن المقفع فى كليلة ودمنة : (ويرتاح إليه فى جميع ما أهمه ..) وقوله : (فأهمّه ذلك وقال : ما كان للأسد أن يغدر بى) وجاء فى نهج البلاغة : (ما أهمنى أمر أمهلت بعده حتى أصلى ركعتين وأسأل الله العافية) وقال أبو زينب ابن عوف يخاطب عمار بن ياسر : (ما أحب أن لى شاهدين من هذه الأمة شهدا لى عما سألت من هذا الأمر الذى أهمنى مكانكما) ذكر ذلك نصر بن مزاحم فى أخبار صفين . وقال البّراض على رواية الفصحاء :

وداهيـة تهـم النـاس قبلى	شددت لهـا بنـى بكر ضلوعى
هددت بهـا بيـوت بنـى كلاب	وأرضعـت الموالى بالضروع

❊ ❊ ❊

رصد وأرصد

وقال عمر بن الخطاب : « دلونى على رجل أستعمله على أمر قد أهمنى » ذكره البيهقى فى كتاب المحاسن .

يقولون : هذا المبلغ مرصود لذلك . ورصدنا له مبلغا وهو خطأ .. والصواب : المبلغ مرصد لكذا .. وأرصد مبلغا للعمران يرصده .

وذلك لأن رصد الشيء يرصده رصدا معناه : رقبه يرقبه رقابة . ومنه المراصد الفلكية . والحيوان يرصد غيره للوثوب عليه . ورصد النجوم والكواكب أى رقبانها فى حركاتها وجريانها وسريانها .

فهذا وما قاربه من معانى « رصد » الثلاثى لا يؤدى المعنى المراد .

فينبغى استعمال : أرصد يرصد إرصاداً للمعنى المشار اليه .

ففى لسان العرب الذى جمعه صاحبه من عدة معجمات لغوية ما نصه : أرصد له الأمر : أعده .. وأرصدت له شيئا أرصده أعددته له .

وفى حديث أبى ذر قال له النبى ﷺ : ما أحب أن عندى مثل أحد ذهبا فأنفقه فى سبيل الله وتمسى ثالثة وعندى منه دينار إلا دينارا أرصده لدين . أى أعده لدين .

ويقال : أرصدت له العقوبة إذا أعددتها له . وحقيقته : جعلتها على طريقه كالمترقبة له .

وفى حديث الحسن بن على : وذكر أباه ـ قال : ما خلف من دنياكم إلا ثلاثمائة درهم كان أرصدها لشراء خادم .

وروى عن ابن سيرين أنه قال : كانوا لا يرصدون الثمار فى الدين وينبغى أن يرصد العين فى الدين . وفسره ابن المبارك قال : إذا كان على الرجل دين وكان عنده مثله من العين ـ يعنى النقد الذهب ـ لم تجب عليه الزكاة . وإن كان عليه دين وأخرجت أرضه ثمرة يجب فيها العشر ، لم يسقط عشر الزكاة عنه من أجل ما عليه من الدين لاختلاف حكمها وفيه خلاف ، انتهى المنقول . والشاهد هنا قوله : ينبغى أن يرصد العين فى الدين .

وفى نهج البلاغة : وأخذوا يمينا وشمالا . طعنا فى مسالك الغى وتركا لمذاهب الرشد . فلا تستعجلوا ما هو كائن مرصد . ولا تستبطؤوا ما يجىء به الغد .

وقوله : (ما هو كائن مرصد) معناه : ما هو حادث معد . وجاء فيه أيضا : أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذى ضرب الأمثال . ووقف لكم الآجال .. وألبسكم الرياش . وأرفغ لكم المعاش . وأحاط بكم الاحصاء . وأرصد لكم الجزاء.

قال عز الدين عبد الحميد بن أبى الحديد الشافعى المدائنى :

قوله : « وأرصد لكم الجزاء » : يعنى أعدَّ . وفى الحديث : إلا أن أرصده لدين وجاء فيه أيضا فى وصف القرآن المجيد وذكر المعاملات : « ومباين بين محارمه من كبير أوعد عليه نيرانه أو صغير أرصد له غفرانه » .

وقال أمية بن أبى الصلت الثقفى فى مجمهرته :

وأرصدنـــا لريـــب الدهـــر جُرْداً هَـــامياً وماذيـــاً حصينا

وقد نبه على غلط رصد بمعنى أعد الدكتور مصطفى جواد العراقى وأسعد داغر وغيرهما وفى كتابه تذكرة الكاتب : يستعملون رصد بمعنى أرصد أى : أعد ووقف فيقولون : إن الخليفة رصد خراجها سبع سنوات لاقامة هذا البنيان : والصواب : أرصد .

قال أبو تراب :

« تراصد الرجلان » راقب بعضهما بعضا . قال ذو الرمة :

يراصدهـــا فى جوف حدبـــاء ضيق على المرء إلا مـــا تخـــرق حالها

« لا تخطئك منى رصدات خير أو شر » أى أكافئك بما يكون منك . قال كثير :

سأجزيـــه بهـــا رصـــدات شكر على عُدَواء دارى واجتنابى

وهى المرات من الرصد الذى هو مصدر رَصَدَه بالمكافأة . ويجوز أن يكون جمع الرصدة وهى المطرة .

ومراصد الحيّات مكامنها . قال الهذلى :

أبـــا معقـــل لا توطِئَنْـــك بغاضتى رؤس الأفاعـــى فى مراصدهـــا العُرْمِ

« وليث رصيد » يرصد ليثب قال :

أسـليـم لم تعـــد أم رصيـــد أكلـكْ

* * *

حمام زاجل

قال أبو تراب :

وأطبق الناس فى كل قطر على استعمال كلمة (الزاجل) صفة للحمام فيقولون : هذا الحمام الزاجل يعنون به الحمام الذى يحمل الرسائل ويقوم بوظيفة البريدى بايصالها إلى أهلها . وهذا المراد صحيح ولكن استعمال الزاجل نعتا للحمام خطأ شائع ذائع . فالزاجل ليس هو الحمام وإنما هو الرجل الذى يطيره للمراسلة فهو يزجله أى يرسله . والزجل هو الارسال .

قال فى كتاب : « قل ولا تقل » : قل هذا الحمام من حمام الزاجل بالاضافة أى الحمام الهوادى أو الهادى أو الهُدَّى . وحمام البطائق والمراسلة ولا تقل من الحمام الزاجـل على النعت .

وذلك لأن الزاجل هو الرجل الذى يزجل الحمام أى يرميه فى الهواء يطيره من أبراجه. للمراسلة على بعد . يقال له أيضا : الزّجّال .

وفى لسان العرب : والزجل : إرسال الحمام الهادى من مزجلٍ بعيد وقد زجل به يزجل .
وزجل الحمام يزجلها زجلا .. أرسلها على بعد . وهى حمام الزاجل والزجّال ذكره الفارسى .

وفى صحاح الجوهرى : والزجل أيضا إرسال الحمام .

وفى أساس البلاغة للزمخشرى : وزجل الحمام الهادى أرسله زجلا يعنى رميا .

ومما روّج هذا الخطأ أعنى قولهم : الحمام الزاجل بدلا من حمام الزاجل أن الزجل ورد فى العربية بمعنى الجلبة ورفع الصوت للتطريب قال فى لسان العرب : انشد سيبويه :

له زجـــل كأنـــه صوت حاد إذا طلـــب الوسيقـــة أو زمير

وقد زجل زجلا فهو زجل وزاجل . وربما أوقع الزجل على الغناء قال الراجز :

« **وهو يغنيها غناءً زاجلا** » .

والزجل رفع الصوت الطرب قال : « **يا ليتنا كنا حمامى زاجل** » .

فاذا أريد حمام المراسلة فهو حمام الزاجل . وإذا أريد الحمام المغنِّى أى الهادل الساجع فهو الحمام الزَّجل والزاجل .

وشاهد الزجل بمعنى الرمى قوله :

بتنا وباتت رياح الغور تزجله ... حتى إذا همَّ أولاه بانجاد

والزجلة الجلدة التى بين العينين قال :

كأن زُجْلَة صوب صاب من برد ... شُنَّتْ شآبيبُه من رائح لجب
نواصح بين حماوين أحصنتا ... ممَّعا كهام الثلج بالضرَب

أراد بالنواصح الثنايا البيض وبالحماوين الشفتين . والضرب العسل.

وإذ ذكرنا الحمام الهادى . وجمعه الهوادى والهُدَّى كالغازى والغُزَّى نذكر أن العلامة السيد محمد المرتضى الزبيدى عدَّ من مراجع كتابه اللغوى الواسع « تاج العروس » كتاب الحمام الهُدَّى لمحمد بن قاسم بن عزرة الأزدى .

وقد ورد اسم هذا الكتاب فى طبعة دولة الكويت ج ١ ص ٦ على هذه الصورة : (وكتاب الحمام والهدى له أيضا) ومحقق هذا الجزء هو الشيخ عبدالستار أحمد فراج المصرى . فعلق على ذلك قوله . بهامش المطبوع : (قوله له أيضا) أى لابن قاسم وفى كشف الظنون أن كتاب (الهدى) لأبى عبدالله محمد بن القيم . فلعل التحريف وقع فى القيم أو القاسم وفيه أيضا أن كتاب اللجام وكتاب الحمام لأبى عبيدة معمر بن المثنى فليحرر .

قال مصطفى جواد : فتأمل هذا التخليط من هؤلاء الفضلاء المعلقين الذين جعلوا الصحيح تحريفا . وظنوا كتاب حمام الزاجل أى الحمام الهوادى والهُدَّى كتابا للهدى والأرشاد . وجعلوا محمد بن قاسم ابن عَزْرة الأزدى:ابن قيم الجوزية ، وهكذا فليكن التعليق الفضولى المبنى على قلة الفهم والتشبع به .

والزجل ورد فى الحديث فى صفة الملائكة : لهم زجل بالتسبيح أى صوت رفيع عال وسحاب ذو زجل أى رعد .

وفى الحديث أيضا : أخذ الحربة لأبىٍّ بن خلف فزجله بها أى رماه بها فقتله .

وقول ابى النجم : (ورمى بالصخر زَجْلاً زاجلاً) معناه الرمى الشديد .

* * *

كشفت الأمر وعن الأمر

قال أبو تراب :

وفى كتاب « قل ولا تقل » .

قل كشفت عن الأمر الخفى خفاءه ولا تقل : كشفت الأمر الخفى . قال ابن فارس فى مقاييس اللغة : الكاف والشين والفاء أصل صحيح يدل على سرو الشىء عن الشىء كالثوب يسرى عن البدن يقال : كشفت الثوب وغيره أكشفه .

وفى لسان العرب : الكشف : رفعك الشىء عما يواريه ويغطيه كشفه يكشفه كشفا وكشّفه .

وفى أساس البلاغة : كشفت عنه الثوب . ومن المجاز : كشف الله غمّه . وهو كشاف الغمم .

وقال الراغب الأصبهانى فى مفردات غريب القرآن : كشفت الثوب عن الوجه وغيره . ويقال : كشف غمه .. قال الله تعالى : « وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو » .. وهذا كتاب الله شاهدا . قال تعالى فى سورة ق « لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد » .. فالمكشوف هو الغطاء . وما جرى مجراه من الحسيات والمعنويات كالغم . وقد يحذف المفعول به كقوله تعالى فى سورة النحل : « فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها » .. أى وكشفت ثوبها عن ساقيها كما يفعل الخائض للماء الضحل .. ولابد للأشياء المادية كالكنوز والمعنوية كالطاقات من استعمال (عن) فالفصيح ان يقال : الكشف عن الأمر الخفى والطاقات .

قال على بن أبى طالب على ماورد فى شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ١١٢ : « فان فى الناس عيوبا الوالى أحق من سترها .. فلا تكشفن عما غاب عنك منها فانما عليك تطهير ما ظهر لك .

وفى كتاب الله تعالى غنى عن تطلب الفصاحة فى غيره .

وفى لغة العرب : رجل أكشف .. وهو الذى لا ترس معه ، قال :

لهن فوارس ليسوا بميلٍ ولا كُشُفٍ إذا قيل امنعونا

وحديث مكشوف اى معروف . وتكشف فلان اى افتضح ، وتكشف البرق اى ملأ

السماء . ولقحت الحرب كشافاً إذا دامت ، قال زهير :

فتَعـركْكمُ عرك الرحـى بثفالها وتَلقـحْ كِشافـا ثم تنتـجْ فَتُتْئِم

فضرب القاحها كشافا بحدثان نتاجها وأتآمها مثلا لشدة الحرب وامتداد أيامها ..
وفى الصحاح : « ثم تنتج فتفطم » .

والكُشُف : الذين لا يصدقون القتال ؛ ولا يثبتون فى الحرب لا يعرف له واحد . وفى قصيدة كعب :

زالوا فما زال أنكاس ولا كشف

قال ابن الأثير : الكشف جمع أكشف وهو الذى لا ترس معه كأنه منكشف غير مستور .. وكشف القوم انهزموا .. قال :

فما ذُمَّ حاديهم ولا فـال رأيهم ولا كشفـوا إن أفـزع السرب صائح

أى لم ينهزموا . وريط كشيف .. مكشوف أو منكشف ، قال صخر الغى :

أجَشَّ رِبَحْـلاً له هيدبُ يرفّـع للخـال ريطـا كشيفا

قال أبو حنيفة : معناه : أن البرق إذا لمع أضاء السحاب فتراه أبيض فكأنه كشّف عن ريطٍ .

قلت : الرِبَحْل : العظيم .

وورد فى الحديث : لو تكاشفتم ما تدافنتم .. أى لو انكشف عيب بعضكم لبعض .. وقيل معناه : لو علم بعضكم سريرة بعض لا ستثقل تشييع جنازته ودفنه . والكاشفة مصدر كالعافية والخاتمة وفى التنزيل العزيز : « ليس لها من دون الله كاشفة » اى كشف وقيل : إنما دخلت الهاء ليساجع قوله : « أزفت الآزفة » .. وقيل الهاء للمبالغة . وقال ثعلب : معنى ذلك انه لا يكشف الساعة إلا ربُّ العالمين فالهاء على هذا للمبالغة كما قلنا ..

وأكشف الرجل إذا ضحك فانقلبت شفته حتى تبدو درادره . والكشف بالتحريك انقلاب من قُصاص الناصية كأنها دائرة .. وهى شعيرات تنبت صُعُداً .

* * *

مَرْضِيّ ومُرْضٍ

قال أبو تراب : قل : كان عمل فلان مَرْضِيّاً .. وكانت طريقة مرضيّة .. لا تقل كان عمله مُرْضياً .. وكانت طريقته مُرْضِيَة .

قال مصطفى جواد :

وذلك لأن الرضا والارضاء صادران عن الانسان . ولأن الرضا واقع على العمل والطريقة .

قال الجوهرى فى الصحاح : رضيت الشيء وارتضيته فهو مرضي وقد قالوا : مرضُواً فجاءوا به على الأصل ثم قال : وعيشة راضية أى مرضية . وأرضيْته عنى ورضيتُه بالتشديد أيضا فرضي .. وترضَّيتهُ وأرضيته بعد جهد واسترضيته فأرضانى.

وقال الفيومى فيالمصباح المنير : رضيت الشيء ورضيت به رضا .. اخترته .. وشيء مرضي أكثر من مرضوّ .

وقال ابن منظور فى لسان العرب : ورضيت الشيء وارتضيته فهو مرضي : وقد قالوا : مرضو . ومرضي . ثم قال : يقال هو مرضي .. ومنهم من يقول : مرضو . لأن الرضا فى الأصل من بنات الواو .. وقيل فى : « عيشة راضية » أى مرضية . أى ذات رضي ..

قال أبو تراب : يعنى من بنات الواو انه ناقص واوى وليس مما اعتل آخره بالياء .

قال مصطفى جواد :

وانت ترى أنهم قالوا : شيء مرضي لا شيء مُرْضٍ وفسرت عيشة راضية بعيشة مَرْضِيّة لا مُرْضية . وقالوا : أرضانى فلان ولم يقولوا : أرضانى الشيء وان كان باب المجاز مفتوحا وباب الاستعارة غير مغلق .

وقال الله تعالى فى القرآن المجيد : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » فالاسلام مرضي فى الآية الكريمة .

وأوقع الرضا فى القرآن الكريم على الانسان أيضا ، قال الله تعالى فى ذكر اسماعيل عليه السلام «وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا» وقال عز قائلا : « يا أيتها النفس المطمئنة .. ارجعى إلى ربك راضية مرضية » .. وفى كل ما نقلنا من

القرآن العزيز وكلام العرب لم نجد من وصف الشيء وما جرى مجراه بالمُرضى حقيقة ولا مجازا حتى ان ماورد فى التنزيل العزيز من عيشة راضية فسر بعيشة مرضية كما نقلنا آنفا .

قال مصطفى جواد :

والظاهر ان قول الناس : كان عمله مرضيا وكانت طريقته مرضية من باب القراءة الموهوم فيها .. لأن الجملتين غير مشكولتين . فقل : كان عمله مرضيا .. وكانت طريقته مرضية .

قال أبو تراب : وفى التذكرة : يقولون : هو باذل جهده فى ترضيته .. أى فى طلب رضاه فيستعملون مصدر (رضّى) وهو لم يسمع عن العرب أو سمع قليلا جدا . والمنقول عنهم فى هذا المعنى على وزن تفعل واستفعل . يقال : ترضاه واسترضاه اى طلب رضاه . ويقال ايضا : استرضاه اى طلب اليه ان يترضاه أو أن يرضيه فيستعمل فى معنيين متضادين كدان وأدَانَ فالصواب إذن ان يقال : باذل جهده فى ترضّيه أو استرضائه .

قال أبو تراب : الدليل على ان الرضا واوى الأصل قولهم : وما فعلته إلا عن رضوة فلان .. قال رويشد شاعر فزارة :

وقالت بنو قحطان أنت تحوطنا على رضوة الراضين والسخطات

وتثنية الرضا رضوان بفتح الضاد على هذا الأصل ورضيان على المعاقبة والمرضو جاء على الأصل ايضا وهو المرضى . ولم يقولوا : رضى إلا للكسر .. وإنما هو رضو . لذلك قالوا : فرضوته .. أرضوه ، ولا يمد الرضا إلا على ذلك فيقال : الرضاء . وأما تعديته بعلى فلأنه ضمن معنى الاقبال كما قال القحيف العقيلى :

إذا رضيتَ علىَّ بنو قشير لعمر الله أعجبنى رضاها
ولا تنبو سيوف بنى قشير ولا تمضى الأسنة فى صفاها

وقد سلك سيبويه هذه الطريق فى تعدية المصادر كثيرا ..

* * *

جَمْهَوَرى وجهير

قال الدكتور مصطفى جواد :

قل : هو جَهُور الصوت وجهير الصوت . ولا تقل : جَهْوری الصوت .. وهو رفيع الصوت الذی ينتبذ صوته بعيدا . فالجَهْوری كأنه منسوب الى جَهْور .. ولو كان صفة مبالغة لقيل : جَهُور مثل عفو وغفور ولم يحتج إلى ياء النسبة . والواو فی جَهّوری للمبالغة كواو كوثر ونوفل وحوصلة وروسَم ، ورَوْشَمْ وحَوْشَبَة .

قال أبو تراب :

الروسم الخاتم . وطابع يطبع به الطين ونحوه والعلامة .. وشیء تجلی به الدنانير .. وخشبة مكتوبة بالنقر يختم بها الحنطة ونحوها على البيادر حتى لا تختفى السرقة منها .. وقد اطلقوا الروسم على الأكلشيه وبمعناه الراسوم والروشم .

والحوشبة : الجماعة وكذلك الحوشب .

وفی المقاييس : الجيم والهاء والراء أصل واحد وهو إعلان الشیء وكشفه وعلـوه .. يقال : جهرت بالكلام أعلنت به ورجل جهير الصوت أی عاليه .. قال :

أخاطـب جهـراً إذ لهـن تخافت ... وشتـان بـين الجهـر والمنطـق الخفت

ومن هذا الباب جهرت الشیء إذا كان فی عينيك عظيما .. وجهرت الرجل كذلك قال (العجاج) :

(كأنما زهاؤه لمن جهر)

(ليل ورزٌ وغره إذا وغر)

فأما العين الجهراء فهی التی لا تبصر فی الشمس ، ويقال : رأيتُ جُهْرَ فلان أی هيأته ، قال (القطامی) :

شنئتـك إذ أبصرت جهـرك سيئا ... وما غيّـب الأقـوامُ تابعـةَ الجُهْرِ

أی لن يقدروا ان يُغَيِّبوا من خُبْرِه وما كان تابع جُهْرِه .

ويُقال : جهيرٌ بينٌ الجهارة .. إذا كان ذا منظر قال أبو النجم :

وأری البيـاض على النسـاء جهارة ... والعتـق أعرفـه على الأدماء

والأدماء : صفة للناقة ـ ويقال : جهرنا بنى فلان اى صبحناهم على غرة . وهو من الباب أى أتيناهم ضباحا والصباح جهر . ويقال للجماعة الجهراء . ويقال : إن الجهراء الرابية العريضة .

قال أبو تراب : وفى اللسان فى تفسير البيت المذكور ما نصه :

ما بمعنى الذى أى ما غاب عنك من خبر الرجل فانه تابع لمنظره والتاء فى تابعة للمبالغة .. اه .

قال أبو تراب : لم يذكر صاحبا الافصاح فى فقه اللغة العين الجهراء وكتابهما مهذب المخصص لابن سيدة . وهذا من فواتهما .

وفى محيط المحيط للبستانى : جهر البئر نقاها وأخرج ما فيها من الحمأة .. قال الشاعر :

إذا وردنا آجنا جهرناه أو خاليا من أهله عمرناه

أو نزحها أو بلغ الماء قال الأخفش : تقول العرب : جهرت الركية إذا كان ماؤها قد غطى الطين فنقيت ذلك حتى يظهر الماء ويصفو .

قال أبو تراب : وفى حديث العباس انه نادى بصوت له جَهْوَرِيّ أى شديد عال . والواو زائدة وهو منسوب الى جَهْوَرَ بصوته . وصوت جهير . وكلام جهير كلاهما عالن عال .. قال :

ويقصر دونه الصوت الجهير

ويقال : كيف جهراؤكم أى جماعتكم .. وقول الراجز :

لا تجهرينى نظراً وردّى فقد أرد حين لا مردً
وقد أرد والجياد تردى نعم المجش ساعة التردى

معناه ان استعظمت منظرى فانى مع ماترين من منظرى شجاع أرد الفرسان الذين لا يردهم إلا مثلى . والجهراء جمع جهير وهم الخليقون للمعروف . قال الأخطل :

جهراء للمعروف حين تراهم خلقاء غير تنابل أشرار

والمجهور : الماء الذى كان سُدْماً فاستسقى منه حتى طاب قال أوس بن حجر :

قد حلأت ناقتى بردُ وصيح بها عن ماء بَصْنَوَةَ يوما وهو مجهور

أما الجهراء التى لا تبصر فى الشمس فذكرها أبو العيال الهذلى يصف منيحة منحه إياها بدر بن عمار الهذلى فقال :

جهــراء لا تألــو إذا هى أظهرت بصرا ولا مــن عيلــة تغنينى

والاسم جهرة .. قال الطرماح :

على جهرة فى العين وهو خدوج

وجهرته : رأيته عظيم المرآة .. قال :

إن سراجــا لكريــم مفخره تحلى به العــين إذا ما تجهره

وقال اعرابى فى الرشيد :

جهــير الــرواء جهــير الكلام جهــير العطــاس جهــير النغم
ويخطــو على الأيــن خطــو الظليم ويعلــو الرجــال بخلق عمم

وفلان عف السريرة والجهيرة .. قال :

لا يتبــع الجــارات ريبــة طرفه ويتابــع الاحســان للجيران
عف السريــرة والجهــيرة مثلها وإذا استضيــم أراك فســق طعان

قال ابو تراب : وفيما ذكرناه من حديث العباس رّد على الدكتور مصطفى جواد ونصً على تفسيره ابن الأثير فى النهاية وصاحب اللسان ، كما ذكرنا آنفا .

ولاشك ان الواو فى (جَهْورى) زائدة ، ولكن ليست كواو (كوثـر) كما يقـول الدكتور ، فان تلك (فَعْوَلىّ) وهذه (فوعل) وعلى كل حال فقد استعمل (جَهْورى) الذى منع منه الدكتور . وفى الحديث ايضا كان عمرمُجهِلاً ، أى رفيع الصوت ، وفيه ايضا : اذاامرأة جهيرة أى عالية الصوت .ولامانع من كل ذلك .

* * *

عالة وعائل

قال أبو تراب :

ومن الأخطاء اللغوية الشائعة قولهم : فلان عالة على غيره . والصواب ان يقال : فلان عائل على غيره .. لأن عالة جمع عائل فكيف يوصف به المفرد ومثاله قادة وذادة وساقة وهى جموع مفاريدها : قائد وذائد وسائق .

والعائل بمعنى المفتقر الذى يعيش بكسب غيره وجمعه العالة قال مرداس :

وكنا يداً حتى سعى الدهر بيننا ... فصرّفنا والدهر فيه الدوائر

يفرق ألآفا ويترك عالة ... أناسا لهم وفر من المال داثر

وفى الصحيحين عن سعد بن أبى وقاص انه استأذن رسول الله ﷺ فى أن يتصدق بجميع ماله فقال :

« إنك إن تدع عيالك أغنياء خير من أن تتركهم عالة يتكففون الناس » .

قال السيوطى فى الدر النثير : العالة : الفقراء جمع عائل ، وقال الزمخشرى فى الفائق : العالة جمع عائل وهو الفقير . ولا يقال : فلان عالة بل عائل .. قال الله تعالى : « ووجدك عائلا فأغنى » والجمع عالة .

والحديث الذى ذكرناه اقتبسه الجاحظ فى كتاب البخلاء .

وقال الزمخشرى فى الأساس : تقول : هذا يتيم عائل ليس له عائل : أى فقير ليس له من يمونه .. وتقول : فلان فى بكاء وعولة من شقاء وعيلة . وعيّل الرجل فرسه بالفلاة .. قال حَجَلُ الباهلى :

نسقى قلائصنا بماء آجن ... وإذا يقوم به الحسير تُعَيَّلُ

وفى النهاية لابن الأثير فى شرح قوله ﷺ : إنّ الله يبغض العائل المختال : العائل الفقير . وقد عال يعيل عَيْلَةً إذا افتقر ومنه الحديث : ما عال مقتصد ولا يعيل ..

وفى حديث الايمان .. « وترى العالة رؤس الناس »

قال أبو تراب : والعالة فى كل هذه الشواهد جمع لا يصح استعماله للمفرد والمفرد : عائل وعَيِّل.. وهو مأخوذ من (عال يعيل) يقال فى الدعاء على الانسان : (ماله مال وعال) فمال أى عدل عن الحق وعال اى افتقر وقيل : هما بمعنى واحد . ورجل عائل من قوم عالة وعُيَّل . قال :

فتـــركن نهــداً عُيَّــلا ابناؤهم وبنو كنانـــة كاللصـــوت المرَّد

واللصوت : اللصوص على الابدال .

والاسم : العيلة . والعالة بمعنى الفاقة . وفى التنزيل : « وإن خفتم عيلة » .. قال أحيحة :

وما يـــدرى الفقـــير متـــى غناه وما يـــدرى الغنـــى متـــى يعيل

وما تـــدرى إذا أزمعـــت أمرا بأى الأرض يدركك المقيل

وعائل وعالة .. مثل : حائك وحاكة .. وعيال الرجل وعيّله الذين يعولهم ويتكفل بهم . وقد يكون العيل واحدا وقد يكون جمعا قال :

سلام على يحيـــى ولا يُـــرْجَ عنده ولاء وإن أزرى بعيِّلــه الفقر

وعيّل عياله : أهملهم ، قال : (لقد عيَّل الأيتام طعنة ناشرة) . وأعال الأسد إذا التمس شيئا . والجمع عياييل على غير قياس قال :

(فيها عياييل أسود ونمر)

و العيَّال : المتبختر . قال أوس فى صفة فرس :

ليـــث عليـــه من البـــردى هِبْرِيةٌ كالمرزُبانـــىّ عيّـــال بأوصال

وجمعه عياييل .. قال حكيم بن مُعيَّة الرَّبعى من تميم يصف قناة ثبتت فى موضع محفوف بالجبال والشجر :

(حُفَّت بأطواد جبال وحُظُر ..) (فى أشَبِ الغيطان ملتف السَّمر) (فيه عياييل أسود ونمر) وعال الميزان أى جار .. وقيل : زاد . قال أبو طالب بن عبدالمطلب :

جزى الله عنّـــا عبد شـــمس ونوفلا عقوبـــة شر عاجـــل غـــير آجل

بميـــزان صدق لا يغـــل شعيرة له شاهـــد من نفســـه غـــير عائل

وقال بريدة وكان جالسا بالكوفة فى مجلس من أصحابه :

سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن من البيان لسحراً وإن من العلم جهلا .. وإن من الشعر حكما .. وإن من القول عَيْلا » .. والعَيْل : عرض الكلام على من لا يريده .

* * *

صديق لدود

قال أبو تراب :

ومن الأخطاء الشائعة وصف الصديق باللدود .. يقولون : فلان صديق فلان اللدود .. وأصدقاؤنا الألداء .. ويكثر هذا الغلط فى اعلانات الصحف والدعاوة .

وقد قرأت فى كتاب الغلط على ألسنة الكتاب لأبى الخضر وهو يقول : فأنت ترى ان هذه الكلمة قد أشاعوها فيما أذاعوا (على) الناس من اعلانات مختلفة متعددة . وفى عرضها على المشاهدين كما سمعناها تقال وتكتب من بعض الكتاب ايضا فيسرى هذا الخطأ سريانا على ألسنة النشء من فتياننا الذين لا يزالون يتعلمون . وما برحوا لم يبلغوا من علم اللغة ما يعصمهم من هذا الخطأ المريب الشنيع .

فأولا : أصل وضع هذه الكلمة لا يكون إلا فى الخصومة والعداوة :

تقول : ـ ولا يقال غير ذلك قطعا ـ هو عدو لدود أو ألد .

وثانيا : تجمع هذه الكلمة على لُدٍ .. فتقول : هم أعداء وخصوم لُدٌ وليس ألداء .

وثالثا : من أنكر الأمور وأدعاها للعجب وصفك الصديق باللدد أى الخصومة الشديدة والعداوة البالغة كهؤلاء الذين قالوا وسمّوا : (صديق لدود وأصدقاء ألداء) .

وفى كتاب تذكرة الكاتب : يقولون : هو عدوى اللدود وهو من ألد أعدائى .. فيستعملون اللدود بمعنى الشديد العداوة ، والمنقول عن العرب : خصمٌ لدود أى شديدُ الخصومة . من الفعل (لدَّه أى خصمه أو شدد خصومته) فهو لَدٌ ولادٌ .. ولدود .. أما العدو فوصفوه بالزرقة وقالوا : العدو الأزرق .. أى الشديد العداوة . ولهذا الوصف تعليل لا محل لاستيفائه هنا ووصفوا الموت بالحمرة فقالوا : الموت الأحمر اى الشديد أو هو القتل كناية عن سفك الدم . وفصلوا ذلك فقالوا : الموت الأحمر ان يقتل بالسيف والموت الأسود ان يخنق حتى يموت . والموت الأبيض : أن يموت حتف أنفه .

قال أبو تراب : العدو الأزرق معناه : الخالص العداوة من زرقة الماء وهى صفاؤه وخلوصه . وقيل معناه : الشديد العداوة لأن زرقة العيون غالبة فى الروم والديلم وبينهم وبين العرب عداوة شديدة . ثم لما كثر ذكرهم إياهم بهذه الصفة سمى كل عدو بذلك وإن لم يكن أزرق العين . والعرب تكنى بالزرق عن النصال لما فى لونها من الزرقة . وعن الأسنة أيضا كقول امرىء القيس :

أيقتلنـــى والمشرِفىُّ مضاجعى ومسنونـــة زرق كأنيـــاب أغوال

وعن العمى وفى القرآن : « ونحشر المجرمين يومئذ زرقا » أى عميا ونصـل أزرق شديد الصفا .. قالت ليلى الأخيلية :

(وأسنة زرق تخال نجوما)

وكذلك يقال للماء الصافى أزرق . والأزرق البازى . وفى المثل « لا يساوى الزُّرَّق بالأزرق » والزُّرَّق : طائر صياد بين البازى والشاهين .

وأما اللَّدد فهو بالخصم ألصق . وفى حق العدو توسع وتجوز وفى التنزيل : « وهو ألد الخصام » . وأنا لا أنكر صيغة الألداء . وإن لم ترد فى أكثر المعاجم . لأن قياسها على الأحباء والأودّاء جمع حبيب ووديد . فالألداء جمع لديد . واللُّدُّ : اسم جمع كما تقول : هم قوم وُدٌّ .. وهى الصيغة التى استعملها القرآن قال : « وتنذرُ به قوما لُداً » .. معناه خصماء عوج عن الحق . وقيل : صم عنه .

وقيل : اللُّدُّ واللّداد جمع الألد وهو الخصم الجَدِل الشحيح الذى لا يزيغ الى الحق . ومنه قول عمر لأم سلمة : فأنا منهم بين ألسنة لداد . وقلوب شداد ، وسيوف حداد .

وفى الحديث : إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم . أى الشديد الخصومة الجدل . واشتقاقه من لديدى العنق وهما صفحتاه وتأويله ان الخصم اىّ وجه أخـذ من وجـوه الخصومة غلب ولديدا الوادى جانباه أنشد ابن دريد :

يرعـــون منخـــرق اللديـــد كأنهم فى العـــز اسرة صاحـــب وشهاب

والجمع ألدة كأجنة .. واللديد ظاهر الرقبة .. قال :

كل حســام علــم التهبيد يقضـــب بالهـــز وبالتجريد

سالفة الهامة واللديد

واليلندد والألندد كالألد أى الشديد الخصومة . ذكره القالى فى الأمالى ج ٢ ص ١٦٢ . قال الطرماح :

يضحـــى على سوق الجـــذول كأنه خصـــم أبـــر على الخصـــوم يلندد

* * *

أندية ونوادي

وقال أبو الخضر : يقولون فى النوادى والاجتماعات : يريدون جمع ندىّ كغنىّ . ونادىْ . والصواب جمعه على أندية وأنديات .. قال كثير :

لهم أنديات بالعشي وبالضحى بها ليلُ يرجو الراغبون نهالها

أما النوادى فاما أن تكون اسما . فهى الحوادث والخطوب تقول : رمتهم النوادى بسهامها .. وإما أن تكون نعتا . فمن ندا الشيء اى تفرق وتباعد .

تقول : نوادى النوى ـ جمع نواة ـ ومفرده نادية . وهى ما تطاير منها عند رضخها . وإبل (نوادى) أى شاردة لأن جمع التكسير على فواعل إنما يأتى جمعا لفاعلة كما رأيت وجمعا (لفاعل) على شرط ان يكون وصفا لمذكر عاقل فنقول جواد صاهل . وخيل صواهل . فالصواب ان يقال : فى الأندية والمجتمعات .

قال أبو تراب :

النوادى : منقوص يحذف آخره عند الرفع والجر مجرداً من التعريف وقد يثبت عند الوقف إذا وقعت الكلمة آخراً كما ذكره ابن الجزرى فى القراءات العشر . وذكره ابن عقيل فى قراءة ابن كثير « ولكل قوم هادى » لذلك قال : ابل (نوادى) وجمع (نادى) ولم يقل ناد ولا نواد .

والنوادى هى الأبل الشاردة وليس معناها مجالس القوم ومتحدثهم . فتلك اندية . وجمع الجمع انديات قال زهير :

وفيهم مقامات حسان وجوهها وأندية ينتابها القول والفعل

قال ثعلب فى شرحه : المقامات : المجالس وإنما سميت المقامات لأن الرجل كان يقوم فى المجلس فيحض على الخير ويصلح بين الناس ويقال : هو مقامة قومه إذا كان يقوم فيتكلم فى الحض على المعروف . والندىّ : المجلس وجمعه أندية . ينتابها القول والفعل : أى يقال فيها الجميل ويفعل وقال بعده :

وإن جئتهم ألفيت حول بيوتهم مجالس قد يشفى بأحلامها الجهل

قال أبو تراب : الندىّ والنادى واحد بمعنى المجلس يندو القوم حواليه .. قيل : وإذا تفرقوا فليس بندى .. ومنه دار الندوة بمكة لأنهم كانوا يجتمعون للتشاور فيندون فيها . وناديته بمعنى جالسته فى الندى قال الأعشى :

فتى لو ينادى الشمس ألقت قناعها أو القمـــر الســـارى لألقـــى المقالدا

والأندية ايضا من الأصل الآخر من هذه المادة وهو الندى من البلل يقال فيه أنداء وأندية على الشذوذ . وربما عبروا عن الشحم بالندى . وهو أندى من فلان أى أكثر خيراً منه . وما نديت كفى لفلان بشيء يكرهه قال النابغة :

ماإن نديـــت بشيء أنـــت تكرهه إذن فلا رفعـــت سوطـــى إلى يدى

وفلان يتندى على أصحابه اى يتسخى . ومن الباب ندى الصوت وهو بعد مذهبه . وهو أندى منه صوتا أى أبعد قال دثار النمرى :

فقلـــت اْدعـــى وأدع فان أندى لصـــوت أن ينـــادى داعيان

ومن النادى ندوة الأبل وهى ان تندو من المشرب الى المرعى القريب منة ثم تعود الى الماء من يومها أو غدها والندوة والمنتدى كالنادى والندى والندوة بمعنى المجلس بفتح النون وهى بالضم موضع شرب الابل .

ومـــن محاوراتهـــم .. كم نعشتنـــى يداك . وكم أعاشنـــى نداك . وإن يده لنديـــة بالمعروف .. ومارأيته أندى من فلان يداً . وما تنديـــت من فلان وما انتديـــت منـــه أى ما أصبت منه خيراً . وفلان لا تندى صفاته . وما تندّى إحدى يديه الأخرى . يقال هذا للبخيل .. وفى القرآن : « فليدع ناديه » .. أى أهل ناديه وهم عشيرته .

والمنديات : المخزيات لأنها إذا ذكرت ندى جبين صاحبها حياء قال الكميت :

وعـــادىّ حلـــم إذ المنديا ت أنســـين أهـــل الوقـــار الوقارا

وشرب حتى تندّى أى تروّى . وهذا مسرح بهمنا ومندّى خيلنا . وهو فى أمر لا ينادى وليده . ونديت الفرس : سقيته وأيضا نديته . ركضته حتى عرق .

فهذه المادة تدل على تجمع . وعلى بلل فمن المعنى الأول النادى والأندية والندّى والمنتدى والندوة والأنديات .. ومن المعنى الثانى قول المتنبى :

وربّ كئيـــب ليس تنـــدى جفونه ورب كثـــير الدمـــع غـــير كئيب

ومن فروعه بمعنى السخاء قول حسان بن ثابت :

ألستـــم خـــير من ركب المطايا وأنـــدى العـــالمين بطـــون راح

ونوادى الكلام ما يخرج وقتا بعد وقت .. وهى النواحى أيضا . وهذان المعنيان غابا عن أبى الخضر .

* * *

فهرس

الموضوع	رقم الصفحة

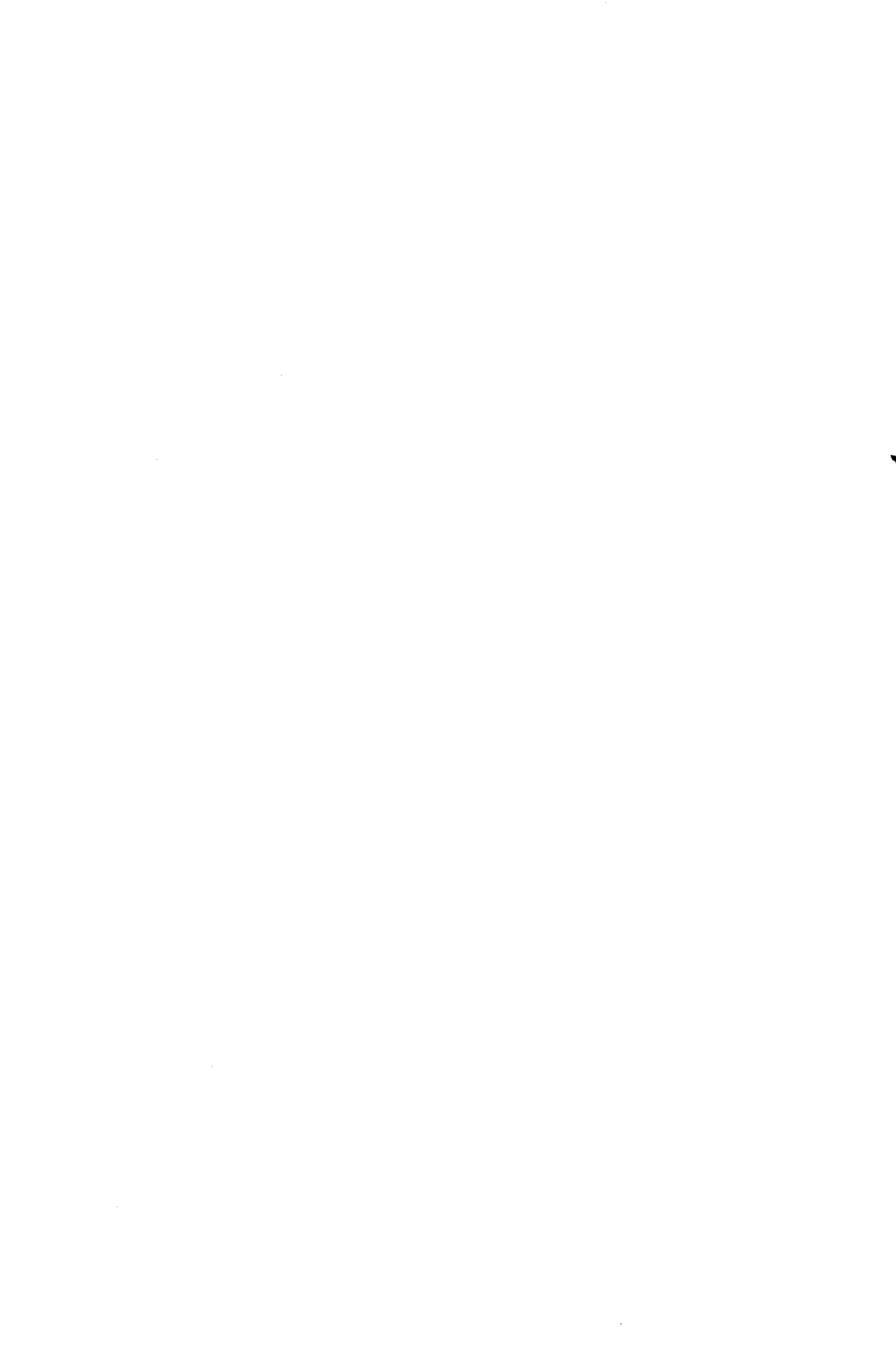
* * *

انتهى الجزء الاول من كتاب « كبوات اليراع » ويليه الجزء الثانى ، واوله تعليق المؤلف على قرارات المجمع اللغوى بالقاهرة .

● قام بتصحيح التجارب المطبعية لهذا الجزء :

عبد الحليم محمد عبد الحليم المراقب اللغوى باذاعة جدة

خريج جامعة الأزهر



طبعت بمطابع دار البلاد ـ جدة
جدة ـ ص . ب : ٧٦١٤
ت : ٦٧١٩٧١٥ - ٦٧١٩٢٨٠